تفسير القاضي البيضاوي

المسمى

أنوار التنزيل وأسرار التأويل

طبع محققاً على أربع نسخ خطية نفيسة، بعضها بخط الإمامين
التفتازاني والخيالي، ومنها نسخة منقولة عن نسخة صحيحة مقابلة
مع الأصل بخط المصنف، ومنها نسخة مكتوبة في حياة المؤلف رحمه الله

ومعه

حاشية العلامة السيوطي

المسماة

نواهد الأبكار وشوارد الأفكار

تطبع كاملة أول مرة محققة على ثلاث نسخ خطية
إحداها مكتوبة في حياة المؤلف، وعليها خطه في مواضع كثيرة

حققه وعلق عليه
ماهر أديب حبوش

المجلد العاشر
(القصص - الزمر)

دار اللباب   مكتبة الإرشاد

حُقوق الطَبع محفُوظَة

الطبعَة الأولى
١٤٤٣هـ - ٢٠٢٢م

مكتبة الإرشاد
للطباعة والنشر والتوزيع
إسطنبول

لِصَاحِبِهَا مُحَمَّد مَحْفُوظ أُزدَمِير

هاتف: 08504804773 - 02126381633
iskenderpaşa Mah. Feyzullah Efendi Sok. No 8 Dük: 1 Fatih/istanbul
www.irsad.com.tr
info@irsad.com.tr
fb.com /irsadkitabevi
@irsadkitabevi
+90 (0) 5309109575

9 789933 935009

دار اللباب
للدراسات وتحقيق التراث
DAR-ALLOBAB
Lubab Yazma Eserleri İhya ve İlmi Araştırma Yayınları

بيروت - لبنان
009615813966
0096170112990

دمشق - سوريا
00963993151546
info@allobab.com
Www.allobab.com

اسطنبول - تركيا
00902125255551
00905454729850

İskenderpaşa mh. Kıztaşı cd. No:7 D:5 Fatih (Özel Fatih Hastanesi Karşısı)

تفسير القاضي البيضاوي

ومعه

حاشية العلامة السيوطي

(١٠)

بسم الله الرحمن الرحيم

سُورَةُ القَصَصِ

سُورَةُ القَصَصِ

مكيَّةٌ، وقيل: إلَّا قوله ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [الآية: ٥٢] إلى قولِه: ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ [الآية: ٥٥]. وهي ثمانٌ وثمانونَ آيةً[1].

---

(١) وهذه الآيات مدنية، انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٣٤).

واستُثني منها أيضاً قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾ [القصص: ٨٥] على أنها جُحْفيَّةٌ ليست بمكيةٍ ولا مدنية، وقد وقفتُ فيه على بعض الأخبار المنقطعة:

منها: ما رواه يحيى بن سلام في «تفسيره» (٢/ ٦١٣) فقال: (بَلَغني أنَّ النَّبيَّ ﷺ وهو مُوَجِّهٌ من مكة إلى المدينة حين هاجَرَ نَزَل عليه جبريلُ وهو بالجحْفَةِ فقال: أتشتاقُ يا محمدُ إلى بلادك التي وُلِدْتَ بها؟ فقال: «نَعم»، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِي فَرَضَ عَلَيۡكَ ٱلۡقُرۡءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾: إلى مولدِكَ الذي خرجْتَ منه، ظاهِرًا على أهلِه). وهكذا رواه الداني في «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠١) عن يحيى بن سلام، وكذا ذكره مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٥٩) دون سند أيضاً. وسيأتي في آخر هذه السورة.

وروى ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٢٦) من طريق مقاتل عن الضحاك قال: لَمَّا خَرَج النَّبيُّ ﷺ من مكة فبلغ الجُحْفَةَ اشتاق إلى مكة، فأَنزَل اللهُ تباركَ وتعالى عليه القرآنَ: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٖ﴾: إلى مكةَ.

وزاد الثعلبي في «تفسيره» (٧/ ٢٦٧) في سنده ابن عباس فقال: قال مقاتل: قال الضحاك: قال ابن عباس: (إنّما نزلت بالجحفة ليس بمكة ولا المدينة)، وهو منقطع فالضحاك لم يسمع من ابن عباس.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ ـ ٣) ـ ﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِٱلْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿طسٓمٓ ۝١ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝٢ نَتْلُوا۟ عَلَيْكَ﴾: نقرؤه بقراءةِ جبريلَ، ويجوزُ أَنْ يكونَ بمَعنى: ننزلُه، مَجازًا.

﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ﴾: بعضَ نبَئِهمَا، مَفعولُ ﴿نَتْلُوا۟﴾.

﴿بِٱلْحَقِّ﴾: مُحقِّينَ ﴿لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأنَّهُم المنتفعونَ بهِ.

قولُه: «بعضَ نَبئِهمَا»: قال الطِّيبِيُّ: يريدُ أنَّ ﴿مِن﴾ في قولِه: ﴿مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ﴾ للتَّبعيضِ[١].

(٤) ـ ﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَآئِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَآءَهُمْ وَيَسْتَحْىِۦ نِسَآءَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ استئنافٌ مُبينٌ لذلكَ البَعضِ، والأرضُ أَرْضُ مِصرَ.

﴿وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا﴾: فِرَقًا يشيِّعونَهُ فيما يريدُ، أو يشيِّعُ بعضُهُم بعضًا في طاعتِه.

أو: أصنافًا في استخدامِه، استعمَلَ كلَّ صنفٍ في عملٍ.

أو: أحزابًا، بأَنْ أغرى بينهُم العداوةَ كَيْ لا يتَّفِقُوا عليه.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٥).

﴿يَسۡتَضۡعِفُ طَآئِفَةٗ مِّنۡهُمۡ﴾ وهُم بَنُو إسرائيلَ، والجملةُ حالٌ مِن فاعلِ (جعلَ)، أو صِفَةٌ لـ﴿شِيَعٗا﴾، أو استئنافٌ.

وقوله: ﴿يُذَبِّحُ أَبۡنَآءَهُمۡ وَيَسۡتَحۡيِۦ نِسَآءَهُمۡ﴾ بدلٌ منها.

كان ذلك لأنَّ كاهِنًا قال لهُ: يولَدُ مَولودٌ في بني إسرائيلَ يَذهَبُ ملكُكَ على يدِه، وكان ذلك مِن غايةِ حُمقهِ، فإنَّه لو صَدَقَ لم يَندَفِعْ بالقتلِ، وإن كَذَبَ فما وَجهُه[1]؟

﴿إِنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ﴾ فلذلك اجترأَ على قتلِ خلقٍ كثيرٍ مِن أَولادِ الأَنبياءِ لتَخيُّلٍ فاسِدٍ.

(٥ـ٦) ـ ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنَجۡعَلَهُمۡ أَئِمَّةٗ وَنَجۡعَلَهُمُ ٱلۡوَٰرِثِينَ ۝٥ وَنُمَكِّنَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَنُرِيَ فِرۡعَوۡنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنۡهُم مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾.

﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى ٱلَّذِينَ ٱسۡتُضۡعِفُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: أن نتفضَّلَ عليهم بإنقاذِهم مِن بَأسِه، و﴿نُرِيدُ﴾ حِكايَةُ حالٍ ماضيَةٍ[2] مَعطوفَةٌ على ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا﴾ مِن حيثُ إنَّهُما واقعانِ تَفسيرًا للنَّبإ، أو حالٌ مِن ﴿يَسۡتَضۡعِفُ﴾[3]، ولا يلزمُ مِن مُقارنَةِ الإرادةِ للاستضعافِ مُقارنَةُ المُرادِ له؛ لجوازِ أَنْ يكونَ تَعلُّقُ الإرادةِ به حينئذٍ تَعلُّقًا استقباليًّا، مع أنَّ منَّةَ اللهِ بخَلاصِهم لَمَّا كانَتْ قَريبَةَ الوُقوعِ منه جازَ أَنْ تَجرِيَ مجرى المُقارِنِ.

---

(١) قوله: «فما وجهه»؛ أي: وجه القتل.

(٢) قوله: «﴿وَنُرِيدُ﴾ حِكايةُ حالٍ ماضِيَةٍ» يشير به إلى وجه الإتيان بالمضارع في ﴿وَنُرِيدُ﴾ مع أن المراد به الماضي، ومع أنه عطف على قوله: ﴿إِنَّ فِرۡعَوۡنَ عَلَا﴾؛ كما في قوله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا﴾ [فاطر: ٩]. انظر: «حاشية الجاربردي على الكشاف» (ج٢/ و٢٣٩ب).

(٣) قوله: «أو حال من ﴿يَسۡتَضۡعِفُ﴾»؛ أي: من فاعله. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٣٨).

﴿وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً﴾: مُقدَّمينَ في أمرِ الدَّارَيْنِ ﴿وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾ لِمَا كانَ في مَلَكَةِ فِرعونَ وقومِه ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾: أرضِ مِصرَ والشَّامِ، وأصلُ التَّمكينِ: أَنْ تجعلَ للشَّيءِ مَكانًا يَتمكَّنُ فيه، ثمَّ استُعِيرَ للتَّسليطِ وإطلاقِ الأمرِ.

﴿وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم﴾: مِن بَنِي إسرائيلَ ﴿مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾ مِن ذَهابِ مُلكِهِم وهَلاكِهِم على يدِ مولودٍ منهم.

وقرأ حمزةُ والكسائي: ﴿ويَرى﴾ بالياءِ و﴿فرعونُ وهامانُ وجنودُهُما﴾ بالرَّفعِ(١).

(٧) ـ ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي ۖ إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ﴾ بإلهامٍ أو رُؤيا: ﴿أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ ما أمكنَكِ إخفاؤُه ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ﴾ بأن يُحسَّ به ﴿فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ﴾ في البَحرِ ـ يريدُ النِّيلَ ـ ﴿وَلَا تَخَافِي﴾ عليه ضيعةً ولا شدَّةً ﴿وَلَا تَحْزَنِي﴾ لفراقِه ﴿إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ﴾ عن قَريبٍ بحيثُ تأمَنين عليه ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾.

رُوِيَ: أَنَّها لَمَّا ضربَها الطَّلْقُ دعَتْ قابلَةً مِن الموكَّلاتِ بحُبَالى بني إسرائيلَ فعالَجَتْها، فلَمَّا وقعَ مُوسى على الأرضِ هالَها نورٌ بينَ عينيهِ، وارتعَشَتْ مَفاصِلُها، ودخلَ حُبُّهُ قلبَها بحيثُ منعَها مِن السِّعايَةِ، فأرضعَتْهُ ثلاثةَ أشهُرٍ ثمَّ ألَحَّ فِرعونُ في طَلَبِ المَواليدِ واجتهدَ العُيونُ في تَفحُّصِها، فأخذَتْ له تابوتًا فقذَفَتْه في النِّيلِ(٢).

---

(١) والباقون بالنُّون مضمومة وكسر الراء وفتح الياء بعدها ونصب الأسماء الثلاثة. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٠).

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨١) عن ابن عباس رضي الله عنهما، ورواه عنه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٦١/ ١٧)، وفيه إسحاق بن بشر، وهو متروك.

(٨) ـ ﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا ۗ إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾.

﴿فَٱلْتَقَطَهُۥٓ ءَالُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا﴾ تعليلٌ لالتقاطِهِم إيَّاهُ بما هو عاقِبَتُه ومؤدَّاهُ تَشبيهًا له بالغرضِ الحاملِ عليه. وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿وحُزْنًا﴾[١].

﴿إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا كَانُوا۟ خَـٰطِـِٔينَ﴾ في كلِّ شَيءٍ، فليسَ ببِدْعٍ مِنْهُم أن قَتلوا أُلوفًا لأجلِه، ثمَّ أَخذوهُ يُربُّونَه ليَكبرَ ويَفعلَ بهم ما كانوا يحذرونَ، أو: مُذنبينَ فعَاقَبَهُم اللهُ بأَنْ رَبَّى عدوَّهُم على أيديهِمْ، فالجُملَةُ اعتراضٌ لتَأكيدِ خَطئِهِم، أو لبيانِ الموجبِ لِمَا ابتُلُوا بهِ.

وقُـرِئَ: ﴿خَاطِيـنَ﴾[٢] تخفيـفُ ﴿خَـٰطِـِٔينَ﴾، أو: خاطِيـنَ[٣] الصَّوابَ إلى الخطأِ.

(٩) ـ ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ﴾؛ أي: لفرعونَ حينَ أخرجَتْهُ مِن التَّابوتِ: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾: هو قُرَّةُ عينٍ لنا؛ لأنَّهما لَمَّا رأياهُ أُخرِجَ مِن التَّابوتِ أحبَّاهُ، أو لأنَّه كانَتْ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

(٢) قراءة أبي جعفر. انظر: «النشر» (١/ ٣٩٧).

(٣) في هامش (خ): «في نسخة: من الخطو». وفي «حاشية الشهاب» (٧/ ٦٥): قوله: «أو خاطين الصواب» فليس مبدلاً [أي: ليس بإبدال الهمزة ياء ثم حذفها تخفيفاً كما في الوجه الأول من هذه القراءة] بل هو من خطا يخطو بمعنى: تخطَّى؛ لتخطيه الصواب إلى ضدّه فهو مجاز، وهو يؤول إلى معنى القراءة الأولى، لكن الوجه الأوّل أوفق لها لفظاً ومعنى.

لها ابنةٌ بَرْصاءُ وعالجَهَا الأطبَّاءُ بريقِ حَيوانٍ بَحريٍّ يشبهُ الإنسانَ فلطخَتْ برصَهَا بريقِهِ فبَرِئَتْ(١).

وفي الحديثِ أنَّه قال: «لكِ لا لي، ولو قال: لي كما هو لكِ؛ لهداهُ اللهُ كمَا هَداهَا».

﴿لَا تَقْتُلُوهُ﴾ خطابٌ بلفظِ الجمعِ للتَّعظيم ﴿عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ﴾ فإنَّ فيه مخايِلَ اليُمنِ ودَلائلَ النَّفعِ، وذلك لِمَا رأَتْ مِن نُورٍ بينَ عَينَيْهِ، وارتضاعِه إبهامَه لبنًا، وبرء البُرصاءُ بريقِهِ.

﴿أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا﴾: أو نتبنَّاهُ فإنَّه أهلٌ له.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ حالٌ من الملتقطِينَ، أو من القائلَةِ والمقولِ لَهُ؛ أي: وهُم لا يَشعرونَ أنَّهم على الخَطأِ في التقاطِهِ أو في طمعِ النَّفعِ منه والتَّبنِّي له، أو مِن أَحَدِ ضَمِيرَيْ ﴿نَتَّخِذَهُۥ﴾ على أنَّ الضَّميرَ؛ أي: وهُمْ لا يَشعرونَ أنَّه لغَيْرِنا وقد تَبنَّيْناه(٢).

قوله: «وفي الحَديثِ أنَّه قال: لكِ لا لي، ولو قالَ: لِي [كما هو لكِ]؛ لهداهُ اللهُ كمَا هَداهَا»:

رواهُ النَّسائيُّ مِن حديثِ ابن عبَّاسٍ بمَعناه(٣).

---

(١) قطعة من خبر طويل ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٨٥) عن وهب وفيه: (... فلما أخرجوا الصبيَّ من التابوت عمدت بنت فرعون إلى ما كان يسيل من ريقه فلطخَتْ به برصها فبرأت، فقبَّلته وضمته إلى صدرها...).

(٢) في (خ): «نتبناه»، وفي (ت): «بينا».

(٣) قطعة من حديث الفتون، وهو خبر طويل جدًّا رواه النسائي في «الكبرى» (١١٢٦٣)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٦١٨)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وأورده بتمامه ابن كثير في «تفسيره» عند تفسير قوله تعالى: ﴿وَفَتَنَّٰكَ فُتُونًا﴾ [طه: ٤٠] ثم قال: (وهو موقوف من كلام ابن عباس وليس فيه مرفوع =

(١٠) - ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًاۖ إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا﴾: صِفرًا مِن العَقلِ لِمَا دَهَمَها مِن الخَوفِ والحيرَةِ حينَ سَمِعَت بوقوعِه في يَدِ فِرعونَ، كقولِه: ﴿وَأَفْـِٔدَتُهُمْ هَوَآءٌ﴾ [إبراهيم: ٤٣]؛ أي: خَلاءٌ لا عقولَ فيها، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: (فِرْغًا)[1] من قولِهم: (دِمَاؤُهُم بينَهُم فِرْغٌ)؛ أي: هَدَرٌ.

أو: من الهمِّ؛ لفَرطِ وُثوقِها بوعدِ اللهِ، أو لسَماعِها أنَّ فِرعونَ عطفَ عليه وتبنَّاهُ.

= إلا قليل منه).

قلت: وهذه القطعة منه هي مما صرح ابن عباس برفعه في هذا الخبر، وكذا رواه مقتصراً على هذا الجزء مرفوعاً الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٦٤)، وكلهم رووه من طريق يزيد بن هارون، عن الأصبغ بن زيد، عن القاسم بن أبي أيوب، عن سعيد بن جُبَيْر، عن ابن عباس رضي الله عنهما وفيه: فأتت فرعون فقالت: ﴿قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ﴾ فقال فرعون: يكون لك، فأما لي فلا حاجة لي، فقال رسول الله ﷺ: (والذي يحلف به لو أقر فرعون أن يكون له قرةَ عين كما أقرت امرأته لهداه الله كما هداها، ولكن الله حرَمه ذلك). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٦٦): رجاله رجال الصحيح غير الأصبغ بن زيد والقاسم بن أبي أيوب، وهما ثقتان.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ١٦٣) عن ابن عباس موقوفاً.

قال ابن كثير في «البداية والنهاية» (٢/ ١٩٦): والأشبه، والله أعلم، أنه موقوف، وكونه مرفوعاً فيه نظر، وغالبه متلقى من الإسرائيليات، وفيه شيء يسير مصرح برفعه في أثناء الكلام، وفي بعض ما فيه نظر ونكارة، والأغلب أنه من كلام كعب الأحبار، وقد سمعت شيخنا الحافظ أبا الحجاج المزي يقول ذلك.

(١) حكاها قطرب عن بعض أصحاب النبي ﷺ. انظر: «المحتسب» (٢/ ١٤٧).

﴿إِن كَادَتْ لَتُبْدِى بِهِۦ﴾: إنَّها كادَتْ لتُظْهِرُ بمُوسى[١] - أي: بأمرِهِ وقِصَّتِه - من فرطِ الضَّجَرِ أو الفرحِ بتَبنِّيه.

﴿لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا﴾ بالصَّبرِ والثَّباتِ[٢] ﴿لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾: مِن المُصدِّقينَ بوَعدِ اللهِ، أو الواثقينَ بحِفظِهِ، لا بتَبنِّي فِرعونَ وعَطفِه.

وقُرِئَ: (مُؤْسَى)[٣] إجراءً لضمَّةِ جارِ الواوِ مُجرى ضَمَّتِهَا في استدعاءِ همزِها همزَ واوِ «وُجوهٍ»[٤].

وهوَ عِلَّةُ الرَّبطِ أو الثبات[٥]. وجوابُ ﴿لَوْلَآ﴾ مَحذوفٌ دلَّ عليه ما قبلَه.

---

(١) أي: الإبداء: إظهار الشيء؛ لأنه من البدوّ وهو الظهور، وتعديته هنا بالباء لتضمينه معنى: تصرّح، أو هي زائدة. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٦٦).
وفسره في «الكشاف» (٦/ ٣٩٨) بقوله: «لَتُصْحِرُ به»؛ ومعناه: أن ﴿لَتُبْدِى بِهِۦ﴾ هو مِن البَدْوِ وهو البرِّيَّة، لا مِنَ البُدُوِّ بمعنى الظهور. قاله الطيبي في «فتوح الغيب» (١٢/ ١٨) ثم نقل عن الزمخشري قوله في «الأساس»: ومِن المجاز: أصْحَرَ بالأمرِ وأصْحَرَه: أظْهَرَه.
قلت: فالمعنى واحد سواء كان من البَدْو أو من البُدُو، وهو: الإظهار، والله أعلم.

(٢) في (أ) و(ض): «أو الثبات».

(٣) حكاها قطرب. انظر: «المحتسب» (٢/ ١٤٨)، وعزاها ابن خالويه في «إعراب القرآن» (ص: ٦٤) إلى الكسائي، وقال: وهذا حرف غريب.

(٤) قوله: «إجراءً لضمة»؛ أي: ضمة الميم «جار الواو»؛ أي: المجاورة لها «مجرى ضمتها»؛ أي: ضمة الواو «في استدعاء همزها»؛ أي: همز الواو. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٤١).
وفي «حاشية الشهاب» (٦/ ٦٦): الهمزة المضمومة تبدل واواً باطراد كوجوه وأجوه، وهذه لضم ما قبلها أجريت مجرى المضمومة. وعبارة «الكشاف» (٦/ ٣٩٨): جُعِلَتِ الضَّمةُ في جارةِ الواو - وهي الميمُ - كأنَّها فيها، فهُمِزَتْ كمَا تُهمَزُ واوُ (وُجُوهٍ).

(٥) «أو الثبات» من (أ) و(ض). وقوله: «وهو علة الربط»؛ أي: قوله تعالى: ﴿لِتَكُونَ﴾... إلخ علة لربط القلب؛ أي: تقويته. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٦٦).

(١١) - ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ﴾ مريمَ: ﴿قُصِّيهِ﴾: اتَّبعي أثرَهُ وتتبَّعِي خبرَهُ.

﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ﴾: عن بعدٍ. وقُرِئَ: (عن جانبٍ) و: (عن جَنْبٍ)(١) وهو بمعناهُ.

﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ أنها تَقُصُّ، أو أنَّها أختُه.

(١٢ - ١٣) - ﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ مِن قَبْلُ فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ ﴿١٢﴾ فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَحَرَّمْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَرَاضِعَ﴾: ومَنعناه أن يرتَضِعَ مِن المرضعاتِ، جمعُ مُرضِعٍ، أو مَرضَعٍ وهو الرَّضاعُ، أو موضعُهُ يعني: الثَّديَ.

﴿مِن قَبْلُ﴾ من قبلِ قصِّها أثرَهُ ﴿فَقَالَتْ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰٓ أَهْلِ بَيْتٍ يَكْفُلُونَهُۥ لَكُمْ﴾: لأجلِكُم ﴿وَهُمْ لَهُۥ نَٰصِحُونَ﴾ لا يقصرونَ في إرضاعِه وتَربيتِه.

رُوِيَ أنَّ هامانَ لَمَّا سَمِعَه قال: إنَّها لتَعرِفُه وأهلَه فخُذوهَا حتَّى تخبرَ بحالِه، فقالَت: إنَّما أَرَدْتُ وهُم للمَلكِ ناصِحُونَ، فأمرَهَا فِرعونُ بأَنْ تأتيَ بمَن يكفلُه، فأتَتْ بأُمِّهَا ومُوسَى على يدِ فِرعونَ يَبْكِي وهو يُعلِّلُه، فلَمَّا وجدَ رِيحَها استأنَسَ والتقَمَ ثَديَهَا، فقالَ لها: مَن أنتِ منه؟ فقَدْ أبى كلَّ ثَديٍ إلَّا ثديَكِ، فقالت: إنِّي امرأةٌ طيِّبَةُ الرِّيحِ طيِّبَةُ اللبنِ لا أُوتَى بصَبِيٍّ إلا قَبِلَنِي، فدفعَهُ إليها وأَجرى عليها، فرَجَعت به إلى بيتِها مِن يَومِها وهوَ قولُه:

---

(١) القراءتان في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٣)، و«المحتسب» (٢/ ١٤٨). الأولى عن النعمان بن سالم، والثانية عن ابن عباس وقتادة والحسن والأعرج.

﴿فَرَدَدْنَٰهُ إِلَىٰٓ أُمِّهِۦ كَىْ تَقَرَّ عَيْنُهَا﴾ بولَدِها ﴿وَلَا تَحْزَنَ﴾ بفراقِه.

﴿وَلِتَعْلَمَ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ﴾ عِلْمَ مُشاهدَةٍ ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ أنَّ وعدَه حَقٌّ فيرتابونَ فيه، أو أنَّ الغرضَ الأَصلِيَّ مِن الرَّدِّ عِلمُها بذلك وما سواه تبعٌ، وفيه تعريضٌ بما فَرَطَ مِنْهَا حينَ سَمِعَت بوُقوعِه في يَدِ فِرعونَ.

قوله: «فقالَتْ: إنَّما أَرَدْتُ: وهُم للمَلِكَ ناصِحُونَ»:

قال صاحبُ «الانتصاف»: هي مِن بيتِ النُّبوَّةِ وأختُ النبيِّ، فحَقيقٌ بها هذه الفِطنَةُ[1].

وقال العَلَمُ العِراقيُّ: هذا وإن كانَ مَنقولًا بعيدٌ؛ لأنَّ لُغتَها غيرُ هذه اللُّغَةِ، وهذا الاحتمالُ إنَّما نشَأَ مِن تَركيبِ الأَلفاظِ العربيَّةِ واحتمالِ الضَّميرِ للأَمْرينِ فيها.

وقال الطِّيبيُّ: هذا الأسلوبُ مِن الكلامِ الموجَّهِ أو الإيهامِ، وأيُّ بعدٍ في وُقوعِ نحوِهِ في لُغَةٍ أُخرى لا سِيَّمَا في الضَّميرِ[2].

(١٤) ـ ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَٱسْتَوَىٰٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾: مَبلغَهُ الذي لا يزيدُ عليه نَشْؤُه، وذلك مِن ثلاثينَ إلى أربعينَ سنةً؛ فإنَّ العقلَ يَكْمُلُ حينئذٍ، ورُوِيَ أنَّه لم يُبعثْ نَبيٌّ إلا على رَأسِ الأربعينَ[3].

﴿وَٱسْتَوَىٰٓ﴾ قَدُّهُ، أو عقلُه.

﴿ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا﴾: نبوَّةً ﴿وَعِلْمًا﴾ بالدِّينِ، أو عِلمَ الحُكَماءِ والعُلماءِ وسَمْتَهُم قبل

---

(١) انظر: «الانتصاف» (٣/ ٣٩٦).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٢١).

(٣) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٢٧): غريب.

استِنبائِه، فلا يقولُ ولا يَفعَلُ ما يُستجهلُ فيه، وهو أوفَقُ لنَظمِ القِصَّةِ لأنَّ استِنباءَهُ بعدَ الهِجرةِ في المُراجعَةِ(١).

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثلَ ذلك الذي فَعَلنا بمُوسَى وأُمِّه ﴿نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ على إحسَانِهم.

(١٥) - ﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ﴾.

﴿وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ﴾: ودخلَ مِصرَ آتِيًا مِن قَصرِ فِرعونَ، وقيل: مَنْفَ(٢)، أو حابينَ(٣)، أو عينَ شمسٍ مِن نواحيهَا.

﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾: في وقتٍ لا يُعتادُ دُخولُها ولا يتوقَّعونَهُ فيه، قيل: كانَ في وقت القيلولَةِ، وقيل: بينَ العِشاءَيْنِ.

﴿فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾: أحدُهُما ممَّنْ شايَعَهُ على دِينِه وهُمْ بَنُو إسرائيلَ، والآخَرُ مِن مُخالِفيهِ وهم القِبطُ، والإشارةُ على الحكايَةِ.

﴿فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ﴾ فسألَهُ أن يُغيثَهُ بالإعانةِ، ولذلك عُدِّيَ بـ(على). وقُرِئَ: (استعانَهُ)(٤).

---

(١) قوله: «بعد الهجرة في المراجعة»؛ أي: في الأحكام. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٤٣).

(٢) هو قول السُّدِّي، انظر: «تفسير البغوي» (٦/ ١٩٦).

(٣) في (خ): «خابين»، وفي (أ) و(ت): «جابين»، والمثبت من (ض)، وهو الموافق لما في «تفسير الثعلبي» (٢٠/ ٤٠٤)، و«درج الدرر» للجرجاني (٢/ ٤١٨) عن مقاتل قال: قرية تدعى حابين، وهي على فرسخين من مصر. اهـ.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٤) عن سيبويه، وعزاها أبو القاسم الهذلي في =

﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ﴾: فضرب القِبطيَّ بجُمْعِ كفِّهِ، وقُرِئَ: (فلكَزَهُ)؛ أي: فضربَ بهِ صَدْرَه[1].

﴿فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ فقتلَهُ، وأصلُه: أَنْهَى حياتَهُ، مِن قولِه: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَيْهِ ذَٰلِكَ ٱلْأَمْرَ﴾ [الحجر: ٦٦].

﴿قَالَ هَٰذَا مِنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ لأنَّه لَمْ يُؤمَرْ بقَتلِ الكُفَّارِ، أو لأنَّه كانَ مَأموناً فيهم فلَمْ يَكُن له اغتِيالُهُم، ولا يقدَحُ ذلك في عِصمَتِه لكونِه خطأً، وإنَّما عَدَّه مِن عَملِ الشَّيطانِ وسَمَّاهُ ظُلمًا واستغفرَ عنه على عادَتِهِم في استعظامِ مُحقَّراتٍ فرطَتْ مِنْهُم.

﴿إِنَّهُۥ عَدُوٌّ مُّضِلٌّ مُّبِينٌ﴾: ظاهرُ العَداوَةِ.

قوله: «وقيلَ: مَنْفَ»: قال الطِّيبيُّ: مُنِعَت الصَّرفَ لاجتماعِ التَّأنيثِ والعَلَميَّةِ والعُجمةِ كـ: (ماهَ) و(جَوْرَ) في اسمِ بلدتينِ[2].

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي فَٱغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿١٦﴾ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي﴾ بقتلِه ﴿فَٱغْفِرْ لِي﴾ ذنبي ﴿فَغَفَرَ لَهُۥٓ﴾ لاستغفارِه ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ﴾ لذُنوبِ عِبادِه ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ بهم.

= «الكامل» (ص: ٦١٣) إلى ابن مقسم والزعفراني.

(١) هي قراءة ابنِ مسعود. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٤).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٢٤). وهي بفتح الميم وسكون العين، كما في «معجم البلدان» (٥/ ٢١٣)، وقال الشهاب في «الحاشية» (٧/ ٦٧): بضم الميم، وفتحُها وإن ذكره بعضهم لا يوثق به، والمعروف فيها منوف. اهـ.

وقال ياقوت: بينها وبين الفسطاط ثلاثة فراسخ، وبينها وبين عين شمس ستة فراسخ.

﴿ قَالَ رَبِّ بِمَآ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ ﴾ قسمٌ مَحذوفُ الجوابِ؛ أي: أُقسِمُ بإنعامِكَ عليَّ بالمغفرةِ وغيرِهَا لأَتوبَنَّ ﴿فَلَنْ أَكُونَ ظَهِيرًا لِّلْمُجْرِمِينَ ﴾.

أو استعطافٌ؛ أي: بحقِّ إنعامِكَ عليَّ اعْصِمْنِي فلَنْ أكونَ مُعينًا لِمَن أدَّتْ مُعاونَتُه إلى جُرمٍ.

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُما: لم يَستثنِ فابتُلِيَ بِهِ مَرَّةً أُخرَى[1].

وقيل: معناه: بما أنعَمْتَ عليَّ مِن القُوَّةِ أُعينُ أَولياءَكَ فلَنْ أَستعمِلَها في مُظاهَرَةِ أَعدائِكَ.

قوله: «**أو استعطافٌ**»: قال ابنُ الحاجبِ: القَسَمُ جُملَةٌ إنشائيَّةٌ مؤكَّدٌ بها جملةٌ أخرى، فإن كانَتْ خَبريَّةً فهو القَسَمُ لغيرِ الاستعطافِ، وإن كانت طَلبيَّةً فهو للاستعطافِ[2].

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴿١٨﴾ فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ إِن تُرِيدُ إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ ﴾.

﴿ فَأَصْبَحَ فِي ٱلْمَدِينَةِ خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ ﴾: يَترصَّدُ الاستقادةَ ﴿فَإِذَا ٱلَّذِى ٱسْتَنصَرَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُۥ ﴾: يَستَغيثُهُ، مُشتَقٌّ مِن الصُّراخِ.

﴿قَالَ لَهُۥ مُوسَىٰٓ إِنَّكَ لَغَوِىٌّ مُّبِينٌ ﴾: بَيِّنُ الغوايةِ؛ لأنَّكَ تَسبَّبْتَ لقتلِ رَجُلٍ وتقاتِلُ آخرَ.

---

(١) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٠٤)، والنحاس في «معاني القرآن» (١/ ٥٠٩)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤١٣).

(٢) انظر: «الإيضاح في شرح المفصل» لابن الحاجب (٢/ ٣٢٢).

﴿فَلَمَّآ أَنْ أَرَادَ أَن يَبْطِشَ بِٱلَّذِى هُوَ عَدُوٌّ لَّهُمَا﴾: لِمُوسى والإسرائيليِّ؛ لأنَّه لم يكُن على دِينِهما، ولأنَّ القِبْطَ كانوا أعداءَ بَني إسرائيلَ.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ أَتُرِيدُ أَن تَقْتُلَنِى كَمَا قَتَلْتَ نَفْسًۢا بِٱلْأَمْسِ﴾ قالَهُ الإسرائيليُّ لأنَّهُ لمَّا سَمَّاهُ غَوِيًّا ظنَّ أنَّه يبطِشُ عليه، أو القبطيُّ، وكأنَّه توهَّمَ مِن قولِه أنَّه الذي قتلَ القِبطيَّ بالأمسِ لهذا الإسرائيليِّ.

﴿إِن تُرِيدُ﴾: ما تريدُ ﴿إِلَّآ أَن تَكُونَ جَبَّارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ تَطاوُلُ على النَّاسِ ولا تنظرُ العواقِبَ ﴿وَمَا تُرِيدُ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْمُصْلِحِينَ﴾ بينَ النَّاسِ، فتدفعَ التَّخاصُمَ بالتي هي أحسَنُ.

ولَمَّا قالَ هذا انتشَرَ الحَديثُ وارتقَى إلى فِرعونَ ومَلَئِهِ، فهَمُّوا بقتلِهِ، فخرجَ مُؤمِنُ آلِ فِرعونَ وهو ابنُ عمِّهِ[1] ليُخبِرَه كما قال:

(٢٠ ـ ٢٢) ـ ﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ فَخَرَجَ مِنْهَا خَآئِفًا يَتَرَقَّبُ قَالَ رَبِّ نَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢١﴾ وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلْقَآءَ مَدْيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّىٓ أَن يَهْدِيَنِى سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾.

﴿وَجَآءَ رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ يَسْعَىٰ﴾: يُسرِعُ، صفةٌ لـ﴿رَجُلٌ﴾، أو حالٌ منه إذا جُعِلَ ﴿مِّنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ﴾ صِفةً له لا صِلةً لـ﴿جاء﴾؛ لأنَّ تَخصيصَهُ[2] بها يُلحِقُه بالمَعارِفِ.

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ﴾: يَتَشاورونَ بسَببِكَ ـ وإنَّما سُمِّي

---

(١) «ابن عمه»؛ أي: ابن عمّ فرعون، وقد اشتهر بمؤمن آل فرعون حتى صار كالعلم له. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٦٩).

(٢) في (ض): «تخصصه».

التَّشـاوُرُ ائتِمـارًا لأنَّ كُلًّا مِـن المُتشـاورينَ يأمـرُ الآخـرَ ويَأتَمِـرُ - ﴿فَٱخۡرُجۡ إِنِّي لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ الـلامُ للبيـانِ وليـسَ صِلَـةً لـ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ لأنَّ مَعمـولَ الصِّلَـةِ لا يتقـدَّمُ المَوصـولَ(١).

﴿فَخَرَجَ مِنۡهَا﴾: مِـن المَديـنَةِ ﴿خَآئِفٗا يَتَرَقَّبُ﴾ لحوقَ طَالبٍ ﴿قَالَ رَبِّ نَجِّنِي مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: خَلِّصْني مِنْهُم واحفَظْني مِن لُحوقِهِم.

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ﴾: قبالَـةَ مَدْيـنَ قريـةِ شُـعَيبٍ، سُـمِّيَتْ باسـمِ مديَنَ بنِ إبراهيـمَ، ولـم تكُـن في سُـلطانِ فِرعَـوْنَ، وكانَ بينَهـا وبينَ مِصْـرَ مَسيرَةُ ثمانٍ.

﴿قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ﴾ تـوَكُّلًا على اللهِ وحسـنَ ظَـنٍّ به، وكانَ لا يَعـرِفُ الطُّـرُقَ، فعـنَّ له ثـلاثُ طـرقٍ فأخذَ في أوسَـطِها، وجـاءَ الطُّـلَّابُ عَقِيبه فأخذُوا فـي الآخرَيْنِ.

قوله: «أو حالٌ منه إذا جُعِلَ ﴿مِّنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ﴾ صفَةً له لا صِلَةً لـ﴿جاء﴾»:

قال أبو حيَّان: يعني: أنَّ رجلًا يكونُ حينئذٍ نكرةً لم توصَفْ فلا يَجوزُ مِنها الحالُ، وقَدْ أجازَ ذلك سيبويه في «كتابِه» مِن غيرِ وَصفٍ(٢).

---

(١) قوله: «اللامُ للبَيانِ وليسَ صِلَةً للنَّاصِحينَ لأنَّ مَعمولَ الصِّلَةَ لا يتقدَّمُ المَوصولَ» يعني: اللام في ﴿لَكَ﴾ للبيان كما في (سقياً لك)، فيتعلق بمحذوف هو: (أعني)، ولم يجوِّز الجمهور تعلقه بـ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ لأن (أل) فيه اسم موصول، ومعمول الصلة لا يتقدم الموصولَ كما ذكر المصنِّف، ولا يجوز أيضاً تعلقه بمحذوف مقدم يفسره المذكور؛ لأن ما لا يعمل لا يفسر عاملاً، أما عند مَن جوَّز تقدم معمول الصلة إذا كان الموصول (أل) خاصة لكونها على صورة الحرف، أو إذا كان المتقدم ظرفاً للتوسع فيه، أو قال: إن (أل) هنا حرف تعريف لإرادة الثبوت= يجوز أن يكون ﴿لَكَ﴾ متعلقاً بـ﴿ٱلنَّٰصِحِينَ﴾ أو بمحذوف يفسره ذلك. انظر: «روح المعاني» (٢٠/ ١٤١)

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٢٨)، وانظر: «الكتاب» (٢/ ٥٢) و(٢/ ١١٢).

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ وَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسْقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ قَالَ مَا خَطْبُكُمَا قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴿٢٣﴾ فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّى لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴾.

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدْيَنَ ﴾: وصلَ إليه وهو بئرٌ كانوا يسقونَ مِنْها ﴿وَجَدَ عَلَيْهِ ﴾: وجدَ فوقَ شَفيرِها ﴿أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ﴾ جماعَةً كثيرةً مُختَلِفينَ ﴿يَسْقُونَ ﴾ مَواشِيَهُم ﴿وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ﴾: في مكانٍ أسفَلَ مِن مَكانِهِم ﴿ٱمْرَأَتَيْنِ تَذُودَانِ﴾: تمنعانِ أغنامَهُما عن الماءِ كيلا تَختَلِطَ بأَغنامِهِم.

﴿قَالَ مَا خَطْبُكُمَا﴾: ما شأنُكما تَذودانِ ﴿قَالَتَا لَا نَسْقِى حَتَّىٰ يُصْدِرَ ٱلرِّعَآءُ﴾: يصرفَ الرُّعاةُ مَواشِيَهُم عن الماءِ حذرًا عن مُزاحمةِ الرِّجالِ، وحُذِفَ المَفعولُ لأنَّ الغرضَ هو بيانُ ما يدلُّ على عِفَّتِهِما ويَدعوهُ إلى السَّقْيِ لَهُما ثَمَّ دونَهُ(١).

وقرأَ أبو عمرٍو وابنُ عامرٍ: ﴿يَصدُرَ﴾(٢)؛ أي: ينصرِفَ.

وقُرِئَ: (الرُّعاءُ) بالضَّمِّ(٣)، وهو اسمُ جمعٍ كالرُّخالِ.

﴿وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ ﴾: كبيرُ السنِّ لا يَستَطيعُ أَنْ يخرُجَ للسَّقيِ، فيرسِلُنا اضطِرارًا.

﴿ فَسَقَىٰ لَهُمَا﴾ مَواشِيَهُما رحمةً عَلَيْهِما(٤).

---

(١) قوله: «ثَم دونه» بالثاء المثلثة المفتوحة؛ أي: في الفعل دون المفعول، وفي بعض النسخ: «تَمّ» بنقطتين؛ أي: حصل بدون المفعول، وعلى النسختين فذكره زائد لا حاجة إليه. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٧٠).

(٢) بفتحِ الياءِ وضمّ الدال، انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٢)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

(٣) بضم الراء ذكرها ابن خالويه في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٤) عن بعضهم، ونسبها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٣٨٠) لعكرمة وسعيد بن جبير وابن يعمر وعاصم الجحدري.

(٤) في (ض) زيادة: «مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم».

قيل: كانَتِ الرُّعاةُ يضعونَ على رأسِ البئرِ حجرًا لا يُقلُّهُ إلا سبعةُ رِجالٍ أو أكثرُ، فأقلَّهُ وحدَهُ مع ما كانَ به من الوَصَبِ والجُوعِ وجِراحَةِ القَدمِ[1].

وقيل: كانَتْ بئرٌ أُخرى عليها صخرَةٌ فرفعَهَا واستَقى منها[2].

﴿ثُمَّ تَوَلَّىٰٓ إِلَى ٱلظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَآ أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾: لأيِّ شَيءٍ أنزلتَ إليَّ ﴿مِنْ خَيْرٍ﴾ قليلٍ أو كَثيرٍ، وحملَهُ الأكثرونَ على الطَّعامِ ﴿فَقِيرٌ﴾ محتاجٌ سائلٌ، ولذلك عُدِّيَ باللامِ.

وقيل: معناه: إنِّي لِمَا أنزَلْتَ إليَّ مِن خَيرِ الدِّينِ صرتُ فَقيرًا في الدُّنيَا[3]؛ لأنَّه كانَ في سَعةٍ عندَ فِرعونَ، والغرضُ مِنْه إظهارُ التَّبجُّحِ والشُّكرِ على ذلك[4].

قوله: «**كالرُّخَالِ**»: هي الإناثُ مِن أَولادِ الضَّأنِ، الواحدَةُ رَخِلٌ بكسرِ الخَاءِ المُعجَمَةِ[5].

---

(١) «مع ما كان به من الوصب والجوع وجراحة القدم»: ليس في (ض)، انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٥/ ١٧٤).

(٢) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٨٢٤) عن ابن عباسٍ.

(٣) قولُه: «إنِّي لِمَا أنزَلْتَ إليَّ مِن خَيرِ الدِّينِ صرتُ فَقيرًا في الدُّنيَا»، (ما) على هذا الوجه موصولةٌ، واللام أَجْلية؛ أي: لِأجْلِ ما أنزَلْتَ، و﴿مِنْ﴾ بيان، والتنكيرُ في ﴿خَيْرٍ﴾ للنوعِ والتعظيم؛ ولذلكَ أضافَهُ إلى الدِّين، وعلى الوجه الأوَّلِ: (ما) موصوفة، والتنكيرُ للشيوع؛ ومن ثَم قدَّرَ أوّلاً: «لأيِّ شيء»، وثانيًا «قليلٍ أو كثير». انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٣٥)، وعبارة الزمخشري: ﴿إِنِّي﴾ لأيِّ شَيْءٍ ﴿أَنزَلْتَ إِلَيَّ﴾ قَليلٍ أو كَثيرٍ غَثٍّ أو سَمِينٍ لـ﴿فَقِيرٌ﴾، ويَحْتَمِلُ أنْ يُريدَ: إنِّي فقِيرٌ منَ الدُّنيا لِأجْلِ ما أنزَلْتَ إليَّ مِن خيْرِ الدِّينِ. انظر: «الكشاف» (٦/ ٤١١)، وعليه شرح الطيبي، فنقلناه مع بعض تصرف.

(٤) في (ت): «والشكر لذلك».

(٥) انظر: «الصحاح» مادة: (رخل).

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ۝٢٥ قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾.

﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾ أي: مُسْتَحِيَةً[1] مُتخَفِّرَةً، قيل: كانتِ الصُّغرَى منهما، وقيل: الكُبرَى، واسمُها: صَفُوراءُ أو صَفْرَاءُ، وهي التي تزوَّجَها مُوسى.

﴿قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ﴾: ليكافِئَكَ ﴿أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَا﴾: جزاءَ سَقْيِكَ لنا.

ولعَلَّ مُوسى إنَّما أَجابَها ليتبرَّكَ برُؤيَةِ الشَّيخِ ويَستَظهِرَ بمعرفَتِه لا طمعًا في الأجرِ، بل رُوِيَ أَنَّهُ لَمَّا جاءَهُ قَدَّمَ إليه طعامًا، فامتنعَ عنه وقال: إنَّا أهلُ بيتٍ لا نبيعُ دينَنا بالدُّنيا، حتى قال شُعَيبٌ: هذه عادَتُنا مَع كلِّ مَن يَنزِلُ بنا[2].

هذا، وإنَّ مَن فعلَ مَعروفًا فأُهدِيَ بشيءٍ؛ لم يَحْرُمْ أَخذُهُ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ يريدُ فِرعونَ وقومَه ﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا﴾ يعني: التي استدْعَتْه: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُ﴾ للرَّعيِ ﴿إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ﴾ تعليلٌ شائعٌ يجري مجرى الدَّليلِ على أنَّه حقيقٌ بالاستئجارِ، وللمُبالغَةِ فيه جُعِلَ ﴿خَيۡرَ﴾ اسمًا، وذُكرَ الفعلُ بلفظِ الماضي للدَّلالةِ على أنَّه أمرٌ مجرَّبٌ مَعروفٌ.

---

(١) في (خ) و(ض): «مستحيية»، وكلاهما صواب.

(٢) قطعة من خبر طويل رواه الدارمي في «سننه» (٦٤٧)، والدينوري في «المجالسة» (٣٤٥٦)، وأبو نعيم في «الحلية» (٣/ ٢٣٤)، عن رجل من التابعين يدعى: أبا حازم، واسمه: سلمة بن دينار، وذكره الزمخشري في «الكشاف» (٦/ ٤١٣)، وتابعه عليه مَن بعده كالمؤلف والرازي وأبي البركات النسفي وأبي حيان وابن عادل والنيسابوري وأبي السعود في تفاسيرهم.

رُوِيَ أنَّ شُعيبًا قالَ لها: وما أَعلَمَكِ بقُوَّتِه وأمانَتِه؟ فذكَرَتْ إقلالَ الحجرِ، وأنَّه صَوَّبَ رأسَهُ حتى بلَّغَتْهُ رِسالَتَه، وأمرَهَا بالمشيِ خَلفَهُ[1].

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍ فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا فَمِنْ عِندِكَ وَمَآ أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٢٧﴾ قَالَ ذَٰلِكَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ أَيَّمَا ٱلْأَجَلَيْنِ قَضَيْتُ فَلَا عُدْوَٰنَ عَلَيَّ وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾.

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي﴾؛ أي: تأجرَ نفسَكَ مني، أو: تكونَ لي أجيرًا، أو: تُثيبَنِي، مِن: أَجَرَكَ اللهُ.

﴿ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍ﴾ ظرفٌ على الأوَّلَيْنِ، ومَفعولٌ به على الثَّالثِ بإضمارِ مُضافٍ، أي: رِعيةَ ثَمَاني حجَجٍ[2].

﴿فَإِنْ أَتْمَمْتَ عَشْرًا﴾: عملَ عشرِ حجَجٍ ﴿فَمِنْ عِندِكَ﴾: فإتمامُه مِن عندِكَ تَفضُّلًا، لا مِن عندِي إلزامًا عليك، وهذا استدعاءُ العقدِ لا نفسُه، فلعلَّهُ جرى على مُعيَّنَةٍ وبمهرٍ آخرَ، أو برِعْيةِ الأَجَلِ الأوَّلِ ووعدَ له أن يوفيَ الآخرَ إن تيسَّرَ له قبلَ العقدِ، وكانَتِ الأغنامُ للمُزوَّجةِ[3]، مع أنَّه يُمكِنُ اختلافُ الشَّرائعِ في ذلك.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٢٥) وما بعدها عن ابن عباس وجمع. وهو قطعة من حديث الفتون الطويل وقد تقدم قريباً.

(٢) بعدها في (ت): «كانت».

(٣) قوله: «وهذا استدعاء العقد...»؛ أي: دعاه وواعده على عقدٍ سيقع، أي: هذا الكلام وهو قول شعيب: ﴿إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ إِحْدَى ٱبْنَتَيَّ هَـٰتَيْنِ عَلَىٰٓ أَن تَأْجُرَنِي ثَمَـٰنِيَ حِجَجٍ﴾ هو استدعاء عقد النكاح من موسى لا عقد النكاح نفسه بدليل قوله: ﴿أُرِيدُ أَنْ أُنكِحَكَ﴾ ولو كان غرضه من هذا الكلام العقد لقال: قد أنكحتك بنتي هذه، فلا يَرِدُ عليه أنّ الإبهام في المرأة المزوَّجة غير صحيح، وأيضاً =

﴿وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَ﴾ بإلزامِ إتمامِ العشرِ، أو المناقشةِ في مراعاةِ الأوقاتِ واستيفاءِ الأَعمالِ، واشتقاقُ المشقَّةِ من الشَّقِّ، فإنَّ ما يصعُبُ عليك يَشُقُّ عليك اعتقادَكَ في إطاقَتِه ورأيَكَ في مُزاولَتِه(١).

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ في حُسنِ المُعاملَةِ ولينِ الجانبِ والوفاءِ بالمُعاهدَةِ.

﴿قَالَ ذَٰلِكَ بَيۡنِي وَبَيۡنَكَ﴾؛ أي: ذلك الذي عاهدْتَني فيه قائمٌ بينَنا لا نخرجُ عَنْه.

﴿أَيَّمَا ٱلۡأَجَلَيۡنِ﴾ أطوَلَهُما أو أقصرَهُما ﴿قَضَيۡتُ﴾ وفيْتُكَ إيَّاه ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ عَلَيَّ﴾: لا يُعتَدَى عليَّ بطَلَبِ الزِّيادَةِ، فكما لا أُطالَبُ بالزِّيادَةِ على العشرِ لا أُطالَبُ بالزِّيادةِ على الثَّماني.

= غير صحيح النكاح على الخدمة ومنافعِ الحرّ عند الحنفية خصوصاً ومدتها غير معيَّنة هنا، وأيضاً الخدمة ليست لها بل لأبيها فكيف صح كونها مهراً؟ وحاصله: أنّ هذا الكلام طلب العقد لا نفسه.
وقوله: «فلعلَّهُ جرى على مُعيَّنَةٍ وبمهرٍ آخرَ»؛ أي: فلعل العقد جرى بعد تلك المواعدة على بنت معينة من بنتيه وبمهر آخر غير الرِّعية، وهذا تصحيح العقد على المذهبين.
وقوله: «أو برِعْيةِ الأَجَل الأوَّل...» جواب آخر عن الإيراد الثاني، وهو تصحيح العقد عند الشافعي، فإن التزوّج على الرعي جائز عنده، أما عند الحنفية فيفهم من «الهداية» الجواز أيضاً، والخلاف في الخدمة غير الرعية فإنها مستثناة لأنها قيام بأمر الزوجية لا خدمة صرفة، وقوله: «ووعد له..» الجملة حالية بتقدير (قد)، أو معطوف على «جرى»، وفاعله ضمير موسى عليه السلام.
وقوله: «وكانَتِ الأغنامُ للمُزوَّجةِ» فيه الجواب عن الإيراد الثالث؛ فإن هذا من شرائط صحة عقد النكاح، فإن رعية الغنم لا يجوز أن تقع مهراً إلا إذا كانت الأغنام للبنت التي زوجها شعيب من موسى لا لشعيب عليهما السلام. انظر: «حاشية ابن التمجيد» و«حاشية القونوي» (١٤/ ٥٠١ ـ ٥٠٢)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ٧١ ـ ٧٢).

(١) قوله: «من الشق...» «الشق» بفتح الشين، وهو فصل الشيء شقين، يعني: أنه يشق الاعتقاد والرأي لتردّده في تحمله وعدمه. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٧٢).

أو: فلا أكونُ مُعتَدِيًا بتركِ الزِّيادَةِ عليه، كقولِك: لا إِثمَ عَلَيَّ، وهذا أبلغُ في إثباتِ الخِيرةِ وتَساوي الأجلَينِ في القضاءِ مِنْ أَنْ يقال: إنْ قضيتُ الأقصرَ فلا عدوانَ عَلَيَّ.

وقُرِئَ: (أَيْمَا)[1]، كقولِه:

تَنَظَّرْتُ نَصْرًا والسِّمَاكَيْنِ أَيْهُمَا عَلَيَّ مِنَ الغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهْ

و: (أيَّ الأجلينِ ما قَضَيْتُ)[2] فتكونُ (ما) مزيدةً لتأكيدِ الفعلِ؛ أي: أيَّ الأجلينِ جرَّدتُ عَزْمِي لقَضائِه، و: (عِدْوان) بالكسرِ[3].

﴿وَٱللَّهُ عَلَىٰ مَا نَقُولُ﴾ مِن المُشارطَةِ ﴿وَكِيلٌ﴾: شاهدٌ حَفِيظٌ.

قوله:

«تَنَظَّرْتُ نَصْرًا والسِّمَاكَيْنِ أَيْهُمَا عَلَيَّ مِنَ الغَيْثِ اسْتَهَلَّتْ مَوَاطِرُهْ»

هو للفرزدقِ[4].

قال الطِّيبيُّ: «تَنَظَّرتُ»؛ أي: انتظرتُ، و«نَصْرٌ» اسمُ رَجُلٍ، والسِّماكَانِ: نجمانِ، الأعزَلُ: وهو الذي لا شيءَ بين يديهِ، والرَّامحُ وهو الذي بين يديهِ الكَواكِبُ، و«أَيْهُمَا»

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٤) عن العباس بن الفضل عن أبي عمرو، و«المحتسب» (٢/ ١٥٠) عن الحسن.

(٢) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٠٥)، و«الكشاف» (٦/ ٤١٩)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٢٨٥).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٤)، و«الكشاف» (٦/ ٤١٩)، عن يزيد بن قطيب.

(٤) انظر: «ديوانه» (١/ ٢٨١)، و«المحتسب» (٢/ ١٥٢)، و«مغني اللبيب» (ص: ١٠٧).

مُخففُ أيُّهما، وهَلَّ السَّحابُ واستَهَلَّ: إذا انصبَّ انصِبابًا شَديدًا، و(مِن) في «مِن الغَيثِ» للبَيانِ، والمَواطِرُ: جمعُ ماطِرَةٍ؛ أي: سحابةٌ ماطرةٌ، المعنى: انتظرتُ نَصْرًا ونَوءَ السِّماكينِ أيُّهما استهلَّتْ مواطِرُهُ عليَّ مِن الغَيثِ؛ لأنِّي لَمْ أُفرِّق بينَ نَصْرٍ وبينَ السِّماكينِ في الجُودِ(١).

(٢٩) ـ ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ أَوْ جَذْوَةٍ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلْأَجَلَ وَسَارَ بِأَهْلِهِۦٓ﴾: بامرأتِه، رُوِيَ أنَّه قَضَى أَقْصَى الأجَلَينِ، ومكثَ بعدَ ذلك عندَهُ عَشْرًا أُخَرَ ثمَّ عزَمَ على الرُّجوعِ.

﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارًا﴾: أبصرَ مِن الجِهَةِ التي تَلِي الطُّورَ ﴿قَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾: بخبرِ الطَّريقِ ﴿أَوْ جَذْوَةٍ﴾: عودٍ غليظٍ سواءٌ كانَتْ فيه(٢) نارٌ أو لم تكُن، قالَ كُثيِّرٌ(٣):

بَاتَتْ حَوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا ... جَزْلَ الجِذَى غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِرِ

وقال:

وَأَلْقَى عَلَى قَيْسٍ مِنَ النَّارِ جَذْوَةً ... شَدِيدًا عَلَيْهِ حَرُّهَا وَالْتِهَابُهَا

ولذلك بيَّنَه بقولِه: ﴿مِّنَ ٱلنَّارِ﴾.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٤٤).

(٢) في (ض) و(ت): «سواء كان في رأسه».

(٣) قوله: «كثير»: ليس في (خ) و(ض)، والمثبت من باقي النسخ، ومثله في «الكشاف» (٦/ ٤٣٣)، ولم أجد من نسبه لكثير، والصواب أنه لابن مقبل. انظر التعليق بعد الآتي.

وقرأَ عاصِمٌ بالفَتحِ، وحَمْزَةُ بالضَّمِّ، وكُلُّهَا لُغَاتٌ[١].

﴿لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ﴾: تَستَدْفِئُونَ بِهَا.

قوله: «رُوِيَ أنَّه قَضَى أَقصى الأَجلينِ»:

أخرجَه البُخارِيُّ عن ابن عبَّاسٍ والبزَّارُ والطَّبرانيُّ مِن حَديثِ أبي ذرٍّ[٢].

قوله:

«باتَتْ حوَاطِبُ لَيْلَى يَلْتَمِسْنَ لَهَا جَزْلَ الجِذَى غَيْرَ خَوَّارٍ وَلَا دَعِرِ»[٣]

قال الطِّيبِيُّ: الحَوَاطِبُ: الجَوَارِي اللاتي يَطلُبْنَ الحطبَ، والجزلُ:

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

(٢) رواه البخاري (٢٦٨٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً عليه بلفظ: (أكثرهما وأطيبهما)، قال ابن حجر في «فتح الباري» (٥/ ٢٩١): وهو في حكم المرفوع؛ لأن ابن عباس كان لا يعتمد على أهل الكتاب.

ورواه البزار في «مسنده» (٣٩٦٤)، والطبراني في «الأوسط» (٥٤٣٠)، من طريق عويد بن أبي عمران الجوني عن أبيه عن عبد الله بن الصامت عن أبي ذر: أن النبي ﷺ سئل: أيَّ الأجلين قضى موسى؟ قال: «أوفاهما وأبرهما»، قال: وسئل: أيَّ المرأتين تزوج؟ قال: «الصغرى منهما».

قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٢٦): (عويد ضعيف). ثم ذكر عن ابن مردويه نحوه من حديث أبي هريرة رفعه وقال: (وفي إسناده سليمان الشاذكوني وهو ضعيف).

(٣) البيت في «ديوان تميم بن أبيِّ بن مقبل» (ص: ٩١). وورد منسوباً إليه في «مجاز القرآن» (٢/ ١٠٣)، و«غريب الحديث» للحربي (٢/ ٦٩٥)، و«الكامل» للمبرد (٢/ ١١٤)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٢٣٩)، و«تهذيب اللغة» (٢/ ١٢٠)، و«الحجة للقراء السبعة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٤١٤)، و«الصحاح» (مادة: جذى)، و«مقاييس اللغة» (٢/ ٢٨٣)، و«الأفعال» للمعافري (٣/ ٣٣٤)، و«المخصص» لابن سيده (٣/ ١٦٢)، و«البسيط» للواحدي (١٧/ ٣٨١)، وكذا نسبه لابن مقبل الزمخشري نفسه في «أساس البلاغة» (مادة: جذى).

الحطبُ اليابِسُ العظيمُ، والخَوَّارُ: الضَّعيفُ، والدَّعرُ: مَصْدَرُ دَعِرَ دَعَرًا فهو عَودٌ دَعِرٌ: رديءٌ كثيرُ الدخان، ومنه أُخذتِ الدَّعارة وهي الفسق والخبث[1].

قوله:

«وَأَلْقَى عَلَى قَيْسٍ مِنَ النَّارِ جَذْوَةً شَدِيدًا عَلَيهِ حَرُّهَا والتِهَابُهَا»[2]

قال الطِّيبيُّ: الجذوَةُ: القَبْسةُ مِن النَّارِ، والمرادُ بها النَّميمَةُ، اشتَدَّ حَرُّهَا والتِهابُها لأَنَّها هَيَّجَت نارَ العَداوَةِ والفتنةِ بينَ القَومِ.

استشهدَ بالبيتِ الأول على أنَّ الجَذوَةَ العُوْدُ الغَليظُ وليسَ في رَأسِهِ نارٌ، وبالبيتِ الثَّاني على أنَّ الجَذوَةَ هي التي على رأسِها نارٌ[3].

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ مِن شَٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَٰرَكَةِ مِنَ ٱلشَّجَرَةِ أَن يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٠﴾ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ﴾.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٤٧).

(٢) البيت في «النكت والعيون» (٤/ ٢٥٠)، و«باهر البرهان» للغزنوي (٢/ ١٠٧٢)، و«الكشاف» (٦/ ٤٢٣)، و«تفسير القرطبي» (١٦/ ٢٧٤)، و«تفسير البيضاوي» مع حاشية الشهاب (٧/ ٧٢)، و«البحر» (١٧/ ٦)، و«الدر المصون» (٨/ ٦٦٩)، و«اللباب» لابن عادل (١٥/ ٢٤٨)، و«تفسير أبي السعود» (٧/ ١٢)، و«روح المعاني» (٢٠/ ١٧٢)، وعندهم جميعاً عدا «الكشاف» و«البحر»: «.. شديداً عليها..»، وعليها شرح الشهاب فقال: (وقيس فيه اسم قبيلة، ولذا قال: «عليها»، وهو استعارة لما لحقها من الفتنة التي كأنها نار متوقدة).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٤٧).

﴿ فَلَمَّآ أَتَـٰهَا نُودِىَ مِن شَـٰطِيِٕ ٱلْوَادِ ٱلْأَيْمَنِ ﴾ أتاهُ النِّداءُ مِن الشَّاطئِ الأيمنِ لِمُوسى ﴿فِى ٱلْبُقْعَةِ ٱلْمُبَـٰرَكَةِ ﴾ مُتَّصِلٌ بالشَّاطئِ أو صِلَةٌ لـ﴿نُودِىَ ﴾.

﴿مِنَ ٱلشَّجَرَةِ ﴾ بدلٌ مِن ﴿شَـٰطِيِٕ﴾ بدلَ الاشتمالِ لأنَّها كانَتْ نابتَةً على الشَّاطئِ.

﴿أَن يَـٰمُوسَىٰٓ ﴾: أي يا مُوسى ﴿إِنِّىٓ أَنَا ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴾ هذا وإن خالفَ ما في (طه) والنَّملِ لفظًا فهو طِبْقُه في المقصودِ.

﴿ وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ﴾؛ أي: فألْقَاهَا فصارَتْ ثُعبانًا واهتزَّتْ فلَمَّا رَآها تهتَزُّ ﴿كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ في الهيئَةِ والجثَّةِ أو في السُّرعةِ ﴿وَلَّىٰ مُدْبِرًا﴾: مُنهزِمًا من الخَوْفِ ﴿وَلَمْ يُعَقِّبْ ﴾: ولم يرجِعْ.

﴿يَـٰمُوسَىٰٓ ﴾ نُودِيَ: يا مُوسى ﴿أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْـَٔامِنِينَ ﴾ عن المُخاوفِ، فإنَّه لا يخافُ لَدَيَّ المُرسَلُونَ.

(٣٢) ـ ﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ ٱلرَّهْبِ ۖ فَذَٰنِكَ بُرْهَـٰنَانِ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِي۟هِۦٓ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَـٰسِقِينَ ﴾.

﴿ ٱسْلُكْ يَدَكَ فِى جَيْبِكَ ﴾: أَدخِلْها ﴿تَخْرُجْ بَيْضَآءَ مِنْ غَيْرِ سُوٓءٍ ﴾: عيبٍ ﴿وَٱضْمُمْ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ ﴾: يدَيْكَ المَبسوطتَينِ تتَّقِي بهما الحيَّةَ كالخائفِ الفَزِعِ بإدخالِ اليُمنَى تحتَ عَضُدِ اليُسرَى وبالعكسِ، أو بإدخالِها في الجَيبِ فيكونُ تكريرًا لغرضٍ آخَرَ، وهو أَنْ يكونَ ذلك في وَجهِ العَدُوِّ إظهارَ جراءةٍ ومبدأً لظهورِ مُعجِزَةٍ.

ويجوزُ أن يكونَ المرادُ بالضَّمِّ: التَّجلُّدَ والثَّباتَ عندَ انقلابِ العَصا حيَّةً، استعارةً مِن حالِ الطَّائرِ؛ فإنَّه إذا خافَ نَشَرَ جناحَيْهِ وإذا أَمِنَ واطمَأَنَّ ضَمَّهُمَا إليهِ.

﴿من الرَّهَبِ﴾: مِن أَجْلِ الرَّهبِ؛ أي: إذا عراكَ الخَوْفُ فافعَلْ ذلك تَجَلُّدًا وضَبْطًا لِنَفْسِك.

وقرَأَ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ بضمِّ الرَّاءِ وسكونِ الهاءِ، وقُرِئَ بضَمِّهِما، وقرأَ حفصٌ بالفَتْحِ والسُّكونِ(١)، والكلُّ لُغَاتٌ.

﴿فَذَانِكَ﴾ إشارةٌ إلى العَصا واليدِ، وشدَّدَه ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو ورُوَيسٌ(٢).

﴿بُرْهَانَانِ﴾: حُجَّتانِ، وبُرهَانٌ: فُعْلَانٌ؛ لقولِهم: (أَبْرَهَ الرَّجُلُ): إذا جاءَ بالبُرْهَانِ، مِن قَوْلِهِم: بَرِهَ الرَّجُلُ: إذا ابيَضَّ، ويقال: بَرْهَاءُ وبَرَهْرَهَةٌ للمرأَةِ البيضاءِ، وقيل: فُعْلَالٌ لقَوْلِهِم: بَرْهَنَ.

﴿مِن رَّبِّكَ﴾ مُرسَلًا ﴿إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦٓ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَوْمًا فَٰسِقِينَ﴾ فكانوا أحِقَّاءَ بأَنْ يُرسَلَ إليهِم.

قولُه: «استعارةً مِن حال الطَّائرِ..» إلى آخره:

قال الطِّيبيُّ: فيكونُ على هذا الوجهِ مُستعارًا على التَّمثيلِ(٣).

(٣٣ ـ ٣٥) ـ ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّى قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ۝٣٣ وَأَخِى هَٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّى لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِىَ رِدْءًا يُصَدِّقُنِىٓ إِنِّىٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ ۝٣٤ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَٰنًا فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا بِـَٔايَٰتِنَآ أَنتُمَا وَمَنِ ٱتَّبَعَكُمَا ٱلْغَٰلِبُونَ﴾.

---

(١) وقرأ نافع وابن كثير وأبو عَمْرو بفتحهما. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٧١).
أما القراءة بضمتين فشاذة نسبت لعيسى بن عمر والجحدري وقتادة والحسن. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٤)، و«البحر» (١٧/ ٤٤).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٣)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٤٩).

﴿ قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ ﴾ بها ﴿ وَأَخِي هَـٰرُونُ هُوَ أَفْصَحُ مِنِّي لِسَانًا فَأَرْسِلْهُ مَعِيَ رِدْءًا ﴾: مُعِينًا، وهو في الأصلِ اسمُ ما يُعانُ به كالدِّفْءِ.

وقرأَ نافعٌ: ﴿رِدا﴾ بالتَّخفيفِ[١].

﴿يُصَدِّقْنِي﴾ بتخليصِ الحقِّ وتقريرِ الحُجَّةِ وتَزييفِ الشُّبهَةِ ﴿إِنِّيٓ أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ﴾ ولساني لا يُطاوِعُني عند المحاجَّةِ.

وقيل: المرادُ تَصديقُ القَوْمِ لتَقريرِه وتَوضيحِه[٢]، لكنَّه أسندَ إليه إسنادَ الفعلِ إلى السَّببِ.

وقرأ عاصِمٌ وحمزَةُ: ﴿يُصَدِّقُنِيٓ﴾ بالرَّفعِ[٣] على أنه صِفَةٌ والجَوابُ مَحذوفٌ.

﴿قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ بِأَخِيكَ﴾: سنُقَوِّيكَ به، فإنَّ قُوَّةَ الشَّخصِ بشِدَّةِ اليَدِ على مُزاولةِ الأُمورِ، ولذلك يُعبَّرُ عنه باليَدِ، وشِدَّتِها بشدَّةِ العَضُدِ.

﴿وَنَجْعَلُ لَكُمَا سُلْطَـٰنًا﴾: غلبَةً أو حُجَّةً ﴿فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكُمَا﴾ باستيلاءٍ أو حِجاجٍ ﴿بِـَٔايَـٰتِنَآ﴾ مُتعلِّقٌ بمَحذوفٍ؛ أي: اذهَبَا بآياتِنَا، أو بـ﴿نجعل﴾؛ أي: نُسَلِّطُكُما بها، أو بمعنى: (لا يَصِلُونَ)؛ أي: تَمتَنِعُونَ مِنهُم، أو قسمٌ جوابُه: (لا يَصِلُونَ)[٤]، أو بيانٌ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

(٢) قوله: «وقيل: المراد تصديق القوم»؛ أي: والأصل: يصدقوني. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٥٣).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

(٤) قولُه: «قَسَم جوابُه: لَا يَصِلُونَ»، فيهِ تساهُل؛ لأنّ جوابَ القَسَمِ لا يتقدَّمُ عليه، ولا يكونُ فيهِ فاء، ولعلّ مُرادَهُ أنّ ما قبلَهُ يَدُلُّ على الجواب، وأما الجواب فمحذوف. انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٥٦).

لـ﴿الْغَالِبُونَ﴾ في قولِه: ﴿أَنتُمَا وَمَنِ اتَّبَعَكُمَا الْغَالِبُونَ﴾ بمعنى: أنه صِلَةٌ لِمَا بيَّنَه[1]، أو صِلَةٌ له على أنَّ اللامَ فيه للتَّعريفِ لا بمعنى (الذي).

(٣٦) ـ ﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿فَلَمَّا جَاءَهُم مُّوسَىٰ بِآيَاتِنَا بَيِّنَاتٍ قَالُوا مَا هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّفْتَرًى﴾: سحرٌ تَختَلِقُه لم يُفعَلْ قبلُ مثلُه، أو: سحرٌ تعملُه ثمَّ تَفترِيه على اللهِ، أو: سحرٌ موصوفٌ بالافتراءِ كسائرِ أنواعِ السِّحرِ.

﴿وَمَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾ يَعْنون: السحرَ، أو ادعاءَ النبوَّة ﴿فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ﴾ كائناً في أيامهم.

(٣٧) ـ ﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ وَمَن تَكُونُ لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ﴾.

﴿وَقَالَ مُوسَىٰ رَبِّي أَعْلَمُ بِمَن جَاءَ بِالْهُدَىٰ مِنْ عِندِهِ﴾ فيعلمُ أنِّي مُحِقٌّ وأنتُم مُبطِلُونَ.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ: ﴿قال﴾ بغيرِ واوٍ[2]، لأنَّه قال ما قاله جوابًا لِمَقالِهم، ووجهُ العَطفِ: أنَّ المرادَ حكايةُ القولَينِ ليوازنَ النَّاظرُ بينَهُما فيميزُ صَحيحَهُما مِن الفاسدِ.

---

(١) أي: الغالب إنما يكون غالباً بسبب شيء، فقوله: ﴿الْغَالِبُونَ﴾ هنا فيه إبهام من حيث إنه لم يذكر ما تحصل الغلبة بسببه وهو ﴿بِآيَاتِنَا﴾ فيكون بياناً، فكأنه قيل: (الغالبون بآياتنا) لكن لا يجوز أن يكون ﴿بِآيَاتِنَا﴾ معمولاً لـ﴿الْغَالِبُونَ﴾ لأن الصلة لا تعمل فيما قبل الموصول فيكون عامله محذوفاً، والتقدير: تغلبون بآياتنا أنتما ومن اتبعكما الغالبون. انظر: «حاشية الجاربردي على الكشاف» (ج٢/ و٢٤٥ب).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

﴿وَمَن تَكُونُ لَهُۥ عَـٰقِبَةُ ٱلدَّارِ﴾: العاقبةُ المحمودةُ، فإنَّ المرادَ بالدَّارِ: الدُّنيا، وعاقِبَتُها الأصليَّةُ هي الجنَّةُ؛ لأنَّها خُلِقَت مَجازًا إلى الآخرةِ، والمقصودُ منها بالذَّاتِ هو الثَّوابُ، والعِقابُ إنَّما قُصِدَ بالعَرَضِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿يكونُ﴾ بالياءِ[1].

﴿إِنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾: لا يَفوزونَ بالهُدَى في الدُّنيا وحسنِ العاقبَةِ في العُقْبَى.

(٣٨ ـ ٤٠) ـ ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ ﴿٣٨﴾ وَٱسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لَا يُرْجَعُونَ ﴿٣٩﴾ فَأَخَذْنَـٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَـٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَـٰقِبَةُ ٱلظَّـٰلِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُم مِّنْ إِلَـٰهٍ غَيْرِى﴾ نَفى علمَه بإلهٍ غيرِه دونَ وُجودِه إذْ لم يَكُن عندَه ما يَقتَضِي الجزمَ بعدَمِه، ولذلك أمرَ ببناءِ الصَّرحِ ليصعدَ إليه ويتطلَّعَ على الحالِ بقولِه: ﴿فَأَوْقِدْ لِى يَـٰهَـٰمَـٰنُ عَلَى ٱلطِّينِ فَٱجْعَل لِّى صَرْحًا لَّعَلِّىٓ أَطَّلِعُ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِ مُوسَىٰ﴾ كأنَّه توهَّمَ أنَّه لو كانَ لكانَ جسمًا في السَّماءِ يمكنُ التَّرقِّي إليه، ثمَّ قال: ﴿وَإِنِّى لَأَظُنُّهُۥ مِنَ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾.

أو أرادَ أَنْ يَبنيَ له رَصَداً يترصَّدُ منها أَوضاعَ الكواكبِ فيرى: هَلْ فيها ما يدلُّ على بعثةِ رسولٍ وتبدُّلِ دولةٍ؟

وقيل: المرادُ بنَفْيِ العلمِ نَفْيُ المَعلومِ كقولِه: ﴿أَتُنَبِّـُٔونَ ٱللَّهَ بِمَا لَا يَعْلَمُ فِى

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٧).

﴿ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ١٨]، فإنَّ مَعناه: بما ليسَ فيهِنَّ، وهذا مِن خَواصِّ العلومِ الفِعليَّةِ فإنَّها لازمَةٌ لتَحقُّقِ مَعلوماتِها، فيلزمُ مِن انتفائِها انتِفاؤُهَا[1]، ولا كذلكَ العلومُ الانفِعاليَّةُ.

قيل: أوَّلُ مَن اتَّخذَ الآجرَّ فِرعونُ[2]، ولذلك أمرَ باتِّخاذِه على وجهٍ يَتضمَّنُ تَعليمَ الصَّنعةِ مع ما فيهِ مِن تَعظُّمٍ، ولذلك نادى هامانَ باسمِه بـ(يا) في وسطِ الكَلامِ.

﴿وَٱسۡتَكۡبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُۥ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّ﴾: بغيرِ استِحقاقٍ ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ إِلَيۡنَا لَا يُرۡجَعُونَ﴾ بالنُّشورِ. وقرأ نافِعٌ وحمزةُ والكِسائيُّ بفتحِ الياءِ وكسرِ الجيمِ[3].

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ﴾ كما مَرَّ بيانُه، وفيهِ فَخامَةٌ وتعظيمٌ لشَأنِ الآخذِ، واستحقارٌ للمَأخوذينَ؛ كأنَّه أخذَهُم مع كثرتِهِم في كفٍّ فطَرَحَهُم في اليمِّ، ونظيرُه: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧].

﴿فَٱنظُرۡ﴾ يا محمَّدُ ﴿كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ وحَذِّرْ قومَكَ عن مِثْلِها.

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ يَدۡعُونَ إِلَى ٱلنَّارِۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ ۝٤١ وَأَتۡبَعۡنَٰهُمۡ فِي هَٰذِهِ ٱلدُّنۡيَا لَعۡنَةٗۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلۡمَقۡبُوحِينَ﴾.

﴿وَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَئِمَّةٗ﴾: قدوَةً للضَّلالِ بالحملِ على الإضلالِ.

---

(١) قوله: «وهذا»؛ أي: ما ذكر من أن المرادَ بالعلم المعلومُ، وقوله: «فيلزم من انتفائها انتفاؤها»؛ أي: من انتفاء العلوم الفعلية انتفاءُ المعلومات. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٥٥).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٥٥) عن ابن جريج.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٤)، و«التيسير» (ص: ١٧١).

وقيل: بالتَّسمِيَةِ كقولِه: ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا ﴾ [الزخرف: ١٩]، أو بمنعِ الألطافِ الصارِفَةِ عنه[١].

﴿يَدْعُونَ إِلَى ٱلنَّارِ﴾: إلى موجِباتِها من الكفرِ والمَعاصِي.

﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ لَا يُنصَرُونَ﴾ بدَفعِ العَذابِ عَنْهُم.

﴿ وَأَتْبَعْنَـٰهُمْ فِى هَـٰذِهِ ٱلدُّنْيَا لَعْنَةً﴾: طَرْدًا عن الرَّحمَةِ، أو لعنَ اللاعنينَ، يَلعَنُهم المَلائكةُ والمؤمنونَ ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ ﴾: مِن المَطرودينَ، أو ممَّنْ قبَّحَ وُجوهَهُم.

---

(١) قولـه: «الصارفة عنه»؛ أي: عن الإضلال. وهذان القولان من قوله: «بالتسمية كقوله: ﴿ وَجَعَلُوا ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ...﴾» والقول الذي بعده ذكرهما الزمخشريُّ في «الكشاف» (٦/ ٤٣٧ـ٤٣٨) لصرف الآية عن ظاهرها، وهما مبنيان على مذهب المعتزلة من وجوب مراعاة ما يتوهمونه صلاحاً أو أصلح على الله تعالى في أفعاله، ولا يجوز عليه خلق الشر، أما مذهب أهل السنة فهو أنه لا يجب عليه تعالى شيء، قال أبو حيان في «البحر» (١٧/ ٥٠) في تعقبه على كلام الزمخشري: وإنما فسر (جعلناهم) بمعنى: دعوناهم ـ أي سميناهم ـ لا بمعنى: صيرناهم، جرياً على مذهبه من الاعتزال؛ لأن في تصييرهم أئمة خلقَ ذلك لهم، وعلى مذهب المعتزلة لا يجوِّزون ذلك من الله ولا ينسبونه إليه.

وقد رده ابن المنير في «الانتصاف» (٣/ ٤١٦) فقال: لا فرق عند أهل السنة بين قولِه: ﴿ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَـٰتِ وَٱلنُّورَ ﴾ [الأنعام: ١] ﴿وَجَعَلْنَا ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ ءَايَتَيْنِ ﴾ [الإسراء: ١٢] وبين هذه الآية، فمَن حمل الجعل على التسمية فيما نحن فيه فراراً من اعتقاد أن دعاءهم إلى النار مخلوق لله تعالى، فهو بمثابة من حمله على التسمية هناك فراراً من جعل الليل والنهار مخلوقين لله تعالى، فلا فرق بين نفي مخلوق واحد عن قدرته تعالى ونفي كل مخلوق.

قلنا: وتقديم المصنف لهذين القولين بـ«قيل» تضعيف لهما، وهذا كما قال الشهاب في «الحاشية» (٦/ ٧٦): إشارة إلى الرد على الزمخشري.

(٤٣) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾: التَّوراةَ ﴿مِنۢ بَعْدِ مَآ أَهْلَكْنَا ٱلْقُرُونَ ٱلْأُولَىٰ﴾: أقوامَ نوحٍ وهودٍ وصالحٍ ولوطٍ عليهِم السَّلامُ ﴿بَصَآئِرَ لِلنَّاسِ﴾: أنوارًا لقُلوبِهِم تَتبصَّرُ بها الحقائقُ، وتُميِّزُ بينَ الحقِّ والباطلِ.

﴿وَهُدًى﴾ إلى الشَّرائعِ التي هي سُبُلُ[1] اللهِ ﴿وَرَحْمَةً﴾ لأنَّهُم لو عَمِلُوا بها نالوا رحمةَ اللهِ ﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: ليكونوا على حالٍ يُرْجَى مِنهُم التَّذكُّرُ، وقد فُسِّرَ بالإرادةِ وفيه ما عرفتَ.

(٤٤ ـ ٤٥) ـ ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ۝٤٤ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ۚ وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ تَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِنَا وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلْغَرْبِيِّ﴾ يريدُ: الواديَ أو الطُّورَ، فإنَّه كانَ في شقِّ الغربِ مِن مَقامِ مُوسَى، أو الجانبِ الغربيِّ منه[2].

والخِطابُ لرسولِ اللهِ ﷺ؛ أي: ما كنتَ حاضِرًا ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى ٱلْأَمْرَ﴾: إذ أوحينَا إليه الأمرَ الذي أرَدْنا تَعريفَه ﴿وَمَا كُنتَ مِنَ ٱلشَّٰهِدِينَ﴾ للوَحيِ إليهِ، أو على الموحَى إليهِ وهُم السَّبعونَ المُختارونَ للمِيقاتِ، والمرادُ: الدَّلالةُ على أنَّ إخبارَهُ

---

(١) في (ت): «سبيل».

(٢) قوله: «أو الجانب الغربي منه»؛ أي: من الوادي أو الطور، ومغايرته للأوّل: أنه مجموع الوادي والطور على الأوّل، وعلى هذا بعضه، وهو على كل حال من إضافة الموصوف للصفة. انظر: «حاشية الشهاب» (٦/ ٧٦).

عن ذلكَ مِن قَبيلِ الإخبارِ عن المغيَّباتِ التي لا تُعرفُ إلا بالوحيِ، ولذلك استدركَ عَنْهُ بقولِه:

﴿ وَلَٰكِنَّآ أَنشَأْنَا قُرُونًا فَتَطَاوَلَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُ ﴾؛ أي: ولكنَّا أَوْحَيناهُ إليك لأنَّا أنشأنَا قُرونًا مُختلِفَةً بعدَ مُوسى، فتطاولَت عليهِمْ المُدَدُ فحُرِّفَت الأَخبارُ وتَغيَّرت الشَّرائعُ واندرَسَتِ العُلومُ، فحَذَفَ المُستدرَكَ وأقامَ سببَهُ مُقامَه[1].

﴿وَمَا كُنتَ ثَاوِيًا﴾: مُقيمًا ﴿فِىٓ أَهْلِ مَدْيَنَ﴾: شُعَيبٍ والمؤمنينَ به ﴿تَتْلُواْ عَلَيْهِمْ﴾ تقرَأُ عليهِم تعلُّمًا مِنْهُم ﴿ءَايَٰتِنَا﴾ التي فيها قِصَّتُهُم ﴿وَلَٰكِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ﴾ إيَّاكَ ومُخبرينَ لكَ بها.

(٤٦) ـ ﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾.

﴿ وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ ٱلطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا ﴾ لعلَّ المرادَ به وقتُ ما أعطاهُ التَّوراةَ، وبالأوَّلِ حينَما استنبأَهُ؛ لأنَّهما المذكورانِ في القِصَّةِ.

﴿وَلَٰكِن رَّحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ ولكن علَّمناكَ رحمةً. وقُرِئَت بالرَّفعِ[2] على: هذِهِ رَحمَةٌ.

﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ مُتعلِّقٌ بالفعلِ المحذوفِ ﴿مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ لوُقوعِهِم في فترةٍ بينَكَ وبينَ عِيسى، وهي خمسُ مئةٍ وخمسونَ سنةً[3]، أو بينكَ وبين إسماعيلَ

---

(١) قوله: «فحذف المستدرك»؛ أي: وهو «أوحيناه»، «وأقام سببه»؛ أي: وهو الإنشاء. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٥٧).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٤) عن ابن أبي عبلة.

(٣) وهذا مخالف لما رواه البخاري (٣٩٤٨) عن سلمان الفارسي رضي الله عنه من قوله: (فترةٌ بَيْنَ عيسى ومحمدٍ صلواتُ الله عليهما ستُّ مئةِ سنة).

على أنَّ دعوةَ مُوسى وعيسَى كانت مُختصَّةً ببني إسرائيلَ وما حوَالَيْهم.

﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾: يتَّعِظُون.

(٤٧) ـ ﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَوْلَآ أَن تُصِيبَهُم مُّصِيبَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَيَقُولُوا۟ رَبَّنَا لَوْلَآ أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا﴾ (لولا) الأُولى امتِناعِيَّةٌ، والثَّانيةُ تَحضيضيَّةٌ واقعةٌ في سِياقِها؛ لأنَّها ممَّا أُجيبَت بالفاءُ تَشبيهًا لها بالأمرِ، مَفعولُ ﴿فَيَقُولُوا۟﴾ المعطوفِ على ﴿تُصِيبَهُم﴾ بالفاءِ المعطيةِ معنى السَّببيَّةِ المنبِّهةِ على أنَّ القولَ[1] هو المقصودُ بأن يكونَ سببًا لانتفاءِ ما تُجابُ به، وأنَّه لا يصدرُ عَنْهُم حتَّى تُلجِئَهُم العقوبةُ، والجوابُ مَحذوفٌ والمعنى: لولا قولُهم إذا أصابَتْهُم عقوبةٌ بسببِ كُفرِهم ومَعاصيهم: ربنا هَلَّا أرسلتَ إلينا رَسولًا يبلِّغُنا آياتِكَ فنتَّبعَها ونكونَ مِن المُصدِّقينَ ما أرسلناكَ؛ أي: إنَّما أرسلناكَ قطعًا لعُذرِهم وإلزامًا للحجَّةِ عليهِم.

﴿فَنَتَّبِعَ ءَايَٰتِكَ﴾ يعني: الرَّسولَ المصدَّقَ بنوعٍ مِن المعجزاتِ[2] ﴿وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُوا۟ لَوْلَآ أُوتِىَ مِثْلَ مَآ أُوتِىَ مُوسَىٰٓ ۚ أَوَلَمْ يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ ۖ قَالُوا۟ سِحْرَانِ تَظَٰهَرَا وَقَالُوٓا۟ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ ﴿٤٨﴾ قُلْ فَأْتُوا۟ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾.

---

(١) في (خ): «المقول».

(٢) قوله: «بنوع من المعجزات»؛ أي: وهو الكتاب كما هو مصدَّق بسائر المعجزات. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٥٨).

﴿ فَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ مِنْ عِندِنَا قَالُواْ لَوْلَآ أُوتِيَ مِثْلَ مَآ أُوتِيَ مُوسَىٰٓ ﴾ مِن الكتابِ جملةً واليَدِ والعَصا وغيرِهما؛ اقتراحًا وتَعنُّتًا[١].

﴿أَوَلَمْ يَكْفُرُواْ بِمَآ أُوتِيَ مُوسَىٰ مِن قَبْلُ﴾ يعني: أبناءَ جِنْسِهِم في الرَّأيِ والمذهبِ، وهُم كفرةُ زمانِ مُوسَى عليهِ السَّلامُ، وكان فِرعونُ عَربيًّا مِن أولادِ عادٍ.

﴿قالوا ساحران﴾ يعنونَ: مُوسى وهارونَ، أو: مُوسَى ومحمَّدًا عليهِمَا السَّلامُ.

﴿تَظَٰهَرَا﴾: تعاونَا بإظهارِ تلك الخوارقِ، أو بتوافُقِ الكتابينِ.

وقرأَ الكوفِيُّونَ: ﴿سِحْرَانِ﴾[٢] بتقديرِ مُضافٍ، أو جَعْلِهما سِحرَيْنِ مبالغَةً، أو إسنادِ تَظاهُرِهما إلى فعلِهما[٣] دلالةً على سببِ الإعجازِ.

وقُرِئَ: (اظَّاهرَا) على الإدغامِ[٤].

﴿وَقَالُوٓاْ إِنَّا بِكُلٍّ كَٰفِرُونَ﴾؛ أي: بكُلٍّ مِنهما، أو: بكلِّ الأنبياءِ.

﴿ قُلْ فَأْتُواْ بِكِتَٰبٍ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ هُوَ أَهْدَىٰ مِنْهُمَآ ﴾: ممَّا أُنزِلَ على مُوسَى وعَلَيَّ، وإضمارُهُما لدلالةِ المعنى، وهو يؤيِّدُ أنَّ المرادَ بالسَّاحِرَينِ مُوسى ومحمَّدٌ عليهِما السَّلامُ.

---

(١) قوله: «جملة» حال من الكتاب، و«اقتراحاً» مفعول له لـ﴿قَالُواْ﴾ أو حالٌ من فاعله. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٧٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٧٢). والكوفيون: عاصم وحمزة والكسائي.

(٣) قوله: «بتقدير مضاف»؛ أي: ذوا سحرين، أو صاحبا سحرين «أو جعلهما»؛ أي: موسى وهارون، أو موسى ومحمد «أو إسناد» بالجر عطف على ضمير (جعلهما)؛ أي: أو جعل إسناد تظاهرهما «إلى فعلهما»؛ أي: فعلي الرسولين، وهو السحر، والمعنى: تظاهَرَ سحراهما. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٥٩).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٤) عن ابن مسعود وطلحة والأعمش.

﴿أَتَّبِعْهُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ أنّا ساحرانِ مُختلِقانِ، وهذا[1] مِن الشُّروطِ التي يرادُ بها الإلزامُ والتَّبكيتُ، ولعلَّ مَجيءَ حرفِ الشَّكِّ للتَّهكُّمِ بهم.

(٥٠) ـ ﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ لَكَ فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾.

﴿فَإِن لَّمْ يَسْتَجِيبُواْ﴾ دُعاءَكَ إلى الإتيانِ[2] بالكتابِ الأهدى، فحُذِفَ المفعولُ للعلمِ به، ولأنَّ فعلَ الاستجابةِ يُعدَّى بنفسِهِ إلى الدُّعاءِ وباللامِ إلى الدَّاعِي، فإذا عُدِّيَ إليه حُذِفَ الدُّعاءُ غالبًا كقوله:

وَدَاعٍ دَعَا يَا مَنْ يُجِيبُ إِلَى النَّدَى … فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ

﴿فَٱعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَآءَهُمْ﴾ إذ لَوْ اتَّبَعوا حُجَّةً لأَتَوْا بها ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ ٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ﴾ استفهامٌ بمعنى النَّفيِ ﴿بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ ٱللَّهِ﴾ في مَوضعِ الحالِ للتَّوكيدِ أو التَّقييدِ، فإنَّ هوى النَّفسِ قَدْ يُوافِقُ الحقَّ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾: الذين ظَلَموا أنفُسَهُم بالانهماكِ في اتِّباعِ الهوى.

قوله:

«وداعٍ دَعَا يا من يجيبُ إلى النَّدَى … فَلَمْ يَسْتَجِبْهُ عِنْدَ ذَاكَ مُجِيبُ»

قال الطِّيبِيُّ: أي: رُبَّ داعٍ دَعَا هَلْ أحَدٌ يمنَحُ المُستَمْنحينَ فلَم يُجبْهُ أحَدٌ، انتهى[3].

---

(١) في (أ) و(خ): «فهذا».

(٢) في (ت): «دعاءك بالإتيان».

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٧٧).

قلت: البيتُ مِن قصيدَةٍ لكعبِ بنِ سَعدٍ الغنويِّ يَرْثي بها أخَاهُ شبيبًا[١]، وأوَّلُها:

تَقُـولُ سُـلَيْمَى مَـا لجِسْـمِكَ شَاحِـبًـا   كَـأَنَّـكَ يَـحْـمِيكَ الطَّعَـامَ طَبِيـبُ[٢]

قال القالِي: وبعضُهُم يرويها لسهمٍ الغنويِّ وهو مِن قومِه وليسَ بأخيهِ[٣].

(٥١) ـ ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ﴾: أتبَعْنا بعضَهُ بعضًا في الإنزالِ ليتَّصِلَ التَّذكيرُ، أو: في النَّظمِ لتتقرَّرَ الدَّعوةُ بالحُجَّةِ، والمواعظُ بالمواعيدِ، والنَّصائحُ بالعِبَرِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ فيُؤمِنُونَ ويُطيعونَ.

(٥٢ ـ ٥٣) ـ ﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ (٥٢) وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ﴾.

﴿الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِن قَبْلِهِ هُم بِهِ يُؤْمِنُونَ﴾ نزلَتْ في مُؤمني أهلِ الكتابِ[٤].

وقيل: في أربعينَ مِن أهلِ الإنجيلِ: اثنانِ وثلاثونَ جاؤوا مع جعفرٍ مِن الحبشَةِ، وثمانيةٌ من الشَّامِ[٥].

والضَّميرُ في ﴿مِن قَبْلِهِ﴾ للقرآنِ؛ كالمستكِنِّ في: ﴿وَإِذَا يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ قَالُوا آمَنَّا بِهِ﴾؛ أي: بأنَّه كلامُ اللهِ ﴿إِنَّهُ الْحَقُّ مِن رَّبِّنَا﴾ استئنافٌ لبيانِ ما أوجبَ إيمانَهُم به ﴿إِنَّا كُنَّا مِن

---

(١) انظر: «مجاز القرآن» لأبي عبيدة (١/ ٦٧ و١١٢ و٢٤٥ و٣٢٦) و(٢/ ١٠٧)، و«خزانة الأدب» (١٠/ ٤٣٦)، وتقدم في تفسير آل عمران والرعد.

(٢) انظر: «جمهرة أشعار العرب» (ص: ٥٥٥).

(٣) انظر: «أمالي القالي» (٢/ ١٤٨).

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٨٨)، عن ابن عباس بإسناد ضعيف. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٧٦)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٢٩٩٣)، عن مجاهد.

(٥) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٥٧).

﴿قَبۡلِهِۦ مُسۡلِمِينَ﴾ استئنافٌ آخرُ للدلالةِ على أنَّ إيمانَهُم به ليسَ ممَّا أحدَثُوه حينئذٍ، وإنَّما هو أمرٌ تقادَمَ عهدُه لَمَّا رَأَوا ذكرَه في الكتبِ المتقدِّمَةِ، وكونُهم على دينِ الإسلامِ قبلَ نُزولِ القُرآنِ أو تِلاوته[1] عليهِم باعتِقادِهِم صِحَّتَهُ في الجملَةِ.

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ بِمَا صَبَرُواْ وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ﴿٥٤﴾ وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ وَقَالُواْ لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ يُؤۡتَوۡنَ أَجۡرَهُم مَّرَّتَيۡنِ﴾: مـرَّةً علـى إيمانِهـم بكتابِهـم ومـرَّةً علـى إيمانِهم بالقُرآنِ.

﴿بِمَا صَبَرُواْ﴾: بصَبرِهِم وثَباتِهِم على الإيمانَينِ، أو على الإيمانِ بالقُرآنِ قبلَ النُّزولِ وبعدَه، أو على أذى مَنْ هاجرَهُم مِن أهلِ دينِهِم ومن المشركين.

﴿وَيَدۡرَءُونَ بِٱلۡحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾: ويَدفعونَ بالطَّاعةِ المعصيَّةَ؛ لقولِه[2] عليه السَّلامُ: «أَتْبِعِ الحسنَةَ السَّيِّئَةَ تَمْحُها»[3].

﴿وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ﴾ في سَبيلِ الخيرِ.

﴿وَإِذَا سَمِعُواْ ٱللَّغۡوَ أَعۡرَضُواْ عَنۡهُ﴾ تكرُّمًا ﴿وَقَالُواْ﴾ للَّاغـيـنَ: ﴿لَنَآ أَعۡمَٰلُنَا وَلَكُمۡ أَعۡمَٰلُكُمۡ سَلَٰمٌ عَلَيۡكُمۡ﴾ مُتاركَةً لهم وتَوديعًا، أو دعاءً لهم بالسَّلامَةِ عمَّا هم فيه ﴿لَا نَبۡتَغِي ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾: لا نطلبُ صُحبَتَهُم ولا نريدُها.

(٥٦) ـ ﴿إِنَّكَ لَا تَهۡدِي مَنۡ أَحۡبَبۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهۡدِي مَن يَشَآءُۚ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِٱلۡمُهۡتَدِينَ﴾.

---

(١) في (خ): «وتلاوته».

(٢) في (ت): «كقوله».

(٣) رواه أحمد في «مسنده» (٢١٤٠٣)، والترمذي (١٩٨٧)، من حديث أبي ذر رضي الله عنه، قال الترمذي: هذا حديث حسن صحيح.

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾: لا تَقدِرُ أَنْ تُدخِلَهُ في الإسلامِ ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ﴾ فيدخلُه في الإسلامِ ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِٱلْمُهْتَدِينَ﴾: بالمستعدِّينَ لذلك.

والجمهورُ على أَنَّها نَزَلَتْ في أبي طالبٍ؛ فإنَّه لَمَّا احتُضِرَ جاءَهُ رسولُ اللهِ ﷺ وقال: «يا عم، قل: لا إلهَ إلا اللهُ كلمةٌ أحاجُّ بها لك عندَ اللهِ» قال: يا ابنَ أَخِي قد عَلِمتُ إنَّكَ لصَادقٌ، ولكنِّي أكرَهُ أَنْ يُقالَ: جزِعَ عندَ الموتِ[١].

قوله: «والجمهورُ على أَنَّها نَزَلَت في أبي طالبٍ..» إلى آخره:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حديثِ المسيِّبِ نحوَه[٢].

قوله: «خرِعَ عندَ المَوتِ»:

قال الطِّيبيُّ: يُرْوَى بالخاءِ المُعجَمَةِ والرَّاءِ؛ أي: ضعفَ، وبالجيمِ والزَّاي؛ أي: خافَ[٣].

وقال ثَعلبٌ: إنَّما هو بالخَاءِ والرَّاءِ[٤].

(٥٧) - ﴿وَقَالُوٓا۟ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ۚ أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

---

(١) ذكره بهذا السياق دون سند مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٣٥٠)، وابن إسحاق في «سيرته» (٣٢٥)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ١٨١)، بلفظ: «خرع»، وهما روايتان كما سيأتي، وقال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٢٦): لم أجده، وقصة وفاة أبي طالب في الصحيحين عن سعيد بن المسيب عن أبيه بغير هذا السياق أو أخصر منه. قلت: رواه البخاري (٤٧٧٢)، ومسلم (٢٤)، من حديث المسيب بن حزن رضي الله عنه. ورواه مسلم (٢٥)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٢) انظر التعليق السابق.

(٣) انظر: «النهاية» لابن الأثير (مادة: خرع).

(٤) انظر: «إصلاح غلط المحدثين» للخطابي (ص: ٥٩)، و«غريب الحديث» لابن الجوزي (١/ ٢٧٣)، و«فتوح الغيب» (١٢/ ٨٠).

﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾: نُخرَجُ مِنْها، نزلَتْ في الحارثِ بنِ عثمانَ بنِ نوفَلِ بنِ عبدِ مَنافٍ، أتى النَّبيَّ عليهِ السَّلامُ فقال: نحنُ نعلَمُ أنَّكَ على الحقِّ، ولكنَّا نَخافُ إِن اتَّبعناكَ وخالَفْنَا العربَ وإنما نحنُ أَكْلَةُ رأسٍ أن يَتخطَّفونَا مِن أَرضِنَا[1]، فردَّ اللهُ عليهِمْ بقولِه:

﴿أَوَلَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا ءَامِنًا ﴾: أولم نجعَلْ مكانَهُم حرمًا ذا أمنٍ بحرمةِ البَيتِ الذي فيه، يَتناحَرُ العربُ حولَهُ وهُم آمِنونَ فيه.

﴿يُجْبَىٰٓ إِلَيْهِ ﴾: يُحمَلُ إليه ويُجمَعُ فيه. وقرأَ نافِعٌ ويعقوبُ في روايةٍ بالتَّاءِ[2].

﴿ثَمَرَٰتُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ مِن كلِّ أَوْبٍ ﴿رِّزْقًا مِّن لَّدُنَّا ﴾ فإذا كانَ هذا حالَهم وهم عَبدَةُ الأصنامِ، فكيفَ يعرِّضُهم للتَّخوُّفِ[3] والتَّخطُّفِ إذا ضمُّوا إلى حرمةِ البيتِ حُرمةَ التَّوحيدِ.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ جهلةٌ لا يَتفطَّنُونَ له ولا يَتفكَّرُونَ ليَعلَمُوا.

---

(١) رواه بنحوه مختصراً النسائي في «الكبرى» (١١٣٢١)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٢٨٧)، عن ابن عباس رضي الله عنهما. وذكره بهذا اللفظ مقاتل في «تفسيره» (١/ ٥٥٨)، لكن في نزول قوله تعالى: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ الآية [الأنعام: ٣٣] وقال مقاتل: نظيرها في القصص: ﴿ وَقَالُوٓاْ إِن نَّتَّبِعِ ٱلْهُدَىٰ مَعَكَ نُتَخَطَّفْ مِنْ أَرْضِنَآ ﴾. وقوله: «أكلة رأس»: جمع آكل، وهو مثَل في القلة، وأصله: ناسٌ قليلون يكفيهم إذا أكلوا رأسٌ واحدة من رؤوس الحيوان المطبوخة، ويصح أن يراد بالرأس حيوان واحد. انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٧/ ٨٠).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٥)، و«التيسير» (ص: ١٧٢)، عن نافع. وهي رواية رويس عن يعقوب وقرأ بها أيضاً أبو جعفر. انظر: «النشر» (٢/ ٣٤٢).

(٣) في (خ): «للخوف».

وقيل: إنه مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿مِّن لَّدُنَّا﴾؛ أي: قليلٌ مِنْهُم يَتدبَّرُونَ فيعلمونَ أنَّ ذلك رزقٌ مِن عندِ اللهِ؛ إذ لو عَلِمُوا لَمَا خافُوا غيرَه.

وانتصابُ ﴿رِّزْقًا﴾ على المصدرِ مِن مَعنى ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ أو الحالِ مِن الثَّمراتِ لتَخصُّصِها بالإضافَةِ.

ثُمَّ بيَّنَ أنَّ الأمرَ بالعكسِ، فإنَّهُم[1] أَحِقَّاءُ بأن يخافُوا مِن بأسِ اللهِ على ما هُم عليهِ بقولِه:

(٥٨) ـ ﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا ۖ فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا ۖ وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾.

﴿وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَرْيَةٍۭ بَطِرَتْ مَعِيشَتَهَا﴾؛ أي: وكَمْ مِن أهلِ قريةٍ كانَتْ حالُهم كحالِكُم في الأمنِ وخَفْضِ العَيْشِ حتى أَشِرُوا فدمَّرَ اللهُ عَليهم وخرَّبَ دِيارَهُم.

﴿فَتِلْكَ مَسَٰكِنُهُمْ﴾ خاويةً ﴿لَمْ تُسْكَن مِّنۢ بَعْدِهِمْ﴾ مِن السُّكنَى؛ إذ لا يَسكنُها إلا المارَّةُ يومًا أو بعضَ يومٍ، أو لا يبقى مَن يَسكُنُها ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ مِن شُؤمِ مَعاصِيهِمْ.

﴿وَكُنَّا نَحْنُ ٱلْوَٰرِثِينَ﴾ مِنْهُم؛ إذ لم يَخلُفْهم أحدٌ يَتصرَّفُ تصرُّفَهُم في ديارِهم وسائرِ مُتصرَّفاتِهم.

وانتصابُ ﴿مَعِيشَتَهَا﴾ بنزعِ الخافضِ، أو بجعلِها ظرفًا بنَفْسِها كقولك: زيدٌ ظنِّي مُقيمٌ، أو بإضمارِ زمانٍ مُضافٍ إليه[2]، أو مفعولًا على تضمينِ ﴿بَطِرَتْ﴾ مَعنى كَفَرَت.

---

(١) في (ض): «بأنهم».

(٢) قوله: «كقولك: زيد ظني مقيم»؛ أي: في ظني، وقوله: «أو بإضمار زمان يضاف إليه» الأولى: (إليها)؛ أي: إلى معيشتها؛ أي: بطرت أيامَ معيشتها. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٦٣).

(٥٩) - ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا ۚ وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ﴾.

﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ﴾: وما كانَتْ عادتُه ﴿مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِىٓ أُمِّهَا﴾: في أصلِها التي هي أَعمالُها[١]؛ لأنَّ أهلَها تكونُ أفطنَ وأنبَلَ.

﴿رَسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِنَا﴾ لإلزامِ الحُجَّةِ وقطعِ المَعذِرَةِ.

﴿وَمَا كُنَّا مُهْلِكِى ٱلْقُرَىٰٓ إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَـٰلِمُونَ﴾ بتكذيبِ الرُّسُلِ والعُتُوِّ في الكُفرِ.

(٦٠) - ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا ۚ وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَىْءٍ﴾ مِن أَسبابِ الدُّنيا ﴿فَمَتَـٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتُهَا﴾ تُمتَّعونَ وتُزيَّنونَ[٢] به مدَّةَ حياتِكُم المنقضِيَةِ.

﴿وَمَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ وهو ثوابُه ﴿خَيْرٌ﴾ خيرٌ في نَفسِهِ من ذلك؛ لأنَّه لذَّةٌ خالِصَةٌ وبهجةٌ كاملَةٌ ﴿وَأَبْقَىٰٓ﴾ لأنَّه أَبديٌّ ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾ فتَستبدِلُونَ الذي هو أدنى بالذي هو خيرٌ.

وقرأ أبو عمرو بالياءِ[٣]، وهو أبلَغُ في المَوعِظَةِ[٤].

---

(١) قوله: «التي هي»؛ أي: القرى «أعمالها»؛ أي: أعمالُ أُمِّ القرى. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٦٣).

(٢) في (أ): «تمتعون وتتزينون»، وفي (ت): «تتمتعون وتزينون».

(٣) انظر: «التيسير» (ص: ١٧٢). وذكر في «السبعة» (ص: ٤٩٥) عن أبي عمرو القراءة بالوجهين: بالتاء وبالياء.

(٤) قوله: «وهو أبلغ في الموعظة»؛ لاشتماله على الالتفات؛ للإعراض به عن خطابهم. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٦٣).

(٦١) ـ ﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَٰقِيهِ كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ ﴾.

﴿ أَفَمَن وَعَدْنَٰهُ وَعْدًا حَسَنًا ﴾: وعـدًا بالجنَّـةِ، فإنَّ حُسـنَ الوَعدِ بحُسـنِ المَوعودِ ﴿فَهُوَ لَٰقِيهِ﴾: مُدرِكُـه لا مَحالَـةَ؛ لامتنـاعِ الخُلـفِ في وَعْـدِهِ، ولذلكَ عطَفَـهُ بالفَاءِ المعطيَةِ مَعنى السَّـببيَّةِ.

﴿كَمَن مَّتَّعْنَٰهُ مَتَٰعَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ الـذي هـو مَشـوبٌ بـالآلامِ، مُكـدَّرٌ بالمَتاعبِ، مُسـتعقِبٌ للتَّحسُّـرِ علـى الانقطاعِ.

﴿ثُمَّ هُوَ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ مِنَ ٱلْمُحْضَرِينَ﴾ للحِسـابِ أو العَـذابِ، و﴿ثُمَّ﴾ للتَّراخِـي فـي الزَّمـانِ أو الرُّتبةِ.

وقرأَ نافعٌ في رِوايَةٍ والكِسائيُّ: ﴿ثمَّ هْوَ﴾ بسُكونِ الهاءِ[1] تَشبيهًا للمُنفَصِلِ بالمُتَّصلِ.

وهذه الآيةُ كالنَّتيجَةِ للَّتي قبلَها ولذلك رُتِّبَ عليها بالفاءِ.

(٦٢ ـ ٦٣) ـ ﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ۝٦٢ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ أَغْوَيْنَآ أَغْوَيْنَٰهُمْ كَمَا غَوَيْنَا تَبَرَّأْنَآ إِلَيْكَ مَا كَانُوٓاْ إِيَّانَا يَعْبُدُونَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ ﴾ عطفٌ على ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ أو مَنصوبٌ بـ(اذكر).

﴿فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴾؛ أي: الذينَ كُنْتُم تَزعُمونَهُم شُركائِي، فحُذِفَ المَفعولانِ لدَلالةِ الكَلامِ عليهِمَا.

﴿ قَالَ ٱلَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ ﴾ بثُبوتِ مُقتضاهُ وحُصولِ مُؤدَّاه ـ وهو قولُه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ

---

(١) وهي قراءة قالون بخلف عنه والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ١٥١ ـ ١٥٢)، و«التيسير» (ص: ٧٢).

جهنم من الجنة والناس أجمعين﴾ [هود: ١١٩] وغيره من آياتِ الوعيدِ ـ: ﴿رَبَّنَا هَٰؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا﴾؛ أي: هؤلاء هم الذين أغويناهم، فحُذِفَ الرَّاجعُ إلى المَوصولِ.

﴿أَغْوَيْنَاهُمْ كَمَا غَوَيْنَا﴾؛ أي: أَغويناهُم فغوَوا غيًّا مثلَ ما غوينا، وهو استئنافٌ للدَّلالةِ على أنَّهم غوَوا باختيارِهم، فإنَّهم[1] لم يفعلوا بهِمْ إلا وسوسَةً وتَسويلًا.

ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿الَّذِينَ﴾ صفَةً و﴿أَغْوَيْنَاهُمْ﴾ الخبرَ؛ لأجلِ ما اتَّصلَ به فأفادَهُ زيادةً على الصِّفَةِ، وهو وإن كانَ فَضْلةً لكنَّه صارَ مِن اللوازمِ.

﴿تَبَرَّأْنَا إِلَيْكَ﴾ مِنْهُم ومِمَّا اختاروهُ مِن الكُفرِ هَوًى مِنْهُم، وهي تقريرٌ للجُملَةِ المُتقدِّمَةِ، ولذلك خلَتْ عن العاطِفِ، وكذا: ﴿مَا كَانُوا إِيَّانَا يَعْبُدُونَ﴾؛ أي: ما كانوا يَعبدونَنا، وإنَّما كانوا يعبدونَ أهواءَهُم.

وقيل: ﴿مَا﴾ مَصدريَّةٌ متصلةٌ بـ﴿تَبَرَّأْنَا﴾؛ أي: تبرَّأْنا مِن عِبادَتِهم إيَّانا.

(٦٤) ـ ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾.

﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ﴾ مِن فَرطِ الحيرةِ ﴿فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ﴾ لعجزِهم عن الإجابةِ والنُّصرةِ ﴿وَرَأَوُا الْعَذَابَ﴾ لازبًا بهم ﴿لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ﴾ لوجهٍ مِن الحِيَلِ يدفعونَ به العذابَ، أو: إلى الحقِّ لَمَّا رَأَوا العَذابَ.

وقيل: ﴿لَوْ﴾ للتَّمنِّي؛ أي: تمنَّوا[2] أنَّهم كانوا مُهتَدينَ.

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ (٦٥) فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ الْأَنْبَاءُ يَوْمَئِذٍ فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ﴾.

---

(١) في (ض): «وأنهم».

(٢) في (خ): «تمنوا لو».

﴿ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَآ أَجَبْتُمُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ عطفٌ علـى الأوَّلِ، فإنَّه تعالى يسأَلُ أوَّلًا عن إشراكِهِم به ثمَّ عن تكذيبِهِم الأنبِياءَ.

﴿ فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ يَوْمَئِذٍ ﴾: فصارَت الأنباءُ كالعُمْيِ عَلَيهم لا تهتَدِي إليهم، وأصلُه: فعمُوا عن الأنباءِ، لكنَّه عكسَ مُبالغَةً، ودلالةً على أنَّ ما يحضرُ الذِّهنَ إنَّما يَفيضُ ويَرِدُ عليه من خارجٍ، فإذا أخطأَهُ لم يَكُن له حِيلَةٌ إلى استحضارِه.

والمرادُ بالأنباءِ: ما أجابُوا بِهِ الرُّسُلَ أو ما يَعُمُّها، وإذا كانَت الرُّسلُ يتَتعتعونَ[1] في الجوابِ عن مثلِ ذلك مِن الهَولِ[2]، ويُفوِّضونَ إلى علمِ اللهِ تَعالى، فما ظَنُّكَ بالضُّلَّالِ مِن أُمَمِهم، وتَعدِيَةُ الفعلِ بـ(على) لتَضمُّنِهِ مَعنى الخفاءِ.

﴿فَهُمْ لَا يَتَسَآءَلُونَ ﴾: لا يسأَلُ بعضُهُم بعضًا عن الجوابِ؛ لفرطِ الدَّهشَةِ أو العلمِ بأنَّه مثلُه[3].

(٦٧) ـ ﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾.

﴿ فَأَمَّا مَن تَابَ ﴾ من الشِّركِ ﴿وَءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا ﴾: وجمعَ بينَ الإيمانِ والعملِ.

﴿فَعَسَىٰٓ أَن يَكُونَ مِنَ ٱلْمُفْلِحِينَ ﴾ عندَ اللهِ، و(عسى) تحقيقٌ على عادةِ الكرامِ، أو ترجٍّ من التَّائبِ بمعنى: فليتوقَّعْ أن يُفلِحَ.

(٦٨) ـ ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾.

---

(١) في (خ): «يتعتعون».

(٢) قوله: «وإذا كانت الرسل يتتعتعون في الجواب»؛ أي: وهو قولهم: ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴾ [المائدة: ١٠٩]. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٦٦).

(٣) قوله: «أو العلم بأنه مثله»؛ أي: أو لعلم السائل بأن المسؤول مثلُه في العجز عن الجواب. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٦٦).

﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ لا مُوجِبَ عليه ولا مانعَ له ﴿مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾؛ أي: التَّخيُّر؛ كالطِّيَرةِ بمَعنى التَّطيُّرِ، وظاهرُه: نَفْيُ الاختيارِ عَنْهُم رأسًا، والأمرُ كذلك عندَ التَّحقيقِ، فإنَّ اختيارَ العِبادِ مخلوقٌ باختيارِ اللهِ مَنوطٌ بدواعٍ لا اختيارَ لهم فيها.

وقيل: المرادُ أنَّهُ ليسَ لأَحَدٍ مِن خَلقِهِ أَنْ يختارَ علَيْهِ، ولذلك خَلا عن العاطفِ[1]، ويُؤيِّدُه ما رُوِيَ أنَّه نزلَ في قَولِهِم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْءَانُ عَلَى رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١][2].

وقيل: ﴿مَا﴾ مَوصولةٌ[3]؛ مفعولٌ لـ﴿يختار﴾ والرَّاجعُ إليه مَحذوفٌ، والمعنى: ويختارُ الذي كان لهم فيهِ الخيرةُ؛ أي: الخيرُ والصَّلاحُ.

---

(١) في (خ): «العطف».

(٢) وهو قول الوليدِ بن المغيرةِ، ذكره المفسرون دون عزوٍ لقائل ولا سند. انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٥٣)، و«تفسير السمرقندي» (٢/ ٦١٦)، و«تفسير الثعلبي» (٢٠/ ٤٨٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٣٩).

(٣) قوله: «وقيل: (ما) موصولة»، قائل هذا القول وقف عند قوله: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ﴾ ثم يبدأ: ﴿وَيَخْتَارُ مَا كَانَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ﴾ ويكون ﴿مَا﴾ اسماً موصولاً. انظر: «التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي عند هذه الآية.

واختار هذا الوجه الطبري، فقد ذهب إلى أن ﴿مَا﴾ موصولة منصوبة بـ﴿يختار﴾؛ أي: ويختار من الرسل والشرائع ما كان خيرة للناس، لا كما يختارون هم ما ليس إليهم، ويفعلون ما لم يؤمروا به، وأنكر أن تكون ﴿مَا﴾ نافية؛ لئلا يكون المعنى: إنه لم تكن لهم الخيرة فيما مضى، وهي لهم فيما يستقبل، ولأنه لم يتقدّم كلام يُنفَى.

هكذا لخص أبو حيان كلام الطبري ثم قال: وقد رُد هذا القول بعدم العائد على الموصول، وأجيب بأن التقدير: ما كان لهم فيه الخيرة، وحذف لدلالة المعنى.

انظر: «تفسير الطبري» (١٨/ ٢٩٩ ـ ٣٠٢)، و«البحر» (١٧/ ٧٣).

﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾: تنزيهًا له أن يُنازِعَه أحدٌ أو يزاحِمَ اختيارهُ اختيارٌ ﴿وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾: عن إشراكِهم، أو مشاركةِ ما يُشرِكُونَه[1] به.

(٦٩) ـ ﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾.

﴿وَرَبُّكَ يَعۡلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمۡ﴾ كعَداوةِ الرَّسولِ وحقدِه ﴿وَمَا يُعۡلِنُونَ﴾ كالطَّعنِ فيه.

(٧٠) ـ ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿وَهُوَ ٱللَّهُ﴾ المستحقُّ للعِبادَةِ ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾: لا أحدَ يَستَحِقُّها إلا هوَ ﴿لَهُ ٱلۡحَمۡدُ فِي ٱلۡأُولَىٰ وَٱلۡأٓخِرَةِ﴾ لأنَّه المُوْلِي للنِّعَمِ كلِّها عاجلِها وآجلِها، يحمَدُه المُؤمِنُونَ في الآخرةِ كما حَمِدُوهُ في الدُّنيا بقولهم: ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَذۡهَبَ عَنَّا ٱلۡحَزَنَ﴾ [فاطر: ٣٤]، ﴿ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي صَدَقَنَا وَعۡدَهُۥ﴾ [الزمر: ٧٤] ابتهاجًا بفضلِه والتذاذًا بحَمْدِه.

﴿وَلَهُ ٱلۡحُكۡمُ﴾: القَضاءُ النَّافِذُ في كلِّ شيءٍ ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ بالنُّشورِ.

(٧١) ـ ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِ مَنۡ إِلَٰهٌ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَأۡتِيكُم بِضِيَآءٍۚ أَفَلَا تَسۡمَعُونَ﴾.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ إِن جَعَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكُمُ ٱلَّيۡلَ سَرۡمَدًا﴾: دائمًا، مِن السَّردِ وهو المتابعَةُ، والميمُ مزيدَةٌ كميمِ دُلَامِص[2].

---

(١) في (خ): «يشاركونه».

(٢) الدُّلامِص: البَرَّاقُ، وهو من الدِّلاص: اللَّيِّن البَرَّاق؛ يُقال: دِرعٌ دِلاص، وأدْرُعٌ دِلاص، انظر: «الصحاح» (مادة: دلص).

﴿إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بإسكانِ الشَّمسِ تحتَ الأرضِ، أو تحريكِها حولَ[1] الأفقِ الغائرِ.

﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِضِيَاءٍ﴾ كان حقُّه: هَل إلهٌ؟ فذُكرَ بـ﴿مَنْ﴾ على زَعمِهم أنَّ غيرَهُ آلهةٌ، وعن ابنِ كثيرٍ: ﴿بضِئَاءٍ﴾ بهمزتينِ[2].

﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تدبُّرٍ واستبصارٍ.

(٧٢) - ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ ۖ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾.

﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِن جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ﴾ بإسكانِها في وسطِ السَّماءِ، أو تحريكِها على مدارٍ فوقِ الأَرضِ ﴿مَنْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ يَأْتِيكُم بِلَيْلٍ تَسْكُنُونَ فِيهِ﴾ استراحةً عن مَتاعبِ الأشغَالِ.

ولعلَّه لم يَصِفِ الضِّياءَ بما يقابلُهُ لأنَّ الضَّوءَ نِعمَةٌ في ذاتِه مَقصودٌ بنفسِهِ ولا كذلك الليلُ، ولأنَّ مَنافِعَ الضَّوءِ أكثرُ ممَّا يُقابِلُه ولذلك قُرِنَ به: ﴿أَفَلَا تَسْمَعُونَ﴾، وباللَيلِ: ﴿أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ لأنَّ استفادةَ العقلِ مِن السَّمعِ أكثرُ مِن استفادَتِه مِن البَصرِ.

(٧٣) - ﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمِن رَّحْمَتِهِ جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ﴾: في الليلِ ﴿وَلِتَبْتَغُوا مِن فَضْلِهِ﴾ في النَّهارِ بأَنواعِ المَكاسبِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولكي تَعرِفُوا نعمةَ اللهِ في ذلك فتشكروهُ عليها.

---

(١) في (خ): «فوق».

(٢) انظر: «السبعة» (١/ ٤٩٥).

(٧٤) - ﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَآءِىَ ٱلَّذِينَ كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ تقريعٌ[1] بعدَ تقريعٍ للإشعارِ بأنَّه لا شيءَ أجلَبُ لغضبِ اللهِ مِن الإشراكِ به، أو الأولُ لتَقريرِ فَسادِ رَأيِهم، والثاني لبَيانِ أنَّه لم يَكُن عن سندٍ وإنَّما كانَ مَحض تَشَهٍّ وهوًى.

(٧٥) - ﴿وَنَزَعْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا فَقُلْنَا هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ فَعَلِمُوٓا۟ أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَنَزَعْنَا﴾: وأخرجْنا ﴿مِن كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا﴾ وهو نَبيُّهم يشهدُ عليهم بما كانوا عليه ﴿فَقُلْنَا﴾ للأُمَمِ: ﴿هَاتُوا۟ بُرْهَـٰنَكُمْ﴾ على صِحَّةِ ما كنتُم تَدينونَ به ﴿فَعَلِمُوٓا۟﴾ حينئذٍ ﴿أَنَّ ٱلْحَقَّ لِلَّهِ﴾ في الألوهيَّةِ لا يشارِكُه فيها أحدٌ ﴿وَضَلَّ عَنْهُم﴾: وغابَ عنْهُم غيبةَ الضَّائعِ ﴿مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ مِن الباطلِ.

(٧٦) - ﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ ۖ وَءَاتَيْنَـٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ لَا تَفْرَحْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾.

﴿إِنَّ قَـٰرُونَ كَانَ مِن قَوْمِ مُوسَىٰ﴾ كانَ ابنَ عمِّه يَصْهَرَ بنَ قاهَث[2] بنِ لاوَى، وكان ممَّنْ آمَن بهِ.

﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾: فطلبَ الفَضْلَ عليهم وأَنْ يَكونُوا تحتَ أَمْرِه، أو تكبَّرَ عَلَيهم، أو ظَلَمَهُم.

---

(١) في (ت): «تقرير».

(٢) في (خ) و«تفسير الثعلبي» (٢/ ٤٨٩): «فاهث»، وفي (أ): «تاهث»، والمثبت من (ض) و(ت) و«الكشاف» (٦/ ٤٦٢)، و«تفسير الطبري» (١٨/ ٣٠٩).

قيل: وذلك[١] حين ملَّكه فرعونُ على بني إسرائيلَ.

أو حسدَهُم؛ لِمَا رُوِيَ أنَّه قالَ لِمُوسى: لك الرِّسالَةُ، ولهارونَ الحُبُورَةُ، وأنا في غيرِ شَيءٍ، إلى مَتى أَصبِرُ[٢]؟

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ مِنَ ٱلْكُنُوزِ﴾: مِن الأَموالِ المُدَّخرَةِ ﴿مَآ إِنَّ مَفَاتِحَهُۥ﴾: مفاتيحَ صناديقِهِ، جمعُ مِفْتَحٍ بالكسرِ، وهو ما يُفتَحُ به.

وقيل: خَزائِنُه، وقياسُ واحدِها: الفتحُ[٣].

﴿لَتَنُوٓأُ بِٱلْعُصْبَةِ أُو۟لِى ٱلْقُوَّةِ﴾ خبرُ ﴿إِنَّ﴾، والجملةُ صِلَةُ ﴿مَآ﴾ وهو ثاني مَفعولَيْ (آتى)، ونـاءَ بـه الحَمْلُ: إذا أثقلَهُ حتَّى أمالَهُ، والعُصْبَةُ والعِصابَةُ: الجماعَةُ الكَثِيرَةُ، واعصَوْصَبُوا: اجتمَعُوا[٤].

وقُرِئَ: (لَيَنُوءُ) بالياءِ[٥] على إعطاءِ المُضافِ حُكمَ المُضافِ إليه.

﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ منصوبٌ بـ﴿تنوء﴾: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾: لا تبطَرْ، والفرحُ بالدُّنيا مَذمومٌ مُطلقًا؛ لأنَّه نَتيجَةُ حُبِّهَا والرِّضَا بها والذُّهولِ عن ذهابِها، فإنَّ العِلمَ بأَنَّ ما فيها مِن اللذَّةِ مُفارِقُه لا محالَةَ يُوجِبُ التَّرَحَ كمَا قال:

---

(١) في (ت): «وكان ذلك».

(٢) ذكره بنحوه المطهر بن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» (٣/ ٨٦ـ٨٧)، والسمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٦١٨).

(٣) في (أ): «المفتح».

(٤) انظر: «الصحاح» مادة: (عصب).

(٥) هي قراءة بديل بن ميسرة، انظر: «المحتسب» (٢/ ١٥٣).

أَشَـدُّ الغَـمِّ عِنْـدِي فـي سُرُورٍ   تـيقَّـنَ عـنه صاحِبُـه انتِقَـالَا

ولذلك قالَ تَعالى: ﴿وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ﴾ [الحديد: ٢٣].

وعُلِّلَ النَّهيُ هاهنا بكونِه مانِعًا مِن مَحبَّةِ اللهِ تعالى فقال: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْفَرِحِينَ﴾؛ أي: بزَخارِفِ الدُّنيا.

قوله: «﴿إِذْ قَالَ لَهُۥ قَوْمُهُۥ﴾ مَنصوبٌ بـ﴿تنوء﴾»:

قال أبو حيَّان: هذا ضعيفٌ جِدًّا؛ لأن إثقال المفاتحِ العصبةَ ليسَ مُقيَّدًا بوقتِ قول قومِه: ﴿لَا تَفْرَحْ﴾.

وقال ابنُ عَطِيَّةَ: هو مُتعلِّقٌ بقولِه: ﴿فَبَغَىٰ عَلَيْهِمْ﴾. وهو ضعيفٌ أيضًا؛ لأنَّ بغيَه عليهِم لَمْ يَكُن مُقيَّدًا بذلك الوَقتِ.

وقال أبو البَقاءِ: هو ظرفٌ لـ(آتيناه). وهذا ضَعيفٌ أيضًا؛ لأنَّ الإيتاءَ لم يَكُن وقتَ ذلك القَولِ.

وقال أيضًا[1]: ويجوزُ أَنْ يكونَ ظَرْفًا لفعلٍ مَحذوفٍ دَلَّ عليه الكَلامُ؛ أي: بَغَى عَلَيْهِم إذ قالَ لَهُ قومُهُ.

قال أبو حيَّان: ويَظهَرُ لي أن يكونَ تَقديرُهُ: فأظهرَ التَّفاخُرَ والفرحَ بما أوتي مِن الكُنوزِ إذ قالَ له قومُهُ: لا تفرَحْ[2].

---

(١) القائل أبو البقاء العكبري.

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٨٠)، وانظر كلام ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٢٩٩)، وأبي البقاء في «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١٠٢٥). وقال السمين الحلبي بعد أن نقل قول أبي البقاء في «الدر المصون» (٨/ ٦٩٤ ـ ٦٩٥): «وهذا ينبغي أن يرد بما رد به قول ابن عطية».

قال الحَلَبِيُّ: وهو مُناسِبٌ، وقدَّره الطَّبرِيُّ والحُوفِيُّ: اذكُرْ[1]. وهو حَسَنٌ، وقد تكرَّرَ نَظيرُهُ في القرآنِ.

قولُه:

«أَشَدُّ الغَمِّ عِنْدِي فِي سُرُورٍ تَيَقَّنَ عَنْهُ صَاحِبُهُ ارْتِحَالَا»[2]

قال الطِّيبِيُّ: يقولُ: السُّرُورُ الذي تَيَقَّنَ صاحِبُهُ الانتقالَ عنه هو أَشَدُّ الغَمِّ؛ لأنَّه يُراعِي وقتَ زَوالِه فيتنغَّصُ[3] كلَّما ذكرَ زوالَه[4].

(٧٧) ـ ﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ ۖ وَلَا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا ۖ وَأَحْسِن كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ ۖ وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿وَٱبْتَغِ فِيمَآ ءَاتَىٰكَ ٱللَّهُ﴾ مِن الغِنَى ﴿ٱلدَّارَ ٱلْءَاخِرَةَ﴾ بصَرْفِه فيما يُوجِبُها لك، فإنَّ المَقصودَ منه أن يكونَ وُصلةً إليها ﴿وَلَا تَنسَ﴾: ولا تترُكْ تركَ المنسيِّ ﴿نَصِيبَكَ مِنَ ٱلدُّنْيَا﴾ وهو أن تحصِّلَ بها آخرتَكَ، أو تأخذَ منها ما يَكْفيكَ.

﴿وَأَحْسِن﴾ إلى عبادِ اللهِ ﴿كَمَآ أَحْسَنَ ٱللَّهُ إِلَيْكَ﴾ فيما أنعمَ عليكَ.

وقيل: أَحْسِن بالشُّكرِ والطَّاعةِ كما أحسنَ إليك بالإنعامِ.

---

(١) انظر: «الدر المصون» (٨/ ٦٩٥). ولم يذكر الحوفي، لكن ذكره أبو حيان في «البحر المحيط» (١٧/ ٨٠).

(٢) للمتنبي. انظر: «ديوانه ـ بشرح الواحدي» (ص: ١١١).

(٣) في مطبوع «فتوح الغيب»: «فينتفض»، والمعنى متقارب.

(٤) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٠٩).

﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بأمرٍ يكونُ عِلَّةً للظُّلمِ والبَغْيِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ لسوءِ أفعالِهم.

(٧٨) ـ ﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ ۚ أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِۦ مِنَ ٱلْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا ۚ وَلَا يُسْـَٔلُ عَن ذُنُوبِهِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ فُضِّلتُ به على النَّاسِ، واستوجبتُ به التَّفوُّقَ عليهم بالجاهِ والمالِ، و﴿عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ في موضعِ الحالِ، وهو علمُ التَّوراةِ، وكانَ أعلمَهُم بها.

وقيل: علمُ الكيمياءِ[(١)].

وقيل: علمُ التِّجارَةِ والدِّهقنَةِ وسائرِ المكاسبِ[(٢)].

وقيل: علمٌ بكُنوزِ يوسُفَ[(٣)].

و﴿عِندِىٓ﴾ صفةٌ له، أو مُتعلِّقٌ بـ﴿أُوتِيتُهُۥ﴾ كقولِك: جازَ هذا عندي؛ أي: في ظَنِّي واعتقادِي.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥٠١)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٢٢٢)، وعزاه الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٢٦٨) للنقاش. ورده ابن كثير عند تفسير هذه الآية بقوله: وهذا القول ضعيف؛ لأن علم الكيمياء في نفسه علم باطل؛ لأن قلب الأعيان لا يقدر عليها أحد إلا الله عز وجل.

قلت: أراد ابن كثير بعلم الكيمياء ما كان شائعاً في الأزمنة السابقة من تعلقه بالسحر والشعوذة وادعاء قلب الأعيان، وليس مراده العلم القائم على التجربة المعروف في يومنا هذا.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٥٠٢) من غير نسبة، وعزاه القرطبي في «تفسيره» (١٣/ ٣١٥) لعلي بن عيسى.

(٣) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٦/ ٢٧) عن كعب.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِن قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا﴾ تَعجُّبٌ وتَوبيخٌ على اغترارِهِ بقُوَّتِه وكثرةِ مالِه مع علمِه بذلك[1]؛ لأنَّه قرأَهُ في التَّوراةِ وسَمِعَه من حُفَّاظِ التَّواريخِ.

أو: ردٌّ لادِّعائِه العلمَ وتعظُّمِه به بنفيِ هذا العلمِ مِنه؛ أي: أعِنْدَهُ مثلُ ذلك العلمِ الذي ادَّعَى[2] ولم يَعْلَمْ هذا[3] حتى يَقِيَ به نفسَهُ مَصارِعَ الهالكينَ.

﴿وَلَا يُسْأَلُ عَن ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ سؤالَ استعلامٍ؛ فإنَّه تَعالى مُطَّلِعٌ عليهَا، أو مُعاتبةٍ فإنَّهُم يعذَّبونَ بها بغتةً، كأنَّه لَمَّا هدَّدَ قارونَ بذكرِ إهلاكِ مَن قبلَهُ ممَّنْ كانوا أقوَى مِنه وأَغْنى أكَّد ذلك بأَنْ بيَّنَ أنه لم يَكُن مطَّلعاً على ما يَخُصُّهم، بل اللهُ مُطَّلِعٌ على ذنوبِ المجرمينَ كلِّهم مُعاقِبُهم عليها لا محالةَ.

(٧٩ ـ ٨٠) ـ ﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٧٩﴾ وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِّمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ﴾.

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ﴾ كما قيلَ: إنَّه خرجَ على بغلةٍ شَهباءَ عليه الأرجوانُ، وعليها سرجٌ مِن ذَهبٍ، ومعَهُ أربعةُ آلافٍ على زِيِّه[4].

﴿قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا﴾ على ما هو عادةُ النَّاسِ من الرَّغبةِ[5]:

---

(١) قوله: «مع علمه بذلك»؛ أي: بأن الله قد أهلك من القرون قبله مَن هو أقوى منه.

(٢) في (ت): «ادعاه».

(٣) قوله: «ولم يعلم هذا»؛ أي: بأن الله قد أهلك من القرون قبله مَن هو أقوى منه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٥٦).

(٥) في (ت) زيادة: «فيها».

﴿يَٰلَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ﴾ تمنَّوْا مِثلَهُ لا عينَهُ حَذرًا عن الحَسدِ ﴿إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ﴾ مِن الدُّنيا.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ بأحوالِ الآخرةِ للمُتمنِّينَ: ﴿وَيْلَكُمْ﴾ دعاءٌ بالهَلاكِ استُعمِلَ للزَّجرِ عمَّا لا يُرتَضى ﴿ثَوَابُ ٱللَّهِ﴾ في الآخرةِ ﴿خَيْرٌ لِّمَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ ممَّا أُوتِيَ قارونُ بل مِن الدُّنيا وما فيهَا.

﴿وَلَا يُلَقَّىٰهَآ﴾ الضَّميرُ فيه للكَلِمَةِ التي تكلَّمَ بها العلماءُ، أو للثَّوابِ فإنَّه بمعنى المثوبَةِ أو الجنَّةِ، أو للإيمانِ والعملِ الصَّالحِ فإنَّهما في مَعنى السِّيرةِ والطريقةِ.

﴿إِلَّا ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على الطَّاعاتِ وعن المعاصِي.

(٨١) ـ ﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾.

﴿فَخَسَفْنَا بِهِۦ وَبِدَارِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ رُوِيَ أنَّه كانَ يؤذِي موسى عليه السَّلامُ كلَّ وَقتٍ، وهو يداريهِ لقَرابتِه، حتى نزلَتِ الزَّكاةُ فصالَحَهُ عن كلِّ ألفٍ على واحِدٍ، فحَسَبَهُ فاستكثَرَهُ، فعَمَدَ إلى أنْ يفضَحَ مُوسى بين بني إسرائيلَ ليَرفُضوهُ، فبرطَلَ بَغِيَّةً لترميَهُ بنَفسِها، فلَمَّا كان يومُ العيدِ قامَ مُوسى خطيبًا فقال: مَن سرقَ قطَعْناهُ، ومَن زنَى غيرَ مُحصَنٍ جَلَدْناهُ، ومَن زنَى مُحصَنًا رجمناهُ، فقال قارونُ: ولو كنتَ؟ قال: ولو كنتُ، قال: إنَّ بني إسرائيلَ يَزعمونَ أنَّكَ فَجَرْتَ بفُلانَة، فأُحضِرَت فناشدَها موسى باللهِ أن تَصْدُقَ، فقالَتْ: جعلَ لي قارونُ جُعْلًا على أنْ أَرمِيَكَ بنفسِي، فخرَّ موسَى شاكِيًا عنه إلى رَبِّه، فأوحى إليه أن مُرِ الأَرضَ بما شئتَ، فقال: يا أرضُ خُذِيهِ، فأخذَتْهُ إلى رُكْبَتِه، ثمَّ قال: خذيهِ، فأخذَتْهُ إلى وسطِهِ، ثمَّ قال: خُذِيهِ، فأخذَتْهُ إلى عنقِهِ، ثمَّ قال: خُذيهِ، فخَسفَتْ بهِ، وكان قارونُ يتضرَّعُ إليه في هذه الأحوالِ فلَمْ يرحَمْهُ، فأوحى الله

إليه: ما أفظَّكَ! اسْتَرحَمَكَ مِرارًا فلَمْ ترحَمْهُ، وعِزَّتي لو دَعاني مرَّةً لأجَبْتُه، ثم قالَ بنو إسرائيلَ: إنَّما فعلَهُ ليَرِثَهُ، فدَعا الله حتى خَسَفَ بدارِه وأموالِه[1].

﴿فَمَا كَانَ لَهُۥ مِن فِئَةٍ﴾ أعوانٍ، مُشتقَّةٌ مِن فأَوْتُ رأسَهُ: إذا ميَّلتَهُ ﴿يَنصُرُونَهُۥ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ فيدفعونَ عنهُ عذابَه ﴿وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُنتَصِرِينَ﴾: المُمتَنِعينَ مِنه[2]، مِن قَولِهِم: نصرَهُ مِن عَدوِّهِ فانتصرَ: إذا منعَه مِنه فامتنعَ.

(٨٢) - ﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ بِٱلْأَمْسِ يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ ۖ لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بِنَا ۖ وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿وَأَصْبَحَ ٱلَّذِينَ تَمَنَّوْا۟ مَكَانَهُۥ﴾: مَنزِلَته ﴿بِٱلْأَمْسِ﴾: منذ زمانٍ قَريبٍ ﴿يَقُولُونَ وَيْكَأَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ﴾: يبسطُ ويقدرُ بمُقتَضى مَشيئَتِه، لا لِكرامةٍ تَقتَضِي البَسْطَ ولا لهوانٍ يُوجِبُ القَبضَ، و﴿وَيْكَأَنَّ﴾ عند البصريِّينَ مُركَّبةٌ مِن (وي) للتَّعجُّبِ و(كأنَّ) للتَّشبيهِ، والمعنى: ما أشبهَ الأمرَ أنَّ اللهَ يبسطُ[3]!

وقيل: مِن (ويك) بمعنى: ويلكَ و(أنَّ) وتقديره: ويكَ اعلَمْ أنَّ اللهَ[4].

﴿لَوْلَآ أَن مَّنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا﴾ فلَمْ يُعطِنَا ما تَمنَّيْنَا ﴿لَخُسِفَ بنا﴾ لتَوْليدِهِ فينا ما وُلِدَ فيه فخَسَفَ به لأجلِه، وقرأ حفصٌ بفتحِ الخاءِ والسِّينِ[5].

---

(١) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠١٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٣٦) وصححه، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفًا. وزاد السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٣٦) عزوه لابن المنذر وابن مردويه.

(٢) في (ت): «من الممتنعين عنه».

(٣) انظر: «الكتاب» (٢/ ١٥٤)، و«المحتسب» (٢/ ١٥٥).

(٤) انظر: «غريب القرآن» لابن عزيز السجستاني (ص: ٤٨٤).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٥).

﴿وَيْكَأَنَّهُۥ لَا يُفْلِحُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ لنعمةِ اللهِ، أو: المكذِّبونَ برُسُلِه وبما وَعَدوا لهم من ثوابِ الآخرةِ.

(٨٣) ـ ﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا ۚ وَٱلْعَٰقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾.

﴿تِلْكَ ٱلدَّارُ ٱلْءَاخِرَةُ﴾ إشارةُ تعظيمٍ كأنَّه قال: تلكَ التي سمعتَ خبرَهَا وبلغكَ وَصفُها و﴿ٱلدَّارُ﴾ صفةٌ، والخبرُ: ﴿نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِى ٱلْأَرْضِ﴾: غلبةً وقهْرًا ﴿وَلَا فَسَادًا﴾: ظُلمًا على النَّاسِ كما أرادَ فِرعونُ وقارونُ.

﴿وَٱلْعَٰقِبَةُ﴾ المحمودةُ ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ ما لا يَرضاهُ اللهُ.

(٨٤) ـ ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيْرٌ مِّنْهَا﴾ ذاتًا وقَدْرًا ووَصْفًا ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى ٱلَّذِينَ عَمِلُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ وُضِعَ فيه الظَّاهرُ مَوضِعَ الضَّميرِ تهجينًا لحالِهم بتكريرِ إسنادِ السَّيِّئةِ إليهم.

﴿إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: إلَّا مثلَ ما كانوا يعملونَ، فحَذَفَ المثلَ وأقامَ مقامَه ﴿مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ مبالغةً في المُماثلَةِ.

(٨٥) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ﴾: أوجبَ عليكَ تِلاوتَهُ وتبليغَهُ والعملَ بما فيه ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ أيِّ مَعادٍ، وهو المقامُ المحمودُ الذي وعدَكَ أَنْ يبعثَكَ فيه، أو مكَّةُ التي اعتدْتَ بها، على أنَّه مِن العادةِ، ردَّهُ إليها يومَ الفتحِ، كأنَّه لمَّا حكمَ

بـأنَّ العاقبـةَ للمُتَّقينَ، وأكَّدَ ذلك بوعدِ المُحسـنينَ ووعيدِ المُسـيئينَ، وعـدَهُ بالعاقبةِ الحُسْـنَى في الدَّارَيْنِ.

رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ لَمَّا بلغَ جُحْفَةَ في مُهاجَرِه اشتاقَ إلى مولدِه ومولِد آبائِه فنزَلَتْ[1].

﴿قُل رَّبِّيٓ أَعۡلَمُ مَن جَآءَ بِٱلۡهُدَىٰ﴾ وما يَستَحِقُّه من الثَّوابِ والنَّصرِ، و﴿مَن﴾ مُنتَصِبٌ بفعلٍ يُفسِّرُه ﴿أَعۡلَمُ﴾، ﴿وَمَنۡ هُوَ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ﴾ وما استحقَّهُ مِن العذابِ والإذلالِ، يَعني به نفسَهُ والمشركينَ، وهو تقريرٌ للوَعدِ السَّابقِ، وكذا قولُه:

(٨٦ ـ ٨٧) ـ ﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَۖ فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ ٨٦ وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ بَعۡدَ إِذۡ أُنزِلَتۡ إِلَيۡكَۖ وَٱدۡعُ إِلَىٰ رَبِّكَۖ وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾.

﴿وَمَا كُنتَ تَرۡجُوٓاْ أَن يُلۡقَىٰٓ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبُ﴾؛ أي: سيردُّكَ إلى مَعادِكَ[2] كما أَلقَى إليكَ الكِتابَ وما كنتَ ترجوهُ.

﴿إِلَّا رَحۡمَةٗ مِّن رَّبِّكَ﴾: ولكنْ ألقاهُ رحمةً منه، ويجوزُ أَنْ يكونَ استثناءً[3] محمولًا على المَعنى كأنَّه قال: وما أُلقيَ إليك الكتابُ إلا رحمةً.

﴿فَلَا تَكُونَنَّ ظَهِيرٗا لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾ بمداراتِهم والتَّحمُّلِ عنهم والإجابةِ إلى طَلِبتِهم.

---

(١) انظر ما ورد فيه من أخبار في مطلع هذه السورة.

(٢) في (ض) و(ت): «معاد».

(٣) في (خ): «الاستثناء».

﴿وَلَا يَصُدُّنَّكَ عَنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: عن قراءَتِها والعملِ بها ﴿بَعْدَ إِذْ أُنزِلَتْ إِلَيْكَ﴾ وقُرِئَ: (يُصِدُّنَّكَ) مِن أصَدَّ[1].

﴿وَٱدْعُ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾: إلى عبادتِه وتوحيدِه ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ بمُساعدَتِهم.

(٨٨) ـ ﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ لَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَلَا تَدْعُ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ هذا وما قبلَهُ للتَّهييجِ وقطعِ أطماعِ المُشركينَ عن مُساعدَتِه لهم ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾: إلا ذاتَه، فإنَّ ما عَداهُ ممكنٌ هالِكٌ في حدِّ ذاتِه مَعدومٌ.

﴿لَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ القَضاءُ النافِذُ في الخلقِ ﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ للجزاءِ بالحَقِّ.

عن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ ﴿طسٓمٓ﴾ القصصَ كانَ له مِن الأجرِ بعَددِ مَن صدقَ مُوسى وكذَّبَ، ولم يبقَ ملكٌ في السَّماواتِ والأرضِ إلا شَهِدَ له يومَ القِيامَةِ أنَّهُ كانَ صادقًا».

قوله: «مَنْ قَرأَ ﴿طسٓمٓ﴾ القصص..» إلى آخره: مَوضوعٌ[2].

* * *

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٥) وفيه: حكاه أبو زيد عن رجل من كلب وقال: هي لغة قومه.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٣٧٣) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفتح السماوي» للمناوي (٢/ ٨٩٤)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

مكية، وهي تِسْعٌ[1] وسِتُّونَ آيةً.

بسم الله الرَّحمنِ الرَّحيم

(١ ـ ٢) ـ ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾.

﴿الٓمٓ﴾ سبقَ القولُ فيهِ، ووقوعُ الاستفهامِ بعدَهُ دليلُ استقلالِه بنَفسِهِ أو بما يُضمَرُ[2] معَه.

﴿أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ﴾ الحِسْبانُ ممَّا يتعلَّقُ بمَضامينِ الجُمَلِ للدَّلالةِ على جِهَةِ ثُبوتِها، ولذلك اقتضَى مَفْعولَيْنِ مُتلازِمَيْنِ أو ما يَسدُّ مَسدَّهُما كقولِه: ﴿أَن يُتۡرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمۡ لَا يُفۡتَنُونَ﴾ فإنَّ مَعناه: أَحَسِبُوا تَركَهُم غيرَ مَفتونينَ لقَوْلِهم: آمَنَّا، فالتَّركُ أوَّلُ مَفعولَيْهِ و(غيرَ مَفتونينَ) مِن تَمامِه، و(لقَوْلِهم) هو الثَّاني، كقولِك: حَسِبتُ ضربَهُ للتَّأديبِ.

أو: أنفسَهُم مَتروكينَ غيرَ مَفتونينَ لقولِهم: آمَنَّا[3]، بل يَمتَحِنُهُم اللهُ بمشاقِّ

---

(١) في (أ): «وهي سبع»، والمثبت من بقية النسخ وهو الصواب. انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٣)، و«تفسير الثعلبي» (٢١/ ٧).

(٢) في (ض) و(ت): «يضم».

(٣) قوله: «أو أنفسَهم...» عطف على «تَرْكَهم». وشرح هذا الوجه: أن المفعول الأول لـ(حسب) محذوف؛ وهو (أنفسَهم)، و﴿أَن يُتۡرَكُوٓاْ﴾ في موضع المفعول الثاني على أنه في تأويل مصدر، =

التَّكاليفِ كالمهاجَرَةِ والمُجاهدَةِ، ورفضِ الشَّهواتِ، ووَظائفِ الطَّاعاتِ، وأنواعِ المصائبِ في الأنفُسِ والأَموالِ ليَتميَّزَ المُخلِصُ مِن المُنافِقِ والثَّابتُ في الدِّينِ مِن المُضطَرِبِ فيه، ولينالوا بالصَّبرِ عليها عواليَ الدَّرجاتِ، فإنَّ مُجرَّدَ الإيمانِ ـ وإن كانَ عن خلوصٍ ـ لا يَقتَضي غيرَ الخَلاصِ مِن الخُلودِ في العَذابِ.

رُوِيَ أَنَّها نزلَت في ناسٍ مِن الصَّحابَةِ جَزِعُوا مِن أَذى المُشركينَ[1].

وقيل: في عمَّارٍ قَدْ عُذِّبَ في اللهِ[2].

وقيل: في مِهْجَعٍ مَولى عُمرَ بنِ الخطَّابِ، رمَاهُ عامرُ بن الحَضْرميِّ بسَهمٍ يومَ بدرٍ فقتَلَهُ، فجَزِعَ عليه أبوَاهُ وامرأَتُه[3].

قوله: «فإنَّ مَعناهُ: (أَحَسِبُوا تَرْكَهُم غيرَ مَفتونِينَ لقولِهم آمنًا)، فالتَّركُ أَوَّلُ مَفعولَيهِ و(غيرَ مَفتونينَ) مِن تمامِه، و(لِقَولِهم آمَنًا) هو الثَّاني»:

قال صاحبُ «التقريب»: فيمَا قالَهُ نَظَرٌ؛ لأنَّه يُؤَدِّي إلى أَنَّهُم تُرِكُوا غيرَ مَفتونين،

= والمصدر في تأويل اسم المفعول؛ أي: (متروكين)، و﴿وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ﴾ في موضع الحال، وأن يؤمنوا بتقديرِ: لأن يؤمنوا، متعلق بـ﴿يُتْرَكُوٓاْ﴾. انظر: «روح المعاني» (٢٠/ ٣٠٠ـ ٣٠٣).

(١) ذكره الواحدي في «الوجيز» (ص: ٨٢٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٥٨)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٣٢)، عن عبد الله بن عبيد بن عمير.

(٣) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١١) عن مقاتل، قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٢٧): (وسنده إلى مقاتل في أول كتابه). وهو بنحوه في «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٢).

وروى ابن سعد في «الطبقات» (٣/ ٣٩١)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٥٧٧١)، عن القاسم بن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود قال: (أول من استشهد يوم بدر مهجع مولى عمر). ورواه ابن سعد أيضا عن الزهري.

وإنَّما الكلامُ في العِلَّةِ، وليس كذلك لِمَا ذكرَ مِن مَعنى الآيةِ؛ أي: حَسِبَ الذين نَطَقوا بكَلِمَةِ الشَّهادةِ أنَّهم يُترَكُونَ غيرَ مُمتَحنينَ، بَل يُمتحنونَ ليَتميَّزَ الرَّاسِخُ في الدِّينِ مِن غيرِه، ولسببِ النُّزولِ، فالوَجهُ أن يُجعلَ ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ سادًّا مَسدَّ مَفعولَيْ (حَسِبَ) كما سَنذكرُ في ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾ بعدَ (حَسِب) ونظائرِه، و﴿أَن يَقُولُوٓاْ﴾ علَّةٌ للحِسبان؛ أي: أحسِبوا لقولِهم آمنَّا أن يُترَكُوا غيرَ مَفتونينَ[١].

وقال الطِّيبيُّ: تَلخيصُ النَّظرِ: أنَّ فعلَ الحسبانِ إذا عُلِّقَ بمَضمونِ الجُملتينِ كما ذكرَهُ يلزَمُ أن يكونَ الكَلامُ في العِلَّةِ؛ كأنَّه قيل: أَحَسِبُوا أنَّ تركَهُم غيرَ مَفتونينَ سببُ قولِهم هذا لا بسببٍ آخرَ، وليسَ الكلامُ إلَّا في أن جعلوا قولَهُم علَّةً لكونِهم لا يُفتَنُون[٢].

وقال أبو حيَّان: كانَ يَنبَغِي أن يُقدِّرَ في قولِه: ﴿أَن يُتْرَكُوٓاْ﴾ أنَّه سَدَّ مَسَدَّ المَفعولَيْنِ كمَا قدَّرَ ذلك في قولِه: ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾[٣].

(٣) ـ ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ مُتَّصِلٌ بـ﴿أَحَسِبَ﴾[٤]، أو بـ﴿لَا يُفْتَنُونَ﴾، والمعنى: أنَّ ذلك سُنَّةٌ قديمةٌ جاريَةٌ في الأُمَمِ كلِّها فلا يَنبَغِي أن يُتوقَّعَ خلافُه[٥].

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾: فلَيَتعلَّقَنَّ علمُه بالامتحانِ تعلُّقًا

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٣٠).

(٢) لم أجده في مطبوعة «فتوح الغيب».

(٣) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ١٠١).

(٤) في (ت): «بحسب».

(٥) في (خ): «خلافها».

حاليًّا يتميَّزُ به الذين صدَقوا في الإيمانِ والذين كذَبُوا فيه، وينوطُ به ثوابَهُم وعِقابَهُم، ولذلك قيل: المَعنى: ولَيُميِّزنَّ، أو: لَيُجازِيَنَّ.

وقُرِئَ: (وليُعْلِمَنَّ)[1] من الإعلامِ؛ أي: وليُعرِّفنَّهُم النَّاسَ، أو: ليَسِمَنَّهم بسِمَةٍ يُعرفونَ بها يومَ القيامَةِ كبَياضِ الوجوهِ وسَوادِها.

(٤) ـ ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَاۚ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾.

﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾: الكفرَ[2] والمعاصيَ، فإنَّ العملَ يعُمُّ أفعالَ القُلوبِ والجوارِحِ ﴿أَن يَسْبِقُونَا﴾: أن يَفُوتونَا فلا نقدِرُ أَنْ نُجازِيَهُم على مَساويهِم، وهو سادٌّ مسدَّ مَفْعولَيْ (حَسِبَ)، و﴿أَمْ﴾ مُنقَطِعَةٌ، والإضرابُ فيها لأنَّ هذا الحِسْبانَ أَبْطَلُ مِن الأوَّلِ ولهذا عقَّبَهُ بقَوْلِه:

﴿سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ﴾؛ أي: بئسَ الذي يَحكمونَهُ، أو: حُكْمًا يَحْكُمُونَهُ حكمُهُم هذا، فحُذِفَ المَخصوصُ بالذَّمِّ.

(٥) ـ ﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٍۚ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿مَن كَانَ يَرْجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ﴾ في الجنَّةِ.

وقيل: المرادُ بلقاءِ اللهِ: الوُصولُ إلى ثوابِه، أو إلى العاقبَةِ مِن الموتِ والبَعثِ والحِسابِ والجَزاءِ، على تمثيلِ حالهِ بحالِ عبدٍ قَدِمَ على سَيِّدِه بعدَ زمانٍ مَديدٍ وقد اطَّلَع السَّيِّدُ على أحوالِه، فإمَّا أن يلـقاهُ بِبِشْرٍ لِمَا رَضِيَ مِن أَفعالِه، أو بِسُخْطٍ لِمَا سَخِطَه[3] منها.

---

(١) قراءة علي بن أبي طالب والزهري، انظر: «المحتسب» (٢/ ١٥٩).

(٢) في (ت): «من الكفر».

(٣) في (خ): «سخط».

﴿فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ﴾: فإنَّ الوقتَ المضروبَ للقائِه ﴿لَأٓتٍ﴾ لجاءٍ، وإذا كانَ وقتُ اللقاءِ آتيًا كانَ اللقاءُ كائنًا لا محالةَ، فليُبادِرْ ما يحقِّقُ أملَهُ ويصدِّقُ رجاءَهُ، أو ما يستوجِبُ القُربةَ والرِّضا.

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالِ العبادِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بعقائدِهِم وأفعالِهِم.

(٦) - ﴿وَمَن جَٰهَدَ فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَمَن جَٰهَدَ﴾ نفسَهُ بالصَّبرِ على مَضَضِ الطَّاعةِ والكفِّ عن الشَّهواتِ ﴿فَإِنَّمَا يُجَٰهِدُ لِنَفْسِهِۦٓ﴾ لأنَّ منفعتَه لها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَغَنِىٌّ عَنِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ فلا حاجةَ بهِ إلى طاعتِهم، وإنَّما كلَّفَ عبادَهُ رحمةً عليهم ومُراعاةً لصَلاحِهم.

(٧) - ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ﴾: الكُفرَ بالإيمانِ والمعاصيَ، بما يَتْبعُها[1] مِن الطَّاعاتِ.

﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: أحسنَ جزاءِ أعمالِهم.

(٨) - ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا ۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآ ۚ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًا﴾ بإيتائه فعلًا ذا حُسْنٍ، أو كأنَّه في ذاتِه حُسْنٌ لفَرْطِ حُسْنِه، و(وَصَّى) يجري مَجْرى (أَمَرَ) معنًى وتصرُّفًا.

وقيل: هو بمعنى (قَالَ)؛ أي: وقُلْنا له أَحسِنْ بوالديكَ حُسْنًا.

---

(١) في (خ): «ينفعها».

وقيل: ﴿حُسْنًا﴾ مُنتَصِبٌ بفعلٍ مُضمَرٍ على تَقديرِ قولٍ مُفسِّرٍ للتَّوصِيَةِ؛ أي: قُلنا: أوْلِهِما ـ أو: افعَلْ بهِمَا ـ حُسْنًا، وهو أوفَقُ لِمَا بعدَه، وعليه يحسُنُ الوَقفُ على ﴿بِوَٰلِدَيۡهِ﴾.

وَقرِئَ: (حَسَناً)[١] و: (إِحْسَاناً)[٢].

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ بإلهيَّتِه، عَبَّرَ عن نَفيِهَا بنَفْيِ العِلْمِ بها؛ إشعارًا بأنَّ ما لا يُعلَمُ صِحَّتُه لا يجوزُ اتِّباعُه وإن لم يُعلَمْ بُطلانُه فضلًا عمَّا عُلِمَ بُطلانُه.

﴿فَلَا تُطِعۡهُمَآ﴾ في ذلك، فإنَّه لا طاعةَ لِمَخلوقٍ في مَعصِيَةِ الخالقِ، ولا بُدَّ مِن إضمارِ القَوْلِ[٣] إنْ لَمْ يُضمَرْ قَبْلُ.

﴿إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ﴾: مرجعُ مَن آمنَ مِنْكُم ومَن أشركَ، ومَن بَرَّ بوالديهِ ومَن عَقَّ ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾: بالجزاءِ عليه.

والآيةُ نزَلَتْ في سَعدِ بنِ أبي وَقَّاصٍ وأمِّه حَمْنَةَ، فإنَّها لَمَّا سَمِعَت بإسلامِه حلفَتْ أن لا تنتقلَ مِن الضِّحِّ[٤] ولا تَطْعَمَ ولا تَشْرَبَ حتَّى يَرتَدَّ، ولَبِثَتْ ثلاثةَ أيَّامٍ كذلك، وكذا التي في لُقمانَ والأحقافِ[٥].

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٥) عن عيسى والجحدري.

(٢) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ١٦١) دون نسبة. وذكرها الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٦) عن مصحف أُبَيٍّ رضي الله عنه.

(٣) أي: وقلنا إن جاهداك؛ لئلا يلزم عطف الإنشاء على الخبر. انظر: «حاشية القونوي» (١٥/ ١٨).

(٤) الضِّحُّ: ضوء الشمس إذا استمكن من الأرض. انظر: «النهاية» (مادة: ضحح).

(٥) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٦) دون عزو، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٠) وعزاه للمفسرين. ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٣٦٣) عن قتادة، وأصله =

(٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُدۡخِلَنَّهُمۡ فِي ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: في جُمْلَتِهم، والكمالُ في الصَّلاحِ مُنتهى درجاتِ المُؤمنينَ، ومُتمنَّى أَنبياءِ اللهِ المُرسَلِينَ، أو: في مُدخَلِهِم وهي الجنَّةُ.

قوله: «والكمالُ في الصَّلاحِ مُنتَهى دَرجاتِ المُؤمنين»:

قال الطِّيبيُّ: وذلك أنَّ الصَّلاحَ ضِدُّ الفَسادِ، والفَسادُ: خُروجُ الشَّيءِ عن كونِه مُنتَفَعًا به، ولا كمالَ للإنسانِ أكمَلُ مِن حُصولِه على ما خلقَ له مِن البَقاءِ، ولا يحصلُ ذلك في الدُّنيا لأنَّ غايَتَها الفناءُ؛ فإذَنْ ليسَ ذلك إلا في مَقعدِ صدقٍ عندَ مَليكٍ مُقتدِرٍ[1].

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡۚ أَوَلَيۡسَ ٱللَّهُ بِأَعۡلَمَ بِمَا فِي صُدُورِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَيَعۡلَمَنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ﴾.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِيَ فِي ٱللَّهِ﴾ بأَنْ عذَّبهم الكفرةُ على الإيمانِ ﴿جَعَلَ فِتۡنَةَ ٱلنَّاسِ﴾: ما يُصيبُهُ مِن أَذيَّتِهم في الصَّرفِ عن الإيمانِ ﴿كَعَذَابِ ٱللَّهِ﴾ في الصَّرفِ عن الكُفرِ.

﴿وَلَئِن جَآءَ نَصۡرٞ مِّن رَّبِّكَ﴾: فتحٌ وغَنيمَةٌ ﴿لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمۡ﴾ في الدِّينِ فأَشرِكُونا فيه.

= عند مسلم (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة، عقب الحديث (٢٤١٢)، والترمذي (٣١٨٩)، من حديث سعد رضي الله عنه. والتي في لقمان الآيتان (١٤ ـ ١٥)، والتي في الأحقاف الآية (١٥).

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٤٤).

والمرادُ: المنافقونَ، أو قومٌ ضَعُفَ[١] إيمانُهم فارتَدُّوا مِن أذى المُشركينَ، ويُؤيِّدُ الأوَّلَ: ﴿أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ مِن الإخلاصِ والنِّفاقِ.

﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ بقُلوبِهِم ﴿وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيُجازي الفَرِيقَيْنِ.

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴿١٢﴾ وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ ۖ وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّبِعُوا۟ سَبِيلَنَا﴾ الذي نَسْلُكه في دينِنا ﴿وَلْنَحْمِلْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾ إن كانَ ذاكَ خَطيئةً أو إِنْ كانَ بعثٌ ومؤاخذةٌ، وإنَّما أَمَروا أنفُسَهُم بالحملِ عاطفينَ على أمرِهِم بالاتِّباعِ مُبالغَةً في تَعليقِ الحملِ بالاتِّباعِ والوَعدِ[٢] بتَخفيفِ الأَوْزارِ عَنْهُم إن كانَت؛ تَشجيعًا[٣] لهم عليه، وبهذا الاعتبارِ ردَّ عليهم وكذَّبَهُم بقولِه:

﴿وَمَا هُم بِحَٰمِلِينَ مِنْ خَطَٰيَٰهُم مِّن شَىْءٍ ۖ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ﴾ ﴿مِنْ﴾ الأولى للتَّبيينِ والثَّانيةُ مَزيدةٌ، والتَّقديرُ: وما هُمْ بحاملينَ شيئًا مِن خَطاياهُم.

﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ﴾: أثقالَ ما اقترفَتْهُ أنفُسُهم ﴿وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾: وأثقالًا أُخَرَ مَعَها؛ لِمَا تَسبَّبُوا له بالإضلالِ والحَمْلِ على المعاصي مِن غيرِ أن ينقصَ مِن أثقالِ مَن تَبِعَهُم شَيءٌ ﴿وَلَيُسْـَٔلُنَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ سؤالَ تَقريعٍ وتَبكيتٍ ﴿عَمَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ مِن الأَباطيلِ التي أضلُّوا بها.

---

(١) في (ت): «ضعيف».

(٢) قوله: «والوعدِ» بالجر عطفاً على «تعليقِ».

(٣) قوله: «تشجيعاً» مفعول له تعليل لقوله: «مبالغة...»، لا لقوله: «أمروا أنفسهم» أو للوعد. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٩٤).

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ وَهُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿١٤﴾ فَأَنجَيْنَٰهُ وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوْمِهِۦ فَلَبِثَ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا﴾ بعدَ المبعَثِ، إذ رُوِيَ أنَّه بُعِثَ على رأسِ أربعينَ، ودَعَا قومَهُ تِسعَ مئةٍ وخمسينَ[1]، وعاشَ بعدَ الطُّوفانِ ستِّينَ[2].

ولعلَّ اختيارَ هذه العبارةِ للدَّلالةِ على كمالِ العَددِ، فإنَّ (تِسعَ مئةٍ وخمسينَ) قد يُطلَقُ على ما يَقْرُبُ منه، ولِمَا في ذكرِ الألْفِ مِن تَخييلِ طولِ المدَّةِ إلى السَّامعِ، فإنَّ المَقصودَ مِن القصَّةِ تَسليةُ رَسولِ اللهِ ﷺ وتثبيتُه على ما يُكابِدُ من الكفَرةِ، واختلافُ المُميِّزَينِ لِمَا في التَّكريرِ مِن البَشاعةِ.

﴿فَأَخَذَهُمُ ٱلطُّوفَانُ﴾: طوفانُ الماءِ، وهو لِمَا طافَ[3] بكثرةٍ مِن سيلٍ أو ظلامٍ أو نحوِهما ﴿وَهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾ بالكفرِ.

﴿فَأَنجَيْنَٰهُ﴾؛ أي: نُوحًا ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلسَّفِينَةِ﴾: ومَن رَكِبَ معَهُ مِن أولادِهِ وأتباعِهِ وكانوا ثمانينَ، وقيل: ثمانيةً وسبعينَ، وقيل: عشرةً نصفُهُم ذكورٌ ونِصفُهُم إناثٌ.

﴿وَجَعَلْنَٰهَآ﴾؛ أي: السَّفينةَ، أو الحادثةَ ﴿ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ يتَّعِظونَ ويَستَدِلُّونَ بها.

---

(١) في (ض) زيادة: «عاماً».

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٣٩١٨)، والدينوري في «المجالسة» (٣٣٨٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٤١)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٠٥)، عن ابن عباس رضي الله عنهما موقوفاً.

(٣) في (خ): «وهو ما طاف وأحاط».

قوله: «ولعلَّ اختيارَ هذه العبارةِ للدلالَةِ على كمالِ العَددِ، فإنَّ تسع مئةٍ وخمسينَ قَدْ يُطلَقُ على ما يَقرُبُ منه»:

قال ابنُ المُنيِّرِ: لأنَّ الاستثناءَ استِدراكٌ، ونقصُ بعضِ الجملَةِ تحريرٌ للعددِ، ولا تحتمِلُ المبالغَةَ(١).

قوله: «واختلافِ المُميِّزينَ»؛ أي: حيثُ قال في الأوَّلِ: ﴿سَنَةٍ﴾ وفي الثَّاني: ﴿عَامًا﴾.

قوله: «لما في التَّكريرِ مِن البَشاعَةِ»: وجَّهَهُ غيرُه بأنَّ السَّنَةَ غلبَ إطلاقُها على زمنِ الشِّدَّةِ، والعامَ غلبَ إطلاقُهُ على زَمنِ الرَّخاءِ(٢)، فأشارَ إلى أن مدَّةَ لُبثِهِ فيهِم كانَ في شدَّةٍ عليه.

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿وَإِبْرَٰهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱتَّقُوهُ ۖ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٦﴾ إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَـٰنًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا فَٱبْتَغُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزْقَ وَٱعْبُدُوهُ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥٓ ۖ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَإِبْرَٰهِيمَ﴾ عطفٌ على ﴿نُوحًا﴾ أو نصبٌ بإضمارِ (اذكر)، وقُرِئَ بالرَّفعِ على تقديرِ: ومِن المرسلينَ إبراهيمُ(٣).

---

(١) انظر: «الانتصاف» (٣/ ٤٤٥)، ولفظه: «لأن الاستثناء استدراك ورجوع على الجملة بالتنقيص تحريراً للعدد، فلا يحتمل المبالغة لأنها لا يجوز معها العدد».

(٢) انظر: «المفردات في غريب القرآن» للراغب الأصفهاني (ص: ٥٩٨) (مادة: عوم).

(٣) نسبت لأبي جعفر في غير المشهور عنه وإبراهيم النخعي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٦)، و«البحر» (١٧/ ١١٣).

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ﴾ ظرفٌ لـ﴿أَرْسَلْنَا﴾؛ أي: أرسَلْناه حينَ كملَ عَقلُه وتمَّ نَظرُه بحيثُ عرفَ الحقَّ وأمَرَ النَّاسَ بهِ، أو بدلٌ منهُ بدلَ الاشتمالِ إن قُدِّرَ بـ(اذكر).

﴿وَاتَّقُوهُ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ ممَّا أنتُم عليه ﴿إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ الخيرَ والشَّرَّ، وتُميِّزونَ ما هوَ خيرٌ ممَّا هو شَرٌّ، أو: كُنتُم تَنظرونَ في الأُمورِ بنظرِ العلمِ دونَ نظرِ الجَهلِ.

﴿إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا﴾ وتَكذِبونَ كذبًا في تَسمِيَتِها آلهةً وادعاءِ شَفاعَتِها عندَ اللهِ، أو: تعملُونَها وتَنحِتُونَها للإفكِ، وهو استدلالٌ على شرارةِ ما هُمْ عليهِ مِن حيثُ إنَّه زورٌ وباطِلٌ.

وقُرِئَ: (وتُخلِّقونَ)[1] مِن خلَّقَ للتَّكثيرِ، و: (تَخلَّقونَ) مِن تخلَّقَ للتَّكلُّفِ[2]، و: (أَفِكًا)[3] على أنَّه مَصدرٌ كالكَذِبِ، أو نعتٌ بمعنى: خَلْقًا ذا إفكٍ.

﴿إِنَّ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا﴾ دليلٌ ثانٍ على شرارةِ ذلك مِن حَيثُ إنَّه لا يُجدِي بطَائلٍ، و﴿رِزْقًا﴾ يَحتمِلُ المصدرَ بمعنى: لا يستطيعونَ أَنْ يرزُقوكُم، وأن يرادَ المرزوقُ وتَنكيرُه للتَّعميمِ ﴿فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ﴾ كلَّه فإنَّه المالِكُ له ﴿وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ﴾ مُتوسِّلينَ إلى مَطالِبِكُم بعِبادَتِه، مقيِّدينَ لِمَا

---

(١) نسبها أبو حيان في «البحر» (١٧/ ١١٣) لزيد بن علي نقلًا عن أبي علي الأهوازي.

(٢) نسبت لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه والسلمي وعون العقيلي وزيد بن علي. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٥)، و«معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٢١٢)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٦)، و«المحتسب» (٢/ ١٦٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣١١)، و«البحر» (١٧/ ١١٣).
وقوله: «للتكلف» المراد به لازمه وهو المبالغة. انظر: «حاشية القونوي» (١٥/ ٢٩).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٦)، و«المحتسب» (٢/ ١٦٠)، عن ابن الزبير وفضيل بن مرزوق.

حَفَّكُم من النِّعَم بشُكْرِه، أو مُستَعِدِّينَ لِلِقائِه بهما فإنَّه ﴿إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾. وقُرِئَ بفَتْحِ التَّاءِ(١).

قوله: «أو كنتم تنظرونَ في الأمورِ نَظَرَ العلمِ دونَ نَظرِ الجَهلِ»:

قال الطِّيبِيُّ: وعلى هذا ﴿تَعۡلَمُونَ﴾ مُجرًى مُجرَى اللازمِ نحو: فلانٌ يُعطِي ويمنَعُ، وعلى الأوَّلِ المُتعلِّقُ محذوفٌ بقَرائنِ الأَحوالِ(٢).

قوله: «وقرئ: تُخَلِّقُون»؛ أي: على وَزنِ تُكَذِّبُونَ، «و: أَفِكًا»؛ أي: بفتحِ الهمزَةِ وكسرِ الفاءِ.

قوله: «وتَنكيرُهُ للتَّعميمِ ﴿فَٱبۡتَغُواْ عِندَ ٱللَّهِ ٱلرِّزۡقَ﴾ كلَّه»:

قال الطِّيبِيُّ: يعني: إنَّما نُكِّرَ أوَّلًا للتَّقليلِ مُبالغَةً في النَّفيِ، وعُرِّفَ للاستغراقِ ليشمَلَ كلَّ ما يُسمَّى رِزقًا، وهذا مِن المَواضعِ التي وَرَدَت فيه المعرفَةُ بعدَ النَّكرَةِ ولم يُرَدْ بالثَّاني الأوَّلُ(٣).

(١٨) - ﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡۖ وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ﴾.

﴿وَإِن تُكَذِّبُواْ﴾: وإن تكذِّبوني ﴿فَقَدۡ كَذَّبَ أُمَمٞ مِّن قَبۡلِكُمۡ﴾ مَن قَبلي مِن الرُّسلِ فلَمْ يَضرَّهم تَكذيبُهُم، وإنَّما ضَرَّ أَنفُسَهُم حيثُ تسبَّبَ لِمَا حلَّ بهم من العَذابِ، وكذا(٤) تكذيبُكُم.

---

(١) هي قراءة يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٢٠٨).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٥٢).

(٣) المصدر السابق (١٢/ ١٥٣).

(٤) في (ت): «فكذا».

﴿وَمَا عَلَى ٱلرَّسُولِ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾ الذي زالَ معَهُ الشَّكُّ، وما عليهِ أن يُصَدِّقَ ولا يُكَذِّبَ[1]، فالآيةُ وما بعدَها مِن جُملَةِ قِصَّةِ إبراهيمَ إلى قولِه: ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾.

ويحتمِلُ أَنْ تكونَ اعتراضًا بذكرِ شأنِ النَّبيِّ ﷺ وقريشٍ، وهَدْمِ مَذهَبِهِم، والوعيدِ على سوءِ صَنيعِهِم، توسَّطَ بينَ طرفَيْ قِصَّتِه من حيثُ إنَّ مَساقَها لتسليةِ رسولِ اللهِ ﷺ والتَّنفيسِ عنه بأنَّ أباهُ خليلَ اللهِ كانَ مَمْنُوًّا بنحوِ ما مُنِيَ به من شِرْكِ القَوْمِ وتكذيبِهِم، وتَشبيهِ حالِه فيهِمْ بحالِ إبراهيمَ في قَوْمِه.

قوله: «مِن حَيثُ إنَّ مَساقَها تَسليَةٌ للرَّسولِ ﷺ وتَنفيسٌ عنه»:

قال الطِّيبِيُّ: هذه قاعدَةٌ شَريفَةٌ عليها يَنبَنِي أكثَرُ النَّظمِ، وجلُّ القَصصِ وارِدٌ على هذا المَنهَجِ[2].

(١٩) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ كَيْفَ يُبْدِئُ ٱللَّهُ ٱلْخَلْقَ﴾ مِن مادَّةٍ ومِن غيرِها. وقرأَ حمزَةُ والكِسائيّ وأبو بكرٍ بالتَّاءِ على تقديرِ القولِ[3]، وقُرِئَ (يَبْدَأُ)[4].

---

(١) في (خ) ونسخة في هامش (أ): «أو يكذّب» وفي هامش (خ) كالمثبت نسخة.

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٥٤).

(٣) انظر: «التيسير» (ص: ١٧٣). وذكر في «السبعة» (ص: ٤٩٨) خلافاً عن أبي بكر فيها.

وقوله: «على تقدير القول»؛ أي: قال لهم رسلهم: ﴿أولم تروا﴾؛ لأن الضمير في ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟﴾ على قراءة الغيبة هو لـ﴿أُمَمٌ﴾ في قوله: ﴿أُمَمٌ مِّن قَبْلِكُمْ﴾ فكذا هو في الخطاب ليتحد معنى القراءتين.

انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٩٦) مع بعض تصرف واختصار.

(٤) قرأ بها الزهري كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٦)، و«المحتسب» (٢/ ١٦١).

﴿ثُمَّ يُعِيدُهُۥٓ﴾ إخبارٌ بالإعادةِ بعدَ الموْتِ، معطوفٌ على ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ لا على (يُبْدِئ)؛ فإنَّ الرُّؤيَةَ غيرُ واقِعَةٍ عليه، ويجوزُ أن تُؤوَّلَ الإعادةُ بأن يُنْشِئَ في كُلِّ سنَةٍ مثلَ ما كان في السنَةِ السَّابقَةِ مِن النَّباتِ والثِّمارِ ونحوِهِما وتُعطفَ على ﴿يُبۡدِئُ﴾.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ الإشارةُ إلى الإعادةِ، أو إلى ما ذُكِرَ من الأمرينِ ﴿عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٞ﴾ إذ لا يَفتَقِرُ في فعلِه إلى شَيءٍ[1].

قوله: «معطوفٌ على ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ لا على ﴿يُبۡدِئُ﴾ فإن الرُّؤيَةَ غيرُ واقعَةٍ عليه»:

قال صاحبُ «المطلع»: وإن جُعِلَت الرُّؤيَةُ بمَعنى العلمِ لتمكُّنِهم مِن تَحصيلِه بالبَحثِ مِن دلائِلِه والاستدلالِ بها، فلا حاجَةَ إلى هذا التَّكلُّفِ في التقصِّي عن عُهدَةِ العَطفِ[2].

وقال صاحبُ «الانتصاف»: لقائلٍ أنْ يقولَ: وإنْ لَمْ تَقَع الرُّؤيَةُ عليه إلَّا أنَّها إخبارُ اللهِ، وهي كالمأتيِّ به فعومِلَت مُعامَلَةَ المأتيِّ به[3].

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ۝٢٠ يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُۖ وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾.

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ حكايةُ كلامِ اللهِ لإبراهيمَ أو مُحمَّدٍ عليهِما السَّلامُ

---

(١) موقعُ ﴿ذَٰلِكَ﴾ في هذه الآية لفظًا وحُكمًا موقعُ ﴿هو﴾ الثانية في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِ﴾ في أنَّ معناه: أنَّ الإعادةَ على الله أيْسَرُ من الإبداء فيما يجب عندكم ويَنقاسُ على أصولكم وتَقْتَضيه عقولُكم. انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٥٦).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٥٥).

(٣) انظر: «الانتصاف» (٣/ ٤٤٨)، و«فتوح الغيب» (١٢/ ١٥٥) وعنه نقل المصنف. وعبارة «الانتصاف»: «ولقائل أن يقول: هي وإن لم تقع إلا أنها بإخبار الله تعالى بوقوعها كالواقعة المرئية، فعوملت معاملة ما رئي وشوهد إلا أنَّ جَعْله خبراً ثانيا أوضح».

﴿فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَ﴾ على اختلافِ الأجناسِ والأَحْوالِ ﴿ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ بعدَ النَّشأَةِ الأولى التي هي الإبداءُ، فإنَّه والإعادةُ نَشْأتانِ مِن حيثُ إنَّ كُلًّا اختراعٌ وإخراجٌ مِن العدمِ.

والإفصاحُ باسمِ اللهِ مع إيقاعِهِ مُبتدأً بعدَ إضمارِهِ في ﴿بَدَأَ﴾ ـ والقياسُ الاقتِصارُ عليه[1] ـ للدَّلالةِ على أنَّ المقصودَ بيانُ الإعادةِ، وأنَّ مَن عُرِفَ بالقُدرَةِ على الإبداءِ ينبغي أن يُحكمَ له بالقُدرَةِ على الإعادةِ لأنَّها أهوَنُ، والكلامُ في العطفِ ما مرَّ.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو: ﴿النَّشَاءَةَ﴾[2] كالرآفَةِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ﴾ لأنَّ قُدرتَهُ لذاتِه، ونسبةُ ذاتِه إلى كلِّ المُمكِناتِ على سواءٍ، فيَقْدِرُ على النَّشأةِ الأخرى كما قَدَرَ على النَّشأةِ الأولى.

﴿يُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ﴾ تعذيبَه ﴿وَيَرۡحَمُ مَن يَشَآءُ﴾ رحمتَه ﴿وَإِلَيۡهِ تُقۡلَبُونَ﴾: تُرَدُّونَ.

(٢٢) ـ ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ﴾.

﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ رَبَّكُم عن إدراكِكُم ﴿فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ﴾ إنْ فَرَرْتُم

---

(١) في (ض) و(ت): «والقياس عليه»، وفي (أ) و(خ): «والقياس الاقتصار عليه»، والمثبت من نسخة في هامش (ض) و(خ).
قال الأنصاري في «الحاشية» (٤/ ٣٨٤): «والقياس الاقتصار عليه»؛ أي: على اسم الله في ﴿بَدَأَ﴾؛ بأن يقال: بدأ الله.
وقال الشهاب في «الحاشية» (٧/ ٩٧): أي: والقياس أن يظهر ثم يضمر كما في الجملة الأولى، وهو معنى قوله: «الاقتصار عليه» وفي نسخة: «عكسه».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

مِن قَضائِه بالتَّوارِي في الأرضِ أو الهُبوطِ بالتَّهاوي[١] في مَهاوِيها، والتَّحصُّنِ في السَّماءِ أو القلاعِ الذَّاهبَةِ فيها.

وقيل: ولا مَن في السَّماءِ كقولِ حسَّان:

أَمَــنْ يَهْجُــو رَسُــولَ اللهِ مِنْكُم وَيَـمْـدَحُـــهُ وَيَنْصُـرُهُ سَــوَاءُ

﴿وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾ يحرسُكُم عن بلاءٍ يَظهَرُ مِن الأرضِ أو ينزلُ مِن السَّماءِ ويدفعُه عَنْكُم.

قوله: «وقيل: ولا مَن في السَّماءِ»:

قال الطِّيبيُّ: أي: عَلَى حَذفِ المَوصولِ، فالمَوصولُ المَحذوفُ عَطفٌ على (أنتم) والمَعنى: ما أنتُمْ بمُعجزينَ في الأرضِ ولا أهلُ السَّماءِ مُعجِزينَ في السَّماءِ[٢].

قوله: «كقَوْلِ حَسَّان:

أَمَــنْ يَهْجُــو رَسُــولَ اللهِ مِنْكُمْ وَيَـمْـدَحُـــهُ وَيَـــنْصُرُهُ سَــوَاءُ»

قال الطِّيبيُّ: في «المطلع»؛ أي: ومَنْ يَمْدَحُه، وهذا كما يقالُ: أَكْرِمْ مَن أَتَاكَ وأَتَى أباكَ، أي: وأَكْرِمْ مَن أتى أَباك.

وقيـل: لَـوْ لَمْ يُقـدَّرْ (مَن) لـكانَ «يمدَحُـه» عَطْفًا عَلَـى «يَهجُـو»، وكانَ داخِلًا فـي حيِّزِ الصِّلَةِ، فـكانَ الهاجي والمادحُ شَـخْصًا واحِدًا وفسـدَ المَعْنَـى، ولا يَصِحُّ قولُه: «سَـوَاءُ».

وقيل: إنَّ أبا سُفيانَ بنَ الحارثِ هَجا رَسولَ اللهِ ﷺ فعارضَه حسَّانُ بنُ ثابتٍ بقصيدَةٍ هذا البيتُ منها، ولَمَّا انتَهى إلى قولِه:

---

(١) «بالتهاوي» من (خ).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٥٨).

هَجَــوْتَ مُحَمَّــدًا فأَجَبْــتُ عَنْهُ وَعِنْــدَ اللهِ فــي ذَاكَ الجَــزَاءُ

قالَ لهُ النَّبِيُّ ﷺ: «جَزاكَ اللهُ الجَنَّةَ»، فلمَّا بلَغَ مِنْها إلى قولِه:

فَــإِنَّ أَبي وَوَالِــدَهُ وعِــرْضِي لِعْــرِضِ مُحَمَّــدٍ مِنكُــمْ وِقَــاءُ

قالَ لَهُ النَّبيُّ ﷺ: «وَقاكَ اللهُ حَرَّ النَّارِ»، ثمَّ لَمَّا بَلَغَ إلى قولِه:

أَتَهْجُــوهُ وَلَسْــتَ لَــهُ بِكُــفْءٍ فَشَرُّكُــمَا لِخَيْـرِكُـمَـا الفِـدَاءُ

قالَ مَن حضَرَ: هذا أنصَفُ بيتٍ قالَتْهُ العَرَبُ، انتهى(١).

وروى مسلمٌ في «صحيحه» عن عائشَةَ رضيَ اللهُ عنها: أنَّ رسولَ اللهِ ﷺ قال: «اهْجُوا قُرَيشًا فإنَّه أَشَدُّ عليهَا مِن رَشْقِ النَّبلِ»، وأرسلَ إلى ابنِ رَواحةَ فقال: «اهجُهُم»، فهَجَاهُم فلَمْ يُرْضِ، فأرسَلَ إلى كعبِ بنِ مالكٍ، ثمَّ أرسلَ إلى حسَّانَ بن ثابتٍ، فلمَّا دخلَ عليهِ قالَ حسَّان: قد آنَ لَكُم أن تُرسِلُوا إلى هذا الأسدِ الضَّاربِ بذَنَبِه، ثم أدلعَ لسانَه فجَعلَ يُحرِّكُه فقال: والذي بعثَكَ بالحقِّ لأَفرِيَنَّهُم بلِساني فَرْيَ الأَديمِ، فقالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «لا تَعْجَل، فإنَّ أبا بَكرٍ أعلَمُ قُرَيشٍ بأَنسَابِها، وإنَّ لي فيهِمْ نَسَبًا حتى يُلَخِّصَ(٢) لكَ نَسَبِي» فأتاهُ حسَّانُ ثمَّ رجعَ فقال: يا رَسُولَ اللهِ! قَد لَخَّصَ لي نَسبَكَ، والذي بَعثَكَ بالحَقِّ لأَسُلَّنَّكَ مِنهُم كما تُسَلُّ الشَّعرَةُ مِن العَجينِ.

قالت عائشَةُ: فَسَمِعتُ رَسولَ اللهِ ﷺ يقولُ لحسَّان: «إنَّ رُوحَ القُدُسِ لا يزالُ

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٥٨ ـ ١٥٩).

(٢) في (س): «يخلص».

يُؤيِّدُكَ ما نافَحْتَ عن اللهِ ورَسُولِه»، وقالت: سَمِعْتُ رسولَ اللهِ ﷺ يقول: «هجَاهُم حَسَّانُ فشَفَى واشْتَفَى»، قال حَسَّان:

هَجَوْتَ مُحَمَّدًا فَأَجَبْتُ عَنْهُ ... وَعِنْدَ اللهِ فِي ذَاكَ الجَزَاءُ
هَجَوْتَ مُحَمَّدًا بَرًّا حَنِيفًا ... رَسُولَ اللهِ شِيمَتُهُ الوَفَاءُ
فَإِنَّ أَبِي وَوَالِدَهُ وَعِرْضِي ... لِعِرْضِ مُحَمَّدٍ مِنْكُمْ وِقَاءُ

الأبيات[1].

(٢٣) - ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَلِقَآئِهِۦٓ أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: بدَلائلِ وحدَانيَّته أو بكتبِه ﴿وَلِقَآئِهِۦٓ﴾ بالبعثِ ﴿أُوْلَٰٓئِكَ يَئِسُواْ مِن رَّحْمَتِي﴾؛ أي: ييأسونَ مِنْها يومَ القيامَةِ، فعبَّرَ عنه بالماضي للتَّحقيقِ والمبالغَةِ، أو: أَيِسُوا في الدُّنيا لإنكارِ البعثِ والجزاءِ.

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ بكُفرِهم.

(٢٤) - ﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ﴾ قومِ إبراهيمَ له، وقُرِئَ بالرَّفعِ[2] على أنَّه الاسمُ،

---

(١) رواه مسلم (٢٤٩٠).

(٢) نسبت لسالم الأفطس والحسن. انظر: «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٣١)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣١٢)، و«البحر» (١٧/ ١٢٠).

والخبرُ: ﴿إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾ وكانَ ذلك[١] قولُ بَعضِهِم، لكنْ لمَّا قيل فيهم ورَضِيَ به الباقونَ أُسندَ إلى كُلِّهِم.

﴿فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِ﴾؛ أي: فقذفوهُ في النار فأنجاهُ الله منها بأَنْ جعلَها عليه بَردًا وسلامًا.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾: في إنجائِه مِنْها ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ هي حفظُه مِن أَذى النَّارِ وإخمادُهَا مع عِظَمِهَا في زمانٍ يَسيرٍ، وإنشاءُ رَوْضٍ مَكانَها.

﴿لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ لأَنَّهُم المنتفِعونَ بالفَحصِ عَنْهَا والتأمُّلِ فيها.

(٢٥) ـ ﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿وَقَالَ إِنَّمَا ٱتَّخَذْتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ أَوْثَٰنًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ﴾؛ أي: لتَتوادُّوا بينكُم وتَتواصَلُوا لاجتِماعِكُم على عبادَتِها، وثاني مَفعولَيْ ﴿ٱتَّخَذْتُم﴾ محذوفٌ، ويجوزُ أن تكونَ ﴿مَّوَدَّةَ﴾ المفعولَ الثَّانيَ بتَقديرِ مُضافٍ، أو بتَأويلِهَا بالمودودةِ؛ أي: اتَّخَذْتُم أوثانًا سببَ المودَّةِ بينكُم.

وقرأَها نافِعٌ وابنُ عامرٍ وأبو بَكرٍ مُنوَّنَةً ناصبةً ﴿بَيْنَكُم﴾ والوجهُ ما سبَق، وابنُ كثيرٍ وأبو عَمرٍو والكِسائيُّ ورُوَيسٌ مرفوعةً مضافَةً[٢] على أَنَّها خبرُ مُبتدَأٍ مَحذوفٍ؛ أي: هي مَودودَةٌ، أو سببُ مودَّةِ بينِكُم، والجملَةُ صِفَةُ ﴿أَوْثَٰنًا﴾، أو خبر (إن) على

---

(١) في (ت): «وذلك كان».

(٢) أي: ﴿مودَّةُ﴾ بالرَّفع من غير تنوين ﴿بينِكم﴾ بالخفض، وقرأ حفص وحمزة: ﴿مودةَ﴾ بالنَّصب من غير تنوين ﴿بينِكم﴾ بالخفض. انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٨ ـ ٤٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

أنَّ (ما) مَصدريَّةٌ أو موصولةٌ والعائدُ مَحذوفٌ وهو المفعولُ الأوَّلُ.

وقُرِئَت مرفوعةً مُنوَّنَةً ومُضافةً بفَتحِ (بينكم)(١)، كمَا قُرِئَ: ﴿لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٩٤](٢).

وقُرِئَ: (إنَّما مَودَّةُ بينِكُم)(٣).

﴿ثُمَّ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا﴾؛ أي: يقومُ التَّناكُرُ والتَّلاعنُ بينكُم، أو بينكُم وبين الأوثانِ على تغليبِ المخاطَبينَ كقوله: ﴿وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا﴾ [مريم: ٨٢].

﴿وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّـٰصِرِينَ﴾ يُخلِّصونكُم منها.

(٢٦) ـ ﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ وَقَالَ إِنِّى مُهَاجِرٌ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿فَـَٔامَنَ لَهُۥ لُوطٌ﴾ هو ابنُ أختِه، وأوَّلُ مَن آمنَ به، وقيل: إنه آمن به حينَ رأى النَّارَ لم تحرِقْهُ(٤).

---

(١) بالرفع والتنوين ذكرها ابن مجاهد من رواية الأعشى عن أبي بكر عن عاصم أنه قرأ: (مَوَدَّةٌ) رفعاً منوناً (بَيْنَكُم) نصباً. وانظر: «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٣١)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣١٢)، و«البحر» (١٧/ ١٢٠). وزاد ابن عطية وأبو حيان نسبتها للحسن وأبي حيوة وابن أبي عبلة وأبي عمرو في رواية الأصمعي.

والرفع مع الإضافة رويت عن عاصم أيضاً كما في «الكشاف» (٦/ ٥٠٦)، و«البحر» (١٧/ ١٢٠).

(٢) بنصب النون قراءة نافع وحفص والكسائي والباقون برفعها. انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٦)، و«الكشاف» (٦/ ٥٠٦)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٣٧٩).

﴿وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ﴾ مِن قَوْمِي ﴿إِلَىٰ رَبِّيٓ﴾: إلى حيثُ أمرَنِي رَبِّي.

﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي يَمنعُني مِن أعدائِي ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يأمُرُني إلا بما فيه صَلاحي.

رُوِيَ أنَّه هاجرَ مِن كُوثَى سوادِ الكُوفَةِ مع لوطٍ وامرأتِه سارةَ ابنةِ عمِّهِ إلى حَرَّانَ، ثمَّ منها إلى الشَّامِ، فنزلَ فِلَسْطينَ ونزلَ لوطٌ سَدُومَ(١).

(٢٧) ـ ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا ۖ وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾: ولـدًا ونافلَـةً حيـن أَيِـسَ مِن الولادةِ مِـن عَجوزٍ عاقِـرٍ، ولذلكَ لـم يَذْكُـر إسـماعيلَ ﴿وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِ ٱلنُّبُوَّةَ﴾ فكَثُـرَ مِنْهُـم الأنبياءُ ﴿وَٱلْكِتَٰبَ﴾ يريدُ به الجنسَ ليتناولَ الكُتبَ الأربعةَ.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ أَجْرَهُۥ﴾ على هِجرَتِه إلينا ﴿فِى ٱلدُّنْيَا﴾ بإعطاءِ الولدِ في غيرِ أوانِه، والذُّريَّةِ الطيِّبَةِ، واستمرارِ النُّبوَّةِ فيهم، وانتماءِ أَهْلِ المِلَلِ إليه، والثَّناءِ والصَّلاةِ عليه إلى آخرِ الدَّهرِ.

﴿وَإِنَّهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: لَفِي عِدادِ الكامِلينَ في الصَّلاحِ.

(٢٨) ـ ﴿وَلُوطًا إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَلُوطًا﴾ عطـفٌ علـى ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ أو علـى مـا عُطِفَ عليـه ﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلْفَٰحِشَةَ﴾: الفعلـةَ البالغـةَ فـي القُبحِ.

---

(١) انظر: «البدء والتاريخ» لابن طاهر المقدسي (٣/ ٥١ ـ ٥٢).

وقرأ الحِرْمِيَّانِ وابنُ عامرٍ وحَفْصٌ بهمزةٍ مكسورَةٍ على الخبرِ، والباقونَ على الاستفهامِ، وأجمَعُوا على الاستفهامِ في الثَّاني(١).

﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِّنَ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ استئنافٌ مُقرِّرٌ لفَحاشَتِهَا مِن حَيْثُ إنَّها ممَّا اشْمَأَزَّتْ منه الطِّباعُ وتحاشَتْ عنه النُّفوسُ، حتَّى أقدَمُوا عليها لِخُبثِ طِينَتِهِم.

قوله: «﴿وَلُوطًا﴾ عطفٌ على ﴿إِبْرَٰهِيمَ﴾ أو على ما عُطِفَ عليه»:

قال الطيبيُّ: أي: إبراهيم، وهو ﴿نُوحًا﴾ في قولِه: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا﴾، يؤيِّدُ الأوَّلَ أنَّ قصَّةَ لوطٍ عليهِ السَّلامُ لا تَكادُ توجَدُ إلَّا مَقرونَةً بقصَّةِ إبراهيمَ عليهِ السَّلامُ لأنَّه ابنُ أَخيهِ ومُهاجِرٌ معَهُ.

والثانيَ قولُه: ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا﴾ فإنَّه مَعطوفٌ على قصَّةِ نُوحٍ عليهِ السَّلامُ لا غير؛ لأنَّ التَّقديرَ: ولَقَدْ أرسَلْنا إلى مَدْيَنَ أخاهُم شُعيبًا، فيكونُ كلٌّ مِن القصصِ مُستقِلًّا بنفسِه(٢).

قوله: «﴿مَا سَبَقَكُم بِهَا مِنْ أَحَدٍ﴾ استئنافٌ»:

قال في «الكشاف»: كأنَّ قائلًا قال: لِمَ كانَتْ فاحشَةً؟ قيل: لأنَّ أحدًا قبلَهُم لم يُقدِمْ علَيْها(٣).

قال أبو حيَّان: يظهَرُ أنَّها جُملَةٌ حاليَّةٌ؛ كأنَّه قال: أتأتونَ الفاحشَةَ مُبتدعينَ بها غيرَ مَسبوقينَ بها(٤).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٩٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٦٥).

(٣) انظر: «الكشاف» (٦/ ٥٠٨).

(٤) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ١٢٤).

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ (٢٩) قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾.

﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ ٱلرِّجَالَ وَتَقْطَعُونَ ٱلسَّبِيلَ﴾: وتتعرَّضُونَ للسَّابِلَةِ بالقَتلِ وأخذِ المالِ أو بالفاحشَةِ حتَّى انقطَعَتِ الطُّرقُ، أو: تقطعونَ سبيلَ النَّسْلِ بالإعراضِ عن الحرثِ وإتيانِ ما ليسَ بحَرْثٍ.

﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ﴾: في مَجالِسِكُم الغاصَّةِ ولا يقالُ: النَّادِي، إلا لِمَا فيه أهلُه.

﴿ٱلْمُنكَرَ﴾ كالجماعِ والضُّراطِ وحَلِّ الإزارِ وغيرِها مِن القَبائحِ عدمَ مُبالاةٍ بها.

وقيل: الخَذْفُ بالحصَى ورميُ البَنادقِ[1].

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتِنَا بِعَذَابِ ٱللَّهِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ في استقباحِ ذلك، أو في دَعْوَى النبوَّةِ المفهومِ مِن التَّوبيخِ.

﴿قَالَ رَبِّ ٱنصُرْنِي﴾ بإنزالِ العَذابِ ﴿عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ بابتداعِ الفاحشَةِ وسَنِّها فيمَنْ بعدَهُم، وصفَهُم بذلك مُبالغَةً في استنزالِ العَذابِ وإشعارًا بأنَّهُم أحِقَّاءُ بأَنْ يُعجَّلَ لَهُم العذابَ[2].

---

(١) رواه أحمد في «المسند» (٢٦٨٩١)، والترمذي (٣١٩٠)، عن أم هانئ رضي الله عنها عن النبي ﷺ في قوله تعالى: ﴿وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمُ ٱلْمُنكَرَ﴾ قال: «كانوا يخذفون أهل الأرض ويسخرون منهم»، قال الترمذي: هذا حديث حسن.

(٢) في (ت): «العقاب».

(٣١ - ٣٢) - ﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ ۖ إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا ۚ قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَىٰ﴾: بالبِشارةِ بالوَلَدِ والنَّافلَةِ ﴿قَالُوا إِنَّا مُهْلِكُو أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ﴾: قريةِ سَدُومَ، والإضافةُ لفظيَّةٌ لأنَّ المعنى الاستقبالُ.

﴿إِنَّ أَهْلَهَا كَانُوا ظَالِمِينَ﴾ تعليلٌ لإهلاكِهم لهم بإصرَارِهم وتَمادِيهم في ظُلْمِهم الذي هو الكفرُ وأنواعُ المعاصي.

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًا﴾ اعتراضٌ عليهِمْ بأنَّ فيهَا من لم يَظْلِم، أو معارضةٌ للمُوجِبِ بالمانعِ، وهو كونُ النَّبيِّ بينَ أَظهُرِهِم.

﴿قَالُوا نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَا ۖ لَنُنَجِّيَنَّهُ وَأَهْلَهُ﴾ تسليمٌ لقولِه مع ادِّعاءِ مزيدِ العلمِ به، وأنَّهُم ما كانوا غافلينَ عنه، وجوابٌ عنهُ بتَخصيصِ الأهلِ بمَنْ عَداهُ وأهلَه، أو تأقيتُ الإهلاكِ بإخراجِهم عنها، وفيه تأخيرٌ للبيانِ[1] عن الخطابِ.

﴿إِلَّا امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾: الباقينَ في العذابِ، أو القريةِ[2].

(٣٣) - ﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ ۖ إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

﴿وَلَمَّا أَن جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِيءَ بِهِمْ﴾ جاءَتْهُ المساءةُ والغمُّ بسبَبِهم مخافةَ أَنْ يَقصِدَهُم قومُه بسُوءٍ، و(أن) صِلَةٌ لتأكيدِ الفِعْلَيْنِ واتِّصالِهما.

---

(١) في (ت): «البيان».

(٢) «أو القرية»: ليس في (خ)، وفي (ت): «العذاب أو الأمر به».

﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ وضاقَ بشأنِهم وتَدبيرِ أَمْرِهِم ذرعُه؛ أي طاقتُه كقولِهم: ضاقَتْ يَدُه وبإزائِه: رَحُبَ ذرعُهُ بكذا إذا كانَ مُطيقًا له، وذلك لأنَّ طَويلَ الذِّراعِ ينالُ ما لا ينالُ قَصيرُ الذِّراعِ.

﴿وَقَالُوا﴾ لَمَّا رَأَوْا فيهِ أثرَ الضُّجرَةِ ﴿لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ﴾ على تمكُّنِهِم منَّا ﴿إِنَّا مُنَجُّوكَ وَأَهْلَكَ إِلَّا امْرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾.

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ ويَعقوبُ: ﴿لَنُنْجِيَنَّه﴾، و﴿مُنْجُوكَ﴾ بالتَّخفيفِ، ووافقَهم أبو بكرٍ وابنُ كثيرٍ في الثَّاني[١].

وموضعُ الكافِ جرٌّ على المختارِ، ونصبُ (أهلَكَ) بإضمارِ فعلٍ، أو بالعطفِ على محلِّها باعتبارِ الأَصلِ.

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿٣٤﴾ وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿إِنَّا مُنزِلُونَ عَلَىٰ أَهْلِ هَٰذِهِ الْقَرْيَةِ رِجْزًا مِّنَ السَّمَاءِ﴾: عذابًا منها، سُمِّيَ بذلك لأنَّه يُقلِقُ المعذَّبَ، مِن قَولِهم: ارتجزَ، إذا ارتجَسَ؛ أي: اضطَرَبَ.

وقرأ ابنُ عامرٍ: ﴿مُنَزِّلُونَ﴾ بالتَّشديدِ[٢].

﴿بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾: بسببِ فِسْقِهِم.

﴿وَلَقَد تَّرَكْنَا مِنْهَا آيَةً بَيِّنَةً﴾ هي حِكايَتُها الشَّائعةُ، أو آثارُ الدِّيارِ الخَرِبَةِ.

وقيل: الحِجارَةُ الممطورةُ فإنَّها كانَتْ باقيَةً بعدُ[٣].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٣).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٠)، و«التيسير» (ص: ٩٠).

(٣) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٥٧)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٧٢٩٤)، عن قتادة.

وقيل: بقيَّةُ أنهارِها المُسْوَدَّةِ[١].

﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملونَ عُقولَهُم في الاستبصارِ والاعتبارِ، وهو مُتعلِّقٌ بـ﴿تَرَكْنَا﴾ أو ﴿ءَايَةً﴾.

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ جَٰثِمِينَ﴾.

﴿وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱرْجُواْ ٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ﴾: وافعَلُوا ما ترجونَ به ثوابَه، فأُقيمَ المسبَّبُ مُقامَ السَّببِ[٢].

وقيل: إنَّه مِن الرَّجاءِ بمعنى الخوفِ.

﴿وَلَا تَعْثَوْاْ فِى ٱلْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴿٣٦﴾ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلرَّجْفَةُ﴾ الزَّلزلَةُ الشَّديدةُ.

وقيل: صيحةُ جبريلَ لأنَّ القُلوبَ تَرجُفُ لها.

﴿فَأَصْبَحُواْ فِى دَارِهِمْ﴾: في بلدِهِم، أو: دُورِهِم، ولم يُجمَع لأمنِ اللَّبسِ ﴿جَٰثِمِينَ﴾: بارِكِينَ على الرُّكَبِ ميتينَ.

قوله: «وافعَلُوا ما تَرجونَ بهِ ثَوابَه، فأُقيمَ المُسبَّبُ مقامَ السَّببِ»:

قال الطِّيبيُّ: أي: اعبدُوا اللهَ واعمَلُوا صالحًا حتى تتمكَّنُوا على رَجاءِ أنْ يُثيبَكُم اللهُ الجنَّةَ؛ لأنَّ مَن لَمْ يعمَلِ الصَّالِحاتِ لم يَرجُ الثَّوابَ الذي في الآخرةِ،

---

(١) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ١٧٩) عن مجاهد.

(٢) قوله: «فأقيم المسبب» وهو اليوم؛ أي: ثوابه «مقام السبب»؛ أي: وهو فعل ما يَرجون به ثوابَه. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٩١).

فالأعمالُ سببٌ للتَّمكُّنِ على الرَّجاءِ، فيكونُ عطفُ ﴿وَٱرْجُواْ﴾ على ﴿ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ﴾ للبيانِ والتَّفسيرِ(١).

(٣٨) - ﴿وَعَادًا وَثَمُودَاْ وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْۖ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾.

﴿وَعَادًا وثمودًا﴾ منصوبانِ بإضمارِ (اذكر)، أو فعلٍ دلَّ عليه ما قبلُ مثل: أهلَكْنا.

وقرأ حمزةُ وحفصٌ ويعقوبُ: ﴿وَثَمُودَاْ﴾ غيرَ مصروفٍ(٢) على تأويلِ القَبيلَةِ.

﴿وَقَد تَّبَيَّنَ لَكُم مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾؛ أي: تبيَّنَ لَكُم بعضُ مَساكِنِهم، أو إهلاكُهُم مِن جهَةِ مَساكِنِهم إذا نظَرْتُم إليها عندَ مُرورِكُم بها.

﴿وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ﴾ مِن الكُفرِ والمَعاصي ﴿فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ﴾ السَّويِّ ﴿وَكَانُواْ مُسْتَبْصِرِينَ﴾: مُتمكِّنينَ مِن النَّظرِ والاستبصارِ ولكنَّهم لم يَفعَلُوا.

أو: مُتبيِّنينَ أنَّ العذابَ لاحِقٌ بهم بإخبارِ الرُّسُلِ لهم ولكنَّهُم لَجُّوا حتى هَلَكوا.

قوله: «مِن جِهَةِ مَساكِنِهم»:

قال الطِّيبيُّ: إشارةٌ إلى أنَّ ﴿مِّن﴾ في ﴿مِّن مَّسَٰكِنِهِمْ﴾ ابتدائيَّةٌ(٣).

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٦٩).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٦١٦)، و«التيسير» (ص: ٢٠٥)، و«النشر» (٢/ ٢٨٩).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٧٠).

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَـٰمَـٰنَۖ وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَـٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ ﴿٣٩﴾ فَكُلًّا أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦۖ فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَاۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾.

﴿وَقَـٰرُونَ وَفِرۡعَوۡنَ وَهَـٰمَـٰنَ﴾ معطوفونَ[1] على (عادًا) وتقديمُ قارونَ لشَرفِ نَسبِهِ ﴿وَلَقَدۡ جَآءَهُم مُّوسَىٰ بِٱلۡبَيِّنَـٰتِ فَٱسۡتَكۡبَرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا كَانُواْ سَٰبِقِينَ﴾: فائِتينَ، بَلْ أدركَهُم أمرُ اللهِ، مِن سبقَ طالبَهُ: إذا فاتَهُ.

﴿فَكُلًّا﴾ مِن المَذكورينَ ﴿أَخَذۡنَا بِذَنۢبِهِۦ﴾ عاقبنا بذنبِه:

﴿فَمِنۡهُم مَّنۡ أَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِ حَاصِبٗا﴾ ريحًا عاصِفًا فيها حَصْباءُ، أو مَلَكًا رماهُم بها كقَومِ لوطٍ.

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَخَذَتۡهُ ٱلصَّيۡحَةُ﴾ كمَدْينَ وثمودَ.

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ خَسَفۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ﴾ كقارونَ.

﴿وَمِنۡهُم مَّنۡ أَغۡرَقۡنَا﴾ كقومِ نوحٍ وفِرعَوْنَ وقومِه.

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾: ليعامِلَهُم مُعاملَةَ الظَّالمِ فيُعاقبَهم بغيرِ جُرمٍ، إذ ليسَ ذلك مِن عادتِه ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ بالتَّعريضِ للعَذابِ.

(٤١) ـ ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۖ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ﴾ فيما اتَّخذوهُ مُعتمَدًا ومتَّكلًا

---

(١) في (خ): «معطوف».

﴿كَمَثَلِ ٱلْعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتْ بَيْتًا﴾ فيما نسجَتْهُ في الوَهْنِ والخَوَرِ، بل ذاك أوهَنُ فإنَّ لهذا حقيقةً وانتفاعًا مّا.

أو: مَثلُهُم بالإضافةِ إلى الموحِّدِ كمَثَلِه بالإضافةِ إلى رَجُلٍ بنى بيتًا مِن حجرٍ وجَصٍّ(١).

والعنكبوتُ يقَعُ على الواحِدِ والجمعِ والمُذكَّرِ والمؤنَّثِ، والتَّاءُ فيه كتَاءِ (طاغوتٍ)، ويُجمعُ على عَناكِيبَ وعَنَاكِبَ وعِكَابٍ وعِكْبَةٍ وأَعْكُبٍ.

﴿وَإِنَّ أَوْهَنَ ٱلْبُيُوتِ لَبَيْتُ ٱلْعَنكَبُوتِ﴾ لا بيتَ أَوْهَى(٢) وأقلُّ وِقايةً للحَرِّ والبردِ منه ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾: يرجعونَ إلى علمٍ لعَلِمُوا أنَّ هذا مَثلُهُم، أو أنَّ دِينَهُم أوهى(٣) مِن ذلك.

ويجوزُ أَنْ يكونَ المرادُ ببيتِ العَنْكَبُوتِ دينَهُم، سَمَّاهُ به تحقيقًا للتَّمثيلِ، فيكونُ المعنى: وإنَّ أَوْهَنَ ما يُعتمَدُ به في الدِّينِ دينُهُم.

---

(١) قوله: «كمثله بالإضافة...»؛ أي: كمثل العنكبوت، وقد اختصر المؤلف هذا الوجه من كلام «الكشاف»، ولفظ «الكشاف» (٦/ ٥١٤): ولقائل أن يقول: مَثَلُ المُشرِكِ الذي يَعبُدُ الوَثَنَ بالقِيَاس إلى المُؤمنِ الذي يَعْبُدُ اللهَ مَثَلُ عَنكبوتٍ يَتَّخِذ بَيْتاً بالإضافةِ إلى رَجُل يَبْنِي بيتاً بآجُرٍّ وجَصٍّ، أو يَنْحِتُهُ من صَخْرٍ، وكمَا أنَّ أَوْهَنَ البيُوت إذَا استَقْرَيْتَها بَيتاً بَيْتاً بيتُ العَنكبُوتِ، كذلك أَضعَفُ الأَدْيانِ إذا استَقْرَيْتَها دِيْناً دِيناً عِبَادةُ الأَوثانِ ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

قلت: ولعل المصنف رحمه الله لم يرتض جعل المشبَّه مقتصراً على عابد الوثن، بل كل من اتخذ أولياء من دون الله مشمول به.

(٢) في (خ): «أوهن».

(٣) في (خ) و(ت): «أوهن».

(٤٢) ـ ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مِن شَيْءٍۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

﴿إنَّ اللهَ يَعْلَمُ ما تَدْعُونَ من دونَه من شيءٍ﴾ على إضمارِ القَوْلِ؛ أي: قُلْ للكَفَرَةِ: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ ﴾. وقرأ عاصمٌ وأبو عمرٍو ويعقوبُ بالياءِ[1] حَملًا على ما قبلَه.

و﴿مَا﴾ استفهاميَّةٌ مَنصوبةٌ بـ﴿تَدْعُونَ﴾ و﴿يَعْلَمُ﴾ مُعلَّقَةٌ عنها و﴿مِن﴾ للتَّبيينِ .

أو نافيةٌ و﴿مِن﴾ مَزيدةٌ و﴿شَيْءٍ﴾ مَفعولُ ﴿تَدْعُونَ﴾[2].

أو مصدريَّةٌ و﴿شَيْءٍ﴾ مصدرٌ.

أو موصولَةٌ مفعولٌ لـ﴿يَعْلَمُ﴾ ومفعولُ ﴿تَدْعُون﴾ عائِدُه المحذوفُ.

والكلامُ على الأوَّلَيْنِ تَجهيلٌ لهم وتوكيدٌ للمَثَل، وعلى الأخيرَينِ وعيدٌ لهم.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ تعليلٌ عَلى المَعْنَيينِ، فإنَّ مِن فَرطِ الغَباوةِ إشراكُ ما لا يُعَدُّ شيئًا بمَنْ هذا شأنُه، وأنَّ الجمادَ بالإضافةِ إلى القادرِ القاهرِ على كُلِّ شيءِ البالغِ في العلمِ وإتقانِ الفعلِ الغايةَ كالمعدومِ، وأنَّ مَن هذا وَصْفُه[3] قادِرٌ على مُجازاتِهِم.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٠ ـ ٥٠١)، و«التيسير» (ص: ١٧٤)، و«المبسوط في القراءات» لابن مهران (ص: ٣٤٥).

(٢) والمعنى على هذا الوجه: إنما تدعون من دونه ما يَستحق أن يُطلَق عليه شيء. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٩٣).

(٣) في (ت): «هذه صفته».

(٤٣) ـ ﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ ﴾.

﴿ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ ﴾ يعني: هذا المثلَ ونظائِرَهُ ﴿نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ تقريبًا لِمَا بَعُدَ مِن أفهامِهم ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ ﴾: ولا يَعْقلُ حسنَها وفائِدَتَها ﴿إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ الذين يتدبَّرونَ الأشياءَ على ما ينبغي.

وعنه عليه السَّلامُ أنَّه تَلا هذه الآيةَ فقال: «العالمُ مَن عَقَلَ عنِ اللهِ فعَمِلَ بطاعَتِه واجتنبَ سخطَهُ».

قوله: «وعنه عليهِ السَّلامُ أنَّه تَلا هذهِ الآيةَ فقال: «العَالِمُ مَن عَقَلَ عن اللهِ فعَمِلَ بطَاعَتِهِ واجتَنَبَ سخطَهُ»:

رواهُ داودُ بنُ المحبَّرِ في كتابِ «العقل»، ومِن طَريقِه الحارثُ بنُ أبي أُسامَةَ في «مسنده»، والثَّعلبِيُّ والواحِديُّ والبَغَويُّ، مِن حديثِ جابرٍ، وأوردَهُ ابنُ الجَوزيِّ في «الموضوعات»[1]. وكتابُ «العَقل» لدَاودَ كلُّه مَوضوعٌ.

(٤٤) ـ ﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

﴿ خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ﴾: مُحِقًّا غيرَ قاصِدٍ بهِ باطِلًا، فإنَّ المقصودَ بالذَّاتِ مِن خلقِهَا إفاضَةُ الخيرِ والدَّلالةُ على ذاتِه وصِفاتِه؛ كما أشارَ إليه بقولِه: ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴾ لأنَّهم المنتفعونَ بها.

---

(١) رواه داود بن المحبر في كتاب «العقل» كما في «الكافي الشاف» (ص: ١٢٧)، وعنه الحارث بن أبي أسامة في «مسنده» (٨٣٧ ـ زوائد الهيثمي)، ومن طريق الحارث رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٣)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٢٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٦/ ٢٤٣)، وأورد ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٧٦) عدة أحاديث في فضل العقل، ليس منها هذا الحديث، لكنه نقل عن الدارقطني قوله: كتاب العقل وضعه أربعة أولهم ميسرة بن عبد ربه، ثم سرقه منه داود بن المحبر فركَّبه بأسانيد غير أسانيد ميسرة، فسرقه عبد العزيز بن أبي رجاء فركبه بأسانيد أُخر، ثم سرقه سليمان بن عيسى السجزي، فأتى بأسانيد أخر.

(٤٥) - ﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِۗ وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُۗ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾.

﴿ ٱتۡلُ مَآ أُوحِيَ إِلَيۡكَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ ﴾ تقرُّبًا إلى اللهِ بقراءَتِه، وتحفُّظًا لألفاظِه، واستكشافًا لِمَعانيهِ، فإنَّ القارِئَ المُتأمِّلَ قَدْ يَنكَشِفُ له بالتَّكرارِ ما لم يَنْكَشِف له أوَّلَ ما قرعَ سمعَهُ.

﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ﴾ بأَنْ تكونَ سببًا للانتهاءِ عن المعاصي حالَ الاشتغالِ بها، وغيرِها مِن حَيثُ إنَّها تذكِّرُ اللهَ وتورِثُ للنَّفسِ خشيةً منه.

رُوِيَ أنَّ فتًى مِن الأَنصارِ كان يُصلِّي معَ رسولِ اللهِ ﷺ الصَّلواتِ ولا يَدَعُ شيئًا من الفَواحشِ إلا رَكِبَه، فوُصِفَ له فقال: «إنَّ صلاتَهُ ستَنْهاهُ» فلَمْ يَلبَثْ أَنْ تابَ.

﴿وَلَذِكۡرُ ٱللَّهِ أَكۡبَرُ﴾ ولَلصَّلاةُ أكبرُ مِن سائرِ الطَّاعاتِ، وإنَّما عبَّرَ عنها به للتَّعليلِ، فإنَّ اشتمالَها على ذكرِه[1] هي العمدَةُ في كونِها مُفضَّلَةً على الحسناتِ ناهيَةً عن السَّيئاتِ.

أو: ولَذِكرُ اللهِ إيَّاكُم برَحمَتِه أكبَرُ مِن ذكرِكُم إيَّاهُ بطاعَتِه.

﴿وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَصۡنَعُونَ ﴾ منه ومِن سائرِ الطَّاعاتِ فيُجازيكُمْ بها أحسنَ المُجازاةِ.

قولـه: «رُوِيَ أنَّ فتًى مِن الأَنصارِ كانَ يُصلِّي مع رسولِ اللهِ ﷺ الصَّلواتِ ولا يدَعُ شيئًا من الفواحشِ إلا ارتكبَهُ، فوصفَ له فقال: «إنَّ صلاتَهُ ستَنْهاه» فلَمْ يلبَثْ أَنْ تابَ»:

قال الشَّيخُ وَليُّ الدِّينِ العِراقيُّ: لم أَقِفْ عليه.

(١) في (ت): «ذكر الله».

وفي «مسند أحمد» وفي مسند إسحاق والبزَّارِ وأبي يَعلى، عن أبي هريرةَ قال: جاءَ رجلٌ إلى النبيِّ ﷺ فقال: إنَّ فلانًا يُصلِّي بالليلِ فإذا أصبحَ سرَقَ فقال: «إنَّ صلاتَهُ سَتَنهاه»[١].

(٤٦) - ﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡۖ وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمۡ وَٰحِدٞ وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ﴾.

﴿وَلَا تُجَٰدِلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾ إلا بالخصلَةِ التي هي أحسَنُ؛ كمُعارضَةِ الخُشونَةِ باللِّينِ، والغضبِ بالكَظْمِ، والمشاغبَةِ بالنُّصحِ.

وقيل: هو منسوخٌ بآيةِ السَّيفِ إذ لا مُجادلةَ أشدُّ مِنه[٢]، وجوابُهُ أنَّه آخرُ الدَّواءِ[٣].

وقيل: المرادُ به: ذَوُو العَهْدِ مِنْهُم.

﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنۡهُمۡ﴾ بالإفراطِ في الاعتداءِ والعنادِ، أو بإثباتِ الوَلَدِ وقولِهم: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغۡلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، أو بنبذِ العَهْدِ ومنعِ الجزيَةِ.

﴿وَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا وَأُنزِلَ إِلَيۡكُمۡ﴾ هو مِن المُجادلةِ بالتي هيَ أحسَنُ.

وعن النَّبيِّ ﷺ: «لا تُصدِّقُوا أهلَ الكتابِ ولا تُكذِّبُوهم، وقولوا: آمَنَّا باللهِ وبكتبِهِ وبرسلِه[٤]، فإن قالوا باطِلًا لم تُصدِّقُوهُم، وإن قالوا حَقًّا لم تُكذِّبُوهُم».

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٩٧٧٨)، والبزار في «مسنده» (٩٢١٧)، وابن حبان في «صحيحه» (٢٥٦٠).

(٢) هو قول قتادة كما ذكره النحاس في «معاني القرآن» (٥/ ٢٣٠) ورجحه.

(٣) قوله: «وجوابه أنه»؛ أي: أن الجدالَ بالسيف «آخر الدواء» لهم، بخلاف ﴿بِٱلَّتِي هِيَ أَحۡسَنُ﴾؛ فإنه أولُه، فلا تنافيَ بينهما، فلا نسخ. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٣٩٤).

(٤) في (خ): «وكتبه ورسله» وفي (ض): «وبكتبه ورسله».

﴿وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾: مُطيعونَ له خاصَّةً، وفيه تعريضٌ باتِّخاذِهم أحبارَهُم ورهبانَهُم أربابًا مِن دونِ اللهِ.

قوله: «ولا تُصدِّقُوا أهلَ الكتابِ ولا تُكَذِّبوهُم وقولُوا: آمنَّا باللهِ...» الحديث.

رواه أبو داودَ، وابنُ حِبَّان في «صحيحه»، مِن حَديثِ أبي نملةَ الأنصاريِّ، وأصلُه في «صحيحِ البُخاريِّ» مِن حديثِ أبي هُريرةَ مُختَصرًا[1].

(٤٧) ـ ﴿وَكَذَٰلِكَ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ ۖ وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ ۚ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾.

﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومثلَ ذلكَ الإنزالِ ﴿أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾ وحيًا مصدِّقًا لسائرِ الكتبِ الإلهيَّةِ، وهو تحقيقٌ لقولِه: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يُؤْمِنُونَ بِهِۦ﴾ هم عبدُ اللهِ بنُ سَلَامٍ وأضرابُه، أو مَن تقدَّمَ عهدَ الرسولِ عليهِ السَّلامُ مِن أهلِ الكتابِ.

﴿وَمِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: ومِن العربِ، أو أهلِ مكَّةَ، أو ممَّنْ في عهدِ الرَّسولِ مِن الكتابيِّينَ ﴿مَن يُؤْمِنُ بِهِۦ﴾: بالقُرآنِ ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ﴾ مع ظُهورِها وقيامِ الحجَّةِ عليها ﴿إِلَّا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾: إلا المتوغِّلونَ في الكفرِ، فإنَّ جزمَهُم به يمنعُهُم عن التَّأمُّلِ فيما يفيدُ لهم صدقَها؛ لكونِها معجزةً بالإضافةِ إلى الرَّسُولِ كما أشارَ إليهِ بقولِه:

---

(١) رواه أبو داود (٣٦٤٤)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٥٧) من حديث أبي نملة الأنصاري رضي الله عنه.

ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٧٠)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وفيه: «وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَٰحِدٌ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ﴾».

ورواه من حديث أبي هريرة البخاري (٤٤٨٥)، لكن فيه: «وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْنَا﴾ الآية [البقرة: ١٣٦]».

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٤٨﴾ بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ ﴾.

﴿ وَمَا كُنتَ تَتْلُواْ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ﴾ فإنَّ ظُهورَ هذا الكتابِ الجامعِ لأنواعِ العُلومِ الشَّريفَةِ على أميٍّ لم يُعْرَفْ بالقراءةِ والتَّعلُّمِ خارقٌ للعادَةِ، وذكرُ اليمينِ زيادةُ تصويرٍ للمَنفيِّ[1]، ونفيٌ للتَّجوُّزِ في الإسنادِ.

﴿إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾؛ أي: لو كنتَ ممَّنْ يَخُطُّ ويقرَأُ لقالوا: لعلَّهُ تعلَّمَهُ أو التقطَهُ مِن كتبِ الأَقْدمينَ، وإنَّما سَمَّاهُم مُبطلينَ لكُفرِهِم، أو لارتيابِهِم بانتفاءِ وَجْهٍ واحدٍ مِن وُجوهِ الإعجازِ المُتكاثِرَةِ.

وقيل: لارتابَ أهلُ الكتابِ لوجدانِهِم نَعْتَكَ على خِلافِ ما في كُتُبِهِم، فيكونُ إبطالُهُم باعتبارِ الواقعِ دونَ المُقدَّرِ.

﴿بَلْ هُوَ﴾: بل القرآنُ ﴿ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ﴾ يحفَظُونَهُ لا يقدرُ أحدٌ تحريفَه ﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا ٱلظَّٰلِمُونَ﴾: إلا المتوغِّلُونَ في الظلمِ بالمُكابرَةِ بعدَ وُضوحِ دَلائلِ إعجازِها حتَّى لم يَعتدُّوا بها.

(٥٠ ـ ٥١) ـ ﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ قُلْ إِنَّمَا ٱلْـَٔايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾.

﴿ وَقَالُواْ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ ﴾ مثلَ ناقةِ صالحٍ وعَصا مُوسى ومائدةِ عيسى.

(١) في (ض): «للنفي».

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ والبَصريَّانِ وحَفْصٌ: ﴿ءَايَٰتٌ﴾[١].

﴿قُلۡ إِنَّمَا ٱلۡأٓيَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ يُنزِلُها كما يشاءُ، لستُ أَمْلِكُها فآتيكُمْ بما تقترِحُونَه.

﴿وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٞ مُّبِينٌ﴾ ليسَ مِن شَأني إلا الإنذارُ وإبانَتُه بما أُعطِيتُ مِن الآياتِ.

﴿أَوَلَمۡ يَكۡفِهِمۡ﴾ آيةً مُغْنِيَةً عمَّا اقترَحُوهُ ﴿أَنَّآ أَنزَلۡنَا عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ يُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ﴾: تدومُ تلاوتُه عليهِم مُتَحَدِّينَ به، فلا يزالُ مَعَهُم آيةً ثابتةً لا تضمَحِلُّ بخلافِ سائرِ الآياتِ، أو: يُتْلَى عليهم -يعني: اليهودَ- بتَحقيقِ ما في أيديهِم مِن نَعتِكَ ونعتِ دينِكَ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: في ذلك الكتابِ الذي هو آيةٌ مُستمرَّةٌ وحجَّةٌ مبينةٌ ﴿لَرَحۡمَةٗ﴾: لنعمةً عَظيمَةً ﴿وَذِكۡرَىٰ لِقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ﴾: وتذكرةً لِمَن همُّهُ الإيمانُ دونَ التَّعنُّتِ.

وقيل: إنَّ ناسًا مِن المُسلمينَ أتَوا رسولَ اللهِ بكتفٍ كُتِبَ فيها بعضُ ما يقولُ اليهودُ فقال: «كفى بها ضلالَةَ قومٍ أَنْ يرغَبُوا عمَّا جاءَهُم به نبيُّهُم إلى ما جاءَ به غيرُ نَبيِّهِم» فنزلَتْ.

قوله: «وقيل إنَّ ناسًا مِن المُسلمينَ أتَوْا رسولَ اللهِ ﷺ بكتفٍ قد كُتِبَ فيها بَعضُ ما يقولُ اليَهودُ...» إلى آخره:

أخرجَه الدَّارميُّ وأبو داودَ في «المراسيل» وابنُ جَريرٍ مِن حديثِ يحيى بنِ جَعْدَةَ مُرسَلًا[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠١)، و«التيسير» (ص: ١٧٤)، و«النشر» (٢/ ٣٤٣).

(٢) رواه الدارمي في «سننه» (٤٧٨)، وأبو داود في «المراسيل» (٤٥٤)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٢٩)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٧٢)، عن يحيي بن جعدة قال: جاء ناس من =

(٥٢) ـ ﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا ۖ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾.

﴿قُلْ كَفَىٰ بِٱللَّهِ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ شَهِيدًا﴾ بصِدقي وقد صدَّقَني بالمُعجزاتِ، أو: بتَبليغِي ما أُرسِلْتُ به إليكُم ونُصحِي ومُقابلتِكُم إيَّايَ بالتَّكذيبِ والتَّعنُّتِ.

﴿يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ فلا يخفَى عليه حالي وحالُكُم ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْبَـٰطِلِ﴾ وهو ما يُعبدُ مِن دونِ اللهِ ﴿وَكَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ﴾ مِنْكُم ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ﴾ في صفقَتِهم حيثُ اشتروا الكفرَ بالإيمانِ.

(٥٣) ـ ﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ ۚ وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾.

﴿وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِٱلْعَذَابِ﴾ بقولِهم: ﴿فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ [الأنفال: ٣٢].

﴿وَلَوْلَآ أَجَلٌ مُّسَمًّى﴾ لكلِّ عذابٍ أو قومٍ ﴿لَّجَآءَهُمُ ٱلْعَذَابُ﴾ عاجلًا ﴿وَلَيَأْتِيَنَّهُم بَغْتَةً﴾: فجأةً في الدُّنيا كوقعةِ بدرٍ، أو الآخرةِ عندَ نُزولِ الموتِ بهم ﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ بإتيانِه.

= المسلمين بكتب قد كتبوها فيها بعض ما سَمِعُوه من اليهود، فقال رسول الله ﷺ: «كفى بقوم حمقاً..» الحديث، وهو مرسل.

وفي الباب من حديث جابر رضي الله عنه، رواه أبو عبيد في «غريب الحديث» (٢/ ٣٢٣): أن عمر أتى النبي ﷺ فقال: إنّا نسمع أحاديث من يهود تعجبنا، أفترى أن نكتب بعضها؟ فقال: «أمتهوّكون أنتم كما تهوّكت اليهود والنّصارى؟ لقد جئتكم بها بيضاء نقية، ولو كان موسى حيًّا ما وسعه إلّا اتّباعي».

ورواه بنحوه الإمام أحمد في «المسند» (١٥١٥٦)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٦٤٢١)، والبغوي في «شرح السنة» (١٢٦)، وإسناده ضعيف، وليس فيه ذكر نزول الآية.

(٥٤ ـ ٥٥) ـ ﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٥٤﴾ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَيَقُولُ ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴾: ستحيطُ بهم يومَ يأتيهم العذابُ، أو هيَ كالمُحيطةِ بهم الآنَ لإحاطةِ الكُفرِ والمعاصي التي توجِبُها بهم، واللامُ للعَهدِ على وَضعِ الظَّاهرِ موضعَ المضمَرِ للدَّلالةِ على موجبِ الإحاطةِ، أو للجنسِ فيكونُ استدلالًا بحكمِ الجنسِ على حُكمِهِم.

﴿ يَوْمَ يَغْشَاهُمُ الْعَذَابُ ﴾ ظرفٌ لـ(محيطةٌ)، أو لمُقدَّرٍ مثلَ: كانَ كيتَ وكيتَ.

﴿مِن فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ ﴾: مِن جَميعِ جَوانِبِهم.

﴿وَيَقُولُ ﴾ اللهُ، أو بعضُ ملائكَتِه بأمرِه؛ لقراءَةِ ابنِ كثيرٍ وابنِ عامرٍ والبَصريِّين بالنُّونِ[1]: ﴿ذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾؛ أي: جزاءَه.

(٥٦) ـ ﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾.

﴿ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِي وَاسِعَةٌ فَإِيَّايَ فَاعْبُدُونِ ﴾؛ أي: إذا لم يَتسهَّلْ لكُم العِبادَةُ في بلدةٍ ولم يَتيَسَّر لَكُم إظهارُ دينِكُم فهاجِرُوا إلى حيثُ يَتمشَّى لَكُم ذلك.

وعنه عليه السَّلامُ: «مَن فَرَّ بدينِهِ مِن أَرضٍ إلى أرضٍ ولو كانَ شبرًا استوجَبَ الجنَّةَ، وكانَ رفيقَ إبراهيمَ ومُحمَّدٍ».

والفاءُ جوابُ شَرطٍ مَحذوفٍ؛ إذ المعنى: إنَّ أرضيَ واسِعةٌ، إن لم تُخلِصُوا العِبادةَ لي في أرضٍ فأخلِصُوها في غيرِها.

قولُه: «مَن فرَّ بدينِه مِن أرضٍ إلى أرضٍ...» الحديث:

---

(١) قرأ نافع وعاصم وحمزة والكسائي بالياء، والباقون بالنون. انظر: «السبعة» (ص: ٥٠١)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

رواهُ الثَّعلبيُّ مِن حديثِ الحَسنِ مُرسَلًا(١).

(٥٧) ـ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾.

﴿ كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ ﴾ تنالُه لا مَحالةَ ﴿ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴾ للجزاءِ، ومَن هذا عاقِبَتُه ينبغي أن يجتهدَ في الاستعدادِ له. وقرأَ أبو بَكرٍ بالياءِ(٢).

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴿٥٨﴾ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَنُبَوِّئَنَّهُم ﴾: لنُنزِلَنَّهُم ﴿مِّنَ ٱلْجَنَّةِ غُرَفًا﴾: عَلالِيَ. وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿لَنُثْوِيَنَّهُمْ﴾(٣)؛ أي: لنُقيمَنَّهُم، مِن الثَّواءِ، فيكونُ انتصابُ ﴿غُرَفًا﴾ لإجرائِه مُجرى: لنُنزِلَنَّهم، أو بنزعِ الخافضِ، أو تشبيهِ الظَّرفِ المؤقَّتِ بالمبهَمِ.

﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا نِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾ وقُرِئَ: (فنِعْمَ)(٤)، والمَخصوصُ بالمدحِ محذوفٌ دلَّ عليه ما قبلَه.

﴿ ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ ﴾ على أذيَّةِ المشركينَ والهجرةِ للدِّينِ، إلى غيرِ ذلك مِن المِحَنِ والمَشاقِّ.

﴿وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾: ولا يتوكَّلُونَ إلَّا على اللهِ(٥).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٠/ ٥٥٥). وتقدم عند تفسير الآية (٩٧) من سورة النساء.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٥) عن يحيى بن وثاب.

(٥) في (ت): «ربهم».

قوله: «أو تشبيهِ الظَّرفِ المُؤقَّتِ»: قال الطِّيبيُّ: أي: المعيَّنِ المَحدودِ[1].

(٦٠) - ﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴾.

﴿ وَكَأَيِّن مِّن دَابَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا ﴾: لا تطيقُ حملَهُ لضَعفِها، أو: لا تَدَّخِرُه وإنَّما تُصبِحُ ولا معيشةَ عندَها ﴿ٱللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ ثمَّ إنَّها مع ضَعفِها وتَوكُّلِها وإيَّاكم مع قوَّتِكُم واجتهادِكُم سَواءٌ في أنَّه لا يرزقُها وإيَّاكُم إلا اللهُ؛ لأنَّ رِزقَ الكُلِّ بأسبابٍ هو المسبِّبُ لها وحدَهُ، فلا تخافوا على مَعاشِكُم، فإنَّهُم لَمَّا أُمِرُوا بالهجرةِ قال بَعضُهُم: كيفَ نَقْدَمُ بلدةً ليسَ لنا فيها مَعيشَةٌ؟ فنزلَتْ[2].

﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾ لقولِكُم هذا ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بضَميرِكُم.

قوله: «في أنَّه لا يرزُقُها وإيَّاكُمْ إلَّا اللهُ»:

قال الطِّيبيُّ: هذا الحَصْرُ مُستفادٌ مِن بناء ﴿يَرْزُقُهَا﴾ على الاسمِ الجامِعِ، ومثلُ هذا التَّركيبِ يُفيدُ التَّخصيصَ عِندَهُ[3].

(٦١) - ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ﴾ المسؤولُ عَنْهم أهلُ مكَّةَ ﴿لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ﴾ لِمَا تقرَّرَ في العقولِ وجوبُ انتهاءِ المُمكناتِ إلى واحدٍ واجِبِ الوجودِ.

﴿فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفُونَ عن تَوحيدِهِ بعدَ إقرارِهم بذلك.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٩٥).

(٢) ذكره الماوردي: «النكت والعيون» (٤/ ٢٩٣)، عن ابن عباس وزاد: فهاجروا.

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٩٦).

(٦٢) - ﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥٓ ﴾ يحتمِلُ أن يكونَ الموسَّعُ له والمضيَّقُ عليهِ واحدًا على أنَّ البسطَ والقبضَ على التَّعاقُبِ، وألا يكونَ على وضعِ الضَّميرِ موضِعَ (مَن يَشاءُ)، وإبهامُه لأنَّ (مَن يشاءُ) مُبهَمٌ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ﴾ يَعلمُ مَصالِحَهم ومَفاسِدَهُم.

قوله: «يحتملُ أَنْ يكونَ المُوَسَّعُ له والمُضيَّقُ عليه واحدًا، على أَنَّ القَبْضَ والبَسْطَ على التَّعاقُبِ، وأَنْ لا يكونَ على وَضْعِ الضَّميرِ مَوضِعَ (مَن يَشَاء)، وإبهامُه لأَنَّ (مَن يَشَاء) مُبْهم».

قال الطِّيبِيُّ: يعني: أن الضمير المجرور في قوله: ﴿لَهُۥٓ﴾ عائدٌ إلى (مَن) فيلزمُ منه أن يُجعلَ القبضُ والبسطُ لواحد.

وأجابَ بأنَّ الضَّميرَ غيرُ عائدٍ إلى (مَن)، بَلْ وُضِعَ مَوضِعَ (مَنْ يَشاء) بجامِعِ كونِهِما مُبهَمينِ فيتعدَّدُ المَرزوقُ، ويجوزُ أن يرجِعَ إلى (مَن) ويرادَ به شَخصٌ واحِدٌ، فيتعدَّدُ بحسبِ أحوالِه فيبسطُ لهُ تارةً ويقدِرُ له أخرى.

قال الطِّيبِيُّ: ويمكنُ أَنْ يَرجِعَ إلى (مَن) ويرادَ به العُمومُ، بدَليلِ بيانِه بقولِه: ﴿مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ فيكونُ التَّعدُّدُ بحسبِ أَشخاصِه، فالمعنى: أَنَّ اللهَ يَبسُطُ رزقَ بَعضٍ ويقدِرُ رزقَ بَعضٍ، كما تقول: أَكرَمْتُ بني تَميمٍ وأَهَنْتُهُم، تريدُ البعضَ بقرينَةِ المَقامِ[1].

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ١٩٨).

(٦٣) ـ ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّن نَّزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِن بَعْدِ مَوْتِهَا لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ مُعترِفِينَ بأنه الموجِدُ للمُمكِنَاتِ بأَسرِهَا أُصولِها وفُروعِهَا، ثمَّ إِنَّهُم يُشرِكُونَ به بعضَ مَخلوقاتِه الذي لا يقدرُ على شيءٍ مِن ذلك.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ على ما عَصمَكَ مِن مثلِ هذه الضَّلالةِ، أو على تَصديقِكَ وإظهارِ حُجَّتِك ﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ فيَتناقضونَ حيثُ يُقرُّونَ بأَنَّهُ المبدأُ لكلِّ ما عداهُ ثمَّ إنَّهُم يُشرِكُونَ به الصَّنمَ، وقيل: لا يعقلونَ ما تريدُ بتَحميدِكَ عندَ مَقالِهم.

(٦٤) ـ ﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ ۚ وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ ۚ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿وَمَا هَٰذِهِ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا﴾ إشارةُ تَحقيرٍ، وكيفَ لا وهي لا تَزِنُ عندَ اللهِ جَناحَ بَعوضَةٍ.

﴿إِلَّا لَهْوٌ وَلَعِبٌ﴾: إلا كمَا يَلْهَى ويلعبُ به الصِّبيانُ، يجتمعونَ عليه ويَبتَهِجونَ بهِ ساعةً ثمَّ يتفرَّقونَ مُتعبينَ.

﴿وَإِنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ لَهِيَ الْحَيَوَانُ﴾: لهي دارُ الحياةِ الحقيقيَّةِ لامتناعِ طَريانِ الموتِ عليها، أو جُعلت هي في ذاتِها حياةً للمُبالغَةِ.

و(الحَيَوانُ): مَصدرُ حَيِيَ سُمِّيَ به ذو الحياة، وأصلُه: حَيَيَان، فقُلِبَت الياءُ الثَّانيةُ واوًا، وهو أبلَغُ مِن الحياةِ لِمَا في بناءِ فَعَلَان مِن الحركةِ والاضطرابِ اللَّازمِ للحياةِ ولذلك اختيرَ عليها هاهُنا.

﴿لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ﴾ لم يؤثِرُوا عليها الدُّنيَا التي أصلُها عدمُ الحَياةِ، والحياةُ فيها عارضَةٌ سَريعَةُ الزَّوالُ.

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ ﴿٦٥﴾ لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ وَلِيَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ﴾ مُتَّصِلٌ بما دلَّ عليه شَرحُ حالِهم؛ أي: هُم على ما وُصِفُوا به مِن الشِّركِ، فإذا ركبُوا[1] البحرَ ﴿دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾: كائنينَ في صورَةِ مَن أخلَصَ دينَهُ مِن المؤمنينَ حيثُ لا يذكرونَ إلَّا الله[2] ولا يَدْعونَ سِواهُ؛ لعِلْمِهِم بأنَّه لا يكشِفُ الشَّدائدَ إلَّا هو.

﴿فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ﴾: فاجَؤوا المعاودةَ إلى الشِّركِ.

﴿لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ﴾ اللامُ فيه لامُ (كي)؛ أي: يُشرِكُونَ ليكونُوا كافرينَ بشِرْكِهم نعمةَ النَّجاةِ ﴿وَلِيَتَمَتَّعُوا﴾ باجتماعِهم على عبادةِ الأصنامِ وتوادِّهم عليها[3].

أو لامُ الأمرِ على التَّهديدِ، ويُؤيِّدُه قراءةُ ابنِ كثيرٍ وحمزةَ والكِسائيِّ وقالون عن نافعٍ: ﴿وَلْيَتْمَتَّعُوا﴾ بالسُّكونِ[4].

---

(١) في (ت): «ركبوا في».

(٢) «إلا الله»: ليست في (ت).

(٣) عبارة «الكشاف» (٦/ ٥٣٣ ـ ٥٣٤): المعنى: أنَّهم يَعُودُونَ إلى شِركهِمْ ليَكُونُوا بالعَوْدِ إلى شِرْكهِمْ كافِرينَ بنعمَةِ النَّجاة، قَاصِدِينَ التَّمتُّعَ بهَا والتَّلذُّذَ لا غيرُ، على خِلاف ما هو عَادة المؤمنِينَ المُخلِصِيْنَ على الحَقيْقة إذَا أنْجَاهُم اللهُ أن يَشكُروا نعمَةَ اللهِ في إنجَائِهم، ويَجْعَلُوا نِعْمَةَ النَّجاةِ ذَرِيعَةً إلى ازدِيادِ الطَّاعَةِ لا إلى التَّمتُّعِ والتَّلذُّذِ.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ عاقبةَ ذلك حينَ يعاقبونَ، يعني: أهلَ مَكَّةَ[(١)].

قوله: «أيْ: هُم على ما وُصِفُوا به مِن الشِّركِ، فإذا رَكِبُوا البَحرَ»:

قال الطِّيبيُّ: يريدُ أنَّ الفاءَ للتَّعقيبِ، وفي الكلامِ مَعنى الغَايةِ كمَا في قولِه تَعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ﴾ إلى قولِه تعالى: ﴿دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [يونس: ٢٢][(٢)].

(٦٧) - ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡۚ أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ﴾ يعني: أهلَ مكَّةَ[(٣)] ﴿أَنَّا جَعَلۡنَا حَرَمًا ءَامِنٗا﴾؛ أي: جَعلْنَا بلدَهُم مَصونًا عن النَّهبِ والتَّعدِّي آمِنًا أهلُه عن القتلِ والسَّبيِ ﴿وَيُتَخَطَّفُ ٱلنَّاسُ مِنۡ حَوۡلِهِمۡ﴾: يُختَلَسونَ قتْلًا وسَبْيًا إذ كانت العربُ حولَهُ في تَغاوُرٍ وتناهُبٍ.

﴿أَفَبِٱلۡبَٰطِلِ يُؤۡمِنُونَ﴾: أبعدَ هذه النِّعمةِ المَكشوفَةِ وغيرِها ممَّا لا يقدرُ عليه إلَّا اللهُ بالصَّنمِ أو الشَّيطانِ يؤمنونَ ﴿وَبِنِعۡمَةِ ٱللَّهِ يَكۡفُرُونَ﴾ حيثُ أشرَكُوا به غيرَه؟ وتَقديمُ الصِّلَتينِ للاهتمامِ أو الاختصاصِ[(٤)] على طريقِ المُبالغَةِ.

(٦٨) - ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُۥٓۚ أَلَيۡسَ فِي جَهَنَّمَ مَثۡوٗى لِّلۡكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا﴾ بأَنْ زعمَ أنَّ لَهُ شَريكًا ﴿أَوۡ كَذَّبَ بِٱلۡحَقِّ لَمَّا

---

(١) «يعني أهل مكة»: من (أ)، وليس في (خ) و(ض) و(ت).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٢٠١).

(٣) «يعني أهل مكة» من (خ) و(ض) و(ت) وليست في (أ).

(٤) في (خ): «للاهتمام به أو الاختصاص» وفي (ت): «للاهتمام والاختصاص»، وفي (أ): «للاهتمام أو الاختصار».

جَآءَهُۥٓ﴾ يعني: الرَّسولَ أو الكتابَ، وفي ﴿لَمَّا﴾ تَسفيهٌ لَهُم بأَنْ لَمْ يَتوقَّفُوا ولم يتأمَّلُوا قَطُّ حينَ جاءَهُم بل سارَعُوا إلى التَّكذيبِ أوَّلَ ما سَمِعُوهُ.

﴿أَلَيْسَ فِى جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ تقريرٌ لثَوائِهم كقولِه:

أَلَسْـتُمْ خَيْـرَ مَـنْ رَكِـبَ المَطَايَـا

أي: ألا يستوجبونَ الثَّواءَ فيها وقد افترَوْا مثلَ هذا الكذبِ على اللهِ وكَذَّبُوا بالحقِّ مثلَ هذا التَّكذيبِ؟

أو: لاجترائِهم؛ أي: أَلَمْ يعلَمُوا أنَّ في جهنَّمَ مَثْوًى للكافرينَ حتى اجترَؤُوا مثلَ هذه الجراءَةِ[1].

قوله:

(أَلَسْـتُمْ خَـيْرَ مَـنْ رَكِـبَ المَطَايَـا)

تمامُه:

وَأَنْـــدَى العَالَمِيـــنَ بُطُـــونَ رَاحِ

وهو لجَريرٍ مِن قَصيدَةٍ يمدَحُ بها عبدَ الملكِ بنَ مَروان[2].

(٦٩) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُوا۟ فِينَا﴾: في حقِّنَا، فإطلاقُ[3] المُجاهدَةِ لتَعُمَّ جِهادَ الأَعادي الظَّاهرةِ والباطنَةِ بأنواعِه.

﴿لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا﴾: سُبلَ السَّيرِ إلَيْنَا والوصولِ إلى جَنابِنا، أو: لنَزيدنَّهُم هدايةً إلى سبيلِ الخيرِ وتوفيقًا لسُلوكِها؛ كقولِه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى﴾ [محمد: ١٧].

---

(١) في (ض) «الجُرأة».

(٢) انظر: «ديوان جرير ـ بشرح ابن حبيب» (١/ ٨٩).

(٣) في (ت): «فأطلق».

وفي الحَديثِ: «مَن عَمِلَ بما عَلِمَ، ورَّثَه اللهُ عِلمَ ما لم يَعْلَم».

﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ بالنَّصرِ والإعانَةِ.

قال رسولُ اللهِ ﷺ: «مَن قرأَ سورةَ العَنكبوتِ كانَ له مِن الأجرِ عشرُ حسناتٍ بعَددِ كلِّ المؤمنينَ والمنافقينَ».

قوله: «وفي الحَديثِ: مَن عَمِلَ بما عَلِمَ، وَرَّثَه اللهُ عِلْمَ مَا لَمْ يَعْلَم»:

أخرجَه أبو نُعيمٍ في «الحلية» مِن حَديثِ أنسٍ[1].

وقال الطِّيبيُّ: قالوا: العِلْمُ عِلمان: عِلْمُ وِراثَةٍ وعِلْمُ دِراسَةٍ، العارِفُونَ صَدَقَت مُجاهَدَاتُهُم فنالوا عُلومَ الدِّراسَةِ، وَصَفَتْ مُعامَلَاتُهُم فمُنِحُوا عِلمَ الوِراثَةِ[2].

قوله: «مَن قَرَأَ سورَةَ العَنكبوتِ...» إلى آخره: موضوعٌ[3].

* * *

(١) رواه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ١٥)، وقال: ذكر أحمد بن حنبل هذا الكلام عن بعض التابعين عن عيسى بن مريم عليه السلام، فوهم بعض الرواة أنه ذكره عن النبي ﷺ فوضع هذا الإسناد عليه لسهولته وقربه، وهذا الحديث لا يحتمل بهذا الإسناد عن أحمد بن حنبل.

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٢٠٦).

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٨) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سُورَةُ الرُّومِ

سُورَةُ الرُّومِ

مَكِّيَّةٌ، إلا قولَه ﴿ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ ... ﴾.

وهي ستُّونَ أو تسعٌ وخمسونَ آيةً[1].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٥) ـ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ سَيَغۡلِبُونَ ﴿٣﴾ فِي بِضۡعِ سِنِينَۗ لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُۚ وَيَوۡمَئِذٖ يَفۡرَحُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصۡرِ ٱللَّهِۚ يَنصُرُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ﴿٢﴾ فِيٓ أَدۡنَى ٱلۡأَرۡضِ﴾: أرضِ العَرَبِ مِنْهُم؛ لأنَّها الأَرْضُ المَعْهودَةُ عِندَهُم، أو: في أَدْنَى أَرضِهِم مِن العَرَبِ، واللامُ بَدَلٌ مِن الإضافَةِ.

﴿وَهُم مِّنۢ بَعۡدِ غَلَبِهِمۡ﴾ مِن إضافَةِ المَصدَرِ إلى المفعولِ، وقُرِئَ: (غَلْبِهِم)[2] وهي لغةٌ كالجَلَبِ والجَلْبِ.

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٥)، وفيه: وهي خمسون وتسع آيات في المدني الأخير والمكي، وستون آية في عدد الباقين، اختلافها أربع آيات: ﴿الٓمٓ﴾ عدَّها الكوفي ولم يَعُدَّها الباقون، ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ لم يَعُدَّها المدني الأخير والمكي وعدها الباقون، ﴿فِي بِضۡعِ سِنِينَ﴾ لم يعدَّها المدني الأول والكوفي وعدها الباقون، ﴿يُقۡسِمُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾ عدها المدني الأول ولم يعدها الباقون، وكلهم عد ﴿يُبۡلِسُ ٱلۡمُجۡرِمُونَ﴾.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧) عن عليٍّ رضي الله عنه.

﴿سَيَغْلِبُونَ ۝٣ فِي بِضْعِ سِنِينَ﴾ رُوِيَ أنَّ فارسَ غَزَوا الرُّومَ فوافَوْهُم بأَذْرِعَاتٍ وبُصرَى، وقيل: بالجَزِيرَةِ وهي أَدْنَى أرضِ الرُّومِ مِن الفرسِ، فغَلَبوا عَلَيهِم، وبلَغَ الخَبَرُ مَكَّةَ ففرِحَ المُشرِكُونَ وشمتُوا بالمسلمينَ وقالوا: أنتُمْ والنَّصارَى أَهْلُ كِتَابٍ ونَحْنُ وفارسُ أُمِّيُّونَ، وقد ظهرَ إخوانُنا على إخوانِكُم فلنظهرنَّ[١] عليكُم، فنزلَتْ، فقال لهم أبو بَكرٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: لا يقرِّرُ[٢] اللهُ أَعيُنَكم، فواللهِ ليظهرنَّ الرُّومُ على فارسَ بعدَ بضعِ سنينٍ، فقالَ له أبيُّ بنُ خلفٍ: كذبتَ، اجعَلْ بينَنَا[٣] أجلًا أناحِبْكَ عليه[٤]، فناحبَهُ على عشرِ قلائِصَ مِن كلِّ واحدٍ مِنْهُما، وجَعَلا الأجلَ ثلاثَ سِنينَ، فأخبرَ أبو بكرٍ رسولَ اللهِ ﷺ فقال: «البِضْعُ ما بينَ الثَّلاثِ إلى التِّسعِ فزايِدْهُ في الخطرِ ومادِّهِ في الأجلِ»، فجعَلاها مئةَ قلوصٍ إلى تسعِ سنينَ، وماتَ أُبَيٌّ مِن جرحِ رسولِ اللهِ ﷺ بعدَ قُفولِه مِن أُحُدٍ، وظَهرَتِ الرُّومُ على فارسَ يومَ الحديبيةِ، فأخذَ أبو بَكْرٍ رضيَ اللهُ عنه الخطرَ مِن وَرَثةِ أُبَيٍّ، وجاءَ به إلى رسولِ اللهِ فقال: تَصدَّقْ به[٥].

---

(١) في (أ) و(ت) و(خ): «ولنظهرن».

(٢) في (أ) ونسخة في هامش (خ): «لا يُقِرَّنَّ».

(٣) في (خ) زيادة: «وبينك».

(٤) المناحبة: المراهنة.

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٠ ـ ٤٥١) عن عكرمة. وهو مرسل كما ذكر الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٥٤)، وقد روي نحو هذا الخبر في حديث صحيح عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٤٩٥)، والبخاري في «خلق أفعال العباد» (١١٥)، والترمذي (٣١٩٣) وحسنه، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٢٥)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٤٧ ـ ٤٤٨)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٤٠) وصححه، والبيهقي في «الدلائل» (٢/ ٣٣٠ ـ ٣٣١). وللترمذي رواية أخرى للقصة ستأتي. =

واستَدلَّ به الحنفيَّةُ على جوازِ العُقودِ الفاسدَةِ في دارِ الحربِ[١]، وأُجِيبَ بأنَّه كان قبلَ تحريمِ القمارِ[٢].

والآيةُ مِن دلائلِ النبوَّةِ لأنَّها إخبارٌ عن الغيبِ.

وقُرِئَ: (غَلَبَت) بالفتحِ، و(سيُغْلَبونَ) بالضمِّ[٣]، ومعناه: أنَّ الرُّومَ غَلَبُوا على ريفِ الشَّامِ والمسلمونَ سيغلبونَهُم[٤]، وفي السنَةِ التاسِعَةِ مِن نزولِه غزَاهُم

= وقد روي في هذه القصة أحاديث وآثار كثيرة يطول ذكرها، جمعها السيوطي في «الدر المنثور» (٦/ ٤٧٩ ـ ٤٨٣).

وكون ظهور الروم على فارس كان يوم الحديبية رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٨٩٤) عن الشعبي. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٨٧)، عن قتادة.

(١) انظر: «بدائع الصنائع» للكاساني (٧/ ١٣٢).

(٢) كون القصة وقعت قبل تحريم القمار ورد ضمن رواية الترمذي (٣١٩٤) عن نيار بن مُكرم الأسلمي في قصة الرهان وقد تقدم قريباً. ورواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٧٠)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٥٤)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٩/ ٣٠٨٧). عن قتادة. وقد ناقش الإمام القدوري في «التجريد» (٥/ ٢٣٧٠) مسألة بيع المسلم الدرهم بالدرهمين في دار الحرب، والجوابَ الذي أورده الإمام البيضاوي بمزيد من التفصيل فانظره ثمة.

(٣) نسبت لعليّ وابن عمر وأبي سعيد الخدري ـ رضي الله عنهم ـ ومعاوية بن قرة وغيرهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣١٩)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧)، و«البحر» (١٧/ ١٥٤).

(٤) وقد روي هذا عن ابن عمر رضي الله عنهما، رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٤٦) عن سليط قال: سمعت ابن عمر يقرأ: (الم غَلَبَتِ الرُّومُ) فقيل له: يا أبا عبد الرحمن، على أيّ شيء غَلَبوا؟ قال: على ريف الشام.

وتعقب الطبري هذه القراءة بقوله: والصواب من القراءة في ذلك عندنا الذي لا يجوز غيره ﴿الٓمٓ =

المسلمونَ وفتَحُوا بعضَ بلادِهم، وعلى هذا تكونُ إضافةُ الغَلَبِ إلى الفاعلِ.

﴿لِلَّهِ ٱلْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِنۢ بَعْدُ﴾: مِن قبلِ كَونِهِم غالبينَ، وهو وقتُ كونِهِم مَغلوبينَ، ومِن بَعدِ كونِهم مَغلوبينَ، وهو وقتُ كونِهم غالبينَ؛ أي: له الأمرُ حينَ غُلِبُوا وحينَ يَغْلِبونَ ليسَ شيءٌ منهما إلَّا بقَضائِه.

وقُرِئَ: (مِن قَبْلٍ ومِن بَعْدٍ)[1] مِن غيرِ تَقديرِ مُضافٍ إليه؛ كأنَّه قيل: قبلًا وبَعدًا؛ أي: أوَّلًا وآخرًا.

﴿وَيَوْمَئِذٍ﴾: ويومَ يَغْلِبُ الرُّومُ ﴿يَفْرَحُ ٱلْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ مَن له كتابٌ على مَن لا كتابَ لَهُ؛ لِمَا فيه مِن انقلابِ التَّفاؤُلِ وظُهورِ صِدقِهِم فيما أخبرُوا به المشركينَ، وغَلَبتِهِمْ في رِهانِهِم، وازديادِ يَقينِهِم وثَباتِهِم في دينِهِم.

وقيل: ﴿بِنَصْرِ ٱللَّهِ﴾ المؤمنينَ بإظهارِ صِدْقِهِم، أو بأنْ وَلَّى بعضَ أعدائِهِم بعضًا حتى تَفانَوْا.

﴿يَنصُرُ مَن يَشَآءُ﴾ فينصرُ هؤلاءِ تارةً وهؤلاءِ أُخرى ﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾ ينتقمُ مِن عبادِه بالنَّصرِ عليهم تارةً، ويتفضلُ عليهم بنَصرِهِم أخرى.

قولُه: «أَرضِ العَرَبِ مِنْهُم»:

قال الطِّيبيُّ: «منهم» مُتعلِّقٌ بـ﴿أَدْنَى﴾ والضَّميرُ لـ﴿ٱلرُّومُ﴾[2].

= ﴿ۖ۝١ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ بضم الغين؛ لإجماع الحجة من القرّاء عليه.

(١) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦١٦)، و«البحر» (١٧/ ١٥٦)، عن أبي السمال والجحدري وعون العقيلي.

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٢٠٧).

قوله: «واللامُ بَدلٌ مِن الإضافَةِ»:

قال الحَلَبِيُّ: هذا قولٌ كوفِيٌّ[١].

قوله: «رُوِيَ أنَّ فارسَ غزَوا الرُّومَ...» إلى آخره.

أخرجَه التِّرمِذِيُّ مِن حَديثِ نِيَار بن مُكرم نحوَه[٢].

(٦ ـ ٧) ـ ﴿وَعْدَ ٱللَّهِ لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ۝٦ يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ هُمْ غَٰفِلُونَ﴾.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مصدرٌ مُؤكِّدٌ لنَفسِهِ لأنَّ ما قبلَهُ في مَعنى الوَعدِ ﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥ﴾ لامتناعِ الكذبِ[٣] عليه تعالى ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ وعدَهُ ولا صِحَّةَ وَعدِهِ، لجَهْلِهم وعدمِ تَفكُّرِهم.

﴿يَعْلَمُونَ ظَٰهِرًا مِّنَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾: ما يُشاهِدُونَه مِنْها والتَّمتُّعَ بزَخارِفِها ﴿وَهُمْ عَنِ ٱلْآخِرَةِ﴾ التي هي غايتُها والمقصودُ مِنْها ﴿هُمْ غَٰفِلُونَ﴾ لا تَخطرُ ببالِهم.

و﴿هُمْ﴾ الثَّانيةُ تكريرٌ للأُولَى، أو مُبتدأٌ و﴿غَٰفِلُونَ﴾ خبرُه والجملَةُ خبرُ الأُولى، وهو على الوجهينِ مُنادٍ على تَمكُّنِ غَفْلَتِهم عن الآخرةِ المُحقَّقَةِ لِمُقتَضى الجملَةِ المتقدِّمَةِ، المبدلَةِ مِن قولِه: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾ تقريرًا لجَهالَتِهم، وتَشبيهًا لَهُم[٤] بالحيواناتِ المقصورِ إِدْرَاكُها مِن الدُّنيَا ببعضِ ظاهِرِهَا، فإنَّ مِن العِلْمِ بظَاهِرِهَا

---

(١) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٢٩).

(٢) رواه الترمذي (٣١٩٤)، وقال: حديث حسن صحيح غريب من حديث نيار بن مكرم، لا نعرفه إلا من حديث عبد الرحمن بن أبي الزناد.

(٣) في (ت): «الخلف».

(٤) في (ت): «لحالهم».

مَعرِفَةَ حَقائِقِها وصِفَاتِها وخَصائِصِها وأفعالِها وأسبابِها، وكيفيَّةِ صُدورِهَا مِنْها، وكيفيَّةِ التَّصرُّفِ فيها، ولذلك نُكِّرَ ﴿ظَـٰهِرًا﴾، وأمـا باطنُهـا[1]: أنَّها[2] مجازٌ إلى الآخرةِ، ووُصْلَةٌ إلى نَيْلِها، ونموذجٌ[3] لأحوالِها، وإشعاراً[4] بأنَّه لا فرقَ بينَ عَدَمِ العِلْمِ والعِلْمِ الذي يختَصُّ بظاهرِ الدُّنْيا.

قوله: «المبدَلَة مِن قَولِه: ﴿لَا يَعْلَمُونَ﴾»:

قال السَّفاقُسيُّ: الصِّناعَةُ لا تُساعِدُ على هذا؛ لأنَّ بدلَ فعلٍ مُثبَتٍ مِن فعلٍ مَنفِيٍّ لا يَصِحُّ.

(٨) ـ ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم ۗ مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآئِ رَبِّهِمْ لَكَـٰفِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِم﴾: أولم يُحدِثُوا التَّفكُّرَ فيها، أو: أولم يَتفكَّرُوا في أمرِ أَنفُسِهِم فإنَّها أقرَبُ إليْهِم مِن غَيْرِها، ومرآةٌ يُجتلَى فيها للمستبصِرِ ما يُجتلَى له في المُمكناتِ بأَسرِهَا؛ ليَتحقَّقَ له قدرَةُ مُبدِعِها على إعادَتِها قدرتَهُ على إبدائِها.

﴿مَّا خَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ مُتعلِّقٌ بقولٍ أو علمٍ مَحذوفٍ يَدُلُّ عليهِ الكَلامُ[5].

---

(١) في (ت): «باطنًا».

(٢) قوله: «وأما باطنها أنها مجاز إلى الآخرة» حَذَفَ الفاء من جواب «أما» وهو «أنها مجاز»، وهو جائز على قلَّة. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٠٥).

(٣) في (ت): «أنموذج»، وكلاهما صواب. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١١٣) وقال الشهاب: وقوله في «القاموس»: «أنموذج غلط» لا وجه له.

(٤) في (أ) و(ض): «وإشعار». والمثبت من (خ) و(ت) ونسخة في هامش (ض) وعليه شرح الشهاب فقال: قوله: «وإشعاراً» معطوف على قوله: «تقريراً». انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١١٣).

(٥) تقديره: أولم يتفكروا في أنفسهم فيقولوا أو فيعلموا ما خلق الله... إلى آخره. انظر: «حاشية =

﴿وَأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ تنتهي عندهُ ولا تبقى بعدَه ﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ بِلِقَآيِٕ رَبِّهِمْ﴾: بلقاءِ جَزائِه عند انقضاءِ[1] الأَجَلِ المُسمَّى أو قيامِ السَّاعةِ.

﴿لَكَٰفِرُونَ﴾: جاحِدُونَ يَحْسَبُونَ أنَّ الدُّنيا أبديَّةٌ وأنَّ الآخرةَ لا تكونُ.

(٩) - ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ وَعَمَرُوهَآ أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ ۖ فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا۟ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ تقريرٌ لسَيْرِهم في أَقطارِ الأَرضِ ونظرِهم إلى آثارِ المدمَّرينَ قبلَهُم.

﴿كَانُوٓا۟ أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً﴾ كعادٍ وثمودَ ﴿وَأَثَارُوا۟ ٱلْأَرْضَ﴾: وقلَبوا وجهَها لاستنباطِ المياهِ واستخراجِ المَعادنِ وزرعِ البُذورِ وغيرِها ﴿وَعَمَرُوهَآ﴾: وعمَرُوا الأرضَ ﴿أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا﴾: مِن عمارةِ أهلِ مكَّةَ إيَّاهَا، فإنَّهم أهلُ وادٍ غيرِ ذي زرعٍ لا تبسُّطَ لهم في غيرِها.

وفيه تَهكُّمٌ بهم مِن حَيثُ إنَّهم مُغترُّونَ بالدُّنيا مفتخِرونَ بها وهُمْ أضعَفُ حالًا فيها؛ إذ مدارُ أَمرِها على التَّبسُّطِ في البلادِ، والتَّسلُّطِ على العبادِ،

= الأنصاري» (٤/ ٤٠٦).

(١) بعدها في (أ) و(ض) و(خ): «قيام». قال الشهاب: قوله: «عند انقضاء الأجل المسمى» وفي نسخة: «عند انقضاء قيام الأجل المسمى»، وقد قيل: إنها سهو من قلم الناسخ، إلا أن يُتكلف له بجعله من إضافة الصفة للموصوف؛ أي: الأجل القائم، والمراد بالأجل جميع المدة، ولا حاجة إلى هذا، فإنَّ القيام يكون بمعنى البقاء، والمعنى: عند انقضاء بقاء مدة الدنيا، وهو شامل لما في القبر بخلاف قيام الساعة فيفترقان. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١١٤).

والتَّصرُّفِ في أقطارِ الأرضِ بأنواعِ العمارةِ، وهم ضُعفاءُ مُلْجؤونَ[1] إلى وادٍ لا نفعَ لها.

﴿وَجَآءَتۡهُمۡ رُسُلُهُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجزاتِ، أو: الآياتِ الواضحاتِ ﴿فَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيَظۡلِمَهُمۡ﴾: ليفعلَ بِهِم ما يفعلُ الظَّلَمةُ فيدمِّرَهُم مِن غيرِ جُرمٍ[2] ولا تَذكيرٍ ﴿وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ حيثُ عَمِلُوا ما أدَّى إلى تَدميرِهِم.

(١٠) ـ ﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾.

﴿ثُمَّ كَانَ عَٰقِبَةَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔواْ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾؛ أي: ثمَّ كان عاقِبَتُهم العقوبَةَ السُّوأى، أو الخَصلةَ السُّوأى، فوُضِعَ الظَّاهِرُ مَوضِعَ الضَّميرِ للدَّلالةِ على ما اقتضَى أن تكونَ تلكَ عاقِبتَهُم، وأنَّهُم جاؤُوا بمثلِ أَفْعالِهِم، و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ تَأنيثُ أَسْوَأَ كالحُسْنَى، أو مَصدَرٌ كالبُشْرَى نُعِتَ بها.

﴿أَن كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَكَانُواْ بِهَا يَسۡتَهۡزِءُونَ﴾ عِلَّةٌ أو بَدلٌ أو عطفُ بيانٍ لـ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾، أو خبرُ ﴿كَانَ﴾ و﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ مَصدَرُ ﴿أَسَٰٓـُٔواْ﴾ أو مفعولُه بمَعنى: ثمَّ كان عاقِبَةُ الذين اقترفُوا الخَطيئةَ أَنْ طبعَ اللهُ على قلوبِهم حتَّى كذَّبُوا بالآياتِ[3] واستهزَؤُوا بها.

ويجوزُ أَنْ تكونَ ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ صِلَةَ الفعلِ، و﴿أَن كَذَّبُواْ﴾ تابعَها والخبرُ

---

(١) في (ت): «وملجؤون».

(٢) في (ت): «ظلم».

(٣) في (ض) و(ت): «الآيات».

محذوفًا للإبهامِ والتَّهويلِ[1]، وأَنْ تكونَ ﴿أَن﴾ مفسِّرَةً؛ لأنَّ الإساءةَ إذا كانَتْ مُفسَّرَةً بالتَّكذيبِ والاستهزاءِ كانَتْ مُتضمِّنَةً معنى القولِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ والكوفِيُّونَ: ﴿عَـٰقِبَةَ﴾ بالنصب[2] على أن الاسم ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ و﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ على الوجوه المذكورة.

قوله: «أو عَطفُ بيانٍ للسُّوأَى»: قال السفاقسيُّ[3]: فيه ضَعفٌ؛ لأنَّ عطفَ البيان أكثَرُ ما يكونُ في الأعلامِ والألقابِ.

قوله: «والخبرُ مَحذوفًا»: قال أبو حيَّان: أصحابُنا لا يُجيزونَ حَذْفَ خبرِ (كانَ) وأَخَواتِها لا اختِصارًا ولا اقتِصارًا، إلَّا إِنْ وردَ مِنه شيءٌ فلا يُقاسُ عليه[4].

قوله: «وأَنْ تكونَ (أنْ) مُفسِّرَةً..» إلى آخره:

قال أبو حيَّان: كونُ ﴿أَن﴾ هنا حَرْفَ تَفسيرٍ مُتكَلَّفٌ جدًّا[5].

---

(١) ومعنى هذا الوجه: أَنْ يكُون ﴿أَسَـٰٓـُٔوا۟ ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ بمَعْنى: اقترفُوا الخَطِيْئَةَ التي هي أسوَأُ الخطَايا، و﴿أَن كَذَّبُوا۟﴾ عَطْفَ بيَانٍ لها، وخَبرُ ﴿كَانَ﴾ محذُوفٌ كما يُحْذَفُ جوابُ (لمَّا) و(لو) إرادةَ الإبْهام. انظر: «الكشاف» (٦/ ٥٤٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٤).

(٣) في (س) و(ن): «قال الطيبيُّ»، ولم أقف على الكلام في «فتوح الغيب»، فلعل الصواب المثبت من (ز).

(٤) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ١٦٣).

(٥) المصدر السابق (١٧/ ١٦٣).

(١١ ـ ١٢) ـ ﴿ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾.

﴿ اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ﴾: يُنشِئُهم ﴿ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾: يبعثُهم ﴿ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ للجزاءِ، والعدولُ إلى الخطابِ للمُبالغَةِ في المقصودِ. وقرأ أبو بكرٍ وأبو عمرٍو ورَوْحٌ بالياءِ على الأصلِ(١).

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾: يَسكتونَ مُتحيِّرينَ آيسينَ، يقال: ناظَرْتُه فأبلَسَ: إذا سكتَ وأَيِسَ مِن أَنْ يحتجَّ، ومنهُ النَّاقَةُ المِبْلَاسُ: التي لا ترغو.

وقُرِئَ بفَتحِ اللامِ(٢) مِن أَبْلَسَهُ: إذا أَسْكَتَهُ.

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ شُفَعَٰٓؤُا وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴿١٣﴾ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾.

﴿ وَلَمْ يَكُن لَّهُم مِّن شُرَكَائِهِمْ ﴾ ممَّنْ أشركُوهُم باللهِ ﴿شُفَعَٰٓؤُا﴾ يجيرونَهُم مِن عَذابِ اللهِ، ومَجيئُه بلفظِ الماضي لتَحقُّقِه.

﴿وَكَانُوا بِشُرَكَائِهِمْ كَافِرِينَ ﴾: يكفرونَ بآلهيَّتِهم حيثُ يَئِسُوا مِنْهُم.

وقيل: كانوا في الدُّنيا كافِرينَ بسببِهِم.

وكتبَ في المصحف: ﴿شُفَعَٰٓؤُا﴾ و﴿عُلَمَٰٓؤُا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧] بالواوِ، و﴿السُّوٓأَىٰٓ﴾ بالألفِ إثباتًا للهَمزَةِ على صورةِ الحرفِ الذي منه حركَتُها.

﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ ﴾؛ أي: المؤمنون والكافرونَ؛ لقولِه:

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٥)، و«النشر» (٢/ ٣٤٤).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧) عن علي رضي الله عنه والسلمي.

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ يُحْبَرُونَ (١٥) وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي رَوْضَةٍ﴾: أرضٍ ذاتِ أزهارٍ وأنهارٍ ﴿يُحْبَرُونَ﴾: يُسَرُّونَ سُرورًا تهلَّلَتْ له وُجوهُهُم.

﴿وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَلِقَاءِ الْآخِرَةِ فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾: مُدْخلونَ لا يغيبونَ عنه.

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾.

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ (١٧) وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ﴾ إخبارٌ في معنى الأمرِ بتنزيهِ اللهِ تعالى والثَّناءِ عليهِ في هذه الأوقاتِ التي تظهَرُ فيها قُدرتُه وتتجدَّدُ فيها نِعمتُه، أو دلالةٌ على أنَّ ما يحدثُ فيها من الشَّواهدِ النَّاطقةِ بتنزيهِه واستحقاقِه الحمدَ ممَّن له تَمييزٌ مِن أهلِ السَّماواتِ والأرضِ.

وتخصيصُ التَّسبيحِ بالمَساءِ والصَّباحِ لأنَّ آثارَ القُدرَةِ والعَظمَةِ فيهما أظهَرُ.

وتَخصيصُ الحَمْدِ بالعَشِيِّ الذي هو آخِرُ النَّهارِ ـ مِن عَشَى العينِ: إذا نقصَ نورُها ـ والظهيرةِ التي هي وسطُه؛ لأنَّ تَجدُّدَ النِّعَمِ فيهما أكثَرُ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿عشيًّا﴾ مَعطوفًا على ﴿حِينَ تُمْسُونَ﴾ وقولُه: ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ اعتراضًا.

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنْهُما: أنَّ الآيةَ جامِعَةٌ للصَّلواتِ الخمسِ،

﴿تُمۡسُونَ﴾: صلاتَا المغربِ والعشاءِ، و﴿تُصۡبِحُونَ﴾ صلاةُ الفجرِ، ﴿وَعَشِيّٗا﴾ صلاةُ العصرِ و﴿تُظۡهِرُونَ﴾ صلاةُ الظُّهرِ.

ولذلك زعمَ الحَسَنُ أنَّها مَدنيَّةٌ؛ لأنَّه كان يقولُ: كان الواجِبُ بمكَّةَ[1] ركعتينِ في أيِّ وقتٍ اتَّفقتْ، وإنَّما فُرِضَت الخمسُ بالمدينةِ، والأكثرُ[2] أنَّها فُرِضت بمكَّةَ.

وعنه عليهِ السَّلامُ: «مَن سَرَّهُ أن يكالَ له بالقَفِيزِ[3] الأَوْفى فليَقُل: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ...﴾» الآيةَ.

وعنه عليه السَّلامُ: «مَن قالَ حينَ يُصبِحُ: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ﴾ إلى قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ تُخۡرَجُونَ﴾ أدركَ ما فاتَه في ليلَتِه، ومَن قالَ حينَ يُمسِي أدركَ ما فاتَهُ في يومِه».

وقُرِئَ: (حِينًا تُمسونَ وحِينًا تُصبِحُونَ)[4] أي: تُمسونَ فيهِ وتُصبِحُونَ فيهِ.

قوله: «وعن ابنِ عبَّاسٍ أنَّ الآيةَ جامعةٌ للصَّلواتِ الخَمسِ..) إلى آخره:

أخرجَه ابنُ جَريرٍ والطَّبرانيُّ والحاكِمُ[5].

قوله: «مَنْ سَرَّهُ أن يَكتالَ بالقَفِيزِ الأَوْفى فلْيَقُل: ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمۡسُونَ﴾» الآيةَ:

---

(١) في (خ) و(ض) و(ت): «الواجب بمكة».

(٢) في (خ) و(ض) و(ت) زيادة: «على».

(٣) في (ت): «بالكيل».

(٤) هي قراءة عكرمة، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧)، و«المحتسب» (٢/ ١٦٣ ـ ١٦٤).

(٥) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٧٤)، والطبراني في «المعجم الكبير» (١٠٥٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٤١) وصححه، ورواه أيضاً عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٢٨٠).

رواهُ الثَّعلبيُّ مِن حَديثِ أَنَسٍ بسَنَدٍ ضَعيفٍ جدًّا[١].

قوله: «**مَن قالَ حينَ يُصبِحُ:** ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ﴾..» **الحديث:**

أخرجَه أبو داودَ مِن حديثِ ابنِ عبَّاسٍ[٢].

(١٩) ـ ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ﴾.

﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ كالإنسانِ مِن النُّطفَةِ والطَّائرِ مِن البيضَةِ.

﴿وَيُخْرِجُ ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَىِّ﴾: النُّطفةَ والبَيْضةَ، أو يُعقِبُ الحياةَ الموتَ وبالعكسِ.

﴿وَيُحْىِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنَّباتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ يَبْسِها ﴿وَكَذَٰلِكَ﴾: ومِثْلَ ذلك الإخراجِ ﴿تُخْرَجُونَ﴾ مِن قُبورِكُم، فإنَّه أيضًا تعقيبُ الحياةِ الموتَ.

وقرَأَ حمزةُ والكِسائيُّ بفتحِ التَّاءِ[٣].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٣٦ ـ ١٣٧) من حديث أنس. وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٢٩): في إسناده بشر بن الحسين وهو ساقط.

(٢) رواه أبو داود (٥٠٧٦)، وفي سنده سعيد بن بشير النجاري، قال البخاري: لا يصح حديثه. انظر: «الضعفاء» للعقيلي (٢/ ١٠٠).

وفي الباب من حديث معاذ بن أنس مرفوعاً رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٥٦٢٤) ولفظه: «ألا أخبركم لم سمى الله تبارك وتعالى إبراهيم خليله الذي وفّى؛ لأنه كان يقول كلما أصبح وأمسى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ﴾ حتى يختم الآية». وإسناده ضعيف لضعف زبان بن فائد وابن لهيعة.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٥).

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴾.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ﴾؛ أي: في أصلِ الإنشاءِ لأنَّه خلقَ أصلَهم منه ﴿ثُمَّ إِذَآ أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴾: ثمَّ فاجأتُم وقتَ كونِكُم بشرًا مُنتَشِرينَ في الأرضِ.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ لأنَّ حوّاءَ خُلِقَت مِن ضلعِ آدمَ، وسائرُ النِّساءِ خُلِقْنَ مِن نُطَفِ الرِّجالِ، أو لأنَّهُنَّ مِن جِنسِهِم لا مِن جِنسٍ آخرَ.

﴿لِّتَسْكُنُوٓا۟ إِلَيْهَا ﴾: لتَميلُوا إليها وتَألَفُوا بها، فإنَّ الجِنسيَّةَ عِلَّةٌ للضَّمِّ، والاختلافَ سببٌ للتَّنافُرِ، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُم ﴾؛ أي: جعَل بينَ الرِّجالِ والنِّساءِ، أو بين أفرادِ الجنسِ ﴿مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً ﴾ بواسطَةِ الزَّواجِ حالَ الشَّبَقِ وغيرِها ـ بخلافِ سائرِ الحيواناتِ ـ نَظْمًا لأمرِ المعاشِ، أو بأنَّ تَعَيُّشَ الإنسانِ مُتوقِّفٌ على التَّعارُفِ والتَّعاوُنِ المُحوِجِ إلى التَّوادِّ والتَّراحُمِ.

وقيل: المودَّةُ كِنايَةٌ عن الجماعِ، والرَّحمةُ عن الوَلدِ(١)؛ لقولِه: ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا ﴾ [مريم: ٢١].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ ﴾ فيعلمونَ ما في ذلكَ مِن الحِكَمِ.

قوله: «لأنَّه خَلَقَ أصلَهم مِنه»:

---

(١) ذكره ابن وهب في «تفسيره» (٢/ ٥٢)، ورواه ابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤٩٠)، عن الحسن.

قال الطِّيبيُّ: أي: إنَّما صَحَّ الخِطابُ للخَلْقِ بقولِه: ﴿خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ لذلك، والمعنى: خَلَقَ اللهُ أصلَكُم مِن تُرابٍ؛ ليتَّصِلَ بهِ قولُه: ﴿ثُمَّ﴾؛ أي: ثم فاجأتُم وقتَ كونِكُم بشرًا، و﴿ثُمَّ﴾ للتَّراخِي في الرُّتبَةِ لا في الزَّمانِ، فإنَّ المُفاجأَةَ تَدفعُه[1].

قوله: «**لقولِه** ﴿وَرَحْمَةً مِّنَّا﴾»؛ أي: عيسى عليهِ السَّلامُ.

(٢٢) - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَٰنِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّلْعَٰلِمِينَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفُ أَلْسِنَتِكُمْ﴾: لغاتِكُم، بأَنْ علَّمَ كُلَّ صنفٍ لغتَهُ، أو ألهمَهُ وَضْعَها وأقدرَهُ عليها.

أو: أجناسَ نُطقِكُم وأشكالَهُ، فإنَّه لا تَكادُ تسمعُ مَنطِقَيْنِ مُتساوِيَيْنِ في الكَيفيَّةِ.

﴿وَأَلْوَٰنِكُمْ﴾: بياضُ الجلدِ وسَوادُه، أو تخطيطاتُ الأعضاءِ وهيئاتُها وألوانُها وحُلاهَا بحيثُ وقعَ التَّمايزُ والتَّعارفُ حتَّى إن التَّوأمينِ مع توافُقِ موادِّهِما[2] وأسبابِهما والأمورِ المُلاقِيَةِ لَهُما في التَّخليقِ يَختَلِفانِ في شَيءٍ مِن ذلك لا مَحالةَ.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ للعالَمِينَ﴾ لا تَكادُ تخفى على عاقلٍ مِن مَلَكٍ أو إنسٍ أو جِنٍّ. وقرأَ حفصٌ بكسرِ اللامِ[3]، ويؤيِّدُه قولُه: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَآ إِلَّا ٱلْعَٰلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٢٢٥).

(٢) في (خ): «مواردهما».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٦ ـ ٥٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٧٥).

(٢٣) - ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ مَنَامُكُم بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَٱبْتِغَآؤُكُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾: مَنامُكُم في الزَّمانينِ لاستراحةِ القُوى النفسانيَّةِ وقوَّةِ القُوى الطَّبيعيَّةِ، وطلبُ مَعاشِكُم فيهما.

أو: منامُكُم بالليلِ وابتغاؤكُمْ بالنَّهارِ، فلفَّ وضمَّ بينَ الزَّمانينِ والفِعْلَينِ بعاطفَيْنِ إشعارًا بأنَّ كُلًّا مِن الزَّمانينِ وإن اختصَّ بأحدِهما فهو صالحٌ للآخرِ عندَ الحاجةِ، ويؤيِّدُه سائرُ الآياتِ الواردةِ فيه.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تَفهُّمٍ واستِبصارٍ فإنَّ الحِكمةَ فيه ظاهرةٌ.

قوله: «أو مَنامُكُم بالليلِ وابتِغاؤُكُم بالنَّهارِ، فلفَّ...»:

قال الشَّيخُ جمالُ الدِّينِ بنُ هشامٍ: هذا يَقتَضي أنَّ يكون (النَّهارُ) مَعمولًا للابتغاءِ مع تَقدُّمِه عليه وعطفِه على مَعمولِ ﴿مَنَامُكُم﴾ وهو ﴿بِٱلَّيْلِ﴾، وهذا لا يجوزُ في الشِّعرِ فكيفَ في أفصَحِ الكَلامِ؟! والصَّوابُ أن يُحمَلَ على أنَّ المنامَ في الزَّمانَيْنِ والابتغاءَ فيهِما[1].

وقال الطِّيبِيُّ في تَوجيهِ ما ذكرَهُ المُصنِّفُ: إنَّما جازَ ذلك لأنَّ الليلَ والنَّهارَ ظرفانِ في الواقعِ فيهِما المنامُ والابتغاءُ، والظَّرفُ والمَظروفُ كشيءٍ واحِدٍ، فلا فصْلَ بالأَجنَبِيِّ، مع أنَّ اللفَّ يُعِينُ السَّامعَ على أن يردَّ كلَّ واحِدٍ مِن القَرينَيْنِ إلى ما له، ويتَّحدُ به مِن النَّشرِ[2].

(١) انظر: «مغني اللبيب» لابن هشام (ص: ٧٠٥).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٢٢٧).

(٢٤) ـ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴾.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ يُرِيكُمُ ٱلْبَرْقَ ﴾ مُقدَّرٌ بـ(أنْ) كقولِه:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِرِي أَحْضُرَ الوَغَى ... وَأَنْ أَشْهَدَ اللذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي

أو الفعلُ فيه مُنزَّلٌ منزلةَ المصدرِ كقولِهم: (تَسْمَعُ بالمُعيدِيِّ خيرٌ مِنْ أَنْ تَرَاهُ)[1]، أو صِفَةٌ لِمَحذوفٍ تَقديرُه: آيةٌ يريكم بها البرقَ، كقولِه:

فَمَا الدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِنْهُمَا ... أَمُوتُ وأُخْرَى أَبْتَغِي العَيْشَ أَكْدَحُ

﴿خَوْفًا﴾ مِن الصَّاعقةِ، أو للمسافرِ[2] ﴿وَطَمَعًا﴾ في الغيثِ، أو للمقيمِ[3]، ونصبُهُما على العِلَّةِ لفعلٍ يلزمُ المذكورَ فإنَّ إراءَتَهُم تَستلزِمُ رؤيتَهُم، أو لَه على تقديرِ مُضافٍ نحو: إرادةَ خوفٍ وطمَعٍ، أو تأويلِ الخوفِ والطَّمعِ بالإخافَةِ والإطماعِ

---

(١) قوله: «تَسمعُ بالمُعيديِّ» يُضربُ للرَّجل الَّذي له صِيتٌ في الناس، فإذا رأيتَه ازدرَيْتَه، قالَه المنذر بن ماء السماء لشِقَّةَ بن ضمرة، وكان المنذر يسمع قوله ويعجبه ما يبلغه عنه، فلما رآه قال ذلك. وهو محمولٌ على حذف (أنْ)، أو على تنزيل الفعل منزلةَ المصدر، أي: سماعُك بالمُعيديِّ. انظر: «الأمثال» لأبي عبيد (ص: ٩٨)، و«فتوح الغيب» (٦/ ٣٨٤) و(١٢/ ٢٢٩ ـ ٢٣٠).

(٢) في (خ): «للمسافر» وفي (ض): «أو للمسافر».

(٣) قوله: «أو للمسافر» «أو للمقيم» من (ض)، وباقي النسخ ليس فيها (أو). قال الأنصاري في «الحاشية» (٤/ ٤١٢ ـ ٤١٣): نسخه مختلفة في لفظ «المسافر» و«المقيم»، ففي نسخة ذكرا بالواو، وفي أخرى بـ«أو»، وفي أخرى بحذف العاطف، وهو أحسن.

وخالفه الشهاب فاختار العطف بـ«أو» حيث قال: قوله: «من الصاعقة أو للمسافر» وفي نسخة إسقاط «أو»، والصحيح الأولى، وهو المطابق لما في «الكشاف»، وخوفُ المسافر لأنّ المطر يضرُّه لعدم ما يكنه ولا نفع له فيه.

كقولِك: (فعلتُهُ رَغمًا للشَّيطانِ)، أو على الحالِ مثل: (كلَّمْتُه شِفاهًا).

﴿ويُنْـزِلُ مِن السَّـماءِ مـاءً﴾ وقُـرِئَ بالتَّـشـديدِ(١) ﴿فَيُحْيِۦ بِهِ ٱلْأَرْضَ﴾ بالنَّباتِ ﴿بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ يُبْسِـها ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يسـتعملونَ عُقولَهُـم في استنباطِ أَسبابِها وكيفيَّةِ تَكوُّنِها؛ لِيَظهرَ لَهُم كمالُ قُدرةِ الصَّانع وحِكمتِه.

قوله:

«أَلَا أَيُّهَـذَا الزَّاجِـرِي أَحْـضُرَ الوَغَـى ... وَأَنْ أَشْهَدَ اللَّذَّاتِ هَلْ أَنْتَ مُخْلِدِي»(٢)

هو لطَرفةَ بنِ العَبدِ مِن مُعلَّقَتِه المَشهورَةِ.

قولُه:

«فَـمَـــا الـــدَّهْرُ إِلَّا تَارَتَانِ فَمِـنْـهُـمَا ... أَمُوتُ وَأُخْرَى أَطْلُبُ العِيْشَ أَكدَحُ»(٣)

قوله: «ونَصْبُهُما على العِلَّةِ لِفعْلٍ يلزَمُ المذكورَ فإنَّ إِرَاءتَهُم تَستَلْزِمُ رُؤيتَهُم»:

قال أبو حيَّان: كونُه فاعِلًا قبلَ همزَةِ التَّعدِيَةِ لا يُثبِتُ له حُكمَه بعدها حتَّى يَصلُحَ اتِّحادُ الفاعِلِ المُشترَطِ في نصبِ المفعولِ لَهُ(٣).

---

(١) قرأ ابن كثير وأبو عمرو بالتخفيف، والباقون بالتشديد. انظر: «السبعة» (ص: ١٦٦)، و«التيسير» (ص: ٧٥).

(٢) انظر: «ديوان طرفة» (ص: ٢٥)، و«الكتاب» (٣/ ٩٩). و«أحضر» يروى بالرفع والنصب كما قال السمين في «الدر المصون» (١/ ٤٦٠). وفي الديوان: «اللائمي» بدل «الزاجري». وقد تقدم البيت مع تخريجه فيما سبق.

(٣) البيت لابن مقبل. انظر: «الكتاب» (٢/ ٣٤٦)، و«الحيوان» (٣/ ٢١).

(٣) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ١٧٢)، ولفظه: «وكونه فاعلاً قبل همزة التَّعدية لا يُثبِتُ له حكمه بعدها، على أن المسألة فيها خلاف، مذهب الجمهور اشتراط اتحاد الفاعل، ومن النحويين من لا =

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦۚ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ كُلٌّ لَّهُۥ قَٰنِتُونَ﴾.

﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾: قيامُهُما بإقامَتِه لهما[١] وإرادَتِه لقيامِهما في حيِّزِهما المعيَّنَينِ مِن غيرِ مُقيمٍ محسوسٍ، والتَّعبيرُ بالأمرِ للمُبالغةِ في كمالِ القُدرةِ والغِنَى عن الآلةِ.

﴿ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ ٱلْأَرْضِ إِذَآ أَنتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ عطفٌ على ﴿أَن تَقُومَ﴾ على تأويلِ مُفرَدٍ، كأنَّه قيل: ومِن آياتِه قيامُ السَّماواتِ والأرضِ بأمرِه ثمَّ خُروجُكُم من القُبورِ إذا دَعاكم دعوةً واحدةً فيقول: أيُّها الموتى اخرجُوا، والمرادُ: تشبيهُ سرعَةِ ترتُّبِ حصولِ ذلك على تعلُّقِ إرادَتِه بلا توقُّفٍ واحتياجٍ إلى تجشُّمِ عملٍ بسرعةِ[٢] ترتُّبِ إجابةِ الدَّاعي المطاعِ على دُعائِه، و﴿ثُمَّ﴾ إمَّا لتَراخي زَمانِه أو لعظمِ ما فيه.

و﴿مِّنَ ٱلْأَرْضِ﴾ مُتعلِّقٌ بـ(دعا) كقولِه: (دعَوْتُه مِن أسفلِ الوادِي فطلعَ إليَّ) لا بـ﴿تَخْرُجُونَ﴾ لأن ما بعدَ (إذا) لا يعمَلُ فيما قبلَه، و﴿إِذَآ﴾ الثَّانيةُ للمُفاجأةِ، ولذلك نابَ مَنابَ الفاءِ في جَوابِ الأولى.

(٢٧) ـ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ بعدَ هَلاكِهم ﴿وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ﴾ والإعادةُ

= يشترطه، ولو قيل على مذهب من يشترطه: إن التقدير: (يريكم البرق فترونه خوفاً وطمعاً) فحذف العامل للدلالة، لكان إعراباً سائغاً واتحد فيهما الفاعل».

(١) أي: ومن آياته قيامُهما بإقامته لهما؛ فـ﴿أَن تَقُومَ﴾ مصدر مؤول بالقيام، وقوله: ﴿بِأَمْرِهِۦ﴾؛ أي: بإقامته. انظر: «حاشية ابن التمجيد» (١٥/ ١٢٦).

(٢) قوله: «بسرعة» متعلق بـ«تشبيه». انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١١٩).

أسهَلُ عليهِ مِن الأصلِ بالإضافَةِ إلى قُدَرِكم والقياسِ على أصولِكُم، وإلَّا فهُما عليه سواءٌ، ولذلك قيل: الهاءُ لـ﴿ٱلْخَلْقَ﴾.

وقيل: ﴿أَهْوَنُ﴾ بمعنى: هَيِّنٍ، وتذكيرُ ﴿هوَ﴾ لـ﴿أَهْوَنُ﴾ أو لأنَّ الإعادةَ بمعنى: أن يُعيده[1].

﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ﴾: الوصفُ العَجيبُ الشَّأنِ كالقُدرةِ العامَّةِ والحكمةِ التَّامَّةِ، ومَن فسَّرَه بقول: (لا إله إلا الله)[2] أرادَ به الوَصفَ بالوحدانيَّةِ.

﴿ٱلْأَعْلَىٰ﴾ الذي ليسَ لغيرِه ما يساويهِ أو يُدانيه.

﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يَصِفُ به ما فيهما دلالةً ونُطقًا[3].

---

(١) في (أ) و(ض): «يعيد».

(٢) عزاه الزمخشري في «الكشاف» (٦/ ٥٦٣) إلى مجاهد، ولم أقف عليه عنه، ورواه عبد الرزاق وابن أبي حاتم في كما في «الدر المنثور» (٦/ ٤٩١) عن قتادة بلفظ: ﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾ قال: شهادة أن لا إله إلا الله.
ورواه عن قتادة أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٤٨٩) بلفظ: مثله أنه لا إله إلا هو ولا معبود غيره.

(٣) في (أ) و(خ): «وصف به...». والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «حاشية ابن التمجيد» (١٥/ ١٣٢)، وقال في شرحه: أي: يصف بوصفه الأعلى ما في السماوات والأرض من الجمادات والأرواح القدسية والملائكة والثقلين؛ دلالةً من الجمادات لإنبائها عن القدرة الباهرة والفعل المتقن المرعيِّ فيه صنوفُ الحكمة، ونطقاً من أولي العقل من الملائكة والثقلين.
وجاء في نسخ أخرى: «وصفه» وفي غيرها: «يصفه» ذكرهما الأنصاري في «الحاشية» (٤/ ٤١٤) فقال: «وصفه» في نسخة: «يصفه»؛ أي: اللهَ تعالى «به»؛ أي: بالمثل الأعلى «ما» فاعل (وصف) ـ أو (يصف) ـ «فيهما»؛ أي: في السماوات والأرض «دلالة»؛ أي: وصفه بذلك بدلالة لسان الحال «ونطقاً»؛ أي: بلسان المقال.
وعبارة الزمخشري في «الكشاف» (٦/ ٥٦٣): (﴿وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ﴾؛ أي: الوَصْفُ الأعلى الذي =

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾: القادرُ الذي لا يعجزُ عن إبداءِ ممكنٍ وإعادَتِه ﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي يُجري الأفعالَ على مُقتَضى حكمتِه.

(٢٨) - ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ﴾: منتزَعًا مِن أَحوالِها التي هي أقربُ الأمورِ إلَيْكم: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾: مِن مَماليكِكُم ﴿مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ﴾ من الأموالِ وغيرِها ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾: فتكونُونَ أنتم وهم فيه شَرَعٌ[1] يتصرَّفونَ فيه كتصرُّفِكُم مع أَنَّهُم بشرٌ مثلُكُم وأنها مُعارةٌ لكم[2]، و﴿مِّن﴾ الأولى للابتداءِ، والثَّانيةُ للتَّبعيضِ، والثَّالثةُ مزيدةٌ لتأكيدِ الاستفهامِ الجاري مجرى النَّفيِ.

﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ أن يستبدُّوا بتصرُّفٍ فيه ﴿كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ﴾ كما يخافُ الأحرارُ بعضُهُم مِن بعضٍ.

= ليسَ لغَيْرِه مِثلُه، قد عُرِفَ به، ووُصِف في السَّماواتِ والأَرض على أَلْسِنة الخلائق وأَلْسِنَةِ الدَّلائل، وهُو أنَّه القادرُ الَّذي لا يَعجِزُ عن شيءٍ من إنشاءٍ وإعادةٍ وغيرهما من المقدُورات). وليت المصنف تركها على حالها ولم يغيرها.

(١) في (خ): «شرعاً»؛ قال الشهاب في «الحاشية» (٧/ ١٢٠): قوله: «فتكونون أنتم وهم فيه شرع» تفسير لقوله: ﴿فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ﴾ و«شرع» بالرفع خبر «أنتم وهم» والجملة خبر (كان) فلا يُتوهَّمْ أنّ حقه النصبُ، وهو بفتح الشين المعجمة وفتح الراء المهملة وبعده عين مهملة بمعنى: سواء، ويستوي فيه المذكَّر والمؤنث، والمفرد وغيره، وأجاز بعض اللغويين تسكين رائه، وأنكره يعقوب في «الإصلاح».

(٢) قوله: «وأنها معارة»؛ أي: الأمور التي في أيديكم معارةٌ؛ لأنّ المالك هو الله. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٢٠).

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثلَ ذلك التَّفصيلِ ﴿نُفَصِّلُ ٱلْأَيَٰتِ﴾: نبيِّنُها، فإنَّ التَّمثيلَ ممَّا يكشفُ المعانيَ ويوضحُها ﴿لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾: يستعملونَ عُقولَهُم في تدبُّر الأمثال.

(٢٩) ـ ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾.

﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟﴾ بالإشراكِ ﴿أَهْوَآءَهُم بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾: جاهلينَ لا يكفُّهُم شيءٌ؛ فإنَّ العالمَ إذا اتَّبعَ هواه ربَّما ردعَهُ علمُه.

﴿فَمَن يَهْدِى مَنْ أَضَلَّ ٱللَّهُ﴾: فمَن يَقْدِرُ على هدايتِه ﴿وَمَا لَهُم مِّن نَّٰصِرِينَ﴾ يُخَلِّصونَهم مِن الضَّلالة ويحفظونَهُم عن آفاتِها.

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ (٣٠) مُنِيبِينَ إِلَيْهِ وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا﴾: فقوِّمْهُ له غيرَ ملتفِتٍ، أو مُلتفَتٍ عنه[1]، وهو تمثيلٌ للإقبالِ والاستقامةِ عليه والاهتمامِ به.

﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾: خِلقتَهُ، نصبٌ على الإغراءِ أو المَصدَرِ لِمَا دلَّ عليه ما بعدَها ﴿ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا﴾: خَلَقَهُم عليها، وهي قبولُهُم للحقِّ وتمكُّنُهم من إدراكِه، أو ملَّةُ الإسلامِ فإنَّهُم لو خُلُّوا وما خُلِقُوا عليه أدَّى بهم إليها.

وقيل: العهدُ المأخوذُ مِن آدمَ عليه السَّلامُ وذرِّيَّته.

﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾: لا يقدِرُ أحدٌ أن يغيِّرَهُ، أو: ما ينبغي أَنْ يُغيَّرَ.

---

(١) قوله: «غير ملتفت» بكسر الفاء، (أو ملتفت عنه) بفتحها، الأول راجع إلى فاعل (أقم)، والثاني إلى (الدين). انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤١٥).

﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الدِّينِ المأمورِ بإقامةِ الوَجهِ له، أو الفطرةِ إن فُسِّرَت بالمِلَّةِ ﴿ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ المُسْتَوي الذي لا عِوَجَ فيه ﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ استقامتَه لعدمِ تَدبُّرِهم.

﴿مُنِيبِينَ إِلَيْهِ﴾: راجعينَ إليه، مِن أنابَ: إذا رجعَ مرَّةً بعدَ أُخرى.

وقيل: مُنقَطِعينَ إليه، مِن النَّابِ(١).

وهو حالٌ من الضَّميرِ في النَّاصبِ المقدَّرِ لـ﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ﴾، أو في ﴿أَقِمْ﴾ لأنَّ الآيةَ خطابٌ للرَّسولِ والأمَّةِ؛ لقولِه: ﴿وَٱتَّقُوهُ وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَلَا تَكُونُوا۟ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ غيرَ أنَّها صُدِّرَت بخطابِ الرَّسولِ عليه السَّلامُ تعظيمًا له.

قوله: «نَصبٌ على الإغراءِ»:

قال في «الكشَّاف»: أي: الزَمُوا(٢).

وقال مَكِّيٌّ: نصبٌ بإضمارِ فعلٍ؛ أي: اتَّبِع، ودَلَّ عليه قولُه: ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ﴾ لأنَّ مَعناه: اتَّبع الدِّينَ(٣).

قوله: «أو المصدرِ»:

لأنَّ الكلامَ دلَّ على: فطرَهُ اللهُ فِطرَةً.

قال الطِّيبيُّ: التَّقديرُ الأوَّلُ أقربُ إلى تَأليفِ النَّظمِ؛ لأنَّه مُوافِقٌ لقولِه: ﴿بَلِ ٱتَّبَعَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓا۟ أَهْوَآءَهُم﴾ [الروم: ٢٩](٤).

---

(١) قوله: «من الناب»؛ أي: لأنه منقطعٌ عن بقية الأسنان؛ لبروزه عليها. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤١٦).

(٢) انظر: «الكشاف» (٦/ ٥٦٦).

(٣) انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب (٢/ ٥٦١).

(٤) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٢٤٣).

(٣٢) ـ ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ وَكَانُواْ شِيَعًا كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾.

﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ دِينَهُمْ ﴾ بَدلٌ مِن ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾، وتفريقُهُم: اختلافُهُم فيما يعبدونَه على اختلافِ أهوائِهِم.

وقرأ حمزةُ والكسائيُّ: ﴿فارَقُوا﴾[١] بمَعنى: تركُوا دينَهُم الذي أُمِرُوا به.

﴿وَكَانُواْ شِيَعًا ﴾: فرقًا تُشايعُ كُلٌّ إمامَها الذي أصَّل دينَها ﴿ كُلُّ حِزْبِۭ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ ﴾: مَسرورونَ ظَنًّا بأنَّه الحقُّ.

ويجوزُ أن يجعلَ ﴿فَرِحُونَ ﴾ صفةَ ﴿كُلُّ ﴾ على أنَّ الخبرَ: ﴿ مِنَ ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ﴾.

قوله: «عَلَى أنَّ الخبرَ مِن ﴿ٱلَّذِينَ فَرَّقُواْ﴾»:

أي: إذْ لم يَكُن بَدَلًا مِن ﴿ٱلْمُشْرِكِينَ ﴾ بإعادةِ الجارِّ.

(٣٣ ـ ٣٥) ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴿٣٣﴾ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْۚ فَتَمَتَّعُواْ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا فَهُوَ يَتَكَلَّمُ بِمَا كَانُواْ بِهِۦ يُشْرِكُونَ ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلنَّاسَ ضُرٌّ ﴾: شدَّةٌ ﴿دَعَوْاْ رَبَّهُم مُّنِيبِينَ إِلَيْهِ ﴾: راجعينَ إليه مِن دُعاءِ غيرِه ﴿ثُمَّ إِذَآ أَذَاقَهُم مِّنْهُ رَحْمَةً ﴾: خلاصًا مِن تلك الشدَّةِ ﴿إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ﴾: فاجأَ فريقٌ مِنْهُم بالإشراكِ بربِّهم الذي عافاهُم.

﴿ لِيَكْفُرُواْ بِمَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ ﴾ اللامُ فيه للعاقبةِ، وقيل: للأمرِ بمَعنى التَّهديدِ؛ لقولِه: ﴿فَتَمَتَّعُواْ ﴾ غيرَ أنَّه التفتَ فيه مبالغةً. وقُرِئَ: (ولْيَتَمَتَّعُوا)[٢].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٧٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٨).

(٢) وهي قراءة ابن مسعود، انظر: «تفسير الثعلبي» (٢١/ ١٥٩).

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ﴾ عاقبةَ تمتُّعِكُم. وقُرِئَ بالياءِ على أنَّ (تمتَّعُوا) ماضٍ[١].

﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا﴾: حجَّةً، وقيل: ذا سُلطانٍ؛ أي: مَلَكاً معه برهانٌ.

﴿فَهُوَ يَتَكَلَّمُ﴾ تكلُّمَ دلالةٍ كقولِه: ﴿كِتَابُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِالْحَقِّ﴾، أو نُطقٍ[٢] ﴿بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ﴾: بإشراكِهم وصِحَّتِه، أو بالأمرِ الذي بسببِه يشركونَ به في أُلوهيَّتِه.

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً فَرِحُوا بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ ﴿٣٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ رَحْمَةً﴾: نِعمةً مِن صِحَّةٍ وسَعَةٍ ﴿فَرِحُوا بِهَا﴾: بَطِرُوا بسببِها ﴿وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ﴾: شِدَّةٌ ﴿بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ﴾: بشُؤمِ مَعاصيهِم ﴿إِذَا هُمْ يَقْنَطُونَ﴾ فاجَؤوا القنوطَ مِن رحمَتِه.

وقرأَ أبو عمرٍو والكِسائيُّ بكسرِ النُّونِ[٣].

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ فما لَهُم لم يَشكُروا ولم يَحتَسِبُوا في السَّرَّاءِ والضَّرَّاءِ كالمُؤمنينَ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ فيستدِلُّونَ بها على كمالِ القُدرَةِ والحكمَةِ.

(٣٨) ـ ﴿فَآتِ ذَا الْقُرْبَىٰ حَقَّهُ وَالْمِسْكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧) عن أبي العالية، وذكرها عنه ابن جني في «المحتسب» (٢/ ١٦٤) لكن بلفظ: (فيمتعوا فسوف يعلمون).

(٢) قوله: «تكلم دلالة» على إرادة الحجة، وقوله: «أو نطق» على إرادة الملك، فهو لف ونشر. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٢٢).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٦).

﴿ فَـَٔاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ كصِلَـةِ الرَّحِـمِ، واحتَـجَّ بـه الحنفيَّةُ على وجـوبِ النَّفقةِ للمَحـارمِ[1]، وهـو غيرُ مشـعرٍ به.

﴿وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ﴾ ما وظِّفَ لهما مِن الزَّكاةِ.

والخطابُ للنَّبيِّ عليهِ السَّلامُ، أو لِمَن بُسِطَ له، ولذلك رُتِّبَ على ما قبلَهُ بالفاءِ.

﴿ذَٰلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ﴾: ذاتَه، أو جِهتَهُ؛ أي: يقصدونَ بمَعروفِهم إيَّاه خالصًا.

أو: جهةَ التَّقرُّبِ إليه لا جهَةً أُخرَى.

﴿وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ حيثُ حَصَّلوا بما بُسِطَ لهم النَّعيمَ المُقيمَ.

(٣٩) ـ ﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ ۖ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن زَكَوٰةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ ٱللَّهِ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُضْعِفُونَ ﴾.

﴿ وَمَآ ءَاتَيْتُم مِّن رِّبًا﴾: زيـادةٍ مُحرَّمـةٍ فـي المعاملـةِ، أو عطيَّـةٍ يُتوقَّـعُ بهـا مزيدُ مكافأةٍ.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ بالقَصْرِ[2] بمَعنى: وما جِئتُم به مِن إعطاءِ رِباً.

﴿لِّيَرْبُوَا۟ فِىٓ أَمْوَٰلِ ٱلنَّاسِ﴾: ليزيدَ ويَزْكُوَ في أَموالِهم ﴿فَلَا يَرْبُوا۟ عِندَ ٱللَّهِ﴾: فلا يَزكو عندَه ولا يُبارَكُ فيه. وقرأَ نافِعٌ ويعقوبُ: ﴿لِتُربُوا﴾[3]؛ أي: لتَزيدُوا، أو: لتَصيرُوا ذوي رباً.

---

(١) انظر: «التجريد للقدوري» (١٠/ ٥٤٠٢).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٧)، و«التيسير» (ص: ٨١).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٧٥)، و«النشر» (٢/ ٣٤٤).

﴿وَمَآ ءَاتَيۡتُم مِّن زَكَوٰةٖ تُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِ﴾: تبتــغونَ بــِهِ وجهَهُ خالصًا ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾: ذوُو الأضعـافِ مِـن الثَّـوابِ، ونظيـرُ المُضْعِـف: المُقْـوِي والمُوسِـرُ لـذي القُـوَّةِ واليَسـارِ، أو: الذيـنَ ضعَّفُـوا ثوابَهُـم وأموالَهُـم ببركـةِ الـزَّكاةِ. وقُـرِئَ بفَتـحِ العينِ[١].

وتغييرُه عن سَننِ المقابلَةِ عبارةً ونظمًا للمُبالغَةِ، والالتفاتُ فيه للتَّعظيم[٢] كأنَّه خاطبَ به الملائكةَ وخواصَّ الخلقِ تَعريفًا لحالِهم، أو للتَّعميمِ كأنَّه قال: فمَنْ فعلَ ذلك فأولئكَ هُم المُضعِفُونَ، والرَّاجعُ منه مَحذوفٌ إن جُعِلَت (ما) موصولَةً تقديرُه: المُضعِفُونَ بهِ، أو: فمؤتوه أولئكَ هم المُضعِفُونَ.

(٤٠) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ ثُمَّ رَزَقَكُمۡ ثُمَّ يُمِيتُكُمۡ ثُمَّ يُحۡيِيكُمۡۖ هَلۡ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَفۡعَلُ مِن ذَٰلِكُم مِّن شَيۡءٖ﴾ أثبتَ له لوازِمَ الألوهيَّةِ ونفاها رأسًا عمَّا اتَّخذوهُ شُركاءَ له من الأصنامِ وغيرِها، مؤكِّدًا بالإنكارِ[٣] على ما دلَّ عليه البرهانُ والعِيانُ ووقعَ عليه

---

(١) أي: (المضعَفون)، نسبت لمحمد بن كعب. انظر: «مختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧).

(٢) قوله: «والالتفات»؛ أي: من الخطاب إلى الغيبة «فيه»؛ أي: في (أولئك) «للتعظيم...» إلخ: إيضاحه قول «الكشاف»: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُضۡعِفُونَ﴾ التفاتٌ حَسَنٌ؛ كأنَّه قال لمَلائكتهِ وخواصِّ خَلْقِه: فأولئكَ الَّذينَ يُرِيْدُونَ وَجْهَ الله بصَدقَاتِهم هم المُضْعِفُون، فهُو أَمْدَحُ لهُم مِن أَن يقولَ: فأنتُم المُضْعِفُون. انظر: «الكشاف» (٦/ ٥٧١) و«حاشية الأنصاري» (٤/ ٤١٦).

(٣) قوله: «مؤكداً بالإنكار»؛ أي: مؤكِّداً للنفي بالتعبير عنه بالإنكار الذي هـو أبلغ من صريحه. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٢٤).

الوفاقُ(١)، ثمَّ استَنْتجَ من ذلك تقدُّسَهُ عن أَنْ يَكونُوا له شركاءَ فقال: ﴿سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾.

ويجوزُ أَنْ يكونَ الموصولُ صِفةً، والخبرُ: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾ والرَّابطُ: ﴿مِن ذَٰلِكُم﴾ لأنَّه بمَعنى: مِن أفعالِه، و﴿مِن﴾ الأولى والثَّانيةُ تفيدانِ شيوعَ الحكمِ في جنسَي الشُّركاءِ والأفعالِ، والثَّالثةُ مَزيدَةٌ لتَعميمِ المنفيِّ، فكلٌّ منها(٢) مُستقلَّةٌ بتأكيدِ لتَعجيزِ الشُّركاءِ.

وقرأَ حمزَةُ والكسائيُّ بالتَّاءِ(٣).

قوله: «ويجوزُ أَنْ يكونَ الموصولُ صِفَةً والخبرُ: ﴿هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم﴾، والرَّابطُ: ﴿مِن ذَٰلِكُم﴾؛ لأنَّه بمَعنى: مِن أفعالِه»:

قال أبو حيَّان: الذي ذكرَهُ النَّحويُّونَ: أنَّ اسمَ الإشارةِ يكونُ رابطاً إذا أُشيرَ بهِ إلى المُبتدَأ، و﴿ذَٰلِكُم﴾ هُنا ليسَ إشارَةً إلى المُبتدَأ، لكنَّه شبيه بما أجازَهُ الفرَّاءُ مِن الرَّبطِ بالمَعنى وخالفَهُ النَّاسُ، وذلكَ في قولِه تَعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ﴾ [البقرة: ٢٣٤] فإنَّ التَّقديرَ: يَتربَّصْنَ أزواجُهم(٤)، فقدَّرَ الضَّميرَ بمُضافٍ

---

(١) قوله: «على ما دلّ..» العِيان بكسر العين: المشاهدة، فإنهما يدلان على أنّ ما ذكر لا يصدر عن غيره، وهو مما اتفق عليه العقلاء. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٢٤).

(٢) أي: من الثلاثة؛ أي: ﴿مِن﴾ الأُولى والثَّانيةُ والثالثةُ كُلُّ واحدةٍ مِنهنَّ مُستَقلَّةٌ بتَأكيدِ لتَعْجيزِ شُركائِهم وتجْهيلِ عَبَدتهِمْ. انظر: «الكشاف» (٦/ ٥٧٢).

(٣) انظر: «التيسير» (ص: ١٢١).

(٤) قوله: «يتربصن أزواجهم» كذا في النسخ، ومثله في «البحر المحيط»، ونقلها السمين في «الدر المصون» (٩/ ٤٨) عن أبي حيان: «يتربص أزواجهم»، وهو الصواب، وكذا جاء في «التذييل والتكميل» لأبي حيان (٤/ ٢٩و٣٥). وعليه شرح السمين «الدر المصون» (٢/ ٤٧٨) فقال: =

إلى ضَميرِ (الذينَ) فحَصَلَ به الرَّبطُ، كذلك قَدَّرَ الزَّمخشَرِيُّ «مِن أفعالِه» بمُضافٍ إلى الضَّميرِ العَائِدِ على المُبتدَأِ[1].

قوله: «وكلٌّ مِنها مُستَقِلَّةٌ بتَأكيدِ لتَعجيزِ الشُّرَكاءِ»:

قال أبو حيَّان: لا أَدري ما أرادَ بهذا الكَلامِ[2]؟!

وقالَ الطِّيبِيُّ:

أمَّا أوَّلًا: فلأنَّ ﴿مِن﴾ لبَيانِ ﴿مَّن يَفْعَلُ﴾ ومُتعلَّقه محذوفٌ، أي: هَل حَصَلَ واستَقرَّ مَن يفعَلُ كائنًا مِن شُركائِكُم؟! أنكرَ أن يكونَ لَهُم شُركاءُ تفعَلُ ما يفعَلُ الباري.

وأما ثانيًا: فقال: ﴿مِن ذَٰلِكُم﴾ و﴿مِن﴾ للتَّبعيضِ؛ أي: يفعلُ بعضَ ما يَفعَلُهُ الباري ولو أقلَّ شيءٍ، كلَّا ﴿وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ﴾ [الحج: ٧٣].

وأمَّا ثالثاً: فهي زائدةٌ لتأكيدِ النَّفيِ[3].

(٤١) ـ ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِى ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ كالجدبِ والمُوتانِ، وكثرةِ الحرقِ والغرقِ، وإخفاقِ الغاصَةِ، ومَحْقِ البركاتِ، وكثرةِ المضارِّ أو الضَّلالةِ[4] والظُّلمِ، وقيل: المرادُ بالبحرِ قُرى السَّواحلِ. وقُرِئَ: (والبُحورِ)[5].

= فَحُذِف (أزواجهُم) بجملته، وقامَتِ النون التي هي ضميرُ الأزواج مَقامَهُنَّ بقيدِ إضافتهنَّ إلى ضميرِ المبتدأ.

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ١٩٠)، وانظر كلام الفراء في «معاني القرآن» (١/ ١٥٠).

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ١٩١).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

(٤) عطف على «الجدبِ». انظر: «حاشية القونوي» (١٥/ ١٥٣).

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧) عن ابن عباس.

﴿بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ﴾: بشُؤمِ مَعاصِيهِم، أو بكَسبِهِم إيَّاهُ.

وقيل: ظهرَ الفَسادُ في البرِّ بقتلِ قابيلَ أخاهُ، وفي البَحرِ بأنَّ جُلَنْدَى كان يأخذُ كلَّ سفينةٍ غَصبًا.

﴿لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا﴾: بعضَ جَزائِه، فإنَّ تمامَه في الآخرةِ، واللامُ للعِلَّةِ أو للعاقبَةِ.

وعن ابنِ كثيرٍ ويَعقوبَ: ﴿لِنُذِيقَهُم﴾ بالنُّونِ[1].

﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ عمَّا هُم عليهِ.

قوله: «وإخفاقُ الغاصَةِ»: هو أَنْ لا يَظفَروا بشَيءٍ مِن اللُّؤْلُؤِ.

(٤٢) ـ ﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾.

﴿قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلُ﴾ لتُشاهِدُوا مِصداقَ ذلك وتَحقَّقُوا صِدقَه ﴿كَانَ أَكْثَرُهُم مُّشْرِكِينَ﴾ استئنافٌ للدَّلالَةِ على أنَّ سُوءَ عاقِبَتِهم كانَ لفُشوِّ الشِّركِ وغَلَبَتِه فيهِم، أو كان للشِّركِ في أكثرِهم ولِمَا دُونَهُ مِن المعاصي في قَليلٍ مِنْهُم.

(٤٣) ـ ﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ مِنَ اللَّهِ يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾.

﴿فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَيِّمِ﴾: البليغِ الاستقامةِ ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُ﴾: لا

---

(١) قرأ بها قنبل عن ابن كثير، وروح عن يعقوب، انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٧)، و«التيسير» (ص: ١٧٥).

يقدرَ أَنْ يَرُدَّهُ أحدٌ، وقولُه: ﴿مِنَ ٱللَّهِ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿يَأْتِيَ﴾، ويجوزُ أن يتعلَّقَ بـ﴿مَرَدَّ﴾ لأنَّه مَصدرٌ على معنى: لا يردُّهُ اللهُ لتعلُّقِ إرادَتِه القديمَةِ بمَجيئِه.

﴿يَوْمَئِذٍ يَصَّدَّعُونَ﴾: يتصدَّعونَ؛ أي: يَتفرَّقُونَ فريقٌ في الجنَّةِ وفريقٌ في السَّعيرِ، كما قال:

(٤٤ ـ ٤٥) ـ ﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ﴿٤٤﴾ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ ۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ﴾؛ أي: وَبالُه وهو النَّارُ المُؤبَّدةُ ﴿وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾: يسوُّونَ مَنزِلًا في الجنَّةِ، وتقديمُ الظَّرفِ في المَوضِعَينِ للدلالةِ على الاختِصاصِ.

﴿لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ عِلَّةٌ لـ﴿يَمْهَدُونَ﴾، أو لـ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾، والاقتصارُ على جزاءِ المؤمنينَ للإشعارِ بأنَّه المَقصودُ بالذَّاتِ، والاكتفاءِ على فَحْوَى قولِه: ﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ فإنَّ فيه إثباتَ البُغضِ لهم والمحبَّةِ للمُؤمنينَ، وتأكيدُ اختِصاصِ الصَّلاحِ المَفهومِ مِن تركِ ضَميرِهِم إلى التَّصريحِ بهم تَعليلٌ له(١)، و﴿مِن فَضْلِهِۦٓ﴾ دالٌّ على أنَّ الإثابَةَ تفضُّلٌ محضٌ، وتأويلُهُ بالعَطاءِ أو الزِّيادَةِ على الثَّوابِ عدولٌ عن الظاهرِ.

---

(١) قوله: «وتأكيد اختصاص الصلاح المفهوم من ترك ضميرهم إلى التصريح بهم تعليلٌ له»؛ أي: لجزاء المؤمنين، ومراده بالتأكيد: التكرير، وبالتعليل: التقرير، كما عبَّر بهما «الكشاف» حيث قال: وتكريرُ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ﴾ وتَرْكُ الضَّميرِ إلى الصَّريحِ؛ لتَقْريرِ أنَّه لا يُفلِحُ عِندهُ إلَّا المُؤمِنُ الصَّالِحُ. انظر: «الكشاف» (٦/ ٥٧٦) و«حاشية الأنصاري» (٤/ ٤١٦).

(٤٦) ـ ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ مُبَشِّرَٰتٍ وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾.

﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَن يُرْسِلَ ٱلرِّيَاحَ ﴾: الشمالَ والصَّبا والجَنُوبَ؛ فإنَّها رياحُ الرَّحمةِ، وأمَّا الدَّبُورُ فريحُ العَذابِ، ومنه قولُه عليه السَّلامُ: «اجعَلْهَا رِياحًا ولا تجعَلْهَا رِيحًا».

وقرأ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ ﴿الرِّيحَ﴾[1] على إرادةِ الجنسِ.

﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾ بالمطرِ.

﴿وَلِيُذِيقَكُم مِّن رَّحْمَتِهِۦ﴾ يعني: المنافِعَ التَّابعةَ لها، وقيل: الخصبَ التابعَ لنُزولِ المَطرِ المسبَّبِ عنها، أو الرَّوحَ الذي هو مَع هُبوبها، والعطفُ على عِلَّةٍ محذوفةٍ دلَّ عليها ﴿مُبَشِّرَٰتٍ﴾، أو عليها باعتبارِ المعنى، أو عَلى ﴿يُرْسِلَ﴾ بإضمارِ فعلٍ مُعلَّلٍ دلَّ عليه[2].

﴿وَلِتَجْرِيَ ٱلْفُلْكُ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ﴾ يعني: تجارةَ البَحرِ ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ ولتشكُروا نعمةَ اللهِ فيهَا.

قوله: «اللهمَّ اجعَلْهَا رِيَاحًا ولا تَجْعَلْها رِيحًا».

رواهُ الشَّافعِيُّ وأبو يَعلى والطَّبرانيُّ وابنُ عَدِيٍّ والبيهَقِيُّ في «الدعوات» مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ[3].

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ٧٨).

(٢) قوله: «أو على ﴿يُرْسِلَ﴾ بإضمار فعل معلَّل دلَّ عليه»؛ أي: وليذيقكم أرسلها. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤١٧).

(٣) رواه الشافعي في «مسنده» (٥٣٧ ـ ترتيب سنجر)، وأبو يعلى في «مسنده» (٢٤٥٦)، والطبراني =

(٤٧) ـ ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَىٰ قَوْمِهِمْ فَجَآءُوهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ فَٱنتَقَمْنَا مِنَ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُوا۟﴾ بالتدمير ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ إشعارٌ بأنَّ الانتقامَ لهم إظهارٌ لِكَرامَتِهم حيثُ جَعَلَهُم مُستَحِقِّين على اللهِ أن يَنصُرَهُم، وعنه عليهِ السَّلامُ: «ما مِن امرِئٍ مُسلمٍ يَرُدُّ عن عرضِ أخيهِ إلَّا كانَ حقًّا على اللهِ أنْ يَرُدَّ عنه نارَ جهنَّمَ» ثمَّ تلا ذلك.

وقد يُوقَفُ على ﴿حَقًّا﴾ على أنه مُتعلِّقٌ بالانتقام.

قوله: «ما مِن امرئٍ مُسلِمٍ يَرُدُّ عن عِرضِ أَخيهِ..» الحديثَ:

أخرجَه التِّرمِذيُّ مِن حَديثِ أبي الدَّرداءِ وحَسَّنَه، وأخرجَهُ إسحاقُ بنُ راهويه والطَّبرانيُّ وغيرُهُما مِن حديثِ أسماءَ بنتِ يَزيدَ[1].

= في «الكبير» (١١٥٣٣)، وفي «الدعاء» (٩٧٧)، وابن عدي في «الكامل» (٣/ ٢٢٠)، وأبو الشيخ في «العظمة» (٤/ ١٣٥١)، والبيهقي في «الدعوات» (٣٦٩)، من طريقين عن ابن عباس كلاهما ضعيف. انظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٢٩).

وذكر الطحاوي أن هذا الحديث مما لا أصل له ولا يعرفه أهل العلم بالحديث، ثم رده من جهة المعنى بقوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمْ فِى ٱلْفُلْكِ وَجَرَيْنَ بِهِم بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا۟ بِهَا جَآءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَآءَهُمُ ٱلْمَوْجُ مِن كُلِّ مَكَانٍ﴾ [يونس: ٢٢] قال: وكانت الريح الطيبة من الله رحمة، والريح العاصف منه عز وجل عذاباً. انظر: «شرح مشكل الآثار» (٢/ ٣٧٩).

(١) رواه الترمذي (١٩٣١) من حديث أبي الدرداء رضي الله عنه وحسنه، ورواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢٣١٠)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ١٧٦) من حديث أسماء.

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِۦ لَمُبْلِسِينَ ﴾.

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ ﴾ مُتَّصِلاً تارةً ﴿فِى ٱلسَّمَآءِ ﴾: في سَمْتِها ﴿كَيْفَ يَشَآءُ ﴾ سائرًا وواقفًا(١)، مُطبقًا وغيرَ(٢) مُطبقٍ، مِن جانبٍ دونَ جانبٍ، إلى غيرِ ذلك.

﴿وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا ﴾: قطعًا تارةً أُخرى، وقرأ ابنُ عامرٍ بالسُّكونِ(٣) على أنَّه مُخفَّفٌ، أو جمعُ كِسْفَةٍ، أو مصدرٌ وُصِفَ به.

﴿فَتَرَى ٱلْوَدْقَ ﴾: المطرَ ﴿يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ في التَّارتينِ.

﴿فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ ﴾ يعني: بلادَهُم وأراضيَهم ﴿إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴾ بمَجيءِ الخصبِ ﴿ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم ﴾ المطرُ ﴿مِّن قَبْلِهِۦ ﴾ تكريرٌ للتَّأكيدِ والدَّلالةِ على تَطاوُلِ عهدِهِم بالمطرِ واستحكامِ يأسِهم.

وقيل: الضَّميرُ للمَطرِ(٤) أو السَّحابِ أو الإرسالِ.

﴿لَمُبْلِسِينَ ﴾: لآيسينَ.

قوله: «تكريرٌ للتَّأكيدِ والدَّلالةِ على تَطاوُلِ عَهدِهِم بالمَطرِ واستِحكامِ يَأْسِهِم»:

---

(١) في (أ) و(ت): «سائراً أو واقفاً».

(٢) في (ت): «أو غير».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٤١).

(٤) وعلى الأول هو لنزول المطر.

قال أبو حيَّان: ما ذكرَهُ مِن فائدَةِ التَّأكيدِ غيرُ ظَاهِرٍ، وإنَّما هو لمُجرَّدِ التَّأكيدِ، ويفيدُ رَفْعَ المَجازِ فقطْ[1].

قالَ الحَلَبِيُّ: وَلَا أَدْرِي عَدَمُ الظُّهورِ لِمَاذا[2]؟!

(٥٠) - ﴿ فَانظُرْ إِلَىٰٓ ءَاثَـٰرِ رَحْمَتِ ٱللَّهِ كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ ۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴾.

﴿فانْظُرْ إلى أَثَرِ رَحْمَتِ اللهِ﴾: أثرِ الغَيْثِ من النَّباتِ والأشجارِ وأنواعِ الثِّمارِ، ولذلك جمعَهُ ابنُ عامرٍ وحمزةُ والكسائيُّ وحفصٌ[3].

﴿كَيْفَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَآ﴾ وقُرِئَ بالتَّاءِ على إسنادِه إلى ضَميرِ الرَّحمةِ[4].

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ يعني[5]: الذي قدَرَ على إحياءِ الأرضِ بعدَ موتِها ﴿لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ﴾: لقادرٌ على إحيائِهِم، فإنَّه إحداثٌ لِمِثلِ ما كانَ في مَوادِّ أبدانِهِم مِن القُوَى؛ كما أنَّ إحياءَ الأرضِ إحداثٌ لمثلِ ما كان فيها مِن القُوى النَّباتيَّةِ.

هذا ومن المحتملِ أَنْ يكونَ مِن الكائناتِ الراهنةِ[6] ما يكونُ مِن موادَّ تَفتَّتَتْ وتبدَّدَتْ مِن جنسِها في بعضِ الأعوامِ السَّالِفَةِ.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ لأنَّ نِسبَةَ قُدرَتِه إلى جميعِ المُمكِنَاتِ على سَواءٍ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ١٩٩). والمراد بفائدة التأكيد قوله: «والدَّلالةِ على تَطاوُلِ عهدِهم بالمطرِ..». وقد تصرف البيضاوي بعبارة الزمخشري فعطف الدلالة على التوكيد، وعبارة الزمخشري: «ومَعْنَى التَّوكيدِ فيه: الدَّلالةُ على أَنَّ عَهْدَهُم بالمَطر..» وبها تتضح عبارة أبي حيان.

(٢) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٥٢).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٥).

(٤) أي: (تُحيي). انظر: «المحتسب» (٢/ ١٦٥) عن أبي حيوة.

(٥) «يعني»: ليست في (ت).

(٦) في (أ) و(خ): «الواهنة». وقوله: «الراهنة»؛ أي: الموجودة المشاهدة الثابتة كما في قولهم: الحالة الراهنة هذه، والرهن مأخوذ منه. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٢٨).

(٥١) - ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾.

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا﴾: فرأَوا الأثَرَ، أو الزَّرعَ فإنَّه مدلولٌ عليه بما تقدَّمَ.

وقيل: السَّحابَ؛ لأنَّه إذا كانَ مُصفَرًّا لم يُمطِرْ.

واللامُ مُوطِّئَةٌ للقَسَمِ دخلَتْ على حرفِ الشَّرطِ، وقوله: ﴿لَظَلُّوا مِنْ بَعْدِهِ يَكْفُرُونَ﴾ جوابٌ سدَّ مَسَدَّ الجزاءِ ولذلك فُسِّرَ بالاستقبالِ.

وهذه الآياتُ[1] ناعِيَةٌ على الكُفَّارِ بِقِلَّةِ تَثبُّتِهِم وعَدمِ تدبُّرِهِم وسُرعَةِ تَزلزُلِهِم؛ لعَدَمِ تَفكُّرِهِم[2] وسُوءِ رَأيِهِم، فإنَّ النَّظرَ السَّوِيَّ يَقتَضِي أن يتوكَّلُوا على اللهِ ويلتَجِئُوا إليه بالاستغفارِ إذا احتبسَ القطرُ عَنْهُم ولم ييأسوا مِن رَحمَتِه، وأن يُبادِرُوا إلى الشُّكرِ والاستدامةِ بالطَّاعَةِ إذا أصابَهُم برحمته ولم يُفرِطُوا في الاستبشارِ، وأن يَصبِرُوا على بلائِهِ إذا ضربَ زروعَهُم بالاصفرارِ ولم يكفرُوا نِعمَه.

قوله: «ولذلك فُسِّرَ بالاستِقبالِ»:

أي: لَيَظَلُّنَّ[3]، ذكرَه مَكِّيٌّ وأبو البَقاءِ وغيرُهُما[4].

(٥٢ - ٥٣) - ﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تُسْمِعُ الصُّمَّ الدُّعَاءَ إِذَا وَلَّوْا مُدْبِرِينَ (٥٢) وَمَا أَنْتَ بِهَادِ الْعُمْيِ عَنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ تُسْمِعُ إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ مُسْلِمُونَ﴾.

﴿فَإِنَّكَ لَا تُسْمِعُ الْمَوْتَى﴾ وهُم مِثلُهُم لمَّا سدُّوا عن الحقِّ مشاعرهِم ﴿وَلَا تُسْمِعُ

---

(١) في (خ): «الآية».

(٢) في (ض): «تذكرهم».

(٣) الكلمة غير واضحة في النسخ الخطية، والمثبت من «التبيان» لأبي البقاء العكبري.

(٤) انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب (٢/ ٥٦٣)، و«التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (٢/ ١٠٤٢).

ﵟٱلصُّمَّ ٱلدُّعَآءَ إِذَا وَلَّوۡاْ مُدۡبِرِينَﵞ قيَّدَ الحكمَ به ليكونَ أشَدَّ استحالةً، فإنَّ الأَصمَّ المقبلَ وإن لم يسمع الكلامَ تفطَّنَ منه بواسطةِ الحركاتِ شيئًا.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ بالياءِ مَفتوحةً ورفعِ ﵟالصمُّﵞ(1).

ﵟوَمَآ أَنتَ بِهَٰدِ ٱلۡعُمۡيِ عَن ضَلَٰلَتِهِمۡﵞ سمَّاهم عُمْيًا لفقدِهم المقصودَ الحَقيقِيَّ مِن الإبصارِ، أو لِعَمى قُلوبِهم، وقرأَ حمزَةُ وحدَهُ: ﵟتَهدِي العميَﵞ(2).

ﵟإِن تُسۡمِعُ إِلَّا مَن يُؤۡمِنُ بِـَٔايَٰتِنَاﵞ فإنَّ إيمانَهُم يَدعُوهم إلى تَلقِّي اللفظِ وتَدبُّرِ المَعنى، ويجوزُ أَنْ يرادَ بالمؤمنِ: المُشَارِفُ للإيمانِ.

ﵟفَهُم مُّسۡلِمُونَﵞ لِمَا تأمرُهُم به.

(٥٤) - ﵟٱللَّهُ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن ضَعۡفٖ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ ضَعۡفٖ قُوَّةٗ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعۡدِ قُوَّةٖ ضَعۡفٗا وَشَيۡبَةٗۚ يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيمُ ٱلۡقَدِيرُﵞ.

ﵟاللهُ الَّذي خَلقَكُمْ مِن ضُعْفٍﵞ؛ أي: ابتدأَكُم ضعفاءَ وجَعلَ الضَّعفَ أساسَ أمرِكُم؛ كقَولِه: ﵟوَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗاﵞ(3) [النساء: ٢٨]؛ أو: خلقَكُم من أصلٍ ضَعيفٍ وهو النُّطفَةُ.

ﵟثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ ضُعْفٍ قُوَّةًﵞ وذلك إذا بلَغْتُم الحُلُمَ، أو تعلَّقَ بأبدانِكُم الرُّوحُ(4).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٩).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٦)، و«التيسير» (ص: ١٦٩). وقوله: «وحده: تهدي العميَ»: ليس في (ت).

(٣) في (ض) و(ت): «كقوله: ﵟخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖﵞ». قال الشهاب في «الحاشية» (٧/ ١٢٨): قوله: ﵟخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ مِنۡ عَجَلٖﵞ مثالٌ لجعل ما طُبع عليه بمنزلة ما طبع منه، وفي نسخة: ﵟوَخُلِقَ ٱلۡإِنسَٰنُ ضَعِيفٗاﵞ وهي مثال لابتدائهم ضعفاء.

(٤) قوله: «وذلك...» لف ونشر على التفسيرين السابقين للضعف. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٢٨).

﴿ثُمَّ جَعَلَ مِن بَعْدِ قُوَّةٍ ضُعْفًا وَشَيْبَةً﴾ إذا أخذ منكم السنُّ.

وفتحَ عاصِمٌ وحمزَةُ الضَّادَ في جميعِها[1]، والضمُّ أقوى لقولِ ابنِ عمرَ: قرأتُها على رسولِ اللهِ ﷺ: ﴿مِن ضَعَفٍ﴾ فأقرأَني: ﴿من ضُعْفٍ﴾. وهما لُغتانِ كالفَقرِ والفُقْرِ.

والتَّنكيرُ معَ التَّكريرِ لأنَّ المُتأخِّرَ ليس عينَ المُتقدِّمِ.

﴿يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ من ضعفٍ وقوَّةٍ وشبيبةٍ وشَيبَةٍ ﴿وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ﴾ فإنَّ التَّرديدَ في الأحوالِ المُختلِفَةِ مع إمكانِ غيرِهِ دليلُ العلمِ والقُدرَةِ.

قوله: «لقولِ ابنِ عُمَرَ قَرَأْتُها على رَسولِ اللهِ ﷺ: ﴿مِّن ضَعَفٍ﴾ فأقرأَني: ﴿مِّن ضُعْفٍ﴾»:

أخرجَهُ أبو داودَ والتِّرمذيُّ الأوَّلُ بالفَتحِ والثَّاني بالضَّمِّ[2].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٥ ـ ١٧٦). وقال ابن مجاهد: وقَرأ حفص عن نفسه لا عن عاصم بضم الضَّاد. وانظر التعليق الآتي.

(٢) رواه أبو داود (٣٩٧٨)، والترمذي (٢٩٣٦)، من طريق فُضَيل بن مرزوقٍ، عن عطيَّةَ بنِ سَعْد العَوفيِّ، عن ابن عُمرَ رضي الله عنهما به. وعطية العوفي ضعيف. وقال الترمذي: هذا حديث حسن غريب، لا نعرفه إلا من حديث فضيل بن مرزوق.

وقال الداني في «التيسير» (ص: ١٧٦): روى حفص عن عاصم بفتح الضاد فيهنَّ، غير أنه ترك ذلك واختارَ الضَّم اتِّباعا منه لروايةٍ حدثه بها الفضيل بن مرزوق عن عطيَّة العوفيّ عن عبد الله بن عمر: أن النَّبي عَلَيْهِ السَّلَام أقرأه ذلك بالضمِّ وردَّ عليه الفتحَ وأباه، وعطية يضعَّف، وما رواه حفص عن عاصم عن أئمَّته أصح، وبالوجهين آخذ في روايته لأتابع عاصمًا على قراءته وأوافق حفصاً على اختياره.

(٥٥) ـ ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ غَيْرَ سَاعَةٍۚ كَذَٰلِكَ كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾.

﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ﴾: القيامَةُ، سُمِّيَتْ بها لأنَّها تقومُ في آخرِ ساعَةٍ من ساعاتِ الدُّنيَا، أو لأنَّها تقعُ بغتَةً، وصارَتْ علمًا لها بالغلبَةِ كالكوكبِ للزُّهَرَةِ.

﴿يُقْسِمُ ٱلْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُواْ﴾ في الدُّنيَا، أو في القبورِ، أو فيما بين فناءِ الدُّنيَا والبَعثِ وانقطاعِ عذابِهِم، وفي الحديثِ: «ما بينَ فَناءِ الدُّنيَا والبعثِ أَربعونَ»، وهو محتملٌ للسَّاعاتِ والأيَّامِ والأعوامِ.

﴿غَيْرَ سَاعَةٍ﴾ استقلُّوا مُدَّةَ لبثِهِم إضافةً إلى مدَّةِ عَذابِهِم في الآخرةِ، أو نسيانًا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثلَ ذلك الصَّرفِ عن الصِّدقِ والتَّحقيقِ ﴿كَانُواْ يُؤْفَكُونَ﴾: يُصرَفُونَ في الدُّنيا.

قوله: «وفي الحَديثِ: ما بينَ فناءِ الدُّنيَا والبَعثِ أَربعونَ»:

قال الشَّيخُ وَلِيُّ الدِّين: لَمْ أَقِفْ عليهِ هكذا، وفي «الصَّحيحين» عن أبي هريرةَ مرفوعًا: «ما بينَ النَّفخَتَينِ أَربعونَ»[1].

(٥٦ ـ ٥٧) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْبَعْثِۖ فَهَٰذَا يَوْمُ ٱلْبَعْثِ وَلَٰكِنَّكُمْ كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٥٦﴾ فَيَوْمَئِذٍ لَّا يَنفَعُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ مِن الملائكةِ أو من الإنسِ[2]: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَٰبِ

(١) رواه البخاري (٤٨١٤)، ومسلم (٢٩٥٥)، وزادا: قالوا: يا أبا هريرة أربعون يوماً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، الحديثَ.

(٢) في (ت): «الملائكة والإنس».

﴿ٱللَّهِ﴾: في علمِه، أو قَضائِه، أو فيما كتبَهُ لكم؛ أي: أوجبَه بحكمته(١)، أو اللوحِ، أو القرآنِ وهو قوله: ﴿وَمِن وَرَآئِهِم بَرۡزَخٌ﴾ [المؤمنون: ١٠٠].

﴿إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡبَعۡثِ﴾ رَدُّوا بذلك ما قالوهُ وحَلَفوا عليهِ.

﴿فَهَـٰذَا يَوۡمُ ٱلۡبَعۡثِ﴾ الذي أنكرْتُموهُ ﴿وَلَـٰكِنَّكُمۡ كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أنَّه حَقٌّ لتَفريطِكُم في النَّظرِ، والفاءُ لجَوابِ شرطٍ مَحذوفٍ تَقديرُه: إن كنتُمْ مُنكرينَ البعثَ فهذا يومُه؛ أي: فقَدْ تبيَّنَ بُطلانُ إنكارِكُم.

﴿فيومَئِذٍ لا تَنْفَعُ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْذِرتُهُمْ﴾ وقرأَ الكوفِيُّونَ بالياءِ(٢)؛ لأنَّ المعذرةَ بمعنى العُذْرِ، أو لأنَّ تأنيثَها غيرُ حَقيقِيٍّ وقد فُصلَ بينَهُما.

﴿وَلَا هُمۡ يُسۡتَعۡتَبُونَ﴾: لا يُدْعَونَ إلى ما يقتضي إعتابَهُم؛ أي: إزالةَ عتبِهِم مِن التَّوبَةِ والطَّاعةِ كما دعوا إليه في الدُّنيا، مِن قَولِهم: استَعْتَبنِي فلانٌ فأَعْتَبْتُه؛ أي: استرْضَانِي فأَرْضَيْتُه.

(٥٨ ـ ٥٩) ـ ﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍۚ وَلَئِن جِئۡتَهُم بِـَٔايَةٍ لَّيَقُولَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا مُبۡطِلُونَ ﴿٥٨﴾ كَذَٰلِكَ يَطۡبَعُ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ ضَرَبۡنَا لِلنَّاسِ فِي هَـٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾: ولقد وَصَفْناهُم فيه بأنواعِ الصِّفاتِ التي هي في الغرابةِ كالأمثالِ، مثلَ صفةِ المبعوثينَ يومَ القيامَةِ فيما يقولونَ وما يقالُ لهم، وما لا يكونُ لَهُم مِن الانتفاعِ بالمعذرَةِ والاستعتابِ.

أو: بيَّنَّا لهم مِن كلِّ مثلٍ يُنبِّهُهم على التَّوحيدِ والبَعثِ وصدقِ الرَّسولِ.

---

(١) «بحكمته» من (خ).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٠٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٦).

﴿وَلَئِن جِئْتَهُم بِآيَةٍ﴾ مِن آياتِ القُرآنِ ﴿لَيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ مِن فَرْطِ عِنادِهِم وقساوةِ قُلوبِهِم ﴿إِنْ أَنتُمْ﴾ يعنونَ: الرَّسولَ عليهِ السَّلامُ والمؤمنينَ ﴿إِلَّا مُبْطِلُونَ﴾ مُزوِّرُونَ.

﴿كَذَٰلِكَ﴾ مِثْلَ ذلك الطَّبعِ ﴿يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾: لا يطلبونَ العِلمَ ويُصرُّونَ على خرافاتٍ اعتَقدُوهَا، فإنَّ الجهلَ المُركَّبَ يمنَعُ إدراكَ الحقِّ ويوجِبُ تكذيبَ المُحقِّ.

(٦٠) - ﴿فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿فَاصْبِرْ﴾ على أذاهُم ﴿إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ﴾ بنُصرَتِكَ وإظهارِ دينِكَ على الدِّينِ كُلِّه ﴿حَقٌّ﴾ لا بدَّ مِن إنجازِه ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ﴾: ولا يَحْمِلَنَّكَ على الخفَّةِ والقَلَقِ ﴿الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ بتكذيبِهم وإيذائِهم، فإنَّهُم شاكُّونَ ضالُّونَ لا يُستبدَعُ مِنْهُم ذلك.

وعن يعقوبَ بتَخفيفِ النُّونِ[1].

وقُرِئَ: (ولا يَسْتَحِقَّنَّكَ)[2]؛ أي: لا يزيغوكَ فيكونوا أحقَّ بكَ مِن المؤمنينَ.

عن رَسولِ اللهِ ﷺ: «مَن قرأَ سُورَةَ الرُّومِ كان له مِن الأَجرِ عشرُ حَسناتٍ بعدَدِ كلِّ ملكٍ سبَّحَ اللهَ بينَ السَّماءِ والأرضِ، وأدرَكَ ما ضيَّعَ في يومِهِ ولَيْلَتِه».

قوله: «مَن قَرَأَ سُورةَ الرُّومِ...» إلى آخره: مَوضوعٌ[3].

***

---

(١) وهي رواية رويس عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٢٤٦).

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ١٦٦) عن يعقوب وابن أبي إسحاق، وهي خلاف المشهور عن يعقوب.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٠٠) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سُورَةُ لُقۡمَانَ

سورة لقمان

مكيَّةٌ، وقيل: إلَّا آيةً وهي: ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ فإنَّ وجوبَهُما بالمدينةِ، وهو ضعيفٌ لأنَّهُ لا ينافي شرعيتَهُما بمكَّةَ.

وقيلَ: إلا ثلاثًا من قولِهِ: ﴿وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ﴾.

وآيُها أربعٌ وثلاثونَ، وقيلَ: ثلاثٌ وثلاثونَ.

بسم الله الرحمن الرحيم

(١ ـ ٣) ـ ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾.

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْحَكِيمِ﴾ سبقَ بيانُهُ في (يونُس).

﴿هُدًى وَرَحْمَةً لِّلْمُحْسِنِينَ﴾ حالانِ عنِ الآياتِ، والعاملُ فيهِما معنى الإشارةِ، ورفعَهُما حمزةُ[1] على الخبرِ بعدَ الخبرِ أو الخبرِ لمحذوفٍ.

(٤ ـ ٥) ـ ﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾ بيانٌ لإحسانِهم، أو تخصيصٌ لهذهِ الثَّلاثةِ من شُعَبهِ لفضلِ اعتدادٍ بها، وتكريرُ الضَّميرِ للتَّوكيدِ ولِمَا حيلَ بينهُ وبينَ خبرِه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٦).

﴿ أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾ لاستجماعِهم العقيدةَ الحقَّةَ والعملَ الصَّالحَ.

(٦) ـ ﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًاۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴾.

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ ٱلْحَدِيثِ ﴾: ما يُلهِي عمَّا يَعني؛ كالأحاديثِ التي لا أصلَ لها، والأساطيرِ التي لا اعتبارَ فيها، والمضاحِكِ وفضولِ الكلامِ، والإضافةُ بمعنى (مِن) وهي تَبيينيَّةٌ إن أرادَ بالحديثِ المنكرَ، وتبعيضيَّةٌ إن أرادَ به الأعمَّ منهُ.

وقيلَ: نزلت في النَّضرِ بن الحارثِ اشترى كتبَ الأعاجمِ وكانَ يحدِّثُ بها قريشًا ويقولُ: إن كانَ محمَّدٌ يحدِّثُكم بحديثِ عادٍ وثمودَ فأنا أحدِّثُكم بحديثِ رستمَ وإسفنديارَ والأكاسرةِ[١].

وقيلَ: كانَ يشتري القِيانَ[٢] ويحملُهنَّ على معاشرةِ مَن أرادَ الإسلامَ ومنعِه عنهُ[٣].

﴿لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دينِه، أو قراءةِ كتابِه. وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو بفتحِ الياءِ[٤] بمعنى: ليَثْبُتَ على ضلالِهِ ويزيدَ فيهِ.

---

(١) ذكره بهذا اللفظ الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٦) عن الكلبي ومقاتل. وهو في «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٣٢). ورواه بنحوه البيهقي في «الشعب» (٥٩١٤) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس رضي الله عنهما. وهذا إسناد ساقط. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٧/ ٣٩٩) من طريق آخر عن ابن عباس دون ذكر الآية. وفيه شيخ لم يسم.

(٢) في (خ): «المغنيات».

(٣) رواه جويبر عن ابن عباس كما في «الدر المنثور» للسيوطي (٦/ ٥٠٤). وجويبر متروك.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٤).

﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ بحالِ ما يشتريهِ، أو بالتجارةِ حيثُ استبدلَ[1] اللَّهوَ بقراءةِ القرآنِ.

﴿وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا﴾: ويتَّخِذَ السَّبيلَ سخريةً. وقد نصبَهُ حمزةُ والكسائيُّ ويعقوبُ وحفصٌ عطفًا على ﴿لِيُضِلَّ﴾[2].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ﴾ لإهانتِهم الحقَّ باستئثارِ[3] الباطلِ عليهِ.

(٧) ـ ﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا ۖ فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾.

﴿وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ءَايَٰتُنَا وَلَّىٰ مُسْتَكْبِرًا﴾: متكبِّرًا لا يعبأُ بها ﴿كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾ مُشابهًا حالهُ حالَ مَن لم يَسمَعْها ﴿كَأَنَّ فِىٓ أُذُنَيْهِ وَقْرًا﴾: مُشابهًا مَن في أذنهِ ثِقلٌ لا يقدرُ أن يسمعَ، والأُولى حالٌ من المستكنِّ في ﴿وَلَّىٰ﴾ أو في ﴿مُسْتَكْبِرًا﴾، والثانيةُ بدلٌ منها أو حالٌ من المستكنِّ في ﴿لَّمْ يَسْمَعْهَا﴾، ويجوزُ أن يكونا استئنافينِ.

﴿فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾: أعلِمْهُ بأنَّ العذابَ يَحيقهُ[4] لا محالةَ.

وقرأَ نافعٌ: ﴿فِىٓ أُذْنَيْهِ﴾[5].

وذكرُ البشارةِ على التهكُّمِ.

(٨ ـ ٩) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ ﴿٨﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَا ۖ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

---

(١) في (ت): «اشترى».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٦).

(٣) في (ض): «بإيثار».

(٤) في (ض): «يحيق به».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٤٤)، و«التيسير» (ص: ٩٩).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ جَنَّٰتُ ٱلنَّعِيمِ﴾؛ أي: لهم نعيمُ جناتٍ، فعُكِس للمبالغةِ.

﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ حالٌ من الضَّميرِ في ﴿لَهُمْ﴾، أو منِ ﴿جَنَّٰتُ﴾، والعاملُ ما تعلَّقَ به اللَّامُ.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ حَقًّا﴾ مصدرانِ مؤكِّدانِ، الأوَّلُ لنفسهِ والثَّاني لغيرهِ؛ لأنَّ قولهُ: ﴿لَهُمْ جَنَّٰتُ﴾ وعدٌ وليسَ كلُّ وعدٍ حقًّا.

﴿وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يَغْلبُهُ شيءٌ فيمنعَهُ عن إنجازِ وعدهِ ووعيدهِ.

﴿ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعلُ إلا ما تَستدعيهِ حكمتُهُ.

(١٠) ـ ﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ۖ وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا﴾ قد سبقَ في الرَّعدِ ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ﴾: جبالًا شوامخَ ﴿أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾: كراهةَ أن تميلَ[١] بكم؛ فإنَّ بساطةَ[٢] أجزائِها يقتضي تبدُّلَ أحيازِها وأوضاعِها لامتناعِ اختصاصِ كلٍّ منها لذاتِهِ أو لشيءٍ من لوازمِهِ بحيِّزٍ ووضعٍ معيَّنينِ.

﴿وَبَثَّ فِيهَا مِن كُلِّ دَآبَّةٍ ۚ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ﴾: من كلِّ صنفٍ كثيرِ المنفعةِ، وكأنَّهُ استدلَّ بذلك على عِزَّتِهِ التي هي كمالُ القدرةِ، وحكمتِهِ التي هي كمالُ العلمِ، ومهَّدَ بهِ قاعدةَ التَّوحيدِ وقرَّرها بقولِه:

---

(١) في (ت): «تميد».

(٢) في (ض) و(ت): «تشابه». قال الشهاب: قوله: «فإنّ بساطة أجزائها» وفي نسخة: «تشابه أجزائها»، وهو تعليل لميدانها. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٣٤).

(١١) ـ ﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ هَٰذَا خَلْقُ ٱللَّهِ فَأَرُونِى مَاذَا خَلَقَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾: هذا الذي ذُكِرَ مخلوقُهُ، فماذا خلقَ آلهتُكُم حتى استحقُّوا مشاركتَهُ؟

و﴿مَاذَا﴾ نصبٌ بـ﴿خَلَقَ﴾، أو (ما) مرتفعٌ بالابتداءِ وخبرُهُ (ذا) بصِلَتِهِ و﴿أروني﴾ معلَّقٌ عنهُ.

﴿بَلِ ٱلظَّٰلِمُونَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ إضرابٌ عن تبكيتِهِم إلى التَّسجيلِ عليهم بالضَّلالِ الذي لا يَخْفَى على ناظرٍ، ووضعَ الظَّاهرَ مَوضِعَ المضمَرِ للدَّلالةِ على أنَّهم ظالِمونَ بإشراكِهم.

(١٢) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ ۚ وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ حَمِيدٌ ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ﴾ يعني: لُقمانَ بنَ باعُوراءَ مِن أولادِ آزرَ[١]، ابنُ أختِ أيوبَ أو خالَتِهِ، وعاشَ ألفَ سنةٍ[٢] حتى أدركَ داودَ وأخذَ منهُ العلمَ، وكانَ يُفتي قبلَ مبعثِهِ، والجمهورُ على أنَّهُ كانَ حكيمًا ولم يكن نبيًّا.

والحكمةُ في عُرْفِ العلماءِ: استكمالُ النَّفسِ الإنسانيَّةِ باقتباسِ العلومِ النَّظريةِ واكتسابِ الملكةِ التَّامَّةِ على الأفعالِ الفاضلَةِ على قَدْرِ طاقَتِها.

---

(١) قوله: «من أولاد آزر..» هو أحد الأقوال فيه، وقيل: كان عبداً أسود، وقوله: «باعوراء» بعين مهملة ممدوداً، ووقع في «الكشاف»: «باعور» بدون ألف، وهو اسم عبراني. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٣٤).

(٢) «ألف سنة» من (خ)، وهو الموافق لما في «الكشاف» (٦/ ٥٩٦).

ومِن حكمتِه: أنَّهُ صحبَ داودَ شهورًا، وكانَ يَسردُ الدِّرعَ فلم يَسأَلْه عنها، فلمَّا أتمَّها لَبِسَها وقال: نِعمَ لبوسُ الحربِ أنتَ! فقال: الصَّمتُ حُكْمٌ وقليلٌ فاعلهُ(١).

وأنَّ داودَ قال لهُ يومًا: كيفَ أصبحتَ؟ فقال: أصبحتُ في يدَي غيرِي(٢).

وأنَّهُ أُمرَ بأنْ يذبحَ شاةً ويأتيَ بأطيَبِ مضغتينِ منها، فأتى باللِّسانِ والقلبِ، ثمَّ بعدَ أيَّامٍ أُمرَ بأن يأتيَ بأخبثِ مُضغَتَيْنِ منها فأتَى بهما أيضًا، فسألَهُ عن ذلكَ فقال: هما أطيبُ شيءٍ إذا طابَا، وأخبثُ شيءٍ إذا خَبُثا(٣).

﴿أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾: لأنْ اشكُرْ، أو: أي اشكُرْ، فإنَّ إيتاءَ الحكمةِ في معنى القولِ.

﴿وَمَن يَشْكُرْ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ﴾ لأنَّ نفعَهُ عائدٌ إليها، وهو دَوامُ النِّعمةِ واستحقاقُ مزيدِها ﴿وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ﴾ لا يحتاجُ إلى الشُّكرِ ﴿حَمِيدٌ﴾: حقيقٌ بالحمدِ وإن لم يُحمَد، أو محمودٌ يَنطقُ بحمدِهِ جميعُ مخلوقاتِهِ بلسانِ الحالِ.

قوله: «الصَّمْتُ حُكْمٌ وقَلِيلٌ فاعِلُه».

قال الميدانيُّ: الحُكْمُ: الحِكمَةُ، ومعناه: استِعمالُ الصَّمتِ حِكْمَةٌ، ولكن قَلَّ مَن يَستَعمِلُها(٤).

---

(١) ذكره بنحوه بلاغاً يحيى بن آدم في «تفسيره» (٢/ ٧٤٨). قوله: «الصَّمت حُكْمٌ» الحُكم: الحِكْمةُ، ومنه قولُه تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]. وهو مَثَلٌ. انظر: «جمهرة الأمثال» (١/ ٥٦٩)، و«مجمع الأمثال» (١/ ٤٠٢)، و«المستقصى» (١/ ٣٢٨).

(٢) ذكره الكرماني في «لباب التفاسير» (٧/ ١١٤) عن بعض التفاسير.

(٣) رواه الإمام أحمد في «الزهد» (٢٧١)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٤٨)، عن خالد الربعي.

(٤) انظر: «مجمع الأمثال» (١/ ٤٠٢).

(١٣) ـ ﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ ﴾ أَنْعَمَ، أو أَشْكَمَ، أو مَاثَانَ ﴿وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ﴾ تصغيرُ إشفاقٍ. ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ﴾

وقرأ ابنُ كثيرٍ هنا: ﴿يا بُنَيْ﴾ بإسكانِ الياء، وقُنبلٌ: ﴿يا بُنَيْ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ بإسكانِ الياء، وحفصٌ فيهما وفي ﴿ يَٰبُنَىَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ ﴾ بفتحِ الياء، ومثلُه البَزِّيُّ في الأخير، وقرأ الباقون في الثلاثةِ بكسرِ الياء[1].

قيلَ: كانَ كافرًا فلم يزَلْ بهِ حتَّى أسلمَ، ومَن وقفَ على ﴿لَا تُشْرِكْ﴾ جعل ﴿بِٱللَّهِ﴾ قسمًا.

﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴾ لأنَّهُ تسويةٌ بينَ مَن لا نعمةَ إلا منهُ ومَن لا نِعمةَ منهُ.

(١٤) ـ ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴾.

﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا ﴾: ذاتَ وَهْنٍ، أو: تَهِنُ وَهْنًا ﴿عَلَىٰ وَهْنٍ﴾؛ أي تضعفُ ضَعفًا فوقَ ضَعفٍ، فإنَّها لا تزالُ يتضاعفُ[2] ضعفُها، والجملةُ في موضعِ الحالِ.

وقُرِئَ بالتحريكِ[3]، يقالُ: وَهَنَ يَهِنُ وَهْنًا، ووَهِنَ يَوْهَنُ وَهَنًا.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٦).

(٢) في (ت): «يتزايد».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧ ـ ١١٨)، و«المحتسب» (٢/ ١٦٧)، عن أبي عمرو في غير المشهور عنه وعيسى الثقفي.

﴿وَفِصَٰلُهُۥ فِي عَامَيۡنِ﴾: وفطامهُ في انقضاءِ عامينِ، وكانت ترضعهُ في تلكَ المدَّةِ، وقُرِئَ: (وفَصْلُهُ)(١)، وفيهِ دليلٌ على أنَّ أقصى مدةِ الرَّضاعِ حولانِ.

﴿أَنِ ٱشۡكُرۡ لِي وَلِوَٰلِدَيۡكَ﴾ تفسيرٌ لـ(وصَّينا) أو علَّةٌ لهُ، أو بدلٌ من (والديهِ) بدلَ الاشتمالِ، وذكرُ الحملِ والفصالِ في البينِ اعتراضٌ مؤكِّدٌ للتَّوصيةِ في حقِّها خصوصًا، ومِنْ ثمَّ قالَ عليهِ السَّلامُ لمن قالَ لهُ: مَن أبرُّ؟: «أمَّكَ ثمَّ أمَّكَ ثمَّ أمَّكَ» ثمَّ قالَ بعدَ ذلكَ «ثمَّ أباكَ».

﴿إِلَيَّ ٱلۡمَصِيرُ﴾ فأحاسبكَ على شُكرِكَ وكفرِكَ.

قوله: «قال عليهِ السَّلامُ لِمَن قالَ له: مَن أَبرُّ؟: «أمَّكَ ثمَّ أمَّكَ ثمَّ أمَّكَ» ثمَّ قال بعدَ ذلك: أباك».

أخرجَه أبو داودَ والتِّرمذيُّ مِن حديثِ بهزِ بنِ حَكيمٍ عن أبيهِ عن جَدِّه(٢).

(١٥) ـ ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ فَلَا تُطِعۡهُمَاۖ وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗاۖ وَٱتَّبِعۡ سَبِيلَ مَنۡ أَنَابَ إِلَيَّۚ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ﴾.

﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشۡرِكَ بِي مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٞ﴾ باستحقاقِهِ الإشراكَ تقليدًا لهمَا، وقيل: أرادَ بنفيِ العلمِ به نفيَهُ.

﴿فَلَا تُطِعۡهُمَا﴾ في ذلك ﴿وَصَاحِبۡهُمَا فِي ٱلدُّنۡيَا مَعۡرُوفٗا﴾ صحابًا معروفًا يرتضيهِ الشَّرعُ ويقتضيهِ الكرمُ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧ ـ ١١٨)، و«المحتسب» (٢/ ١٦٧)، عن الجحدري والحسن بخلاف وقتادة وأبي رجاء ويعقوب.

(٢) رواه أبو داود (٥١٣٩)، والترمذي (١٨٩٧) من حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده، وقال: «حديث حسن»، ورواه البخاري (٥٩٧١)، ومسلم (٢٥٤٨)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

﴿وَٱتَّبِعْ﴾ في الدِّينِ ﴿سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ بالتَّوحيدِ والإخلاصِ في الطَّاعةِ ﴿ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ﴾: مَرجِعُكَ ومَرجِعُهُما ﴿فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بأَنْ أُجازِيَكَ على إيمانِكَ وأجازيَهُما على كفرِهِما.

والآيتانِ معترضتَانِ في تضاعيفِ وصيَّةِ لقمانَ تأكيدًا لِمَا فيها من النَّهيِ عن الشِّركِ؛ كأنَّهُ قال: وقد وصَّينا بمثلِ ما وصَّى بهِ، وذكرُ الوالدينِ للمبالغةِ في ذلكَ، فإنَّهما مع أنَّهُما تِلْوَا الباري في استحقاقِ التَّعظيمِ والطَّاعةِ لا يجوزُ أن يَستَحِقَّاه[1] في الإشراكِ فما ظنُّكَ بغيرِهما؟

ونزولُهما في سَعْدِ بنِ أبي وقاصٍ وأمِّه، مكثَتْ لإسلامِهِ ثلاثًا لم تَطْعَمْ فيها شيئًا[2]، ولذلكَ قيلَ: من أنابَ إليهِ: أبو بكرٍ، فإنَّهُ أسلمَ بدعوتِهِ[3].

قوله: «وقيل: أرادَ بنَفْيِ العلمِ بهِ نَفْيَه»:

قال الطِّيبيُّ: أي: هو مِن بابِ نَفيِ الشَّيءِ بنَفيِ لازِمِه، وذلكَ أنَّ العِلمَ تابعٌ للمَعلومِ، فإذا كانَ الشَّيءُ مَعدُومًا لَمْ يَتعلَّقْ به مَوجُودًا[4].

(١٦) ـ ﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾.

﴿يَٰبُنَيَّ إِنَّهَآ إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ﴾؛ أي: إنَّ الخَصْلَةَ من الإساءةِ أو الإحسانِ إن تكُ مَثَلًا في الصِّغرِ كحبَّةِ الخردَلِ.

---

(١) في (ض): «لا يجوز تقليدهما».

(٢) رواه مسلم (١٧٤٨) كتاب فضائل الصحابة، عقب الحديث (٢٤١٢) من حديث سعد رضي الله عنه.

(٣) ذكره الواحدي في «أسباب النزول» (١/ ٣٥٨) من رواية عطاء عن ابن عباس.

(٤) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٢٩١).

ورفعَ نافعٌ ﴿مِثْقَالُ﴾[1] على أنَّ الهاءَ ضميرُ القصَّةِ، و(كانَ) تامَّةٌ، وتأنيثُها لإضافةِ المثقالِ إلى الحبَّةِ كقولِ الشَّاعرِ[2]:

كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ

أو لأنَّ المرادَ بِهِ الحَسنَةُ أو السَّيِّئَةُ.

﴿فَتَكُن فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَوْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ في أخفَى مكانٍ وأحرزِهِ كجوفِ صخرةٍ، أو أعلاهُ كمحدَّبِ السَّماواتِ، أو أسفلِه كمقعَّرِ الأرضِ.

وقُرِئَ بكسرِ الكافِ[3] من: وَكَنَ الطَّائرُ: إذا استقرَّ في وُكْنَتِهِ.

﴿يَأْتِ بِهَا ٱللَّهُ﴾: يُحضِرُها فيحاسِبُ عليها ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَطِيفٌ﴾ يصلُ علمُهُ إلى كلِّ خفيٍّ ﴿خَبِيرٌ﴾: عالمٌ بكنهِهِ.

قوله:

«كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ القَنَاةِ مِنَ الدَّمِ»

أوَّلُه:

وَتَشْرَقُ بِالقَوْلِ الذِي قَدْ أَذَعْتَهُ[4]

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٥٥).

(٢) في (ض) و(ت): «كقوله».

(٣) وسكون النون؛ أي: (فتكِنْ)، وقرئ كذلك أيضاً لكن بشدِّ النون المفتوحة، وقرئ: (فتُكَنَّ) بضم ففتح والنون مشددة، ونسبت كل لقوم، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٧)، و«المحتسب» (٢/ ١٦٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٥٠)، و«البحر» (١٧/ ٢١).

(٤) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١١٩)، و«الكتاب» (١/ ٥٢)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٨٧)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٦٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٣/ ٩٤).

قال الطِّيبيُّ: الشَّرَقُ: الشَّجَى والغُصَّةُ، وقد شَرِقَ بريقِه: إذا غَصَّ، أَنَّثَ «شَرِقَتْ» لإضافَةِ الصَّدْرِ إلى القَناةِ، وصدرُ القَناةِ: هو ما فوقَ نصفِها، انتهى[١].

قلتُ: البَيْتُ مِن قَصيدَةٍ للأَعشَى أوَّلُها:

أَلَا قُـلْ لِتَيَّـا قَبْـلَ نِيَّتِهَـا اسْلَمِي تَـحِيَّـةَ مُشْـتَاقٍ إِلَيْهَـا مُتَيَّـمِ[٢]

(١٧) ـ ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾.

﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ تكميلًا لنفسِك ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ تكميلًا لغيرِك ﴿وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَ﴾ من الشَّدائدِ سيَّما في ذلك.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى الصَّبرِ، أو إلى كلِّ ما أَمَرَ بهِ[٣] ﴿مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾ ممَّا عَزَمَهُ اللهُ منَ الأمورِ؛ أي قطَعَهُ قَطْعَ إيجابٍ، مصدرٌ أُطلِقَ للمفعولِ، ويجوزُ أن يكونَ بمعنى الفاعلِ من قولِهِ: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [محمد: ٢١]؛ أي: جَدَّ.

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخۡتَالٖ فَخُورٖ ﴿١٨﴾ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ وَٱغۡضُضۡ مِن صَوۡتِكَۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلۡأَصۡوَٰتِ لَصَوۡتُ ٱلۡحَمِيرِ﴾.

﴿وَلَا تُصَعِّرۡ خَدَّكَ لِلنَّاسِ﴾: لا تُمِلْهُ عنهم، ولا تُوَلِّهِم صَفْحَةَ وجهِكَ كما يفعلُهُ المتكبِّرونَ، مِن الصَّعَرِ وهو الصَّيَدُ: داءٌ يَعتَرِي البعيرَ فيلوي عُنُقَهُ.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٢٩٥).

(٢) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١١٩)، وفيه: «قبل مِرَّتِها».

(٣) في (ض) و(ت): «أمره».

وقرأ نافعٌ وأبو عمرٍو وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿وَلَا تُصَاعِر﴾[١]، وقُرِئَ: (ولا تُصْعِرْ)[٢]، والكلُّ واحدٌ مثلَ: عَلَاه وأَعْلَاهُ وعَالَاهُ.

﴿وَلَا تَمْشِ فِي ٱلْأَرْضِ مَرَحًا﴾؛ أي: فَرَحًا، مصدرٌ وقعَ موقعَ الحالِ، أو: تمرحُ مرحًا، أو: لأجلِ المرحِ وهو البطرُ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ علَّةٌ للنَّهيِ، وتأخيرُ الفَخُورِ وهو مقابلٌ للمصعِّرِ خدَّهُ والمُختالُ للماشي مرحًا = لتَوافُقِ رؤوسِ الآيِ.

﴿وَٱقْصِدْ فِي مَشْيِكَ﴾: توسَّطْ فيهِ بينَ الدَّبيبِ والإسراعِ، وعنهُ عليهِ السَّلامُ: «سُرْعَةُ المشيِ تُذهِبُ بهاءَ المؤمنِ»، وقولُ عائشةَ: (كانَ إذا مشى أسرعَ)، فالمرادُ ما فوقَ دبيبِ المتماوِتِ.

وقُرِئَ بقطعِ الهمزةِ[٣] مِن أَقْصَدَ الرَّامِي: إذا سدَّدَ سهمَهُ نحوَ الرَّمِيَّةِ.

﴿وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ﴾: وانقُصْ منهُ وأقْصِرْ ﴿إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ﴾: أوحشَها ﴿لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ﴾ والحمارُ مَثَلٌ في الذَّمِّ سِيَّما نُهَاقُهُ، ولذلكَ يُكْنَى عنهُ فيقالُ: طويلُ الأذنينِ.

وفي تمثيلِ الصَّوتِ المرتفعِ بصوتِه ثمَّ إخراجِهِ مُخرجَ الاستعارةِ مبالغةٌ شديدةٌ، وتوحيدُ الصَّوتِ لأنَّ المرادَ تفضيلُ الجنسِ في النَّكيرِ[٤] دونَ الآحادِ، أو لأنَّهُ مصدرٌ في الأصلِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٦).

(٢) هي قراءة الجحدري كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨) عن الحجازي.

(٤) في (ض): «النكر».

قوله: «سُرْعَةُ المَشيِ تُذْهِبُ بهاءَ المُؤمِنِ»:

أخرجَه ابنُ عَدِيٍّ، وأبو نُعيمٍ في «الحلية»، مِن حَديثِ أبي هُرَيرةَ، وأخرجَهُ ابنُ عَدِيٍّ أَيْضًا مِن حَديثِ أَبي سَعيدٍ وابنِ عُمَرَ(١).

قوله: «وقول عائشَةَ: كانَ إذا مَشَى أَسْرَعَ»:

أوردَهُ ابنُ الأثيرِ في «النِّهاية»: أنَّ عائشَةَ نظرَتْ إلى رَجُلٍ كادَ يموتُ تَخافتًا فقالَت: ما لِهَذا؟ فقيل: إنَّه مِن القُرَّاءِ، فقالَتْ: كان عُمَرُ سيِّدَ القُرَّاءِ، وكان إذا مَشى أسرَعَ، وإذا قالَ أسمَعَ، وإذا ضَرَبَ أوجَعَ(٢).

قوله: «فالمُرادُ ما فوقَ دَبيبِ المتَماوتِ».

في «النهاية»: تَمَاوَتَ الرَّجُلُ: إذا أظهرَ مِن نَفسِهِ التَّخافُتَ والتَّضاعُفَ من العبادَةِ والزُّهدِ والصَّومِ(٣).

---

(١) رواه ابن عدي في «الكامل» (٦/ ١٣٨)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (١٠/ ٢٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، ورواه ابن عدي في «الكامل» (٨/ ٣٥٩) عن أبي سعيد وابن عمر رضي الله عنهم، و(٦/ ٢٥) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

وأسانيدها ضعيفة جدًّا، وقد فصلنا طرقه ورواياته مع عللها في تحقيقنا لـ«روح المعاني» (٢١/ ٦٥).

وانظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٣٠).

(٢) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (مادة: موت)، وروى نحوه عن عائشة رضي الله عنها: ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٣/ ٢٧٠) عن الشفاء بنت عبد الله.

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (مادة: موت).

(٢٠) ـ ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَاوَاتِ﴾ بأنْ جعلَهُ أسبابًا محصِّلةً لمنافعِكُم ﴿وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾ بأن مكَّنكُم من الانتفاعِ بهِ بوسطٍ أو بغيرِ وسطٍ.

﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾: محسوسةً ومعقولةً، ما تعرفونهُ وما لا تعرفونَهُ. وقد مرَّ شرحُ النِّعمةِ وتفصيلُها في الفاتحةِ.

وقُرِئَ: (وأصبَغَ) بالإبدالِ[١]، وهو جارٍ[٢] في كلِّ سينٍ اجتمعَ منَ الغينِ أو الخاءِ أو القافِ كصَلَخ وصَقَر، وقرأ نافعٌ وأبو عمرٍو وحفصٌ: ﴿نِعَمَهُ﴾ بالجمعِ والإضافةِ[٣].

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُجَادِلُ فِي اللَّهِ﴾: في توحيدِهِ وصفاتِهِ ﴿بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ مستفادٍ من دليلٍ ﴿وَلَا هُدًى﴾ راجعٍ إلى رسولٍ ﴿وَلَا كِتَابٍ مُّنِيرٍ﴾ أنزلهُ اللهُ، بل بالتَّقليدِ كما قال:

(٢١) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَىٰ عَذَابِ السَّعِيرِ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّبِعُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا﴾ وهو منعٌ صريحٌ من التَّقليدِ في الأصولِ.

﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ﴾ يحتمِلُ أن يكونَ الضَّميرُ لهم ولآبائِهم ﴿إِلَىٰ

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ١٦٨) عن يحيى بن عمارة.

(٢) في (خ): «جائز».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: إلى ما يَؤولُ إليهِ من التَّقليدِ أو الإشراكِ، وجَوابُ (لو) محذوفٌ مثلَ: لاتَّبَعوهُ، والاستفهامُ للإنكارِ والتَّعجيبِ.

(٢٢) ـ ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ ۗ وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ ﴾.

﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ بأَنْ فوَّضَ أمـرَهُ إليهِ وأقبلَ بشراشرهِ عليهِ، مِن أسلَمْتُ المتاعَ إلى الزَّبونِ، ويؤيدُهُ القراءةُ بالتَّشديدِ(١)، وحيثُ عُدِّيَ باللَّامِ فلِتَضمُّنِ معنى الإخلاصِ.

﴿وَهُوَ مُحْسِنٌ﴾ في عملِهِ ﴿فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ﴾: تعلَّقَ بأوثَقِ ما يُتعلَّقُ بهِ، وهو تمثيلٌ للمتوكِّلِ المشتغِلِ بالطَّاعةِ بمَن أرادَ أن يترقَّى شاهقَ جبلٍ فتمسَّكَ بأوثقِ عُرى الحبلِ المتدلِّي منه.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ عَـٰقِبَةُ ٱلْأُمُورِ﴾ إذ الكلُّ صائرٌ إليه.

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ۚ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾.

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ﴾ فإنَّهُ لا يضرُّكَ في الدُّنيا والآخرةِ.

وقُرِئَ: ﴿فَلَا يُحْزِنْكَ﴾ مِن حَزَنَ(٢)، وليس بمُستَفِيضٍ.

﴿إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾ في الدَّارينِ ﴿فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟﴾ بالإهلاكِ والتَّعذيبِ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فمُجازٍ عليهِ فضلًا عمَّا في الظاهرِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨) عن علي والسلمي وعبد الله بن مسلم بن يسار.

(٢) وهي قراءة السبعة عدا نافعاً فإنه قرأ بالأولى. انظر: «التيسير» (ص: ٩١).

﴿ نُمَتِّعُهُمْ قَلِيلًا ﴾: تمتيعًا أو زمانًا قليلًا، فإنَّ ما يزولُ بالنِّسبةِ إلى ما يدومُ قليلٌ.

﴿ثُمَّ نَضْطَرُّهُمْ إِلَىٰ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴾ يَثقُلُ عليهِم ثِقَلَ الأجرامِ الغِلاظِ، أو يَضُمُّ إلى الإحراقِ الضَّغطَ.

(٢٥) ـ ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ۚ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾.

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ ﴾ لوضوحِ الدَّليلِ المانعِ من إسنادِ الخلقِ إلى غيرِه بحيثُ اضطرُّوا إلى إذعانِه.

﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ ﴾ على إلزامِهم وإلجائِهم إلى الاعترافِ بما يوجِبُ بطلانَ معتقدِهم.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ أنَّ ذلكَ يَلْزَمُهم.

(٢٦) ـ ﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ۚ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾.

﴿ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾ لا يَستحِقُّ العبادةَ فيهِما غيرُهُ.

﴿إِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ ﴾ عن حمدِ الحامدينَ ﴿الْحَمِيدُ ﴾: المستحِقُّ للحَمْدِ وإن لم يُحْمَد.

(٢٧) ـ ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾.

﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ ﴾: ولو ثبتَ كونُ الأشجارِ أقلامًا، وتوحيدُ ﴿شَجَرَةٍ ﴾ لأنَّ المرادَ تفصيلُ الآحادِ[1].

---

(١) قوله: «لأن المراد تفصيل الآحاد»؛ أي: لأن المراد تفصيل الشجر واستقصاؤها شجرة حتى لا يبقى واحدة من جنسها إلا وقد بُريت أقلاماً، ولو لم يفرد لم يفد هذا المعنى؛ إذ الجمع يتحقق بما =

﴿وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ﴾ والبحرُ المحيطُ بشُعَبِهِ مدادٌ ممدوداً[١] بسَبْعَةِ أبحُرٍ فأغنَى عن ذكرِ المدادِ ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ لأنَّهُ من مدَّ الدَّواةَ وأمدَّها، ورفعُهُ للعطفِ على محلِّ ﴿أَنَّ﴾ ومَعمولِها، و﴿يَمُدُّهُۥ﴾ حالٌ، أو للابتداءُ على أنَّهُ مُستأنَفٌ، أو الواوُ للحالِ، ونصبَهُ البَصرِيَّانِ[٢] بالعَطْفِ على اسمِ ﴿أَنَّ﴾، أو إضمارِ فعلٍ يُفسِّرُهُ ﴿يَمُدُّهُۥ﴾.

وقُرِئَ: (تُمِدُّهُ) و(يُمِدُّهُ) بالتَّاءِ والياءِ[٣].

﴿مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ﴾ بكَتْبِها بتلك الأقلامِ بذلكَ المدادِ، وإيثارُ جمعِ القلَّةِ للإشعارِ بأنَّ ذلكَ لا يفي بالقَليلِ فكيفَ بالكثيرِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ﴾ لا يُعجِزُهُ شيءٌ ﴿حَكِيمٌ﴾ لا يخرجُ عن علمهِ وحكمتِهِ أمرٌ، والآيةُ جوابٌ لليَهُودِ؛ سألُوا رسولَ اللهِ ﷺ ـ أو أمروا وفدَ قريشٍ أن يسألوهُ ـ عن قولهِ: ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥] وقد أنزلَ التوراةَ وفيها علمُ كلِّ شيءٍ[٤].

= فوق الثلاثة إلا أن يدخل عليه لام استغراق، وبهذا ظهر وجه التعبير بأقلام لأنها لعمومها في معنى الجمع. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٤١).

(١) في (أ): «مداد ممدود»، وفي (ت): «مدادًا وممدودًا» وعليه شرح الشهاب فقال: «مداداً» حال من (البحر)، و«ممدوداً» تفسيرٌ له فهو عطف بيان. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٤١).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٧)، و«النشر» (٢/ ٣٤٧). البصريان: أبو عمرو ويعقوب.

(٣) بالياء نسبت لابن مسعود والحسن وابن مصرف وغيرهم. انظر: «المحتسب» (٢/ ١٦٩)، و«البحر» (١٧/ ٢٣٣). وبالتاء في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨) عن بعضهم.

(٤) رواه مطولًا الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٧٢ ـ ٥٧٣) من طريق ابن إسحاق، قال: ثني رجل من أهل مكة، عن سعيد بن جُبَير، عن ابن عباس: (أن أحبار يهود قالوا لرسول الله ﷺ بالمدينة: يا محمد...) الحديث.

ورواه الطبري أيضاً من طريق محمد بن إسحاق، عن بعض أصحابه، عن عطاء بن يسار، قال: (لما =

قوله: «ورَفعُه للعَطفِ على محلِّ ﴿أن﴾ ومَعمولِها»:

قال أبو حيَّان: هذا لا يتمُّ إلا على رأيِ المبردِ، حيثُ زعمَ أنَّ (أنَّ) في مَوضعِ رفعٍ على الفاعليَّةِ(١).

وفي «أمالي ابنِ الحاجبِ»: هو مَعطوفٌ على فاعلِ (ثبتَ) المرادِ بعد (لو)، وهو ﴿أنَّ﴾ واسمُها وخبرُها جميعًا يُقدَّرُ بالمفردِ، فـ(البَحرُ) مَعطوفٌ على ما هوَ في معنى الكَوْنِ المُقدَّرِ، فعَلَى هذا ﴿يَمُدُّهُۥ﴾ لا يَصِحُّ أن يكونَ خبرًا، فيجبُ أن يكونَ حالًا؛ أي: لو ثبتَ البَحرُ في حالِ كونِه مَمدُودًا بسبعَةِ أَبْحُرٍ.

ولا يَستقيمُ أن يقالَ: إنَّ البَحْرَ مَعطوفٌ على مَوضعِ ﴿أنَّ﴾ لأنَّ العَطْفَ على المَوضعِ في﴿أنَّ﴾ شرطُه أن تكونَ مَكسورةً مثل: [إن زيداً قائمٌ وعمرٌو، أو في تأويل المكسورةِ في الأصل، مثل: علمت أن زيداً قائمٌ وعمرو. ومثلَ]: ﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٌ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ﴾ [التوبة: ٣].

وإنَّما لَمْ يُعطَفْ على المفتوحَةِ لَفْظًا ومَعنًى لأنَّها واسمَها وخبرَها بتأويلِ جُزْءِ

= نزلت بمكة ﴿وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلۡعِلۡمِ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ يعني: اليهود، فلما هاجر رسول الله ﷺ إلى المدينة، أتاه أحبار يهود، فقالوا: يا محمد...).

وفي هذين الخبرين التصريح بأن اليهود خاطبوا النبي ﷺ بذلك في المدينة ما يدل على أن الآية مدنية، لكن سنديهما ضعيفان لإبهام شيخ ابن إسحاق فيهما.

وقد قال الزمخشري: وهذه الآيةُ عند بَعْضِهم مَدَنِيَّةٌ وأنَّها نزلَتْ بَعد الهجرةِ.

ثم قال: وقيل: هي مَكِّيَّةٌ، وإنَّما أَمَر اليهُودُ وَفْدَ قُرَيْشٍ أن يَقُولُوا لِرسُولِ الله: أَلَستَ تَتْلُو فيما أُنزِلَ عَليك: أنَّا قَدْ أُوتينَا التَّوراةَ وفيها عِلمُ كُلِّ شيءٍ.

قلت: وقوله: «ألست تتلو...» ورد هذا في خبري ابن عباس وعطاء بن يسار المتقدمين على أنه من كلام اليهود للنبي ﷺ في المدينة دون واسطة مشركي مكة.

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٢٣٢).

واحِدٍ، فلَوْ قَدَّرْتَ أَنَّها في حكمِ العَدَمِ لأخلَلْتَ بمَوضِعِها، بخِلافِ (إنَّ) المكسورةِ لأَنَّها لا تُغَيِّرُ المعنى فجازَ تَقديرُ عَدمِها لكونِها للتَّأكيدِ المَحضِ، كما جازَ تَقديرُ عَدمِ الباءِ المؤكِّدَةِ في قولِه:

فَلَسْـــنَا بِالجِبَـــالِ وَلَا الحَدِيدَا(١)

قوله: «أو الابتداءُ على أنَّه مُستأنَفٌ، أو الواوُ للحَالِ»:

قال الطِّيبِيُّ: إنَّما قيَّدَه بذلك لأنَّ العَطفَ يوجِبُ المحذورَ الذي أشارَ إليهِ ابنُ الحاجبِ(٢).

قوله: «وإيثارُ جمعِ القِلَّةِ للإشعارِ بأنَّ ذلك لا يَفِي بالقَليلِ فكَيْفَ بالكَثيرِ»:

قال أبو حيَّان: على تَقديرِ تَسليمِ أنَّ ﴿كَلِمَـٰتُ﴾ جمعُ قِلَّةٍ، فجُموعُ القِلَّةِ إذا تعرَّفَتْ باللامِ غيرِ العَهديَّةِ أو أُضيفَتْ عمَّتْ فصارَتْ لا تخصُّ القليلَ، والعامُّ مُستغرِقٌ لجميعِ الأفرادِ(٣).

(٢٨) ـ ﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ﴾.

﴿مَّا خَلْقُكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾: إلَّا كخَلْقِها وبعثِها، إذ لا يَشغلُهُ شأنٌ عن شأنٍ، لأنَّهُ يكفي لوجودِ الكلِّ تعلُّقُ إرادتِهِ الواجبةِ مع قدرتِهِ الذَّاتيَّةِ كما قالَ: ﴿إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَىْءٍ إِذَآ أَرَدْنَٰهُ أَن نَّقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [النحل: ٤٠].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ﴾ يسمعُ كلَّ مَسموعٍ ﴿بَصِيرٌ﴾ يبصرُ كلَّ مبصَرٍ، لا يشغلُهُ إدراكُ بعضِها عن بعضٍ فكذلكَ الخلقُ.

---

(١) انظر: «أمالي ابن الحاجب» (١/ ١٥٩ ـ ١٦٠)، «فتوح الغيب» (١٢/ ٣٠٧)، وما بين معكوفتين منهما.

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٣٠٧).

(٣) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٢٣٦).

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ مِن دُونِهِ الْبَاطِلُ وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ الَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ فِي الَّيْلِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي﴾: كلٌّ من النَّيِّرينِ يجري في فَلَكِهِ ﴿إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾: إلى مُنْتَهًى معلومٍ: الشَّمسُ إلى آخرِ السَّنةِ، والقمرُ إلى آخرِ الشَّهرِ.

وقيلَ: إلى يومِ القيامةِ.

والفرقُ بينَهُ وبينَ قولهِ: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ [الرعد: ٢]: أنَّ الأجلَ هاهنا مُنتهَى الجريِ، وثَمَّ[١] غرضُهُ حقيقةً أو مجازًا[٢]، وكِلَا المعنيينِ حاصلٌ في الغاياتِ.

﴿وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾: عالمٌ بكُنهِهِ.

﴿ذَٰلِكَ﴾ الذي[٣] ذُكرَ مِن سَعَةِ العلمِ وشُمولِ القُدرَةِ وعَجائبِ الصُّنعِ

---

(١) في (خ): «وثمة».

(٢) قوله: «والفرق بينه وبين قوله: ﴿لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾» حاصله: أن الأجل المجرور بـ (إلى) منتهى الجَرْي، وباللام غرضُه؛ أي: علَّته المختصَّة به، فالغرض الاختصاص.
وعبارة «الكشاف»: الانتهاءُ والاختصاصُ كُلٌّ واحِدٍ منهُما مُلائمٌ لِصحَّةِ الغَرَضِ؛ لأنَّ قَولَك: ﴿يَجْرِي إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ مَعناه: يَبْلغُه ويَنتهِي إليه، وقَولَك: ﴿يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ تُرِيدُ: يَجْرِي لِإدْراكِ أَجلٍ مُسَمًّى، تجعَلُ الجَرْيَ مُختصًّا بِإدْراكِ أَجَلٍ مُسَمًّى، ألَا ترى أنَّ جَرْيَ الشَّمس مُختصٌّ بآخِرِ السَّنةِ، وجَرْيَ القَمر بآخر الشهر.
ووجهُ كون الغرض حقيقةً أو مجازاً: أنه إن كان بلوغُ الجَرْي إلى منتهاه هو المقصودَ؛ فهو غرضٌ حقيقة، وإن لم يَكُنْه بل ما يقع فيه، فهو غرضٌ مجازاً. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٣٩).

(٣) في (أ) و(خ): «﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارة إلى الذي».

واختصاصِ الباري بها ﴿بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ﴾: بسببِ أنَّهُ الثَّابتُ في ذاتِهِ الواجبُ مِن جميعِ جهاتِهِ، أو: الثابتُ إلهيتُهُ ﴿وأنَّ ما تَدْعُون مِن دُونه الباطلُ﴾: المعدومُ في حدِّ ذاتِهِ لا يوجدُ ولا يتَّصِفُ إلا بجَعْلِهِ، أو: الباطلُ إلهيَّته.

وقرأ البصريَّانِ والكوفيُّونَ غيرَ أبي بكرٍ بالياءِ[1].

﴿وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ مترفِّعٌ عن[2] كلِّ شيءٍ ومتسلِّطٌ عليه.

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ﴾: بإحسانهِ في تَهيئَةِ أسبابِه، وهو استشهادٌ آخرُ على باهرِ قُدرَتِهِ وكمالِ حكمتهِ وشمولِ إنعامِهِ، والباءُ للصِّلَةِ أو الحالِ.

وقُرِئَ: (الفُلُكَ) بالتَّثقيلِ[3]، و: (بنِعْمَاتِ اللهِ) بسكونِ العينِ[4]، وقد جوِّزَ في مثلِهِ الكسرُ والفتحُ والسُّكونُ[5].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٥٨)، و«النشر» (٢/ ٣٢٧). البصريان: أبو عمرو ويعقوب. الكوفيون: حمزة والكسائي وعاصم، أبو بكر أحد راويي عاصم، والآخر: حفص.

(٢) في (ت): «على».

(٣) انظر: «المحتسب» (٢/ ١٧٠) عن موسى بن الزبير.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨)، و«المحتسب» (٢/ ١٧٠) عن الأعرج والأعمش.

(٥) انظر: «المحتسب» (٢/ ١٧١)، وفيه: ما كان على «فِعلِة» ففي جمعه بالتاء ثلاث لغات: فِعِلات، وفِعَلات، وفِعْلات؛ كسِدْرةٍ وسِدِرات، وسِدَرات، وسِدْرات، وكذلك «فُعلة» فيها الثلاث أيضاً: الإتباع، والعدول عن ضمة العين إلى فتحها، والسكون هرباً من اجتماع الضمتين: كغُرْفة، وغُرُفات وغُرَفات، وغُرْفات.

﴿لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ﴾: دلائلِه ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ﴾ على المشاقِّ فيُتعِبُ نفسَهُ بالتفكُّرِ في الآفاقِ والأنفسِ ﴿شَكُورٍ﴾ يعرفُ النِّعمَ ويَتعرَّفُ مانِحَها، أو: للمُؤمنينَ(١) فإنَّ الإيمانَ نِصفانِ: نصفٌ صَبرٌ ونصفٌ شُكْرٌ.

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم﴾: عَلاهُم وغطَّاهُم ﴿مَّوْجٌ كَٱلظُّلَلِ﴾، كما يُظِلُّ من جبلٍ أو سَحابٍ أو غيرِهما. وقُرِئَ: (كالظِّلالِ) جمعُ ظُلَّةٍ(٢) كقُلَّةٍ وقِلالٍ.

﴿دَعَوُا ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ لزوالِ ما ينازعُ الفِطرةَ مِن الهوى والتَّقليدِ بما دَهاهُم من الخوفِ الشَّديد ﴿فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾: مقيمٌ على الطَّريقِ القصدِ الذي هو التَّوحيد، أو متوسِّطٌ في الكفرِ لانزجارِهِ بعضَ الانزجارِ.

﴿وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾: غدَّارٍ؛ فإنَّهُ نقضٌ للعَهْدِ الفِطريِّ، أو لِمَا كانَ في البحرِ، والخَتْرُ: أشدُّ الغَدْرِ ﴿كَفُورٍ﴾ للنِّعَمِ.

(٣٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾: لا يقضي عنهُ.

وقُرِئَ: (لا يُجْزِئ)(٣) مِن أجزأَ: إذا أغنَى.

والرَّاجعُ إلى الموصوفِ محذوفٌ؛ أي: لا يجزِي فيهِ(٤).

---

(١) قوله: «أو للمؤمنين» عطف على مقدَّر معلق بـ﴿شَكُورٍ﴾، والمعنى: شكور لنعمه تعالى أو للمؤمنين. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٤٠).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨) عن محمد ابن الحنفية.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨) عن أبي السمال وعامر بن عبد الله وأبي السوار.

(٤) أي: جملة ﴿لَّا يَجْزِى﴾ صفة ﴿يَوْمًا﴾، والعائدُ محذوفٌ؛ والتقدير: لا يجزي فيه. ومثله في القراءة الأخرى.

﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾ عطفٌ على ﴿وَالِدٌ﴾ أو مبتدأٌ خبرُه: ﴿هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا﴾ وتغييرُ النَّظمِ للدَّلالةِ على أنَّ المولودَ أَوْلَى بأَنْ لا يَجزيَ، وقطعِ طمعِ مَن توقَّعَ منَ المؤمنينَ أن ينفعَ أباهُ الكافرَ في الآخرةِ.

﴿إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالثَّوابِ والعقابِ ﴿حَقٌّ﴾ لا يمكنُ خُلفهُ ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: الشَّيطانُ بأن يرجِّيَكُم التَّوبةَ والمغفرةَ فيجسِّرَكم على المعاصِي.

(٣٤) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾: علمُ وقتِ قيامِها؛ لِمَا رويَ أنَّ الحارثَ بن عمرٍو أتى رسولَ اللهِ ﷺ فقالَ: متى قيامُ السَّاعة؟ وإني قد ألقيتُ حبَّاتِي في الأرضِ فمتَى السَّماءُ تمطرُ؟ وحملُ امرأتي ذكرٌ أم[1] أنثى؟ وما أعملُ غدًا؟ وأينَ أموتُ؟ فنزلت.

وعنه عليه السلام: «مفاتِحُ الغيبِ خمسٌ» وتلا هذه الآيةَ[2].

﴿وينْزِلُ الغَيْثَ﴾ في إبَّانهِ المقدَّرِ لهُ، والمحلِّ المعيَّنِ لهُ في علمِه، وقرأَ نافعٌ وابنُ عامرٍ وعاصمٌ بالتَّشديدِ[3].

﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ أذكرٌ أم أنثى؟ أتامٌّ أم ناقصٌ؟

﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ مِن خيرٍ أو شرٍّ، وربما تَعزمُ على شيءٍ وتفعلُ خلافَهُ.

---

(١) في (خ) و(ض) و(ت): «أو».

(٢) رواه البخاري (٤٦٩٧) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ١٦٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

﴿وَمَا تَدْرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ﴾ كما لا تدري في أيِّ وقتٍ تموتُ.

رويَ أنَّ ملكَ الموتِ مرَّ على سليمانَ عليهِ السَّلامُ فجعلَ ينظرُ إلى رجلٍ من جُلَسائهِ يديم النظرَ، فقالَ الرَّجلُ: مَن هذا؟ قالَ: ملكُ الموتِ، فقالَ: كأنَّهُ يريدُني، فمُرِ الرِّيحَ أن تحملَني وتلقيَني بالهندِ، ففعلَ، فقالَ المَلَكُ: كان دوامُ نظري إليهِ تعجُّبًا منهُ إذْ أُمرتُ أن أقبضَ روحَهُ بالهندِ وهو عندَك.

وإنَّما جُعلَ العلمُ للهِ والدِّرايةُ للعَبْدِ لأنَّ فيها معنى الحيلةِ، فيُشعِرُ بالفرقِ بينَ العِلْمينِ، ويدلُّ على أنَّهُ إن عملَ حيلةً وأنفدَ(١) فيها وُسعَهُ لم يعرِفْ ما هوَ ألصقُ به(٢) من كسبهِ وعاقبتِهِ، فكيفَ بغيرِهِ ممَّا لم يُنصَبْ لهُ دليلٌ عليهِ.

وقُرِئَ: (بأيَّةِ أَرْضٍ) (٣) وشبَّهَ سيبويهِ تأنيثَها بتأنيث (كُلٍّ) في: (كُلَّتُهُنَّ)(٤).

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ﴾ يعلمُ الأشياءَ كلَّها ﴿خَبِيرٌ﴾ يعلمُ بواطنَها كما يعلَمُ ظواهِرَها.

وعنهُ عليهِ السَّلام: «مَن قرَأَ سُورَةَ لُقْمَانَ كانَ لهُ لُقْمَانُ رفيقًا يومَ القيامةِ، وأعطيَ منَ الحسناتِ عشرًا عشرًا بعددِ مَن عَمِلَ(٥) بالمَعرُوفِ ونَهى عن المُنْكَرِ».

قوله: «رُوِيَ أنَّ الحارثَ بنَ عمرٍو أتَى رسولَ اللهِ ﷺ فقال: «مَتى قِيامُ السَّاعةِ» إلى آخره».

---

(١) في (أ) و(ت): «وأبعد».

(٢) في (أ) و(ت) و(خ): «الحق به». قال الشهاب: قوله: «ما هو الحق به»؛ أي: اللائق به، وقيل: إنه أفعل تفضيل من (لَحِق) بمعنى: ألصقُ، ويؤيده أنه وقع في نسخة بدله: «ألصق» أفعل من اللصوق. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٤٥).

(٣) نسبت لموسى الأسواري وابن أبي عبلة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٥٦).

(٤) انظر: «الكتاب» لسيبويه (٢/ ٤٠٧).

(٥) في (ت): «من أمر».

رواهُ ابنُ جَريرٍ وابنُ أبي حاتمٍ عن مُجاهدٍ مُرسَلًا نحوه[١].

قوله: «رُوِيَ أنَّ ملكَ المَوْتِ مرَّ عَلى سُليمانَ..» إلى آخره:

أخرجَه ابنُ أبي شَيبةَ في «المصنف» عن خَيْثَمَةَ[٢].

قوله: «مَن قرأَ سُورَةَ لُقمان..» إلى آخره: مَوضوعٌ[٣].

***

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٥٨٥) وابن أبي حاتم في «تفسيره» كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٩) عن مجاهد ولم يسم الرجل، وهو في «تفسير مجاهد» (ص: ٥٤٣)، دون تسمية الرجل أيضاً.
ورواه ابن المنذر في «تفسيره» عن عكرمة كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٠)، وسمى الرجل: الوارث من بني مازن.
وذكره مقاتل بن سليمان في «تفسيره» (٣/ ٤٤٠)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٥٢ ـ ٢٥٣) دون عزو، واسم صاحب القصة عندهما: الوارث بن عمرو بن حارثة بن محارب.
وذكره الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٧)، واسم الرجل فيه: الحارث بن عمرو بن حارثة بن محارب.
وذكره الواحدي أيضاً في «البسيط» (١٨/ ١٢٨) وعزاه لمجاهد ومقاتل، واسم الرجل في مطبوعه: الوارث بن عمرو المجازي. ولعله محرف عن: المحاربي.
فهذا الخبر مع الاختلاف في اسم صاحب القصة لم يرو بسند متصل إلى النبي ﷺ، وإنما هي مراسيل عن عكرمة ومجاهد ومقاتل.

(٢) رواه ابن أبي شيبة في «مصنفه» (٣٤٢٦٨) عن الأعمش عن خيثمة، وكذا رواه عبد الله بن الإمام أحمد في «الزهد» (٢٢٢) وزاد: وعن حمزة عن شهر بن حوشب.

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ١٨٤) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سُورَةُ السَّجْدَةِ

سُورَةُ السَّجْدَةِ

مكيَّةٌ، وهي ثلاثونَ آيةً، وقيل: تِسعٌ وعِشرونَ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ - ٣) - ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾.

﴿الٓمٓ﴾ إنْ جُعِلَ اسمًا للسُّورَةِ أو القرآنِ فمُبتدأٌ خبرُه: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ على أنَّ التَّنزيلَ بمَعنى المنزَلِ، وإن جُعلَ تعديدًا للحروفِ كان ﴿تَنزِيلُ﴾ خبرَ محذوفٍ، أو مبتدأً خبرُه: ﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ فيكونُ ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ حالًا مِن الضَّميرِ في ﴿فِيهِ﴾ لأنَّ المصدَرَ لا يعملُ فيما بعدَ الخبرِ، ويجوزُ أنْ يكونَ[1] خبرًا ثانيًا، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ حالٌ مِن ﴿ٱلْكِتَٰبِ﴾ أو اعتراضٌ، والضَّميرُ في ﴿فِيهِ﴾ لِمَضمونِ الجُملَةِ[2]، ويؤيِّدُه قولُه: ﴿أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ﴾ فإنَّه إنكارٌ لكونِه مِن ربِّ العالمينَ، وقولُه: ﴿بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ﴾ فإنَّه تَقريرٌ له.

---

(١) قوله: «ويجوز أن يكون»؛ أي: ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ «خبراً ثانياً» أي: بجعل ﴿تَنزِيلُ﴾ خبراً أولَ لـ ﴿الٓمٓ﴾ أو لمحذوف، فإن جُعل ﴿تَنزِيلُ﴾ مبتدأ؛ كان ﴿مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ خبراً ثانياً له، و﴿لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ خبراً أول. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٤٣).

(٢) قوله: «والضمير في ﴿فِيهِ﴾» راجع «لمضمون الجملة» زاد في «الكشاف»: كأنه قيل: لا ريب في ذلك؛ أي: في كونه منزلاً من رب العالمين. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٤٣).

ونظمُ الكلامِ على هذا: أنَّه أشارَ أوَّلًا إلى إعجازِه، ثم رتَّبَ عليه أنَّ تنزيلَهُ مِن ربِّ العالمينَ، وقرَّرَ ذلك بنفيِ الرَّيبِ عنه، ثمَّ أضربَ عن ذلك إلى ما يقولونَ فيه على خلافِ ذلك إنكارًا له وتعجيبًا منه، فإنَّ ﴿أَمْ﴾ مُنقطِعَةٌ، ثمَّ أضربَ عنه إلى إثباتِ أنَّه الحقُّ المنزَلُ مِن اللهِ، وبيَّنَ المقصودَ من تنزيلِه فقال: ﴿لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ﴾ إذ كانوا أهلَ الفترةِ ﴿لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ﴾ بإنذارِكَ إيَّاهُم.

(٤) ـ ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ﴾ مَرَّ بَيانُه في (الأعرافِ).

﴿مَا لَكُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا شَفِيعٍ﴾: ما لَكُم إذا جاوَزْتُم رِضا اللهِ أحدٌ ينصرُكُم ويشفَعُ لَكُم، أو: ما لَكُم سِواه وَلِيٌّ ولا شفيعٌ، بل هو الذي يَتولَّى مَصالِحَكُم وينصرُكُم في مواطنِ نَصْرِكُم ـ على أنَّ الشَّفيعَ مُتجوَّزٌ به للناصرِ ـ فإذا خذلَكُم لم يبقَ لَكُم وليٌّ ولا ناصِرٌ ﴿أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ﴾ بمواعظِ اللهِ.

(٥ ـ ٦) ـ ﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ ۝٥ ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلرَّحِيمُ﴾.

﴿يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ إِلَى ٱلْأَرْضِ﴾: يدبِّرُ أمرَ الدُّنيا بأسبابٍ سماويَّةٍ كالملائكةِ وغيرِها، نازلةٍ آثارُها إلى الأرضِ ﴿ثُمَّ يَعْرُجُ إِلَيْهِ﴾: ثم يَصْعدُ إليه ويَثْبُتُ في علمِه مَوجودًا ﴿فِى يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ مِّمَّا تَعُدُّونَ﴾: في برهةٍ مِن الزَّمانِ مُتطاولَةٍ، يعني بذلك: استطالةَ ما بينَ التَّدبيرِ والوُقوعِ.

وقيل: يُدبِّرُ الأمرَ بإظهارِهِ في اللوحِ، فيَنزلُ به الملكُ ثمَّ يعرجُ إليه في زمانٍ هو كألفِ سَنةٍ؛ لأنَّ مسافةَ نزولِه وعروجِه مسيرةُ ألفِ سنَةٍ، فإنَّ ما بينَ السَّماءِ والأرضِ مسيرةُ خمسِ مئةِ سنةٍ.

وقيل: يَقضِي قضاءَ ألفِ سنةٍ، فينزلُ به الملكُ ثمَّ يعرجُ بعد الألفِ لألفٍ آخرَ.

وقيل: يدبرُ الأمرَ إلى قيامِ السَّاعةِ ثمَّ يعرجُ إليه الأمرُ كلُّه يومَ القِيامةِ(١).

وقيل: يدبِّرُ المأمورَ به مِن الطَّاعاتِ منزَّلًا مِن السَّماءِ إلى الأرضِ بالوَحيِ، ثمَّ لا يعرجُ إليه خالصًا كمَا يَرتَضيهِ إلا في مُدَّةٍ مُتطاوِلَةٍ(٢) لقلَّةِ المُخلِصينَ والأَعمالِ الخُلَّصِ.

وقُرِئَ: (يُعْرَج)(٣)، و: (يَعُدُّون)(٤).

﴿ذَٰلِكَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ فيدبِّرُ أمرَها على وَفْقِ الحكمَةِ ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾: الغالبُ على أمرِهِ ﴿ٱلرَّحِيمُ﴾ على العِبادِ في تَدبيرِه، وفيه إيماءٌ بأنَّه يراعي المَصالحَ تَفضُّلًا وإحسانًا.

---

(١) ذكر الأقوال السابقة الكرماني في «لباب التفاسير» (٦/ ١٤٢).

(٢) قوله: «إلا في مُدَّةٍ مُتطاوِلة» يعني: يراد بـ﴿أَلْفَ سَنَةٍ﴾: المدةُ المتطاولةُ لا التَّعيينُ والتَّوقيتُ، يعني بذلك استطالَةَ ما بينَ التَّدبيرِ والوُقوعِ. انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٣٣٣).

(٣) هي قراءة ابن أبي عبلة كما في «الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٦١٨)، وزاد في «زاد المسير» (٣/ ٤٣٨) نسبتها لمعاذ القارئ، وابن السميفع.

(٤) نسبت للحسن والأعمش والسلمي وابن وثاب، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٨)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٦١٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٥٨)، و«البحر» (١٧/ ٢٥٠)، وتحرفت (يعدون) في مطبوع «مختصر الشواذ» إلى: (يعبدون).

(٧ ـ ٩) ـ ﴿ٱلَّذِىٓ أَحۡسَنَ كُلَّ شَىۡءٍ خَلَقَهُۥۖ وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ ۝٨ ثُمَّ سَوَّىٰهُ وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦۖ وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَۚ قَلِيلٗا مَّا تَشۡكُرُونَ﴾.

﴿الذي أَحْسَنَ كلَّ شيءٍ خَلْقَهُ﴾ موفَّرًا عليهِ ما يستعدُّه ويَليقُ به على وَفقِ الحكمَةِ والمصلَحَةِ، و﴿خَلْقه﴾ بدلٌ مِن ﴿كُلَّ﴾ بدلَ الاشتمالِ.

وقيل: عَلِمَ كيفَ يخلقُه، من قولِه: (قيمَةُ المرءِ ما يُحسِنُه)(١)؛ أي: يُحسِنُ مَعرِفتَه، و﴿خَلْقَه﴾ مَفعولٌ ثانٍ.

وقرأ نافِعٌ والكوفيُّونَ بفتحِ اللامِ(٢) على الوَصفِ، فالشَّيءُ على الأوَّلِ مخصوصٌ بمُنفَصِلٍ وعلى الثَّاني بمُتَّصِلٍ.

﴿وَبَدَأَ خَلۡقَ ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ يعني: آدمَ ﴿مِن طِينٖ ۝٧ ثُمَّ جَعَلَ نَسۡلَهُۥ﴾: ذريَّتَه، سُمِّيَت به لأنها تنسلُّ منه؛ أي: تَنفَصِلُ ﴿مِن سُلَٰلَةٖ مِّن مَّآءٖ مَّهِينٖ﴾: ممتهَنٌ.

﴿ثُمَّ سَوَّىٰهُ﴾: قوَّمَه بتصويرِ أعضائِه على ما يَنبغي ﴿وَنَفَخَ فِيهِ مِن رُّوحِهِۦ﴾ أضافَه إلى نفسِه تشريفًا وإشعارًا بأنَّه خلقٌ عَجيبٌ، وأنَّ له شأنًا له مناسبةٌ ما إلى الحضرةِ الرُّبوبيَّةِ، ولأجلِه قيل: مَن عرَفَ نفسَهُ فقَدْ عرَفَ ربَّه(٣).

---

(١) نسب هذا القول إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه. انظر: «تفسير السمعاني» (١/ ٣٩٥).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

(٣) أي: من عرف نفسه بالضعف والافتقار إلى الله تعالى والعبودية له، عرف ربه بالقوة والقهر والربوبية والكمال المطلق والصفات العليا. نُسب هذا القول للنبي ﷺ، وقال النووي في «فتاويه» (١/ ٢٤٨): ليس هو بثابت. وقال ابن تيمية في «الفتاوى» (١٦/ ٣٤٩): وبعض الناس يروي هذا عن النبي ﷺ، وليس هذا من كلام النبي ﷺ، ولا هو في شيء من كتب الحديث، ولا يعرف له إسناد. =

﴿وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمْعَ وَٱلْأَبْصَٰرَ وَٱلْأَفْـِٔدَةَ﴾ خصوصًا لتَسمَعُوا وتُبصِرُوا وتَعقِلُوا ﴿قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ﴾ تشكرون شُكرًا قليلًا.

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍۭ ۚ بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ كَٰفِرُونَ ۝١٠ ۞ قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾.

﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾؛ أي: صِرنا تُرابًا مَخلوطًا بترابِ الأَرضِ لا نتميَّزُ منه، أو: غِبنا فيها.

وقُرِئَ: (ضَلِلنا) بالكسرِ[١] مِن ضَلَّ يَضِلُّ، و: (صَلَلْنا)[٢] مِن صَلَّ اللحمُ: إذا أنتنَ.

وقرأ ابنُ عامرٍ: ﴿إذا﴾ على الخبرِ[٣].

والعاملُ فيه ما دلَّ عليه: ﴿أَءِنَّا لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ وهو: نُبعَثُ، أو: يُجدَّدُ خلقُنا.

= وللحافظ السيوطي تأليف سماه: «القول الأشبه في حديث: من عرف نفسه فقد عرف ربه»، وهو مطبوع في دار اللباب ضمن مجموع رسائله.

(١) رويت عن علي وابن عباس، ونسبت أيضا لعليّ بن الحسين وجعفر بن محمد ويحيى بن يعمر وابن محيصن وأبي رجاء وطلحة بن مصرف وابن وثاب. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٠٠)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٦١٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٦٠)، و«زاد المسير» (٣/ ٤٣٩)، و«البحر» (١٧/ ٢٥٣).

(٢) قيدها بعضهم بفتح اللام وآخرون بكسرها، ونسبت لعلي وابن عباس والحسن وأبان بن سعيد بن العاص وغيرهم. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣١)، و«المحتسب» (٢/ ١٧٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٠٠)، و«الكامل في القراءات» للهذلي (ص: ٦١٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٦٠)، و«زاد المسير» (٣/ ٤٣٩)، و«البحر» (١٧/ ٢٥٣ ـ ٢٥٤).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٣٢).

وقرأ نافعٌ والكِسائيُّ ويَعقوبُ: ﴿إِنَّا﴾ على الخبرِ(١).

والقائلُ أُبَيُّ بن خلفٍ(٢)، وإسنادُه إلى جميعِهم لرِضاهُم به.

﴿بَلْ هُم بِلِقَآءِ رَبِّهِمْ﴾: بالبَعثِ، أو بتلقِّي مَلَكِ الموتِ وما بعدَه ﴿كَٰفِرُونَ﴾: جاحدونَ.

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾: يَستَوْفي نفوسَكُم لا يتركُ منها شيئًا، أو: لا يُبْقي منكم أحدًا، والتَّفعُّلُ والاستفعالُ يلتقِيانِ كثيرًا؛ كتَنقَّصْتُه واستَنْقَصْتُه(٣)؛ وتَعجَّلْتُه واستَعْجَلْتُه.

﴿مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ﴾: بقَبْضِ أرواحِكُم وإحصاءِ آجالِكُم ﴿ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ للحِسابِ والجزاءِ.

(١٢) - ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ مِن الحياءِ والخزيِ: ﴿رَبَّنَآ﴾ قائلينَ: رَبَّنا ﴿أَبْصَرْنَا﴾ ما وعدتَنا ﴿وَسَمِعْنَا﴾ منك تصديقَ رُسلِكَ ﴿فَٱرْجِعْنَا﴾ إلى الدُّنيا ﴿نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ إذ لم يبقَ لنا شَكٌّ بما شاهَدْنا(٤).

وجَوابُ (لو) مَحذوفٌ تقديرُهُ: لَرأيتَ أمرًا فظيعًا، ويجوزُ أَنْ يكونَ للتَّمنِّي، والمضيُّ فيها وفي ﴿إِذِ﴾ لأنَّ الثَّابتَ في علمِ اللهِ بمَنزلَةِ الواقعِ، ولا يُقدَّرُ لـ﴿تَرَىٰٓ﴾ مفعولٌ لأن المعنى: لو تكونُ مِنكَ رُؤيَةٌ في هذا الوقتِ، أو يُقَدَّرُ ما دلَّ عليه صِلةُ

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٢).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٤٩).

(٣) في (خ): «كتقصيته واستقصيته».

(٤) في (ت): «شهدنا».

﴿إِذِ﴾[1]، والخطابُ للرَّسولِ عليهِ السَّلامُ أو لكلِّ أَحدٍ.

قوله: «ويَجوزُ أَنْ يكونَ للتَّمنِّي»:

قال أبو حيَّان: التَّمنِّي في هذا الموضعِ بـ(لو) بَعيدٌ[2].

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ ﴿١٣﴾ فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا إِنَّا نَسِينَاكُمْ ۖ وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدَاهَا﴾: ما تَهتَدي به إلى الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ بالتَّوفيقِ لـه ﴿وَلَٰكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي﴾: ثبتَ قضائي وسَبَقَ وَعيدي، وهو: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [السجدة: ١٣] وذلك تَصريحٌ بعَدمِ إيمانِهم لعدمِ المَشيئَةِ المسبَّبِ عن سَبْقِ الحكمِ بأَنَّهُم مِن أهلِ النَّارِ، ولا يدفَعُه جَعْلُ ذوقِ العَذابِ مُسبَّبًا عن نسيانِهم العاقبةَ وعدمِ تَفكُّرِهم فيها بقوله: ﴿فَذُوقُوا بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا﴾ فإنَّه مِن الوَسائطِ والأسبابِ المُقتَضِيَةِ له[3].

---

(١) قوله: «أو يقدِّر ما دل عليه صلة ﴿إِذِ﴾» وتقديره: ولو ترى نكوسَ المجرمين رؤوسَهم. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٤٧).

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٢٥٥).

(٣) قوله: «ولا يدفعه»؛ أي: جعلُ عدم المشيئة مسبَّباً عن الحكم بأنهم من أهل النار «بقوله: ﴿فَذُوقُوا﴾»: متعلِّق بـ(جَعْلُ)، «فإنه»؛ أي: النسيان «من الوسائط والأسباب المقتضية له»؛ أي: لذوقهم العذاب. وحاصل السؤال ما يقال: كيف جعل ذوقَهم العذاب في الآية الأولى مسبباً عن دخولهم النار، المسبَّب عن عدم إيمانهم، المسبَّب عن عدم مشيئته، المسبَّب عن حكمة الله تعالى بأنهم من أهل النار، وفي الثانية مسبَّباً عن نسيانهم؟

فأجاب بأن جعلَ ذوقهم العذابَ مسبباً عن نسيانهم لا ينافي جعلَه مسبَّباً عن غيره؛ لأن الشيءَ إذ تعدَّدت أسبابُه جاز أن يُنسَب إلى كلٍّ منهما. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٤٧).

﴿إِنَّا نَسِينَٰكُمْ﴾: تَركْناكُم مِن الرَّحمةِ أو في العذابِ تركَ المَنسِيِّ، وفي استئنافِه وبناءِ الفِعْلِ على (إنَّ) واسمِها تَشديدٌ في الانتقامِ مِنْهم.

﴿وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْخُلْدِ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ كرَّرَ الأمرَ للتَّأكيدِ، ولِمَا نيطَ به مِن التَّصريحِ بمَفعولِه، وتعليلِه بأفعالِهم السَّيِّئةِ مِن التَّكذيبِ والمعاصي كما علَّلَه بتركِهِم تَدبُّرَ أَمرِ العاقبةِ[1] والتَّفكُّرَ فيها؛ دلالةً على أنَّ كُلًّا مِنهما يَقتَضي ذلك.

(١٥) ـ ﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا خَرُّواْ سُجَّدًا وَسَبَّحُواْ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿إِنَّمَا يُؤْمِنُ بِـَٔايَٰتِنَا ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُواْ بِهَا﴾: وُعِظُوا بها ﴿خَرُّواْ سُجَّدًا﴾ خوفًا مِن عَذابِ اللهِ ﴿وَسَبَّحُواْ﴾: ونزَّهُوه عمَّا لا يَليقُ به كالعجزِ عن البَعثِ ﴿بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ حامدينَ لَه شُكرًا على ما وَفَّقَهُم للإسلامِ وآتاهم الهُدى ﴿وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ عن الإيمانِ والطَّاعةِ كما يفعلُ مَن يُصِرُّ مُستكبِرًا.

(١٦) ـ ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾.

﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ﴾: ترتفِعُ وتَتنحَّى ﴿عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ﴾: الفُرُشِ ومَواضعِ النَّومِ ﴿يَدْعُونَ رَبَّهُمْ﴾: داعينَ إيَّاه ﴿خَوْفًا﴾ من سَخَطِه ﴿وَطَمَعًا﴾ في رحمتِه.

وعن النَّبيِّ ﷺ في تَفسيرِها: «قيامُ العبدِ مِن الليلِ».

وعنه عليه السَّلامُ: «إذا جمعَ اللهُ الأوَّلينَ والآخرينَ جاءَ مُنادٍ يُنادي بصوتٍ يُسمِعُ الخَلائقَ كُلَّهُم: سيعلَمُ أهلُ الجمعِ اليومَ مَن أَوْلَى بالكرمِ، ثمَّ يرجعُ فينادي:

---

(١) في (ت): «الآخرة». وقوله: «كما علَّله»؛ أي: الذوق «بتركهم...» في قوله: ﴿فَذُوقُواْ بِمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَآ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٤٨).

لِيَقُم الذين كانَتْ تتجافَى جُنوبُهم عن المضاجعِ، فيقومونَ وهُم قَليلٌ، ثمَّ يرجعُ فيُنادي: ليَقُم الذين كانوا يحمَدُونَ اللهَ في البَأساءِ والضَّرَّاءِ، فيقومونَ وهُم قَليلٌ، فيُسَرَّحونَ جميعًا إلى الجنَّةِ ثمَّ يُحاسَبُ سائرُ النَّاسِ».

وقيل: كان ناسٌ مِن الصَّحابةِ يصلُّونَ من المَغربِ إلى العشاءِ فنزَلَتْ فيهِم.

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾: في وُجوهِ الخَيْرِ.

قوله: «وعن النَّبيِّ ﷺ في تفسيرِها: قِيامُ العبدِ مِن اللَّيلِ»:

أخرجَه أحمَدُ وابنُ أبي شيبةَ وابنُ راهويه في «مسانيدهم» والحاكمُ مِن حَديثِ مُعاذِ بنِ جبلٍ(١).

قوله: «إذا جمعَ الله الأوَّلينَ والآخرينَ.. » الحديث:

أخرجَه ابنُ راهويه وأبو يَعلى في «مسنديهما» من حديثِ أسماءَ بنتِ يزيدَ(٢).

---

(١) رواه باللفظ المذكور الإمام أحمد في «مسنده» (٢٢٠٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦١٥)، من طريق شهر بن حوشب عن معاذ، وهذا إسناد ضعيف لضعف شهر بن حوشب، ثم هو لم يسمع من معاذ. لكن الحديث صحيح بطرقه وشواهده، فقد رواه بمعناه الترمذي (٢٦١٦) وصححه، والنسائي في «الكبرى» (١١٣٣٠)، وابن ماجه (٣٩٧٣)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٤٨) وصححه.

(٢) رواه إسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢٣٠٥)، ورواه أيضاً هناد في «الزهد» (١٧٦)، والثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٩٢ ـ ٢٩٣)، وهو من طريق عبد الرحمن بن إسحاق عن شهر بن حوشب عن أسماء بنت يزيد به، وعبد الرحمن بن إسحاق هو الواسطي، وهو ضعيف كما في «التقريب».

ورواه عبد بن حميد في «مسنده» (١٥٨١) من طريق أبان بن أبي عياش عن شهر به. وأبان متروك كما في «التقريب».

وله شاهد من حديث عقبة بن عامر رضي الله عنه رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٥٠٨) من طريق عبد الله بن عطاء عن عقبة وصححه، لكن عبد الله بن عطاء لم يدرك عقبة كما ذكر المزي في «تهذيب الكمال» (١٥/ ٣١٢). =

قوله: «وقيل: كانَ ناسٌ مِن الصَّحابةِ يُصلُّونَ من المغربِ إلى العشاءِ فنَزَلَت فيهِم»:

أخرجَه ابنُ مردويه عن أنسٍ، وأصلُه في «سنن أبي داودَ»[1].

(١٧) ـ ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم ﴾ لا مَلَكٌ مُقرَّبٌ ولا نبيٌّ مُرسَلٌ ﴿مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ مما تَقَرُّ به عيونُهُم، وعنه عليهِ السَّلامُ: «يقولُ اللهُ: أعدَدْتُ لِعبادِي الصَّالحينَ ما لا عينٌ رَأَتْ ولا أُذُنٌ سَمِعَت ولا خطرَ على قَلبِ بشرٍ، بَلْهَ ما أطلعتُهُم[2] عليه»، اقرَؤُوا إن شئتُم: ﴿ فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم ﴾.

وقرأ حمزةُ ويعقوبُ: ﴿أُخْفِي﴾[3] على أنَّه مُضارعُ أَخْفَيْتُ، وقُرِئَ: (نُخْفي)[4]

= وروي نحوه عن ابن عباس رضي الله عنهما، رواه ابن المبارك في «الزهد» (٣٥٣ ـ زوائد نعيم)، والحارث بن أبي أسامة كما في «بغية الباحث» (١١٢٢)، وقال الحافظ في «المطالب العالية» (٤٥٥٧): هذا موقوف إسناده حسن.

(١) رواه ابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ٨٦)، ورواه بإسناد صحيح أبو داود (١٣٢١) و(١٣٢٢)، والطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦١٠).
ورواه الترمذي (٣١٩٦) بلفظ: إن هذه الآية ﴿ تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ ﴾ نزلت في انتظار هذه الصلاة التي تدعى العتمة.

(٢) في (ض) و(ت): «ما اطلعتم».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٧)، و«النشر» (٢/ ٣٤٧).

(٤) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣١)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٠٢)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

و(أَخْفَى)(١) والفاعلُ للكلِّ هـو اللهُ تـعالى، و(قُرَّاتِ أَعيُنٍ)(٢) لاختلافِ أنواعِها، و﴿ما﴾ مَوصولةٌ(٣) والعلمُ بمعنى المعرفةِ، أو استفهاميَّةٌ معلَّقٌ عنها الفِعلُ.

﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ﴾؛ أي: جُـزُوا جـزاءً، أو: أُخْفِـي للجـزاءِ، فـإنَّ إخفـاءَهُ لعلوِّ شـأنِه.

وقيل: هذا لقومٍ أخفَوا أعمالَهُم فأخفَى اللهُ ثوابَهُم.

قوله: «يَقولُ اللهُ: أعددتُ لِعبادِيَ الصَّالحينَ..» الحديث:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حَديثِ أبي هريرةَ(٤).

قال ابنُ المُنيِّرِ: كانَ جَدِّي يختارُ أَنْ يقرأَ بعدَ الحَديثِ: ﴿ما أُخْفِيْ﴾ بسكونِ الياءِ لِمُطابقَةِ صَدرِ الحَديثِ في قولِه: «أعدَدْتُ» فيكونُ الضَّميرانِ عائدَينِ إلى اللهِ تعالى(٥).

قلتُ: لو كان ذكرُ الآيةِ من تمامِ المرفوعِ لاتَّجه ذلك، ولكنَّ قوله: «اقرؤوا إن شئتم» مدرَجٌ في آخر الحديث.

---

(١) ذكرهـا الزجـاج فـي «معانـي القـرآن» (٤/ ٢٠٨)، ونسـبها الثعلبـي فـي «تفسـيره» (٢١/ ٢٩٤) لمحمـد بـن كعب.

(٢) نسبت لابن مسعود وأبي الدرداء وأبي هريرة، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩)، و«المحتسب» (٢/ ١٧٤)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٦٣).

(٣) في (ض): «لاختلاف أنواعها وما موصولة والعلم بمعنى المعرفة».

(٤) رواه البخاري (٣٢٤٤)، ومسلم (٢٨٢٤).

(٥) انظر: «الانتصاف» (٣/ ٥١٢).

(١٨ ـ ٢٠) ـ ﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَّا يَسْتَوُونَ ﴿١٨﴾ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾.

﴿ أَفَمَن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا ﴾: خارجًا عن الإيمانِ ﴿ لَّا يَسْتَوُونَ ﴾ في الشَّرفِ والمَثوبَةِ[1]، تأكيدٌ وتصريحٌ، والجمعُ للحَملِ على المَعنى.

﴿ أَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَىٰ ﴾ فإنَّها المأوى الحقيقيُّ والدُّنيا مَنزِلٌ مرتحَلٌ عنها لا محالةَ، وقيل: المأوى جنَّةٌ مِن الجنانِ.

﴿ نُزُلًا ﴾ سبقَ في سورةِ آل عمران ﴿ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾: بسببِ أعمالِهم، أو: على أعمالِهم.

﴿ وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا فَمَأْوَاهُمُ النَّارُ ﴾ مكانَ جنَّةِ المأوى للمُؤمنينَ ﴿ كُلَّمَا أَرَادُوا أَن يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا ﴾ عبارةٌ عن خلودِهم فيها ﴿ وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِي كُنتُم بِهِ تُكَذِّبُونَ ﴾ إهانةً لهم وزيادةً في غيظِهم.

(٢١) ـ ﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنَ الْعَذَابِ الْأَدْنَىٰ ﴾: عذابِ الدُّنيا، يريد: ما مُحِنوا بهِ مِن السَّنةِ سبعَ سنينَ والقتلِ والأسرِ ﴿ دُونَ الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ ﴾: عذابِ الآخرةِ ﴿ لَعَلَّهُمْ ﴾: لعلَّ مَن بَقِيَ مِنهم ﴿ يَرْجِعُونَ ﴾: يتوبونَ عن الكفرِ.

رُوِيَ أنَّ الوليدَ بن عُقبةَ فاخرَ عَليًّا رضيَ اللهُ عنهُ يومَ بدرٍ فنزلَتْ هذه الآياتُ.

قوله: «رُوِيَ أنَّ الوليدَ بنَ عُقبةَ فاخَرَ عَليًّا يومَ بَدرٍ فنزَلَتْ»:

---

(١) في هامش (أ): «والمرتبة» ولم تصحح.

أخرجَه ابنُ مردويهِ والواحِديُّ عن ابنِ عبَّاسٍ، وليسَ فيه أنَّ ذلكَ كانَ يومَ بدرٍ(١).

قال الشَّيخُ وَلِيُّ الدِّينِ: وهو غَيرُ مُستقيمٍ؛ فإنَّ الوليدَ يَصغُرُ عن ذلك(٢).

---

(١) رواه الواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٤٩)، وكذا الأصفهاني في «الأغاني» (٥/ ١٥٣)، وفيه محمد بن عبد الرحمن بن أبي ليلى القاضي، وهو ضعيف.

ورواه الإمام أحمد في «فضائل الصحابة» (١٠٤٣)، والآجري في «الشريعة» (١٥٩٢)، وابن عدي في «الكامل» (٦/ ١١٨)، والخطيب في «تاريخ بغداد» (١٣/ ٣٢١)، من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس، والكلبي متروك، وأبو صالح لم يسمع من ابن عباس، وهذا إسناد ساقط.

وكذا أورده عن ابن عباس في تفاسيرهم السمرقندي والثعلبي والواحدي والبغوي وابن عطية وابن الجوزي، ورواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٢٥)، وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥٣)، عن عطاء بن يسار مرسلاً.

وليس في شيء من هذه المصادر أن القصة وقعت في بدر كما ذكر السيوطي.

(٢) وقد نبه الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٣١) على ذلك أيضاً فقال: (تنبيه) قوله: أن ذلك شجر بينهما يوم بدر غلط فاحش، فما كان الوليد حينئذ رجلاً.

وناقش الآلوسي في «روح المعاني» (٢١/ ١٦٤) هذه المسألة، فقال بعد أن ذكر عن السيوطي ما نقله عن الشيخ ولي الدين: (بعض الأخبار تقتضي أنه لم يكن مولوداً يوم بدر أو كان صغيراً جدًّا...)، ثم عاد فذكر عن الزبير بن بكار وغيره من أهل العلم بالسير: (أم كلثوم بنت عقبة لما خرجت مهاجرة إلى النبي صلّى الله تعالى عليه وسلم في الهدنة سنة سبع خرج أخواها الوليد وعمارة ليرداها، وهو ظاهر في أنه لم يكن صبياً يوم الفتح إذ من يكون كذلك كيف يكون ممن خرج ليرد أخته قبل الفتح، وبعض الأخبار تقتضي أنه كان رجلاً يوم بدر، فقد ذكر الحافظ ابن حجر في كتابه «الإصابة» أنه قدم في فداء ابن عم أبيه الحارث بن أبي وجرة بن أبي عمرو بن أمية وكان أسر يوم بدر فافتداه بأربعة آلاف. وقال: حكاه أهل المغازي ولم يتعقبه بشيء، وسوق كلامه ظاهر في ارتضائه ووجه اقتضائه ذلك أن ما تعاطاه من أفعال الرجال دون الصبيان).

(٢٢ ـ ٢٤) ـ ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ ۖ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا۟ ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾.

﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ﴾ فلم يتفكَّر فيها، و﴿ثُمَّ﴾ لاستبعادِ الإعراضِ عنها مع فَرْطِ وُضوحِها وإرشادِها إلى أسبابِ السَّعادةِ بعد التَّذكيرِ بها عقلًا، كما في بيتِ الحَماسَةِ:

لا يَكْشِفُ الغَمَّاءَ إِلَّا ابْنُ حُرَّةٍ ... يَرَى غَمَراتِ المَوْتِ ثُمَّ يَزُورُها

﴿إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ﴾ فكيفَ بمَن كانَ أظلمَ مِن كلِّ ظالمٍ!

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ﴾ كما آتيناكَ ﴿فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ﴾: شَكٍّ ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ مِن لقائِكَ الكتابَ، كقوله[1]: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ﴾ [النمل: ٦]، فإنَّا آتيناك مِن الكتابِ مثلَ ما آتيناهُ[2] منه، فليسَ ذلك ببِدْعٍ لم يَكُن قَطُّ حتى ترتابَ فيه.

أو: مِن لِقاءِ مُوسى الكتابَ.

أو: مِن لقائِكَ مُوسى، وعنه عليه السَّلامُ: «رأيتُ ليلةَ أُسْرِيَ بي مُوسَى عليهِ السَّلامُ رَجُلًا آدمَ طُوالًا جَعْدًا كأنَّه مِن رِجالِ شَنُوءَةَ».

﴿وَجَعَلْنَٰهُ﴾؛ أي: المنزَلَ على موسى ﴿هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ﴾ النَّاسَ إلى ما فيهِ مِن الحكمِ والأحكامِ ﴿بِأَمْرِنَا﴾ إيَّاهُم به، أو بتوفيقِنا له ﴿لَمَّا صَبَرُوا۟﴾.

---

(١) في (أ): «لقوله»، وفي (ت): «من قوله».

(٢) في (ض) و(ت): «فإنا لقيناك من الكتاب مثل ما لقيناه».

وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ ورُوَيسٌ: ﴿لِمَا صَبُروا﴾[١]؛ أي: لصَبرِهم على الطَّاعةِ، أو عن الدُّنيا.

﴿وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يُوقِنُونَ﴾ لإمعانِهم فيها النَّظرَ.

قوله: «كَما في بيتِ الحَماسَةِ:

لَا يَـكْـشِـفُ الغَـمَّاءَ إِلَّا ابْـنُ حُـرَّةٍ ... يَرَى غَمَرَاتِ المَوْتِ ثُمَّ يَزُورُهَا»[٢]

قال الطِّيبيُّ: المرادُ بالغَمَّاءِ: شِدَّةُ اقتِحَامِ الحَرْبِ؛ أي: لا يَكشِفُ الأمرَ العَظيمَ إلَّا رَجُلٌ كَريمٌ يَرَى قحمَ الموتِ ثمَّ يَتوسَّطُها، وإنَّما قالَ: «ابنُ حُرَّةٍ» ليُهيِّجَهُ ويُحرِّضَهُ على الزِّيارةِ؛ أي: زيارةِ غَمَراتِ الموتِ بعدَ رُؤيَتِها مُستبعَدةٌ مُستنكَرَةٌ في العقلِ والعادةِ، وهو مع ذلك يَزُورُهَا بعدَ استيقانِهِ إيَّاهَا، بالغَ في مَدحِه بذلك حيثُ باشرَ مثلَ هذا المستبعَدِ بشَجاعَةٍ.

وكذا في الآيةِ بالغَ في الذَّمِّ حيثُ أعرَضَ، والإعراضُ عن مثلِ آياتِ اللهِ في وُضُوحِها وإنارَتِها مُستبعَدٌ في العَقلِ والعَادةِ، وإنَّما ذهبَ في ﴿ثُمَّ﴾ إلى المجازِ وإن احتمَلَ الحقيقَةَ؛ لأنَّ الشاعرَ يمدحُ جَرِيئًا لا يُبالي بالمَوتِ ويَقتَحِمُ الأهوالَ، لا أنَّه يَرَى الغَمَراتِ ثمَّ يَمْكثُ زَمانًا طَويلًا مُتفكِّرًا ثمَّ يَزورُها لأنَّه ذَمٌّ له وكذا ما في الآيةِ، الأصلُ: ومَن أظلَمُ ممَّنْ ذُكِّرَ بآياتِ رَبِّهِ فأعرَضَ عنْها، فوضعَ ﴿ثُمَّ﴾ مَوضِعَ الفَاءِ لبيانِ عِنادِه وتَمرُّدِه، انتهى[٣].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٦)، و«النشر» (٢/ ٣٤٧).

(٢) البيت لجعفر بن عُلْبَةَ ـ بضم العين وسكون اللام بعدها باء ـ الحارثي. انظر: «الحماسة» بشرح المرزوقي (١/ ٣٩)، وبشرح التبريزي (٢/ ٨٦)، و«الحماسة البصرية» (١/ ٤٦٤). قال التبريزي: قوله: «إلا ابن حرة»؛ أي: لم تلده أمَة، والعرب تمدح أولاد الحرائر لأن أنفتهم عظيمة. المعنى: لا يكشف الأمر الشديد عن القوم إلا كريم الطرفين يرى شدائد الحرب ثم يقصدها بسيوف مصقولة غير مفكر فيها.

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٣٥٦).

وبعدَ هذا البيتِ:

نُقَاسِـــمُهُمْ أَسْــيَافَنَا شَــرَّ قِسْمَـــةٍ فَفِينَا غَوَاشِــيهَا وَفِيهِـــمْ صُدُورُهَـــا

قوله: «رَأَيْتُ ليلَةَ أُسْرِيَ بي مُوسى..» الحديث:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ(١).

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ (٢٥) أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾.

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾: يقضي فيَميزُ الحقَّ مِن الباطلِ بتَمييزِ المُحِقِّ مِن المُبطِلِ ﴿فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِن أَمرِ الدِّينِ.

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ﴾ الواوُ للعَطفِ على مَنْوِيٍّ مِن جنسِ المعطوفِ، والفاعِلُ ضميرُ ما دلَّ عليه: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ﴾؛ أي: كثرةُ مَن أَهلَكْناهُم من القرونِ الماضيَةِ، أو ضميرُ الله بدليلِ(٢) القراءةِ بالنُّونِ(٣).

﴿يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ﴾ يعني: أهلَ مَكَّةَ يمرُّونَ في مَتاجرِهم على دِيارِهم.

وقُرِئَ: (يمشُّونَ) بالتَّشديدِ(٤).

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣٩)، ومسلم (١٦٥).

(٢) في (ض) و(ت): «بدلالة».

(٣) أي: (نهد)، نسبت لعلي وابن عباس والسلمي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩) عن علي واليماني وعيسى، و«المحتسب» (٢/ ١٧٥) عن ابن السميفع، وهو اليماني.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ﴾ سماعَ تَدبُّرٍ واتِّعاظٍ.

(٢٧) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ﴾: التي جُرِزَ نباتُها؛ أي: قُطِعَ وأُزيلَ، لا التي لا تُنبتُ؛ لقولِه: ﴿فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا﴾.

وقيل: اسمُ مَوضِعٍ باليمنِ[1].

﴿تَأْكُلُ مِنْهُ﴾: مِن الزَّرعِ ﴿أَنْعَامُهُمْ﴾ كالتبنِ والورقِ ﴿وَأَنْفُسُهُمْ﴾ كالحَبِّ والثَّمرِ ﴿أَفَلَا يُبْصِرُونَ﴾ فيستَدِلُّونَ به على كمالِ قُدرَتِه وفَضلِه.

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ (٢٨) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ﴾: النَّصرُ، أو الفَصلُ بالحُكومَةِ، مِن قولِه: ﴿رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا﴾ [الأعراف: ٨٩] ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ في الوَعدِ به.

﴿قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ﴾ وهو يومُ القيامةِ؛ فإنَّه يومُ نَصرِ المُسلمينَ[2] على الكفرةِ والفَصلِ بينَهُم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٨/ ٦٤١ ـ ٦٤٢)، وابن أبي شيبة وابن المنذر وابن أبي حاتم كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٥٦)، وذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٠٦)، والسمعاني في «تفسيره» (٤/ ٢٥٤)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٠٩)، جميعهم عن ابن عباس بلفظ: (أرض باليمن).
قلت: فقول المصنف: «اسم موضع..» فيه نظر، لأنها بحسب الخبر موضع لا اسم موضع، لا سيما وقد روى عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٠٩) عن مجاهد أنها أبين.

(٢) في (ت): «المؤمنين».

وقيل: يومُ بَدرٍ، أو يومُ فتحِ مَكَّةَ(١)، والمرادُ بالذين كفَرُوا: المقتولونَ مِنْهم فيه؛ فإنَّه لا ينفَعُهُم إيمانُهُم حالَ القتلِ ولا يمهَلونَ، وانطباقُهُ جواباً عن(٢) سُؤالِهم مِن حَيثُ المَعنى باعتبارِ ما عُرِفَ مِن غَرَضِهِم، فإنَّهُم لَمَّا أرادُوا به الاستعجالَ تَكذيبًا واستهزاءً أُجيبوا بما يمنعُ الاستعجالَ.

---

(١) ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن الحسن في خبر لا يصح كما سنبين.

وممن فسره بفتح مكة: الكلبي كما في «تفسير السمرقندي» (٣/ ٤١)، و«التيسير في التفسير» عند هذه الآية، والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٢٣٣)، ورده النحاس بقوله: ويوم فتح مكة قد نفع مَن آمن إيمانه. قال: وأولى من هذا ما قاله مجاهد قال: يعني: يوم القيامة.

قلت: ومن فسره بفتح مكة استدل بقصة لا تصح، ومفادها: أن رسول الله ﷺ لما فتح مكة تحصَّن بنو جَذِيمة على أعلى جبل، فأرسل إليهم خالد بن الوليد يستنزلهم، فقالوا: قد أسلمنا، قال: فانزلوا إن أسلمتم، فنزلوا فوضع فيهم السيف فقتلهم لأنهم كانوا قتلوا عوفًا أبا عبد الرحمن بن عوف وجدًّا لِخالد قبل ذَلِكَ.

كذا ذكرها أبو حفص النسفي والسمرقندي عن الكلبي، وأبو حفص عن الحسن، والفراء دون عزو، ومحل الاستدلال أن خالداً رضي الله عنهم قد قتلهم بعد أن أعلنوا إسلامهم فلم ينفعهم ذلك ولم يستفيدوا منه حقن دمائهم، وهذا مع أنه لا سند له يصح مردود عقلاً ونقلاً:

أما عقلاً ففيه أن خالداً رضي الله عنه قتلهم بعد أن أسلموا وأعلنوا إسلامهم ـ وعلم منهم هو ذلك ـ بسبب إحنة كانت بينه وبينهم في الجاهلية، ولا يجوز نسبة هذا لصحابي جليل، ولا يمكن أن يمر هذا عند رسول الله ﷺ مرور الكرام أن يقتل قوم بعد أن أشهروا إسلامهم وعُلم منهم ذلك.

وأما نقلاً فيرده ما رواه البخاري (٤٣٣٩) عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: (بَعَثَ النَّبيُّ ﷺ خالدَ بنَ الوليد إلى بني جَذِيمةَ، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يُحْسِنوا أنْ يَقولوا: أسلَمْنا، فجعلوا يقولون: صَبَأْنا صَبَأْنا، فجَعَل خالدٌ يَقتلُ منهم ويأسِرُ...) الحديث. وهذا ينسف ما استدلوا به من أساسه، حيث قالوا: صبأنا، ولم يقولوا: أسلمنا، فقتلوا لأن ما أشهروه هو الكفر في الظاهر، لا الإسلام كما في ذاك الخبر.

(٢) في (ض) و(ت): «على».

(٣٠) ـ ﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانتَظِرْ إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾.

﴿ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ ﴾ ولا تبالِ بتكذيبِهم، وقيل: هو مَنسوخٌ بآيةِ السَّيفِ.

﴿وَانتَظِرْ﴾ النُّصرةَ عليهم ﴿إِنَّهُم مُّنتَظِرُونَ ﴾ الغلبةَ عليكَ.

وقُرِئَ بالفَتحِ[1] على مَعنى: إنَّهم أَحِقَّاءُ بأَنْ يُنتَظَرَ هَلاكُهم، أو: إنَّ الملائكةَ يَنتظِرُونَهم.

عن النبيِّ ﷺ: «مَن قرَأَ ﴿الٓمٓ ۞ تَنزِيلُ﴾ و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ أُعطِيَ مِن الأجرِ كأنَّما أَحيا ليلةَ القَدرِ».

وعنه عليه السَّلامُ: «مَن قرَأَ ﴿الٓمٓ ۞ تَنزِيلُ﴾ في بيتِه لم يدخُلِ الشَّيطانُ بيتَهُ ثلاثةَ أيَّامٍ».

قوله: «مَن قرَأَ ﴿الٓمٓ ۞ تَنزِيلُ﴾ و﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ أُعطِيَ مِن الأجرِ كأنَّما أَحيا ليلةَ القَدرِ»:

قال الشَّيخُ وَلِيُّ الدِّينِ: رواهُ الثَّعلبيُّ والواحديُّ وابنُ مردويهِ مِن حَديثِ أُبَيِّ بنِ كعبٍ، ورَواهُ الثَّعلبِيُّ أيضًا مِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ، ورواه ابنُ مردويه مِن حَديثِ ابنِ عُمَرَ[2].

---

(١) هي قراءة ابن السميفع، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩)، و«المحتسب» (٢/ ١٧٥)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٦٦).

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٢٦٠) من حديث أبي ـ رضي الله عنه ـ دون ذكر تبارك، وفي إسناده أبو عصمة نوح بن أبي مريم قال عنه الحافظ في «التقريب»: كذبوه في الحديث، وقال ابن المبارك: كان يضع.

ورواه بذكر السجدة وتبارك: ابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٥٣٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وزاد: «بين المغرب والعشاء الآخرة». قال الحافظ في «الكافي الشاف» (ص: ١٣١): في =

قال الشَّيخُ وَلِيُّ الدِّينِ: وكلُّهَا مَوضوعَةٌ.

قوله: «مَن قرَأَ ﴿الٓمٓ ۝١ تَنزِيلُ﴾ في بيتِه لم يدْخُلْهُ الشَّيطانُ ثلاثةَ أيَّامٍ»:

قال الشَّيخُ وَلِيُّ الدِّينِ: لَمْ أَقِفْ عليه[1].

* * *

= إسناده داود بن معاذ وهو ساقط.

قلت: وقد روي مرسلاً ضمن حديث طويل رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢٩٦) عن إسحاقَ بنِ عبدِ الله بن أبي فَرْوةَ، قال: (بلَغَنا أنَّ رسولَ الله ﷺ قال...)، فذكره.

وروي من قول طاوس وعطاء، رواه ابن أبي شيبة في «المصنف» (٢٩٨١٨) عن أبي يونسَ عن طاوسٍ قال: (مَن قرأ (الم تَنْزِيلُ السَّجْدَةَ)، و﴿تَبَارَكَ الَّذِي بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾ كان مثلُ أجرِ ليلةِ القَدْرِ)، قال (يعني أبو يونس): فمرَّ عطاءٌ فقُلْنا لرجلٍ منَّا: ائته فاسأله، فقال: صَدَق، ما تركتُهما منذُ سمعتُهما.

(١) وقال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ٨٩): «غريب جدًّا».

سُورَةُ الأَحزَابِ

سُورَةُ الأَحزَابِ

مدنيَّةٌ، وهي ثلاثٌ وسبعونَ آيةً.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ ناداه بالنَّبيِّ وأمرَهُ بالتَّقوَى تعظيمًا له وتفخيمًا لشأنِ التَّقوَى، والمرادُ به: الأمرُ بالثَّباتِ عليه ليكونَ مانعًا له عمَّا نُهِيَ عنه بقولِه: ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾ فيما يعودُ بوهنٍ في الدِّينِ.

رُوِيَ أنَّ أبا سُفيانَ وعكرمةَ بنَ أبي جهلٍ وأبا الأعوَرِ السُّلَميَّ قدمُوا عليه في الموادَعةِ التي كانَت بينَه وبينَهُم، وقامَ معهم ابن أُبيٍّ ومُعَتِّبُ بنُ قُشَيرٍ وجَدُّ بن قيسٍ فقالوا له: ارفُضْ ذكرَ آلِهَتِنا وقلْ: إنَّ لها شفاعَةً، وندعُكَ وربَّكَ، فنزلَتْ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالمصالحِ والمفاسدِ ﴿حَكِيمًا﴾ لا يحكمُ إلَّا بما تقتضيهِ الحكمَةُ.

قوله: «رُوِيَ أنَّ أبا سُفيانَ وعِكرمةَ بنَ أبي جهلٍ وأبا الأعوَرِ السُّلَميَّ قَدِمُوا عليه...» إلى آخره.

ذكرَه الثَّعلبيُّ والواحِديُّ بغيرِ إسنادٍ[1].

(٢ ـ ٣) ـ ﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ۚ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿٢﴾ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾.

﴿ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ ﴾ كالنَّهيِ عن طاعَتِهم ﴿إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴾ فمُوحٍ إليك ما يصلحُه[2]، ومُغنٍ من الاستماعِ إلى الكَفَرةِ.

وقرأ أبو عَمرٍو بالياءِ[3] على أنَّ الواوَ ضميرُ الكَفَرةِ والمنافقينَ؛ أي: إنَّ اللهَ خبيرٌ بمَكايدِهم فيدفَعُها عنك.

﴿ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ﴾: وكِلْ أمرَكَ إلى تَدبيرِه ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا ﴾ موكولًا إليه الأمورُ كلُّها.

(٤) ـ ﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ۚ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ اللَّائِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أُمَّهَاتِكُمْ ۚ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ۚ ذَٰلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ ۖ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ ﴾.

﴿ مَّا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِّن قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ ﴾؛ أي: ما جمعَ قَلْبَيْنِ في جوفٍ؛ لأنَّ القلبَ معدِنُ الرُّوحِ الحيوانيِّ المتعلِّقِ للنَّفسِ الإنسانيِّ أولًا، ومنبعُ القُوَى بأسرِها، وذلك يمنعُ التَّعدُّدَ.

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣١٣)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٥١) من غير سند، وذكره أيضاً مقاتل في «تفسيره» (٣/ ٥٠٠)، والفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٣٤)، والماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٤٧).

(٢) فاعله ضمير «ما» هذه، ومفعوله ضمير (ما تعملون)، وفي نسخة: «ما يصلحك». انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٥٧).

(٣) انظر: «التيسير» (ص: ١٧٧).

﴿وما جَعَلَ أزواجَكُمُ اللَّائي تَظَّهَّرون منهنَّ أُمَّهاتِكم وما جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ﴾: وما جعلَ الزَّوجيَّةَ والأمومةَ في امرأةٍ، ولا الدَّعوةَ والنبوَّةَ في رجلٍ.

والمرادُ بذلك ردُّ ما كانت العربُ تزعمُ مِن أنَّ اللبيبَ الأريبَ له قَلْبانِ، ولذلك قيلَ لأبي مَعمرٍ أو[1] جميلِ بنِ أسدٍ الفِهْرِيِّ: ذو القَلْبَينِ[2]، والزَّوجَةَ المظاهرَ عنها كالأمِّ، ودَعِيَّ الرَّجلِ ابنَه[3]، ولذلك كانوا يقولونَ لزيدِ بنِ حارثَةَ الكلبيِّ عتيقِ رسولِ اللهِ: ابنُ محمَّدٍ.

أو المرادُ: نفيُ الأمومَةِ والبنوَّةِ عن المُظاهَرِ عنها والمتبنَّى، ونفيُ القَلبينِ لتَمهيدِ أَصلٍ يُحملانِ عليه[4]، والمعنى: كما لم يجعَلِ اللهُ قَلْبينِ في جوفٍ لأدائِه إلى تَناقُضٍ ـ وهو أن يكونَ كلٌّ مِنْهما أصلًا لكلِّ القُوَى وغيرَ أصلٍ ـ لم يجعلِ الزَّوجةَ والدَّعِيَّ اللَّذَينِ لا ولادةَ بينَهُما وبينَه أمَّه وابنَه اللَّذَينِ بينَهُما وبينَهُ وِلادةٌ.

---

(١) «أو»: ليس في (ض).

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧١ـ٤٧٢)، و«تأويلات أهل السنة» (٨/ ٣٤٩)، و«تفسير الثعلبي» (٨/ ٦)، و«النكت والعيون» (٤/ ٣٧٠ ـ ٣٧١)، و«أسباب النزول» للواحدي (ص: ٣٥١)، و«التيسير في التفسير» لأبي حفص النسفي عند هذه الآية، واسمه في هذه المصادر: «جميل بن معمر أبو معمر»، وفي كتب الصحابة: جميل بن معمر بن حبيب بن وهب بن حذافة بن جمح القرشي، وهو من مسلمة الفتح. انظر: «الاستيعاب» (١/ ٢٤٧)، و«أسد الغابة» (١/ ٤٣٣)، و«الإصابة» (١/ ٥٠٠).
وقول المؤلف: «جميل بن أسد»، كذا ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٤٧) عن الفراء، وهكذا رواه ابن بشكوال في «غوامض الأسماء المبهمة» (٢/ ٧٠٥) من طريق محمد بن مروان عن الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. ووقع في مطبوع «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٣٤): «جميل بن أوس».

(٣) قوله: «والزوجة» بالنصب عطف على (اللبيبَ)، وكذا «دعيَّ الرجل».

(٤) أي: يحمل النَّفيان على الأصل. انظر: «حاشية القونوي على تفسير البيضاوي» (١٥/ ٢٩٦).

وقرأ أبو عمرٍو: ﴿اللَّاي﴾ بالياءِ وحدَهُ على أنَّ أصلَه: اللاءِ[١] بهمزةٍ فخُفِّفَت، وعن الحِجازِيَّيْنِ مِثلُه، وعنهما وعن يعقوبَ بالهمزِ وحدَهُ[٢].

وأصلُ ﴿تَظَّهَّرُونَ﴾: تتظهَّرُونَ، فأُدغِمَت التَّاءُ الثَّانيَةُ في الظَّاءِ، وقرأ ابنُ عامرٍ: ﴿تَظَّاهَرُونَ﴾ بالإدغامِ، وحمزةُ والكِسائيُّ بالحذفِ، وعاصمٌ: ﴿تُظَٰهِرُونَ﴾ مِن ظاهرَ[٣].

وقرِئ: (تُظَهِّرُونَ) مِن ظَهَّر بمعنى ظاهرَ؛ كعَقَّد بمعنى عاقَدَ، و(تَظْهَرونَ) من الظُّهورِ[٤].

ومعنى الظِّهارِ: أن يقولَ للزَّوجَةِ: (أنتِ عليَّ كظَهْرِ أُمِّي) مأخوذٌ من الظهرِ باعتبارِ اللفظِ كالتَّلبِيَةِ مِن (لَبَّيكَ)، وتَعدِيَتُه بـ(مِن) لتَضمُّنِه معنى التَّجنُّبِ؛ لأنَّه كان طلاقًا في الجاهليَّةِ، وهو في الإسلامِ يَقتَضِي الطَّلاقَ، أو الحرمَةَ إلى أداءِ الكفَّارةِ؛ كما عُدِّيَ (آلَى) بها وهو بمعنى: حلَفَ.

وذكرُ الظَّهرِ للكنايةِ عن البَطنِ الذي هو عمودُهُ فإنَّ ذِكرَهُ يقاربُ ذكرَ الفَرْجِ، أو للتَّغليظِ في التَّحريمِ، فإنَّهُم كانوا يحرِّمونَ إِتيانَ المَرأةِ وظهرُهَا إلى السَّماءِ.

---

(١) في (خ): «اللائي».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٨)، و«التيسير» (ص: ١٧٧ ـ ١٧٨)، و«النشر» (١/ ٤٠٤) وفيه: قرأ ابنُ عامر والكوفيونَ بإثباتِ ياءٍ ساكنةٍ بعد الهمزة، وقرأ الباقون بحذفها وهم: نافعٌ وابنُ كثير وأبو عمرٍو وأبو جعفرٍ، ويعقوبُ، واختُلِف عن هؤلاء في تحقيق الهمزة وتسهيلها وإبدالِها، فقرأ يعقوبُ وقالونُ وَقُنبلٌ بتحقيق الهمزة، وقرأ أبو جعفرٍ وورشٌ بتسهيلها بَيْنَ بَيْنَ، واختُلِف عن أبي عمرٍو والبَزِّيِّ ما بين التَّسهيل كذلك، أو إبدالِ الهمزة ياءً ساكنةً.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩) الأولى عن الحسن والثانية عن أبي عمرو في رواية هارون.

و(أدعياء): جمع دَعِيٍّ على الشُّذوذِ، وكأنَّه شُبِّهَ بفَعيلٍ بمَعنى فاعلٍ فجُمِعَ جمعَهُ.

﴿ذَٰلِكُمۡ﴾ إشارةٌ إلى كلِّ ما ذُكِرَ، أو إلى الأخيرِ.

﴿قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡ﴾ لا حقيقةَ له في الأعيانِ كقولِ الهاذي.

﴿وَٱللَّهُ يَقُولُ ٱلۡحَقَّ﴾: ما له حَقيقةٌ عينيَّةٌ مطابقةٌ له ﴿وَهُوَ يَهۡدِي ٱلسَّبِيلَ﴾: سبيلَ الحقِّ.

قوله: «والأدعياءُ جَمْعُ دَعِيٍّ على الشُّذُوذِ»؛ لأنَّ دَعِيًّا بمَعنى مَفعولٍ، و(فعيل) إذا كانَ بمَعنى (مفعول) لا يُجْمَعُ على (أفعِلاء)، إنَّما يُجمَعُ عليه (فَعِيل) بمعنى (فاعل) كتَقِيٍّ وأَتْقِياءَ وشَقِيٍّ وأَشقِياء.

(٥) ـ ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡۚ وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾.

﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ﴾: انسُبُوهُم إليهِم، وهو إفرادٌ للمَقصودِ من أقوالِه الحقَّةِ، وقوله: ﴿هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ تعليلٌ له، والضَّميرُ لمصدَرِ (ادعو)، و﴿أَقۡسَطُ﴾ أفعَلُ تفضيلٍ قُصِدَ به الزيادةُ مُطلَقًا مِن القِسْطِ بمعنى العدلِ، ومعناه: البالغُ في الصِّدقِ.

﴿فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ﴾ فتنسِبُوهُم إليهِم ﴿فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ﴾ فهُمْ إخوانُكُم في الدِّينِ ﴿وَمَوَٰلِيكُمۡ﴾: وأولياؤُكُم فيه، فقولوا: هذا أخي ومَوْلاي، بهذا التَّأويلِ.

﴿وَلَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٞ فِيمَآ أَخۡطَأۡتُم بِهِۦ﴾: ولا إثمَ عليكم فيما فَعَلْتُموهُ مِن ذلك مُخطِئينَ؛ قبلَ النَّهيِ أو بعدَهُ، على النِّسيانِ أو سبقِ اللِّسانِ.

﴿وَلَٰكِن مَّا تَعَمَّدَتۡ قُلُوبُكُمۡ﴾ ولكنِ الجُناحُ فيما تعمَّدَت، أو: ولكنْ ما تعمَّدَتْ فيه الجناحُ، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمًا﴾ لعفوِه عن المُخطِئ.

واعلم أنَّ التَّبنِّيَ لا عبرةَ له عندَنا، وعندَ أبي حنيفةَ يوجبُ عتقَ مَملوكِه ويثبتُ النَّسبَ لِمَجهولِه الذي يمكنُ إلحاقُهُ بهِ[١].

وأُجيبَ: بأنَّه لا فصلَ؛ لأنَّ المَعطوفَ المَوصولَ مَع الصِّلَةِ على مثلِه وهو: (ما أخطَأْتُم)[٢].

قوله: «ولكنِ الجُناحُ فيما تعمَّدت قلوبُكُم»

يعني: ﴿مَّا تَعَمَّدَتْ﴾ في محلِّ الجرِّ عَطْفًا على ﴿ما أَخْطَأْتُم﴾ كما أفصحَ به في «الكشاف»[٣].

قال الطِّيبيُّ: قيل: هذا ضَعيفٌ؛ لأنَّ المَعطوفَ المَجرورَ لا يُفصَلُ بينَهُ وبين ما عُطِفَ عليه.

(٦) ـ ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ۗ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَسْطُورًا﴾.

﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ في الأمورِ كلِّها، فإنَّه لا يأمرُهُم ولا يَرْضَى[٤]

---

(١) قال المظهري في «تفسيره» (٧/ ٢٨٥): وهذا سهوٌ منه، فإن عند أبي حنيفة رحمه الله لا يعتق المملوك بقوله: تبنيتك وجعلتك ابني، وكذا لا يثبت النسب إذا قال لمجهول النّسب: تبنيتك وجعلتك ابني، بل عنده أن السيد إذا قال لعبده: هذا ابني، يعتق عليه سواءٌ كان يولد مثله لمثله أو لا، تصحيحاً لكلامه وحملاً له على المجاز؛ كأنه قال: هذا حر، إطلاقاً للسبب على المسبَّب، إذ البنوة سبب للحرية لقوله ﷺ: «من ملك ذا رحم محرم منه عتق عليه»، وقد خالف أبا حنيفة صاحباه فيما إذا قال لعبده هو أكبر سناً منه: هذا ابني، فإنهما قالا: (لا يعتق)؛ بناء على خلافية في الأصول... إلى آخر ما قال.

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٣٧٨).

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ١٦).

(٤) في (ض): «ولا يرتضي».

مِنْهُم إلَّا بما فيه صلاحُهُم ونجاحُهُم بخلافِ النَّفسِ، فلذلك أطلقَ، فيَجِبُ عليهم أن يكونَ أحبَّ إليهم مِن أنفُسِهِم، وأمرُهُ أنفذَ عليهم مِن أمرِهَا، وشفقَتُهم عليه أتمَّ مِن شَفقَتِهِم عليها.

رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ أرادَ غزوةَ تبوكٍ فأمرَ النَّاسَ بالخُروجِ، فقال ناسٌ: نَستَأذِنُ آباءَنا وأمهاتِنا، فنزَلَتْ[1].

وقرئ: (وهو أبٌ لهم)[2]؛ أي: في الدِّينِ، فإنَّ كُلَّ نبيٍّ أبٌ لأُمَّتِه من حيثُ إنَّه[3] أصلٌ فيما به الحياةُ الأبديَّةُ، ولذلك صارَ المؤمنونَ إخوةً.

﴿وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ﴾: مُنزَّلاتٌ مَنزِلَتَهُنَّ في التَّحريمِ واستحقاقِ التَّعظيمِ، وفيما عدا ذلك فكالأجنبيَّاتِ[4]، ولذلك قالت عائشَةُ رضيَ اللهُ عنها: لسنَا أُمَّهاتِ النِّساءِ.

﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ﴾: وذَوُو القراباتِ ﴿بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ في التَّوارُثِ، وهو نسخٌ لِمَا كانَ في صَدرِ الإسلامِ مِن التَّوارُثِ بالهجرةِ والموالاةِ في الدِّينِ.

﴿فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾: في اللوحِ، أو: فيما أَنْزَلَ، وهو هذه الآيةُ أو آيةُ المواريثِ، أو: فيما فرضَ اللهُ ﴿مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ بيانٌ[5] لأولي الأرحامِ، أو صلة

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٣٧٣) عن النقاش. وقال ابن العربي في «أحكام القرآن» (٣/ ٥٤١): موضوع.

(٢) وهي قراءة ابن مسعود، رواها الطبري في «تفسيره» (١٢/ ٥٠٢)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (٦/ ٢٠٣٥).

(٣) في (ض): «فإن كل نبي أب لأمته لأنه».

(٤) في (خ): «كالأجنبيات».

(٥) في (ض): «من بيان».

لـ(أولي)؛ أي: أولوا الأرحامِ بحقِّ القَرابَةِ أَوْلَى بالميراثِ مِن المؤمنينَ بحقِّ الدِّينِ، ومِن المُهاجرينَ بحقِّ الهجرةِ.

﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾ استثناءٌ من أعمِّ ما تُقدَّرُ الأَولويَّةُ فيه مِن النَّفعِ، والمرادُ بفعلِ المَعروفِ: التَّوصِيَةُ(١)، أو منقطعٌ.

﴿كَانَ ذَٰلِكَ فِي ٱلۡكِتَٰبِ مَسۡطُورٗا﴾: كان ما ذكرَ في الآيتينِ ثابتًا في اللوحِ أو القُرآنِ، وقيل: في التَّوراةِ.

قوله: «ولذلكَ قالَتْ عائشَةُ: لَسْنَا أُمَّهاتِ النِّساءِ»:

أخرجَه البَيهقيُّ في «سننه»(٢).

قوله: «استثناءٌ مِن أعمِّ ما تقدَّرُ الأَولويةُ فيه مِن النَّفعِ»:

قال الطِّيبيُّ: أي: أولو الأَرحامِ أَوْلَى مِن الأَجنَبِي في كلِّ نَفعٍ إلَّا في الوَصِيَّةِ(٣).

قوله: «والمرادُ بفعلِ المعروفِ: التَّوصِيَةُ»:

قال الطِّيبيُّ: خصَّ المَعروفَ بالوَصِيَّةِ وجعلَها مِن جملة المُنتفَعِ به ليَصِحَّ أَنْ يكونَ الاستِثناءُ مُتَّصِلًا(٤).

قوله: «أو مُنقَطِعٌ»:

---

(١) في (ض): «الوصية».

(٢) رواه البيهقي في «السنن الكبرى» (١٣٤٢٢) ولفظه: عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها أن امرأة قالت لها: يا أمه، فقالت: أنا أم رجالكم لست بأمكِ. ورواه بنحوه ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (١٠/ ٦٧)، والدارقطني في «المؤتلف والمختلف» (٢/ ٩٣٦).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٣٨٢).

(٤) في (ز) و(س): «منفصلاً»، والمثبت من (ن)، والطيبي. انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٣٨٣).

قال بعضُهم[١]: وخبرُهُ مَحذوفٌ، ومعناه: لكنْ فِعلُكُم إلى أولِيَائِكُم مَعروفًا جائِزٌ.

وقـال مَكِّـيٌّ وأبـو البَقـاءِ: الاسـتثناءُ مُنقَطِـعٌ، والمعنـى: أولـو الأرحـامِ أَوْلَـى مِـن المُؤمنيـنَ والمُهاجريـنَ في كتـابِ اللهِ، أي: فـي الميراثِ، لكِـنْ إذا أَرَدْتُـم ابتداءَ المَعـروفِ إليهِـم؛ أي: إلـى المُهاجريـنَ[٢].

قال الطِّيبيُّ: والأَوَّلُ أوجَهُ[٣].

قوله: «كانَ ما ذكرَ في الآيتينِ»:

قال الطِّيبيُّ: أي: فـي قـولِه: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِآبَآئِهِمْ﴾ الآية، وقوله: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ﴾[٤].

(٧ ـ ٨) ـ ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ ۖ وَأَخَذْنَا مِنْهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظًا ۝٧ لِّيَسْـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدْقِهِمْ ۚ وَأَعَدَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمًا﴾.

﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِيثَٰقَهُمْ﴾ مقـدَّرٌ بــ: اذكـر، وميثاقُهـم: عهودُهـم بتَبليـغِ الرِّسـالَةِ والدُّعـاءِ إلـى الدِّيـنِ القَيِّمِ.

﴿وَمِنكَ وَمِن نُّوحٍ وَإِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ﴾ خصَّهُم بالذِّكرِ لأَنَّهُم مشاهيرُ أَربابِ الشَّرائعِ، وقدَّمَ نبيَّنا عليه السَّلامُ تَعظيمًا له.

---

(١) في (س): «قال الطيبي»، والمثبت من (ز) و(ن)، وكلاهما صواب، فقد قاله الطيبي نقلًا عن بعضهم.

(٢) انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب (٢/ ٥٧٣)، و«التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (٢/ ١٠٥٢).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٣٨٣).

(٤) المصدر السابق (١٢/ ٣٨٣).

﴿وَأَخَذۡنَا مِنۡهُم مِّيثَٰقًا غَلِيظٗا ﴾: عظيمَ الشَّأنِ، أو: مُؤكَّدًا باليمينِ، والتَّكريرُ لبيانِ هذا الوصفِ.

﴿لِّيَسۡـَٔلَ ٱلصَّٰدِقِينَ عَن صِدۡقِهِمۡۚ﴾؛ أي: فَعَلنا ذلك ليسألَ اللهُ يومَ القيامةِ الأنبياءَ الذين صدَقوا عهدَهُم عمَّا قالوه لقومِهِم، أو تصديقِهم إيَّاهُم[١]؛ تَبكيتًا لهم.

أو: المصدِّقينَ لهم[٢] عن تَصديقِهِم، فإنَّ مُصدِّقَ الصَّادقِ صادِقٌ.

أو: المؤمنينَ الذين صدَقوا عهدَهُم حين أَشهدَهُم على أنفسِهِم عن صِدقِهِم عهدَهُم.

﴿وَأَعَدَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابًا أَلِيمٗا﴾ عطفٌ على ﴿أخذنا﴾ مِن حيثُ إنَّ بعثةَ الرُّسلِ وأخذَ الميثاقِ مِنهُم لإثابةِ المؤمنينَ، أو على ما دلَّ عليه: ﴿لِّيَسۡـَٔلَ﴾ كأنَّه قال: فأثابَ المؤمنينَ وأعدَّ للكافرينَ.

(٩) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَةَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ جَآءَتۡكُمۡ جُنُودٞ ﴾ يعني: الأحزابَ، وهُم قُرَيشٌ وغَطفانُ ويَهودُ قُريظةَ والنَّضيرِ، وكانوا زهاءَ اثنَيْ عشرَ ألفًا[٣].

﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمۡ رِيحٗا﴾: ريحَ الصَّبا ﴿وَجُنُودٗا لَّمۡ تَرَوۡهَاۚ﴾: الملائكةُ.

رُوِيَ أنَّه لَمَّا سَمِعَ بإقبالِهم ضربَ الخندقَ على المدينةِ، ثمَّ خرجَ إليهم في ثَلاثةِ آلافٍ والخندقُ بينَه وبينَهُم، ومضى على الفريقينِ قريبُ شهرٍ لا حربَ بينَهُم إلا التَّرامي

---

(١) قوله: «أو تصديقهم إياهم» عطف على «ما قالوه»؛ أي: ليَسأل الأنبياءَ: ما الَّذي أَجابتْهم بهِ أُمَمُهم؟

(٢) قوله: «أو المصدقين لهم» هو مع ما بعده عطف على «الأنبياء».

(٣) ذكره السمعاني في «تفسيره» (٤/ ٢٦٢).

بالنَّبلِ والحجارةِ، حتى بعثَ اللهُ عليهم صَباً باردةً في ليلةٍ شاتِيَةٍ فأخصرَتْهُم[1]، وسَفَتِ التُّرابَ في وُجوهِهِم، وأطفأت نيرانَهُم، وقلعَتْ خِيامَهُم، وماجتِ الخيلُ بعضُها في بعضٍ، وكبَّرت الملائكةُ في جوانبِ العسكرِ، فقالَ طُلَيحَةُ بنُ خُوَيلدٍ الأسديُّ: أمَّا مُحمَّدٌ فقَدْ بدأكُمْ بالسِّحرِ فالنَّجاءَ النَّجاءَ! فانهزَمُوا مِن غيرِ قِتالٍ[2].

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ مِن حفرِ الخَندَقِ. وقرأَ البَصرِيَّانِ بالياءِ[3]؛ أي: بما يعمَلُ المُشرِكُونَ مِن التَّحزُّبِ والمحاربةِ.

﴿بَصِيرًا﴾ رائيًا.

(١٠) ـ ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾.

﴿إِذْ جَآءُوكُم﴾ بدلٌ مِن ﴿إِذْ جَآءَتْكُمْ﴾.

﴿مِّن فَوْقِكُمْ﴾: مِن أَعْلَى الوادي مِـن قِبَلِ المشرقِ بنو غطفانَ ﴿وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ﴾: مِن أسفَلِ الوادي مِن قِبَلِ المغربِ قُريشٌ ﴿وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾: مالَتْ عن مُستوى نظرِهَا حيرةً وشُخوصًا ﴿وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ﴾ رُعبًا؛ فإنَّ الرِّئةَ تنتَفِخُ مِن شدَّةِ الرَّوعِ، فيرتفِعُ القلبُ بارتفاعِهَا إلى رأسِ الحَنْجَرَةِ، وهي مُنتَهَى الحُلقومِ مدخلُ الطَّعامِ والشَّرابِ.

---

(١) أي: أوقعتهم في الخَصَر؛ وهو البرد، في «الصحاح» (مادة: خصر): الخصَر بالتحريك: البرد، وقد خَصِرَ الرجل: إذا آلمه البرد في أطرافه.

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٤٧٧)، و«السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢١٩) وما بعدها.

(٣) وكذا عزاها الأزهري في «معاني القراءات» (٢/ ٢٧٨) إلى أبي عمرو ويعقوب. وهي في المشهور قراءة أبو عمرو وحده، كما نصَّ عليه ابن مهران في «المبسوط» (١/ ٣٥٥)، والجزري في «شرح طيبة النشر» (ص: ٢٩٦)، وانظر: «السبعة» (ص: ٥١٩)، و«التيسير» (ص: ١٧٧).

﴿وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا﴾: الأنواعَ مِن الظَّنِّ، فظنَّ المخلصونَ الثُّبَّتُ القلوبِ أنَّ الله منجزُ وعدِهِ في إعلاءِ دينِهِ، أو مُمتَحِنُهُم فخافوا الزَّلَلَ وضعفَ الاحتمالِ، والضِّعافُ القُلوبِ والمنافقونَ ما حُكِيَ عنهم.

والألِفُ مَزيدَةٌ في أمثالِه تَشبيهًا للفَواصلِ بالقَوافي، وقد أجرى نافعٌ وابنُ عامرٍ وأبو بكرٍ فيها الوصلَ مُجرى الوَقفِ، ولَمْ يَزِدْها أبو عمرٍو وحمزَةُ ويعقوبُ مُطلَقًا وهو القِياسُ(١).

(١١ - ١٢) - ﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا ﴿١١﴾ وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ﴾: اختُبِرُوا فظهرَ المخلصُ مِن المنافقِ، والثابتُ مِن المُتزلزلِ ﴿وَزُلْزِلُوا زِلْزَالًا شَدِيدًا﴾ من شدَّةِ الفَزعِ. وقرئ: (زَلزالًا) بالفتحِ(٢).

﴿وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾ ضعفُ اعتقادٍ: ﴿مَّا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ﴾ مِن الظَّفَرِ وإعلاءِ الدِّينِ ﴿إِلَّا غُرُورًا﴾: وعدًا(٣) باطِلًا.

قيل: قائِلُه مُعتِّبُ بنُ قُشَيرٍ؛ قال: يَعِدُنا مُحمدٌ فتحَ فارسَ والرُّومِ، وأحدُنا لا يقدِرُ أن يتبرَّزَ فَرَقًا، ما هذا إلا وَعدُ غُرورٍ(٤).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥١٩)، و«المبسوط» لابن مهران (ص: ٣٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١١٩) عن الجحدري.

(٣) في (أ) و(خ): «قولًا».

(٤) ذكره ابن إسحاق كما في «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٢٢)، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٣/ ٤٣٥).
ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٩ - ٤٢)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (٣/ ٤١٨ - ٤٢٠)، من طريق كثير بن عبد الله بن عمرو بن عوف المزني عن أبيه عن جده، وكثير متروك. وليس فيه تسمية القائل. =

(١٣) ـ ﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ لَا مُقَامَ لَكُمْ فَٱرْجِعُوا۟ ۚ وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ ۖ إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا ﴾.

﴿ وَإِذْ قَالَت طَّآئِفَةٌ مِّنْهُمْ ﴾ يعني: أوسَ بنَ قَيْظِيٍّ وأتباعَه: ﴿يَٰٓأَهْلَ يَثْرِبَ﴾ أهلَ المدينةِ.

وقيل: هو اسمُ أرضٍ وقعَتِ المدينةُ في ناحيَةٍ مِنْها.

﴿لا مَقام﴾: لا مَوضِعَ قيامٍ ﴿لَكُمْ﴾ هاهنا، وقرأ حفصٌ بالضَّمِّ[1] على أنَّه مَكانٌ أو مَصدَرٌ مِن أقامَ.

﴿فَٱرْجِعُوا۟﴾ إلى مَنازِلِكُم هاربينَ.

وقيل: المعنى: لا مقامَ لَكُم على دينِ محمَّدٍ فارجِعُوا إلى الشِّركِ وأَسلِمُوه لتَسْلَمُوا، أو: لا مقامَ لَكُم بيثرِبَ فارجِعُوا كُفَّارًا ليُمْكِنَكُم المقامُ بها.

﴿وَيَسْتَـْٔذِنُ فَرِيقٌ مِّنْهُمُ ٱلنَّبِىَّ﴾ للرُّجوعِ ﴿يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ﴾: غيرُ حَصِينَةٍ، وأصلُها الخَلَلُ، ويجوزُ أن يكونَ تخفيفَ العَوِرَةِ، مِن عَوِرَت الدَّارُ: إذا اختلَّتْ، وقد قُرِئَ بها.

﴿وَمَا هِىَ بِعَوْرَةٍ﴾ بل هيَ حَصينَةٌ ﴿إِن يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا﴾: وما يريدونَ بذلك إلا الفِرارَ[2] مِن القتالِ.

= ورواه الطبري دون تسمية القائل أيضاً عن قتادة وابن زيد.

وقصة تبشير النبي ﷺ بمدائن كسرى وقيصر وقعت عند كسر الصخرة التي عرضت لهم أثناء حفر الخندق أخرجها النسائي (٣١٧٦) من طريق أبي سكينة ـ رجل من المحررين ـ عن رجل من أصحاب النبي ﷺ. ورواها الإمام أحمد في «المسند» (١٨٦٩٤)، والنسائي في «الكبرى» (٨٨٠٧)، من حديث البراء بن عازب رضي الله عنه.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٢) في (خ): «إلا فرارا».

قوله: «وقَدْ قُرِئَ بها»: قال ابنُ جنِّي: قرأ (عَوِرَةٌ) بكسرِ الواوِ: ابنُ عبَّاسٍ وابنُ يَعمُر وأبو رَجاءٍ، وصِحَّةُ الواوِ في هذا شاذَّةٌ مِن طريقِ الاستعمالِ لأنَّها مُتحرِّكةٌ بعدَ الفتحةِ، فالقياسُ قَلْبُها أَلِفًا فيقالُ: عَارَة[١].

(١٤ ـ ١٥) ـ ﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ لَآتَوْهَا وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا إِلَّا يَسِيرًا ۝١٤ وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ ۚ وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾.

﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم﴾ دُخِلَتِ المدينةُ، أو بيوتُهُم ﴿مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾: مِن جَوانِبِها، وحذفُ الفاعلِ للإيماءِ بأنَّ دُخولَ هؤلاء المُتحزِّبينَ عليهم[٢] ودخولَ غيرِهم مِن العساكرِ سِيَّانِ في اقتضاءِ الحُكمِ المرتَّبِ عليه.

﴿ثُمَّ سُئِلُوا الْفِتْنَةَ﴾: الرِّدَّةَ ومُقاتلةَ المسلمينَ ﴿لَآتَوْهَا﴾: لأعطَوْها، وقرأَ الحِجازيَّانِ بالقصرِ[٣] بمعنى: لَجَاؤُوها وفَعَلُوها.

﴿وَمَا تَلَبَّثُوا بِهَا﴾: بالفتنةِ؛ أي: بإعطائِها ﴿إِلَّا يَسِيرًا﴾ ريثَما السُّؤالُ والجوابُ.

وقيل: وما لَبِثُوا بالمدينةِ[٤] بعدَ الارتدادِ إلا يَسيرًا.

﴿وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِن قَبْلُ لَا يُوَلُّونَ الْأَدْبَارَ﴾ يعني: بني حارثةَ عاهَدُوا رسولَ اللهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ حينَ فَشِلُوا، ثمَّ تابُوا أن لا يَعودوا لِمثلِه.

﴿وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا﴾: مَسؤولًا عن الوفاءِ به مجازًى عليه.

---

(١) انظر: «المحتسب» (٢/ ١٧٦).

(٢) في (ض): «لهم».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٤) في (خ): «في المدينة».

(١٦) ـ ﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿قُل لَّن يَنفَعَكُمُ ٱلْفِرَارُ إِن فَرَرْتُم مِّنَ ٱلْمَوْتِ أَوِ ٱلْقَتْلِ﴾ فإنَّه لا بُدَّ لكلِّ شَخصٍ مِن حتفِ أنفٍ أو قتلٍ في وقتٍ مُعَيَّنٍ سبقَ بِهِ القَضاءُ وجرى عليهِ القَلَمُ.

﴿وَإِذًا لَّا تُمَتَّعُونَ إِلَّا قَلِيلًا﴾؛ أي: وإنْ نفعَكُم الفرارُ ـ مثلًا ـ فمُتِّعْتُم بالتَّأخيرِ لم يَكُن ذلك التَّمتيعُ إلا تَمتيعًا أو زمانًا قليلًا.

(١٧) ـ ﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً ۚ وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا﴾.

﴿قُلْ مَن ذَا ٱلَّذِى يَعْصِمُكُم مِّنَ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوٓءًا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ رَحْمَةً﴾؛ أي: أو يصيبُكُم بسوءٍ إن أرادَ بِكُم رحمةً، فاختُصِرَ الكلامُ كما في قولِه:

مُتَقَلِّدًا سَيْفًا وَرُمْحَا[1]

أو: حُمل الثَّاني على الأوَّلِ لِمَا في العصمَةِ مِن مَعنى المنعِ.

﴿وَلَا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَلِيًّا﴾ يَنفعُهُم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفعُ الضرَّ عنهم.

قوله: «أي: أو يصيبُكُم بسوءٍ إن أرادَ بِكُم رحمةً، فاختصرَ الكلامَ كما في قولِه:

---

(١) عجز بيت لعبد الله بن الزِّبَعْرى، وهو في ديوانه (ص: ٣٢)، و«مجاز القرآن» لأبي عبيدة (٢/ ٦٨)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٢١)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٧٧)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٢٩١) و(٢/ ٢٠٤)، و«الخصائص» لابن جني (٢/ ٤٣١) و«تفسير الطبري» (١/ ١٣٧). ومعناه: متقلداً سيفاً وحاملاً رمحاً. وصدره:

يا ليت زوجك قد غدا

ويروى:

ورأيتُ زوجَكَ في الوغى

مُتَقَلِّـــدًا سَـــيْفًا وَرُمْحَــــا»

قال الطِّيبِيُّ: يَعني: أوقَعَ كلمَةَ التَّرديدِ بينَ السُّوءِ والرَّحمَةِ وأدخَلَهُما تحتَ مَعنى العِصمَةِ، والعصمَةُ لا تُناسِبُ الرَّحمةَ إذ لا عِصمَةَ إلَّا مِن السُّوءِ، وتَقريرُ الجَوابِ[1]: أنَّ تَقديرَ الكَلامِ: مَن ذا الذي يَعصِمُكُم مِن عَذابِ اللهِ إن أرادَ بِكُم سُوءًا، أو مَن ذا الذي يُصيبُكُم بسُوءٍ إنْ أرادَ اللهُ بِكُم رَحمَةً[2].

قوله: «أو حُمِلَ الثَّاني عَلى الأوَّلِ لِمَا في العِصمَةِ مِن مَعنى المنعِ»:

قـال صاحـبُ «المُطْلِـع»: كأنَّـه قيـل: مَـن ذا الـذي يَمْنَعُكُم مِـن أَحَدِهِمـا إنْ أرادَهُ بِكُـم[3].

قال أبو حيَّان: أمَّا الوَجهُ الأوَّلُ ففيهِ حَذفُ جُملَةٍ لا ضَرورَةَ تَدْعُو إلى حَذفِها، والثَّاني هو الوَجهُ لا سِيَّمَا إذا قُدِّرَ مضافٌ محذوفٌ؛ أي: يمنَعُكُم مِن مُرادِ اللهِ[4].

(١٨) ـ ﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ هَلُمَّ إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾: المثبِّطينَ عن رَسولِ اللهِ عليه السَّلامُ وهم المنافقونَ ﴿وَالْقَائِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ﴾ مِن ساكني المدينةِ: ﴿هَلُمَّ إِلَيْنَا﴾: قربُوا أنفسَكُم إلينا، وقد ذُكرَ أصلُه في (الأنعامِ).

﴿وَلَا يَأْتُونَ الْبَأْسَ إِلَّا قَلِيلًا﴾: إلا إتيانًا أو زمانًا أو بأسًا قليلاً، فإنَّهم يعتذرونَ

---

(١) في (أ) و(ت) و(خ): «وتقدير الجواب»، والمثبت من (ض)، وفي «فتوح الغيب» بدلًا منهما: «وأجاب». والمؤدى واحد.

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٣٩٦).

(٣) المصدر السابق.

(٤) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٢٩٥).

ويثبِّطونَ ما أَمكنَ[١] لَهُم، أو: يخرجونَ مع المؤمنينَ ولكنْ لا يقاتلونَ إلا قليلًا؛ كقَوْلِه: ﴿مَّا قَٰتَلُوٓاْ إِلَّا قَلِيلٗا﴾ [الأحزاب: ٢٠].

وقيل: إنَّه مِن تتمَّةِ كلامِهِم، ومَعناه: ولا يأتي أصحابُ مُحمَّدٍ حربَ الأحزابِ ولا يُقاومُونَهُم إلا قليلًا.

(١٩) ـ ﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡۖ فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ مِنَ ٱلۡمَوۡتِۖ فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ سَلَقُوكُم بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَمۡ يُؤۡمِنُواْ فَأَحۡبَطَ ٱللَّهُ أَعۡمَٰلَهُمۡۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٗا﴾.

﴿أَشِحَّةً عَلَيۡكُمۡ﴾: بُخلاءَ عَليكُم بالمعاونةِ، أو النَّفقةِ في سبيلِ اللهِ، أو الظَّفَرِ والغَنيمةِ، جمعُ شحيحٍ، ونصبُها على الحالِ مِن فاعلِ ﴿يَأۡتُونَ﴾ أو ﴿ٱلۡمُعَوِّقِينَ﴾، أو على الذَّمِّ.

﴿فَإِذَا جَآءَ ٱلۡخَوۡفُ رَأَيۡتَهُمۡ يَنظُرُونَ إِلَيۡكَ تَدُورُ أَعۡيُنُهُمۡ﴾ في أحداقِهِم ﴿كَٱلَّذِي يُغۡشَىٰ عَلَيۡهِ﴾: كنظرِ المَغشيِّ عليه أو كدَورانِ عينِه[٢]، أو: مشبَّهينَ به، أو مشبَّهةً بعينِه.

﴿مِنَ ٱلۡمَوۡتِ﴾: مِن مُعالجةِ سَكَراتِ المَوتِ خوفًا ولِوَاذًا بك.

﴿فَإِذَا ذَهَبَ ٱلۡخَوۡفُ﴾ وحِيزَتِ الغنائمُ ﴿سَلَقُوكُم﴾: ضَربوكُم ﴿بِأَلۡسِنَةٍ حِدَادٍ﴾: ذَرِبَةٍ يطلبونَ الغنيمةَ، والسَّلْقُ: البَسْطُ بقهرٍ باليدِ أو اللسانِ.

﴿أَشِحَّةً عَلَى ٱلۡخَيۡرِ﴾ نصبٌ على الحالِ أو الذَّمِّ، ويؤيِّدُه قراءةُ الرَّفعِ[٣]، وليس بتكريرٍ لأنَّ كُلًّا مِنهُما مُفيدٌ[٤] مِن وَجْهٍ.

---

(١) في (خ): «ويتثبطون»، وفي (ت): «وينتظرون».

(٢) في (خ): «عينيه».

(٣) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦١٩)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٧٦)، و«البحر المحيط» (١٧/ ٢٩٩)، عن ابن أبي عبلة.

(٤) في (ض): «مقيد».

﴿أُولَٰئِكَ لَمْ يُؤْمِنُوا﴾ إخلاصًا ﴿فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ﴾: فأظهرَ بُطلانَها إذ لم تَثْبُت لهم أعمالٌ فتبْطُلَ، أو: أبطلَ تصنُّعَهُم ونفاقَهُم.

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ﴾ الإحباطُ ﴿عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾: هينًا؛ لتعلُّقِ الإرادةِ به وعدمِ ما يمنعُهُ عنه.

(٢٠) - ﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا ۖ وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ يَسْأَلُونَ عَنْ أَنبَائِكُمْ ۖ وَلَوْ كَانُوا فِيكُم مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ لَمْ يَذْهَبُوا﴾؛ أي: هؤلاء لجُبنِهِم يظنُّونَ أنَّ الأَحزابَ لم ينهزِمُوا وقد انهزَمُوا، ففرُّوا إلى داخلِ المدينَةِ.

﴿وَإِن يَأْتِ الْأَحْزَابُ﴾ كَرَّةً ثانيةً ﴿يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِي الْأَعْرَابِ﴾: تمنَّوْا أَنَّهُم خارجونَ إلى البدوِ حاصلونَ بين الأعرابِ ﴿يَسْأَلُونَ﴾ كلَّ قادمٍ مِن جانبِ المدينَةِ ﴿عَنْ أَنبَائِكُمْ﴾: عمَّا جرى عليكُم.

﴿وَلَوْ كَانُوا فِيكُم﴾ هذه الكرَّةَ ولم يرجعوا إلى المدينةِ وكان قتالٌ ﴿مَّا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا﴾ رياءً وخوْفًا مِن التَّعييرِ.

(٢١) - ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾.

﴿لَقَدْ كانَ لكُمْ في رَسولِ اللهِ إسوةٌ حَسَنةٌ﴾: خَصلةٌ حَسنَةٌ من حقِّها أن يُؤتَسَى بها كالثَّباتِ في الحربِ ومُقاساةِ الشَّدائدِ.

أو: هو في نفسِه قدوةٌ يَحسُنُ التَّأسِّي بـه كقولِكَ: (في البيضَةِ عشرونَ مَنًّا حديدًا)[1]؛ أي: هي في نَفسِها هذا القَدْرُ مِن الحديدِ.

---

(١) قوله: «في البَيْضَةِ عشرونَ منًّا حَديداً» المراد بالبيضة: بيضة الحديد، وهي الكرة أو ما يوضع على =

وقرأ عاصِمٌ بضمِّ الهمزَةِ[١] وهو لغةٌ فيه.

﴿لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ﴾؛ أي: ثوابَ اللهِ، أو لقاءَه ونعيمَ الآخرةِ، أو أيامَ اللهِ واليومَ الآخِرَ خصوصًا.

وقيل: هو كقولِكَ: (أرجو زيدًا وفضلَه) فإنَّ اليومَ الآخرَ يومُ الله بحسَب الحكم[٢]، والرَّجاءُ يحتمِلُ الأملَ والخوفَ.

و﴿لِّمَن كَانَ﴾ صلةٌ لـ﴿حَسَنَةٌ﴾ أو صفةٌ لها.

وقيل: بدلٌ مِن ﴿لَكُمْ﴾ والأكثرُ على أنَّ ضميرَ المخاطبِ لا يبدلُ منه.

﴿وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا﴾: وقَرَنَ بالرَّجاءِ كثرةَ الذِّكرِ المؤدِّيَةَ إلى ملازمةِ[٣] الطَّاعةِ، فإنَّ المؤتسِيَ بالرَّسولِ عليه السَّلامُ مَن كان كذلك.

قوله: «أو هو في نَفسِهِ قُدوَةٌ»:

= الرأس وهو المغفر، والمنُّ بتشديد النون وزن معروف، و«حديداً» بدل منه، وفي نسخة: «مَنَا» بالقصر والتخفيف والإضافة إلى «حديد»، وهو لغة فيه بمعنى المن أيضاً. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٦٦). وقال الجاربردي في «الحاشية» (ج٢/ و٢٨١أ): المنا أفصح من المنِّ.

(١) وقراءة الباقين بكسرها، انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٠)، و«التيسير» (ص: ١٧٨).

(٢) قوله: «فإنّ اليوم الآخر يوم الله.. » يعني: أنه في معنى يوم الله لشدّة اختصاص ذلك اليوم به من بين أيامه بحسب نفوذ حكمه فيه ظاهراً وباطناً من غير احتمال أن يكون لغيره فيه حكم كما في قوله: ﴿لِّمَنِ ٱلْمُلْكُ ٱلْيَوْمَ﴾ [غافر: ١٦] فتعلقه به لشدة ظهوره مغن عن إضافته لضميره على ما عرف في أشباهه من هذا الباب، وفي نسخة: «داخل فيها بحسب الحكم»؛ أي: في جملة أيامه. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٦٦).

(٣) في (خ): «المؤذنة بملازمة» وفي (أ): «المؤدية لملازمة».

قال الطِّيبيُّ: أي: أنَّه مِن بابِ التَّجريدِ، جُرِّدَ من نَفسِه الزَّكِيَّةِ ـ صلواتُ اللهِ عليهِ ـ شَيءٌ يُسمَّى قُدوَةً وهي هُو[١].

قوله: «وقيل: بدلٌ مِن ﴿لَكُمْ﴾، والأكثرُ على أنَّ ضَميرَ المُخاطَبِ لا يُبدَلُ مِنه»:

رَدٌّ لقَولِ «الكشاف»: (إنَّه بدلٌ مِن ﴿لَكُمْ﴾)، أَخْذًا مِن أَبي البَقاءِ[٢] حيثُ قال: منعَ الأَكْثَرُونَ كونَه بَدَلًا مِن ﴿لَكُمْ﴾ لأنَّ ضَميرَ المُخاطَبِ لا يُبدَلُ مِنه، فعَلَى هذا يَجوزُ أن يَتعلَّقَ بـ﴿حَسَنَةٌ﴾ أو يكونَ نعتًا لها، ولا يَتعلَّقُ بـ﴿أُسْوَةٌ﴾ لأنَّها قَدْ وُصِفَت[٣].

وقال صاحِبُ «التَّقريب»: ﴿لِمَن﴾ بدلٌ مِن ﴿لَكُمْ﴾ بدلَ البَعضِ أو الاشتمالِ؛ إذ المُظهَرُ لا يُبدَلُ مِن المخاطَبِ بدلَ الكلِّ[٤].

وكذا قالَ الحَلَبِيُّ: لا يَستَقيمُ أنَّ هذا بدلُ شَيءٍ مِن شَيءٍ وهُمَا لعَيْنٍ واحِدَةٍ، بَلْ بَدلُ بَعضٍ مِن كُلٍّ باعتِبارِ الواقِعِ؛ لأنَّ الخِطابَ في قولِه: ﴿لَكُمْ﴾ أعمُّ مِن (مَن كانَ يرجو اللهَ) وغيرِه، ثمَّ خُصِّصَ ذلك العُمومُ لأنَّ المُتأسِّيَ به ـ عليه السَّلامُ ـ المُؤمنونَ[٥].

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٤٠٢). والتجريد: هو أن يُنتزَع من متَّصفٍ بصفةٍ آخَرَ مِثْلُه فيها مبالغةً لكمالها فيه، نحو: رأيت بفلانٍ أسداً، ولقيني منه أسدٌ، ونحو: (لي من فلان صديق حميم) جرَّد من الرجل الصَّديقِ آخرَ مثله متصفاً بصفة الصداقة. ونحو: (مررت بالرجل الكريم والنسمة المباركة) جردوا من الرجل الكريم آخر مثله متصفاً بصفة البركة وعطفوه عليه كأنه غيره، وهو هو.
ومن أمثلته في القرآن: ﴿لَهُمْ فِيهَا دَارُ الْخُلْدِ﴾ [فصلت: ٢٨] ليس المعنى أن الجنة فيها دار خلد وغير دار خلد، بل هي نفسها دار الخلد فكأنه جرد من الدار داراً. انظر: «الإتقان» (٣/ ٣٠٧).

(٢) قوله: «أخذاً من أبي البقاء»؛ أي: البيضاوي أخذ الرد من أبي البقاء.

(٣) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١٠٥٥).

(٤) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٤٠٣).

(٥) انظر: «الدر المصون» (٩/ ١٠٩).

(٢٢) - ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥۚ وَمَا زَادَهُمۡ إِلَّآ إِيمَٰنٗا وَتَسۡلِيمٗا﴾.

﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلۡأَحۡزَابَ قَالُواْ هَٰذَا مَا وَعَدَنَا ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾ بقولِه تعالى: ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُم﴾ الآية [البقرة: ٢١٤]، وقولِه عليهِ السَّلامُ: «سيشتَدُّ الأمرُ باجتماعِ الأحزابِ عليكُم والعاقبَةُ لَكُم عليهِم»(١)، وقولِه عليه السَّلامُ: «إنَّهم سائرونَ إلَيْكُم بعدَ تسعٍ أو عشرٍ».

وقرأ حمزةُ وأبو بكرٍ بكسرِ الرَّاءِ وفتحِ الهمزةِ(٢).

﴿وَصَدَقَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ﴾: وظهرَ صِدقُ خبرِ اللهِ ورسولِه، أو: صَدَقا في النُّصرةِ والثَّوابِ كما صَدَقا في البلاءِ، وإظهارُ الاسمِ للتَّعظيمِ.

﴿وَمَا زَادَهُمۡ﴾ فيه ضميرٌ لِمَا رأوا، أو الخَطْبِ، أو البلاءِ(٣).

﴿إِلَّآ إِيمَٰنٗا﴾ باللهِ ومواعيدِهِ ﴿وَتَسۡلِيمٗا﴾ لأوامرِهِ ومَقاديرِه.

قوله: «وقولِه عليهِ السَّلام: إنَّهم سائِرونَ إلَيكُم بعدَ تَسْعٍ أو عَشْرٍ»:

قال الشَّيخُ وَلِيُّ الدِّين: لَمْ أَقِفْ عليه(٤).

---

(١) لم أقف عليه.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦١).

(٣) قوله: «فيه ضمير لما رأوا»؛ أي: في ﴿زَادَهُمۡ﴾ ضمير مستتر يعودُ لِمَا رأوا المفهومِ من قوله: ﴿وَلَمَّا رَءَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ و«ما» تحتمِلُ الموصولية أو المصدرية، والخطب والبلاء مفهومان من السياق أو الإشارة. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٦٧).

(٤) وكذا قال ابن حجر: لم أجده. انظر: «الكافي الشاف» (ص: ١٣٣). قلت: وقد ذكره الواحدي في «البسيط» (١٨/ ٢١٦) عن الكلبي.

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ ۖ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ ۖ وَمَا بَدَّلُوا۟ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾ مِن الثَّباتِ مع الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ، والمقاتلَةِ لإعلاءِ[1] الدِّينِ، مِن (صَدَقَني): إذا قالَ لكَ الصِّدْقَ، فإنَّ المعاهَدَ إذا وفَّى[2] بعهدِهِ فقَدْ صدَقَ فيه.

﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾: نَذْرَهُ بأَنْ قاتلَ حتى استُشهدَ كحمزَةَ ومُصعَبِ بنِ عُمَيرٍ وأنسِ بنِ النَّضْرِ، والنَّحْبُ: النَّذرُ، استُعِيرَ للمَوتِ لأنَّه كنَذْرٍ لازِمٍ في رقبةِ كلِّ حيوانٍ.

﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾ الشَّهادةَ، كعُثمانَ وطَلْحَةَ ﴿وَمَا بَدَّلُوا۟﴾ العهدَ ولا غيَّرُوهُ ﴿تَبْدِيلًا﴾: شيئًا مِن التَّبديلِ.

رُوِيَ أنَّ طلحةَ ثبتَ معَ رَسولِ اللهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ حتَّى أُصيبَتْ يَدُه، فقالَ عليهِ السَّلامُ: «أَوْجَبَ طَلْحَةُ».

وفيه تعريضٌ لأهلِ النِّفاقِ ومَرَضِ القلبِ بالتَّبديلِ، وقولُه: ﴿لِّيَجْزِىَ ٱللَّهُ ٱلصَّٰدِقِينَ بِصِدْقِهِمْ وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ إِن شَآءَ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ تعليلٌ للمَنطوقِ والمعرَّضِ به، وكأنَّ المنافقينَ قصدُوا بالتَّبديلِ عاقبةَ السُّوءِ كما قصدَ المخلِصونَ بالثَّباتِ والوفاءِ العاقبةَ الحُسْنَى، والتَّوبَةُ عليهِم مَشروطةٌ بتوبَتِهِم، أو المرادُ بها التَّوفيقُ للتَّوبَةِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ لِمَن تابَ.

---

(١) في (أ): «لأعداء».

(٢) في (ت): «أوفى».

قوله: «رُوِيَ أَنَّ طَلحَةَ ثبتَ مَع رسولِ اللهِ ﷺ يومَ أُحدٍ حَتَّى أُصيبَتْ يَدُه، فقالَ عليهِ السَّلامُ: أوجَبَ طَلحَةُ»:

رواه الثَّعلبيُّ مِن حَديثِ عائشةَ(١).

وفي «صحيحِ البخاريِّ» عن قيسِ بن أبي حازمٍ: رأيتُ يدَ طلْحَةَ وهي شَلَّاءَ وَقَى بِها رَسُولَ اللهِ ﷺ يومَ أُحُدٍ(٢).

ورَوَى التِّرمذيُّ وابنُ حِبَّانَ والحاكِمُ وغيرُهُم مِن حَديثِ الزُّبيرِ مرفوعًا: «أوجبَ طَلحَةُ»(٣).

(٢٥) ـ ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴾.

﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ يعني الأحزابَ ﴿بِغَيْظِهِمْ﴾: مُتغيِّظينَ(٤) ﴿لَمْ يَنَالُواْ خَيْرًا﴾: غيرَ ظافرينَ، وهما حالانِ بتداخُلٍ أو تعاقُبٍ.

﴿وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ﴾ بالرِّيحِ والملائكةِ ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا﴾ على إحداثِ ما يُريدُه ﴿عَزِيزًا﴾: غالبًا على كلِّ شيءٍ.

قوله: «وهما حالانِ بتَداخلٍ أو تَعاقُبٍ»:

قال الطِّيبيُّ: التَّداخُلُ: أَنْ تعملَ الحَالُ الأُولَى في الثَّانيةِ ويكونُ الحالانِ لشَيئينِ لَفْظًا، والتَّعاقُبُ: أن يكونا لِشَيءٍ واحِدٍ(٥).

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣٧٥).

(٢) رواه البخاري (٤٠٦٣).

(٣) رواه الترمذي (١٦٩٢) وحسنه، وابن حبان في «صحيحه» (٦٩٧٩)، والحاكم في «المستدرك» (٤٣١٢) وصححه، وقوله: «أوجب»؛ أي: عمل عملاً أوجب له الجنة، انظر: «النهاية» (مادة: وجب).

(٤) في (خ) و(ض): «مغيظين».

(٥) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٤٠٨).

(٢٦) ـ ﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾.

﴿ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَٰهَرُوهُم ﴾: ظاهَرُوا الأحزابَ ﴿مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ ﴾ يعني: قُرَيظة ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ ﴾: مِن حُصونِهم، جمعُ صِيصِيَةٍ وهي ما يُتحصَّنُ به، ولذلك يقالُ لقرنِ الثَّورِ والظَّبي وشَوكَةِ الدِّيكِ.

﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ ﴾: الخوفَ، وقُرِئَ بالضَّمِّ[١] ﴿فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴾ وقُرِئَ بضَمِّ السِّينِ[٢].

رُوِيَ أنَّ جبريلَ أتى رَسولَ اللهِ عليهِما السَّلامُ صَبيحةَ الليلةِ التي انهزمَ فيها الأحزابُ فقال: أَتنزِعُ لَأْمَتَكَ والملائكةُ لم يَضَعُوا السِّلاحَ؟ إنَّ اللهَ يَأمُرُكَ بالسَّيرِ إلى بني قُرَيظةَ وأنا عامِدٌ إليهِم، فأَذِّنْ في النَّاسِ: أن لا تصلُّوا[٣] العصرَ إلا ببني قُرَيظَةَ، فحاصرَهُم إحدى وعِشرينَ أو خَمْسًا وعشرينَ حتَّى جَهَدَهُم الحصارُ، فقالَ لَهُم: «تنزلونَ على حكمِي؟»، فأبَوْا فقال: «على حكمِ سعدِ بنِ مُعاذٍ» فرضُوا به، فحكَمَ سَعدٌ بقتلِ مُقاتِلَتِهِم وسَبْيِ ذَرارِيهِم ونسائِهِم، فكبَّرَ النَّبيُّ عليهِ السَّلامُ وقال: «لقَدْ حكَمْتَ بحُكمِ اللهِ مِن فوقِ سَبعَةِ أرقِعَةٍ» فقُتِلَ مِنْهُم ستُّ مئةٍ أو أكثرُ وأُسِرَ سبعُ مئةٍ.

قولـه: «رُوِيَ أنَّ جِبريـلَ أَتَـى رَسـولَ اللهِ ﷺ صَبيحـةَ الليلـةِ التـي انهـزَمَ فيهـا الأحـزابُ..» إلـى آخـره:

ذكـرَه ابـنُ هشـامٍ في «السـيرة» عن ابنِ إسـحاقَ إلا القَـدْرَ الأخيرَ فأسـندَهُ ابنُ

---

(١) بضم العين وهي قراءة ابن عامر والكسائي، انظر: «السبعة» (ص: ٢١٧)، و«التيسير» (ص: ٩١).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠) عن أبي حيوة.

(٣) في (أ) و(ت): «يصلوا».

إسحاقَ عن عاصمِ بنِ عُمَرَ، عن عبدِ الرحمنِ بنِ عمرِو بنِ سعدِ بنِ مُعاذٍ، عن علقمَةَ بنِ وَقَّاصٍ اللَّيثيِّ قال: قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ[١].

ورَوَى أبو نُعيمٍ في «دلائل النبوة» عن جابرٍ قال: لَمَّا رابَطَهُم رَسولُ اللهِ ﷺ أتاهُ جِبريلُ وهو يغسلُ رأسه... الحديث[٢].

قال في «النهاية»: «سبعَة أَرقِعَةٍ» بالقافِ؛ يعني: سبعَ سَماواتٍ، كلُّ سماءٍ يقالُ لها: رَقِيعٌ، والجمعُ: أَرْقِعَةٌ، ويقال: الرَّقِيعُ اسمُ سماءِ الدُّنيا فأَعطى كُلَّ سماءٍ اسمَها[٣].

---

(١) انظر: «السيرة النبوية» لابن هشام (٢/ ٢٣٣) وما بعدها، و«تفسير الطبري» (١٩/ ٧٢) وما بعدها، و«دلائل النبوة» للبيهقي (٤/ ٥) وما بعدها.

وقوله: «إلا القدر الأخير» يعني: قوله ﷺ: «لقد حكمتَ بحُكمِ الله مِن فَوقِ سَبْعَةِ أَرقِعَةٍ» وهذا مرسل، فإن علقمة بن وقاص ليس له صحبة، قال الحافظ في «التقريب»: أخطأ من زعم أن له صحبة.

لكن روي نحوه من حديث سعد بن أبي وقاص، رواه النسائي في «الكبرى» (٥٩٠٦) ولفظه: (حَكَمْتَ فيهم بِحُكم الله الذي حَكَمَ به فوقَ سَبعِ سماواتٍ). وإسناده صحيح كما قال الذهبي في «العلو» (ص: ٣٥).

وأصل القصة عند البخاري (٤١٢٢)، ومسلم (١٧٦٩)، من حديث عائشة رضي الله عنها.

ونزول قريظة على حكم سعد رضي الله عنه رواه أيضاً البخاري (٤١٢١)، ومسلم (١٧٦٨)، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، وفيه: «حكمت بحكم الله» أو: «بحكم الملك».

وقول النبي ﷺ: (لا يصلين أحد العصر إلا في بني قريظة) رواه البخاري (٤١١٩)، ومسلم (١٧٧٠)، من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٢) وكذا ذكره الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٠٤) عن أبي نعيم.

(٣) انظر: «النهاية في غريب الحديث» (٢/ ٢٥١).

(٢٧) ـ ﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾.

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ ﴾: مزارعَهُم ﴿وَدِيَـٰرَهُمْ ﴾: حصونَهم ﴿وَأَمْوَٰلَهُمْ ﴾: نقودَهُم ومَواشيَهم وأثاثَهم.

رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ جعلَ عقارَهُم للمُهاجرينَ، فتكلَّمَ فيه الأنصارُ فقال: «إنَّكُم في مَنازِلِكُم»، وقال عُمَرُ رضيَ اللهُ عنه: أمَا تُخَمِّسُ كما خَمَّسْتَ يومَ بدرٍ؟ قال: «لا، إنَّما جُعِلَت هذه لي طُعْمَةً».

﴿وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ كفارسَ والرُّومِ، وقيل: خيبرُ، وقيل: كلُّ أرضٍ تُفتَحُ إلى يومِ القيامةِ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرًا ﴾ فيقدرُ على ذلك.

قوله: «رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ جَعَلَ عقارَهُم للمُهاجِرينَ..» إلى آخره:

رواهُ الواقِدِيُّ مِن رِوايَةِ خارِجَةَ بنِ زَيدٍ عن أمِّ العَلاءِ قالت: لَمَّا غَنِمَ رَسولُ اللهِ ﷺ بني النَّضيرِ... الحديث[1].

ومِن طريقِ المِسوَرِ بـن رِفاعةَ قال: فقال عُمَر: يا رسولَ اللهِ! ألا تخمِّس ما أُصيبَ مِن بَنِي النَّضيرِ.. الحديث[2].

---

(١) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٨ ـ ٣٧٩).

(٢) انظر: «مغازي الواقدي» (١/ ٣٧٧). وقد تابع المصنفُ الزمخشريَّ في ذكر هذين الخبرين هنا، بينما هما في بني النضير لا بني قريظة كما هو واضح منهما، وتعقبه الآلوسي في «روح المعاني» (٢١/ ٢٦٣) فقال: وعليه لا يحسن من الزمخشري ذكره هاهنا مع أن الآيات عنده في شأن بني قريظة.

(٢٨ ـ ٢٩) ـ ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴿٢٨﴾ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴾: السَّعَةَ والتَّنعُّمَ فيها.

﴿وَزِينَتَهَا﴾: زخارِفَها ﴿فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ﴾: أُعطِكُنَّ المتعة ﴿وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾: طلاقًا مِن غيرِ ضِرارٍ وبِدعَةٍ.

رُوِيَ أنَّهُنَّ سألْنَهُ ثيابَ الزِّينةِ وزيادةَ النَّفقَةِ فنزلَتْ، فبدَأَ بعائشةَ فخيَّرَها فاختارَتِ اللهَ ورسولَهُ، ثمَّ اختارَتِ الباقياتُ اختيارَهَا، فشكرَ لَهنَّ اللهُ ذلكَ فأنزلَ: ﴿ لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعْدُ ﴾

وتعليقُ التَّسريحِ بإرادَتِهنَّ الدُّنيَا وجعلُها قسيمًا لإرادَتِهنَّ الرُّسولَ يدلُّ على أنَّ المخيَّرةَ إذا اختارَتْ زوجَهَا لم تَطْلُق ـ خِلافًا لزَيدٍ والحسنِ ومالكٍ وإحدى الرِّوايتينِ عن عليٍّ[1] ـ ويؤيِّدُه قولُ عائشةَ: خيَّرَنا رسولُ اللهِ فاختَرْنَاه ولم يُعدَّ طلاقًا.

وتقديمُ التَّمتيعِ على التَّسريحِ المسبَّبِ عنه مِن الكَرَمِ وحُسنِ الخُلُقِ.

وقيلَ: لأنَّ الفُرقَةَ كانَت بإرادَتِهنَّ كاختيارِ المخيَّرةِ نفسَها، فإنَّه طلقةٌ

---

(١) روي عن عليٍّ رضي الله عنه: أنها إذا اختَارَتْ زوْجَها فواحِدَةٌ رَجْعِيَّةٌ، وإن اختارَتْ نفسَها فواحِدَةٌ بائنةٌ، رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١١٩٧٤) و(١١٩٧٧)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (١٨٠٩٣) و(١٨٠٩٧)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٤٥ و٣٤٦)، وابن حزم في «المحلى» (١٠/ ١٢١). وهذه الرواية هي الأشهر عن علي رضي الله عنه كما ذكر البيهقي.
وروي عنه أيضاً: أنَّها إن اختَارَتْ زوْجَهَا فليْسَ بشَيءٍ، رواه عبد الرزاق في «المصنف» (١١٩٨١)، والبيهقي في «السنن الكبرى» (٧/ ٣٤٦)، من طريق أبي جعفرٍ محمدِ بنِ عليٍّ عن عليٍّ رضي الله عنه، وهو منقطع لأن أبا جعفر لم يسمع من علي.

رَجعيَّةٌ عندَنا وبائنةٌ عندَ الحنفيَّةِ[١]، واختُلِفَ في وجوبِه للمَدخولِ بها، وليس فيه ما يدلُّ عليه[٢].

وقُرِئَ: (أمتِّعُكُنَّ وأُسرِّحُكُنَّ) بالرَّفعِ[٣] على الاستئنافِ.

﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْـَٔاخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَـٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ تُستحقَرُ دونَه الدُّنيا وزينتُها، و(مِن) للتَّبيينِ لأنَّهنَّ كلَّهُن كُنَّ مُحسناتٍ.

قوله: «رُوِيَ أنَّهنَّ سألنَهُ ثيابَ الزِّينةِ وزيادةَ النَّفقةِ، فنزلَتْ، فبدَأَ بعائِشَةَ..» إلى آخره: رواهُ الطَّبريُّ مِن حَديثِ الحسنِ مُرْسَلًا بنَحوِه[٤].

قوله: «ويُؤيِّدُه قولُ عائشَةَ: خيَّرَنا رَسولُ اللهِ ﷺ فاختَرْناهُ ولم يُعدَّ طَلاقًا»: أخرجَه الشَّيخانِ[٥].

(٣٠ ـ ٣١) ـ ﴿يَـٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَـٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَـٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَـٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾.

---

(١) في (خ) و(ت): «عند أبي حنيفة».

(٢) انظر: «شرح صحيح البخاري» لابن بطال (٧/ ٣٩٦).

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠) عن حميد الخزاز.

(٤) رواه عن الحسن مرسلًا: الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٨٦)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٧٤٧٦).

ورواه البخاري (٤٧٨٥) ـ ومعلقاً بصيغة الجزم (٤٧٨٦) ـ، ومسلم (١٤٧٥/ ٢٢)، والترمذي (٣٢٠٤)، عن عائشة رضي الله عنها دون قوله: «فشكر...».

(٥) رواه البخاري (٥٢٦٢)، ومسلم (١٤٧٧).

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ﴾: بكبيرةٍ ﴿مُّبَيَّنَةٍ﴾: ظاهرٍ قُبحُها، على قراءةِ ابنِ كثيرٍ وأبي بَكرٍ، والباقونَ بكسرِ الياء[1].

﴿يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ﴾: ضِعْفَي عذابِ غَيرِهِنَّ؛ أي: مِثلَيْه؛ لأنَّ الذَّنبَ مِنْهنَّ أقبَحُ، فإنَّ[2] زيادةَ قُبحِهِ تَتْبعُ زيادةَ فضلِ المُذنِبِ والنِّعمةِ عليه، ولذلك جُعِلَ حدُّ الحُرِّ ضِعْفَيْ حَدِّ العَبدِ، وعوتِبَ الأنبياءُ بما لا يُعاتَبُ به غيرُهُم.

وقرأ البَصرِيَّانِ: ﴿يُضَعَّفْ﴾، وابنُ كثيرٍ وابنُ عامرٍ: ﴿نُضَعِّفْ﴾ بالنُّونِ وبناءِ الفاعلِ ونصبِ ﴿العَذابَ﴾[3].

﴿وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا﴾ لا يمنعهُ عن التَّضعيفِ كونُهنَّ نساءَ النَّبيِّ، وكيفَ وهو سببُه؟

﴿وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ﴾: ومَن يَدُم على الطَّاعةِ ﴿لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ ولعلَّ ذكرَ اللهِ للتَّعظيمِ لقولِه[4]: ﴿وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ﴾: مرَّةً على الطَّاعةِ، ومَرَّةً على طلبِهِنَّ رِضَا النَّبيِّ بالقَناعَةِ وحُسْنِ المُعاشرَةِ.

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿ويَعْمَل﴾ بالياءِ أَيْضًا حملًا على لفظِ (مَن)، و﴿يُؤتِها﴾ على أنَّ فيه ضميرَ اسمِ اللهِ[5].

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٢٩ ـ ٢٣٠)، و«التيسير» (ص: ٩٥).

(٢) في (ت): «لأن».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير» (ص: ١٧٩)، و«النشر» (٢/ ٣٤٨). والبصريان: أبو عمرو ويعقوب.

(٤) «لقوله»: ليس في (خ).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

﴿وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ في الجنَّةِ زيادةً على أجرِهَا.

(٣٢) - ﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾.

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ أصلُ (أَحَدٍ): (وَحَدٌ) بمَعنى الواحدِ، ثمَّ وُضِعَ في النَّفيِ العامِّ مُستَوِيًا فيه المذكَّرُ والمؤنَّثُ والواحدُ والكثيرُ[١].

والمعنى: لَستنَّ كجماعةٍ واحِدةٍ مِن جماعاتِ النِّساءِ في الفضلِ ﴿إِنِ ٱتَّقَيْتُنَّ﴾ مخالفَةَ حُكمِ اللهِ ورضا رَسولِه ﴿فَلَا تَخْضَعْنَ بِٱلْقَوْلِ﴾: فلا تَجِئْنَ بقولِكُنَّ خاضعًا ليِّنًا مثلَ قولِ المُرِيْباتِ ﴿فَيَطْمَعَ ٱلَّذِى فِى قَلْبِهِۦ مَرَضٌ﴾: فُجورٌ.

وقُرِئَ بالجزمِ[٢] عطفًا على محلِّ فعلِ النَّهيِ على أنَّه نَهْيُ مريضِ[٣] القَلبِ عن الطَّمعِ عَقيبَ نَهيِهنَّ عن الخضوعِ بالقَوْلِ.

﴿وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾: حسنًا بعيدًا عن الرِّيبَةِ.

قوله: «أَصْلُ أَحَدٍ: وَحَدٌ بمَعنى الواحِدِ، ثمَّ وضعَ في النَّفيِ العامِّ مُستَوِيًا فيهِ المُذكَّرُ والمُؤنَّثُ والواحِدُ والكَثيرُ، والمعنى: لَسْتُنَّ كجَماعَةٍ واحِدَةٍ مِن جَماعاتِ النِّساءِ في الفَضلِ»:

قال أبو حيَّان: أَمَّا قَولُه: «أَحَدٌ في الأَصْلِ بمَعنى وَحَدٍ وهُوَ الواحِدُ» فصَحيحٌ، وأمَّا قولُه: «ثمَّ وضعَ..» إلى آخره، فليسَ بصَحيحٍ؛ لأنَّ الذي يستعملُ في النَّفيِ العامِّ

---

(١) في (ض): «والأكثر».

(٢) أي: (فيطمعِ) بكسر العين لالتقاء الساكنين، نسبت لأبي السمال وأبان بن عثمان وابن هرمز، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠)، و«المحتسب» (٢/ ١٨١)، و«البحر» (١٧/ ٣١٩).

(٣) في (ت): «المريض».

مَدلولُه غيرُ مَدلولِ (واحد)؛ لأنَّ (واحد) يَنطلِقُ على كلِّ شيءٍ اتَّصفَ بالوحدَةِ، وأَحَدٌ المستعملُ في النَّفيِ العامِّ مخصوصٌ بِمَن يَعقِلُ، وذكرَ النَّحويُّونَ أنَّ مادَّتَه: هَمْزَةٌ وحَاءٌ ودَالٌ، ومادَّةُ (أَحَدٍ) بمعنى (واحِدٍ) أصلُه: واوٌ وحاءٌ ودالٌ، فقَدْ اختلَفَا مادَّةً ومَدلُولًا.

وأمَّا قولُه: «لستُنَّ كجماعَةٍ واحدَةٍ» فقَدْ قُلْنَا: إنَّ قولَه: ﴿لَسْتُنَّ﴾ معناه: لَيْسَت كلُّ واحِدَةٍ مِنْكُنَّ، فهُو حكمٌ على كلِّ واحِدَةٍ واحدةٍ، ليسَ حُكْمًا على المَجموعِ من حيثُ هو مَجموعٌ، وقلنا: إنَّ مَعنى ﴿كَأَحَدٍ﴾: كشَخْصٍ واحِدٍ، فأَبْقَيْنَا (أَحداً) على مَوضوعِه مِن التَّذكيرِ ولم نتأوَّلْه بجماعَةٍ واحِدَةٍ[1].

وقال الحَلَبِيُّ: أمَّا قولُه: (فإنَّهما مُختلفانِ مَدلولًا ومـادَّةً) فمُـسلَّمٌ، ولكنَّ الزَّمخشريَّ لَمْ يَجْعَل (أحدًا) الذي أَصلُه (واحِدٌ) بمعنَى (أحدٍ) المُختَصِّ بالنَّفيِ، ولا يَمنَعُ أنَّ (أحدًا) الذي أصلُه (واحدٌ) يقَعُ في سياقِ النَّفيِ، وإنَّما الفارِقُ بينَهُما: أنَّ الذي همزَتُه وصلٌ لا يُستعمَلُ إلَّا في النَّفيِ كأخواتِه مِن (عَريبٍ) ونحوه[2]، والذي أصلُه واحدٌ يجوزُ أن يُستعملَ إثباتًا ونَفْيًا.

والفرقُ أيضًا بينَهُما: أنَّ المُختصَّ بالنَّفيِ جامدٌ وهذا وصفٌ، وأيضًا المُختَصُّ بالنَّفيِ مُختصٌّ بالعُقَلاءِ وهذا لا يختصُّ، وأمَّا مَعنى النَّفيِ فإنَّه ظاهِرٌ على ما قالَه الزَّمخشريُّ مِن الحكمِ على المَجموعِ، ولكنَّ المعنى على ما قالَهُ الشَّيخُ أوضَحُ وإن كانَ خِلافَ الظَّاهِرِ[3].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٣١٧).

(٢) في «الدر المصون» كأخواته من عريب وكتيع ووابر وتامر.

(٣) انظر: «الدر المصون» (٩/ ١١٩).

وقالَ ابنُ المُنيِّرِ: أرادَ الزَّمخشرِيُّ المُطابقةَ بينَ المتفاضِلَين؛ فإنَّ نِساءَ النَّبيِّ ﷺ جماعةٌ فكيفَ يُقالُ: ﴿لَسۡتُنَّ كَأَحَدٖ﴾؟ وقد كانَ الزَّمخشرِيُّ مُستغنيًا عن ذلك بحملِ المعنى على واحدَةٍ ويكونُ أبلغَ؛ أي: ليسَتْ واحدَةٌ مِنكُنَّ كأحدٍ؛ أي: كواحدَةٍ مِن آحادِ النِّساءِ، ويلزمُ [على ما قال] تفضيلُ الجَماعةِ على الجَماعةِ ولا يلزَمُ ذلكَ في عَكسِه(١).

وقال الطِّيبيُّ: لا شكَّ أنَّ اسمَ (ليسَ) ضَميرُ الجَماعةِ، وقد حُملَ عليه ﴿كَأَحَدٖ﴾ وبُيِّنَ بقولِه: ﴿مِّنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ والتَّعريفُ فيه للجنسِ، فوجبَ حَملُ الأحدِ في هذا السِّياقِ على الجماعَةِ كما في قولِه تعالى: ﴿فَمَا مِنكُم مِّنۡ أَحَدٍ عَنۡهُ حَٰجِزِينَ﴾ [الحاقة: ٤٧]، ولو حُمِلَ على الواحدِ لزمَ التَّفضيلُ بحسبِ الوحدانِ، ويرجعُ المَعنى إلى تَفضيلِهِنَّ كلِّهنَّ على واحدٍ واحدٍ مِن النِّساءِ، ولا ارتيابَ في بُطلانِه.

وأمَّا تَأويلُه بقولِه(٢): (ليسَتْ واحِدَةٌ منكنَّ)، فخلافُ الظَّاهِرِ.

وأمَّا قولُه: (يلزَمُ تَفضيلُ الجَماعةِ على الجماعة، ولا يَلزَمُ ذلك في عَكسِه)، فجوابُه: أنَّ تَفضيلَ كُلِّ واحِدٍ واحِدٍ منهنَّ يُعلَمُ مِن دَليلٍ آخرَ إمَّا عَقليٌّ أو نَصٌّ مثلِ: ﴿وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ﴾ وغيرِه(٣).

---

(١) انظر: «الانتصاف» (٣/ ٥٣٦)، و«فتوح الغيب» (١٢/ ٤١٦) وعنه نقل المصنف، وما بين معكوفتين منه.

(٢) أي: تأويل ابن المنير الآية بقوله... إلخ.

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٤١٦).

(٣٣) - ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾.

﴿وقِرْنَ في بُيُوتِكُنَّ﴾ من وَقَرَ يَقِرُ وَقَارًا، أو: مِن قَرَّ يَقِرُّ، حُذِفَت الأولى مِن راءي (اقْرِرْنَ) ونُقِلَت كسرتُها إلى القافِ فاستُغنِي عن همزةِ الوصلِ، ويؤيِّدُه قراءةُ نافعٍ وعاصمٍ بالفتحِ[1] مِن قَرِرْتُ أَقَرُّ لغةً فيه، ويحتملُ أن يكونَ مِن قَارَ يَقَارُ: إذا اجتمَعَ.

﴿وَلَا تَبَرَّجْنَ﴾: ولا تَتبختَرْنَ في مَشيِكُنَّ ﴿تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾: تبرُّجًا مثل تَبرُّجِ النِّساءِ في أيَّامِ الجاهليَّةِ القديمةِ؛ قيل: هي ما بينَ آدمَ ونوحٍ[2].

وقيل: الزَّمانُ الذي وُلِدَ فيه إبراهيمُ، كانت المرأةُ تلبَسُ دِرعًا من اللؤلؤِ فتَمشِي وسطَ الطَّريقِ تَعرِضُ نفسَها على الرِّجالِ، والجاهليَّةُ الأخرى ما بينَ عيسى ومُحمَّدٍ عليهما السَّلامُ.

وقيل: الجاهليَّةُ الأولى جاهليَّةُ الكفرِ قبلَ الإسلامِ، والجاهليَّةُ الأخرى جاهليَّةُ الفُسوقِ في الإسلامِ، ويعضُدُهُ قولُه عليه السَّلامُ لأبي الدَّرداءِ: «إنَّ فيكَ جاهليَّةً» قال: جاهِليَّةُ كُفْرٍ أو إسلامٍ؟ قال «جاهليَّةُ كُفرٍ»[3].

﴿وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في سائرِ ما أمرَكُم به ونهاكُم عنه.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢١)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٩٨٩) عن الحكم.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٩٩) عن ابن زيد مرسلًا.

﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ﴾: الذَّنبَ المدنِّسَ لعِرضِكُم، وهو تعليلٌ لأمرِهنَّ ونهيهنَّ على الاستئنافِ، ولذلك عمَّمَ الحكمَ.

﴿أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾ نصبٌ على النِّداءِ أو المدحِ ﴿وَيُطَهِّرَكُمْ﴾ عن المعاصي ﴿تَطْهِيرًا﴾.

واستعارةُ الرِّجسِ للمَعصِيَةِ، والتَّرشيحُ بالتَّطهيرِ للتَّنفيرِ عنها.

وتخصيصُ الشِّيعَةِ أهلَ البيتِ بفاطمَةَ وعليٍّ وابنَيهِما رضيَ اللهُ عَنْهُم لِمَا رُوِيَ أَنَّه عليه السَّلامُ خرجَ ذاتَ غُدوَةٍ وعليه مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِن شعرٍ أسودَ فجلسَ، فأَتَت فاطمَةُ فأدخلَها فيه، ثمَّ جاءَ عَلِيٌّ فأدخلَهُ فيه، ثمَّ جاءَ الحَسَنُ والحُسَينُ فأدخلَهُمَا فيه، ثمَّ قال: «﴿إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ ٱلرِّجْسَ أَهْلَ ٱلْبَيْتِ﴾» والاحتجاجُ بذلك على عِصمَتِهِم وكونِ إجماعِهِم حُجَّةً= ضَعيفٌ؛ لأنَّ التَّخصيصَ بهم لا يناسبُ ما قبلَ الآيةِ وما بعدَها، والحديثُ يَقتَضِي أَنَّهم أهلُ البيتِ لا أَنَّه ليسَ غيرُهُم.

قوله: «ويَعضُدُهُ قولُه عليهِ السَّلامُ لأبي الدَّرداءِ: «إنَّ فيكَ جاهليَّةً»، قال: جاهليَّةُ كُفرٍ أو إسلامٍ؟ قال: «بَلْ جاهليَّةُ كُفرٍ»:

قال الشَّيخُ وَلِيُّ الدِّينِ العِراقيُّ: هذا لا يُعرَفُ، وإنَّما في الصَّحيحينِ مِن حَديثِ أبي ذرٍّ أَنَّه ﷺ قال له: «إنَّكَ امرؤٌ فيكَ جاهليَّةٌ»(١).

قوله: «رُوِيَ أَنَّه عليه السَّلامُ خرجَ ذاتَ غدوَةٍ وعليهِ مِرْطٌ مُرَحَّلٌ مِن شَعرٍ أسوَدَ..) الحديث:

أخرجَه مُسلِمٌ مِن حَديثِ عائشَةَ نحوَه(٢).

---

(١) رواه البخاري (٣٠)، ومسلم (١٦٦١).

(٢) رواه مسلم (٢٠٨١).

(٣٤) - ﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾.

﴿ وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلْحِكْمَةِ ﴾: من الكتابِ الجامعِ بينَ الأمرينِ، وهو تذكيرٌ بما أنعمَ عليهنَّ حيثُ جعلهنَّ أهلَ بيتِ النبوَّةِ ومَهْبِطَ الوحيِ، وما شاهدنَ مِن بُرَحَاءِ الوَحيِ ممَّا يوجبُ قوَّةَ الإيمانِ والحرصَ على الطَّاعةِ؛ حثًّا على الانتهاءِ والائتمارِ فيما كُلِّفنَ بهِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴾ يعلمُ ويُدبِّرُ ما يَصلحُ في الدِّينِ، ولذلك خيَّركُنَّ ووعظَكُنَّ، أو يعلمُ مَن يصلحُ لنُبوَّتِه ومَن يصلحُ أن يكونَ أهلَ بيتِه.

(٣٥) - ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا ﴾.

﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ ﴾: الدَّاخِلينَ في السِّلمِ المُنقادِينَ لحُكْمِ اللهِ.

﴿وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾: المصدِّقينَ بما يجِبُ أن يصدَّقَ به[1].

﴿وَٱلْقَٰنِتِينَ وَٱلْقَٰنِتَٰتِ ﴾: المُداومينَ على الطَّاعةِ.

﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ ﴾ في القولِ والعَملِ.

﴿وَٱلصَّٰبِرِينَ وَٱلصَّٰبِرَٰتِ ﴾ على الطَّاعاتِ وعن المعاصي.

﴿وَٱلْخَٰشِعِينَ وَٱلْخَٰشِعَٰتِ ﴾: المتواضعينَ للهِ بقُلوبِهم وجوارِحِهم.

(١) «به» من (ض).

﴿وَٱلْمُتَصَدِّقِينَ وَٱلْمُتَصَدِّقَٰتِ﴾ بما وجبَ في مالِهم.

﴿وَٱلصَّٰٓئِمِينَ وَٱلصَّٰٓئِمَٰتِ﴾ الصَّومَ المَفروضَ.

﴿وَٱلْحَٰفِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَٱلْحَٰفِظَٰتِ﴾ عن الحرامِ.

﴿وَٱلذَّٰكِرِينَ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱلذَّٰكِرَٰتِ﴾ بقُلوبِهم وألسِنَتِهم.

﴿أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً﴾ لِمَا اقترَفُوا من الصَّغائرِ لأنَّهنَّ مُكفِّراتٌ ﴿وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ على طاعَتِهم، والآيةُ وَعدٌ لهنَّ ولأمثالهنَّ على الطَّاعةِ والتدرُّعِ بهذه الخِصالِ.

رُوِيَ أنَّ أزواجَ النَّبيِّ قُلنَ: يا رسولَ اللهِ! ذكرَ اللهُ الرِّجالَ في القرآنِ بخيرٍ، فما فينا خيرٌ نُذكرُ به؟ فنزلَتْ.

وقيل: لَمَّا نزلَ فيهنَّ ما نزلَ، قال نِساءُ المسلمينَ: فما نزلَ فينا شَيءٌ؟ فنزلَتْ.

وعطفُ الإناثِ على الذُّكورِ لاختلافِ الجنسينِ وهو ضروريٌّ، وعطف الزَّوجينِ على الزَّوجينِ لتغايُرِ الوَصفينِ فليسَ بضَروريٍّ، ولذلك تركَ في قولِه: ﴿مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥]، وفائدَتُه: الدَّلالةُ على أنَّ إعدادَ(١) المعَدِّ لهم للجمعِ بينَ هذه الصِّفاتِ.

قوله: «رُوِيَ أنَّ أزواجَ النبيِّ ﷺ قُلنَ: يا رَسولَ الله! ذكرَ اللهُ الرِّجالَ في القرآنِ بخير..» إلى آخره:

رواهُ الطَّبرانيُّ وابنُ مردويهِ عن ابنُ عبَّاسٍ نحوَه(٢).

---

(١) في (ت): «الإعداد».

(٢) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (١٢٦١٤)، وابن مردويه كما في «الدر المنثور» (٦/ ٦٠٨)، ورواه أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١١)، ولفظه: قلن النساء: يا رسول الله! ما باله يذكر المؤمنين، ولا يذكر المؤمنات؟ فنزلت ﴿إِنَّ ٱلْمُسْلِمِينَ وَٱلْمُسْلِمَٰتِ وَٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩١): «رواه الطبراني، وفيه قابوس وهو ضعيف وقد وثق، وبقية =

قوله: «وقيل: لَمَّا نزَلَ فيهنَّ ما نزَلَ قالَ نِساءُ المُسلمينَ: فما نزلَ فينا شيءٌ؟ فنزَلَت».

رواه ابنُ جَريرٍ مِن حَديثِ قَتادةَ مُرسَلًا[1].

(٣٦) - ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾.

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ﴾: ما صحَّ له ﴿إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا﴾؛ أي: قَضى رَسولُ اللهِ، وذكرُ اللهِ لتَعظيمِ أمرِه، والإشعارِ بأنَّ قَضاءَه قضاءُ اللهِ؛ لأنَّه نزلَ في زينبَ بنتِ جَحشٍ بنتِ عمَّتِه أُميمةَ بنتِ عبدِ المطَّلبِ، خطبَها رَسولُ اللهِ لزيدِ بنِ حارثةَ فأَبَتْ هيَ وأَخوهَا عبدُ اللهِ.

وقيل: في أُمِّ كُلثومٍ بنتِ عُقبةَ؛ وهبَتْ نفسَهَا للنَّبيِّ عليهِ السَّلامُ فزَوَّجَها مِن زَيدٍ.

﴿أن تَكُونَ لهم الخِيَرَةُ مِن أَمرِهم﴾: أن يختاروا مِن أَمرِهم شيئًا، بل يَجِبُ عليهِم أَنْ يجعَلُوا اختيارَهُم تَبَعًا لاختيارِ اللهِ ورَسُولِه، والخِيَرَةُ: ما يُتَخيَّرُ، وجمعُ الضَّميرِ الأوَّلِ لعمومِ (مُؤمِنٍ) و(مؤمنةٍ) مِن حيثُ إنَّهما في سياقِ النَّفيِ، وجمعُ الثَّاني للتَّعظيمِ.

وقرأَ الكوفيُّونَ وهِشامٌ[2]: ﴿يَكُونَ﴾ بالياءِ[3].

﴿وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَٰلًا مُّبِينًا﴾ بيِّنَ الانحرافِ عن الصَّوابِ.

= رجاله ثقات». وحسن إسناده المصنف في الموضع المذكور من «الدر المنثور».

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٠٩)، ورواه أيضاً عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٣٤٣).

(٢) «وهشام»: ليس في (ض).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

قوله: «نزلَ في زَينبَ بنتِ جَحشٍ..» إلى آخره:

رواه الدَّارقطنيُّ مِن حَديثِ زينبَ بنتِ جَحشٍ بسنَدٍ ضَعيفٍ(١).

قوله: «وقيلَ: في أُمِّ كُلْثوم..» إلى آخره:

رواه ابنُ جَريرٍ عن ابنِ زيدٍ(٢).

قوله: «وجمعُ الضَّميرِ الأوَّلِ لعُمومِ (مُؤمنٍ) و(مُؤمِنَةٍ) مِن حيثُ إنَّهما في سياقِ النَّفيِ»: قال في «الكشَّاف»: وكانَ مِن حَقِّهِ أن يوحَّدَ(٣).

قال أبو حيَّان: ليسَ كما ذكرَ؛ لأنَّ هذا عطفٌ بالواوِ، فلا يَجوز إفرادُ الضَّميرِ(٤).

(٣٧) ـ ﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴾.

﴿ وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ﴾ بتوفيقِه للإسلامِ، وتَوفيقِكَ لعِتقِه واختِصاصِه ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بما وفَّقكَ اللهُ فيهِ وهو زيدُ بن حارثةَ:

---

(١) رواه الدارقطني في «سننه» (٣٧٩١)، ورواه أيضاً الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٤/ ٣٩)، وفيه الحسين بن أبي السري وحفص بن سليمان، قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١١٠): الحسين بن أبي السري ضعفه أبو داود وغيره، وحفص بن سليمان الأسدي قال البخاري: تركوه. ورواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٢ و١١٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما بإسنادين ضعيفين.

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٤)، وهو معضل.

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ٥٣).

(٤) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٣٢٧)، وتمام عبارته: «فلا يجوز تأويل الضمير إلا على تأويل الحذف...»، وذكر أمثلة على ذلك.

﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ زينبَ، وذلك أنَّه عليه السَّلامُ أبصرَهَا بعدَما أنكحَها إيَّاهُ فوقعتْ في نفسهِ، فقال: «سُبحانَ اللهِ مُقلِّبِ القُلوبِ»، وسَمِعَت زينَبُ بالتَّسبيحَةِ فذكرَتْ لزيدٍ، ففَطِنَ لذلك ووقعَ في نفسِهِ كراهَةُ صُحبتِها، فأتى النبيَّ وقال: أُرِيدُ أَنْ أُفارِقَ صاحِبَتِي، فقال: «ما لك، أرابَك مِنها شيءٌ؟» قال: لا واللهِ ما رأيتُ مِنْها إلا خيرًا، ولكنَّها لشَرَفِها تتعظَّمُ عليَّ، فقالَ له: «﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾»(١).

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١١١): غريب بهذا اللفظ. وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٣٤): ذكره الثعلبي بغير سند، وأخرج الطبري معناه من رواية عبد الرحمن بن زيد بن أسلم قوله.

قلت: هو في «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٤٥٢)، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٦) عن ابن زيد.

وهذا الحديث لا يصح سنداً ولا متناً، أما السند فلانقطاعه مع ضعف ابن زيد نفسه، وأما المتن فلما في قوله: «أبصرَهَا بعْدَما أنكحهَا إيَّاهُ فوقَعتْ في نفْسِه»، وللقاضي عياض في الرد على هذا الخبر في كتابه «الشفا» كلام طويل، وقد نقل عن القشيري قوله: وكيف يقال: رآها فأعجبَتْه، وهي بنتُ عمَّتِه، ولم يزَلْ يراها منذُ وُلِدَت، ولا كان النساءُ يحتجِبْنَ منه عليه السلام؟ وهو زوَّجَها لزيدٍ، وإنَّما جعلَ اللهُ تعالى طلاقَ زيدٍ لها، وتزويجَ النبيِّ ﷺ إياها؛ لإزالةِ حرمةِ التبنِّي وإبطالِ سنَّتِه؛ كما قال الله تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٤٠]، وقال تعالى: ﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧].

وقال أيضاً: وأصحُّ ما في هذا ما حكاه أهلُ التفسيرِ عن عليِّ بن الحسينِ رضي الله عنهما: أنَّ اللهَ تعالى كان أعلمَ نبيَّه عليه السلام أنَّ زينبَ ستكونُ من أزواجِه، فلمَّا شكَاها إليه زيدٌ قال له: ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]، وأخفَى في نفسِه ما أعلمَه اللهُ تعالى به من أنَّه سيتزوَّجُها ممَّا اللهُ مُبدِيه ومُظهِرُه بتمامِ التزويجِ وطلاقِ زيدٍ لها.

قلت: خبر علي بن الحسين رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٦ ـ ١١٧)، والبيهقي في «الدلائل» (٣/ ٤٦٦).

﴿وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ في أمرِها فلا تُطَلِّقْها ضرارًا وتعلُّلًا بتكبُّرِها.

﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ وهو نِكاحُها إن طلَّقَها، أو إرادةُ طَلاقِها.

﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ تعييرَهُم إيَّاكَ به ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ إن كانَ فيه ما يُخشى، والواوُ للحالِ، وليسَتِ المُعاتبَةُ على الإخفاءِ وحدَهُ فإنه حَسَنٌ، بل على الإخفاءِ مخافةَ قالَةِ النَّاسِ وإظهارِ ما يُنافي إضمارَهُ، فإنَّ الأَوْلَى في أمثالِ ذلك أن يَصمُتَ أو يفوِّضَ الأمرَ إلى ربِّه.

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾: حاجةً بحيثُ ملَّهَا[١] ولم يبقَ له فيها حاجَةٌ، وطَلَّقَها وانقضَتْ عدتُها ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾.

وقيل: قضاءُ الوَطَرِ كنايَةٌ عن الطَّلاقِ؛ مثل: لا حاجةَ لي فيكِ.

وقُرِئَ: (زَوَّجْتُكَها)[٢] والمعنى: أنَّه أَمَرَ بتَزويجِها منه، أو جعلَهَا زَوْجتَهُ بلا واسطةِ عقدٍ، ويؤيِّدُه: أنَّها كانَتْ تقولُ لسَائرِ نساءِ النَّبيِّ: إنَّ اللهَ تَولَّى إنكاحِي وأنتنَّ زَوَّجَكُنَّ أَولياؤكنَّ[٣].

وقيل: كانَ زيدٌ السَّفيرَ في خطبَتِها[٤]، وذلك ابتلاءٌ عظيمٌ وشاهدٌ بيِّنٌ على قوَّةِ إيمانِه.

---

(١) في (ت): «ملَّ».

(٢) نسبت لعلي بن أبي طالب وأولاده الحسن والحسين ومحمد ابن الحنفية رضي الله عنهم، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٨٧)، و«البحر» (١٧/ ٣٣١)، وتحرفت في مطبوع «مختصر الشواذ» إلى: «زوجنكها» بالنون.

(٣) رواه البخاري (٧٤٢٠) عن أنس رضي الله عنه بلفظ: فكانت زينب تفخر على أزواج النبي ﷺ تقول: زوجكن أهاليكن، وزوجني الله تعالى من فوق سبع سموات.

(٤) رواه مسلم (١٤٢٨) من حديث أنس رضي الله عنه.

﴿لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْاْ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ علَّةٌ للتزويجِ، وهو دليلٌ على أنَّ حُكمَهُ وحكمَ الأمَّةِ واحدٌ إلَّا ما خصَّهُ الدَّليلُ.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ﴾: أمرُه الذي يريدُه ﴿مَفْعُولًا﴾: مكونًا لا محالةَ كما كان تزويجُ زينبَ.

قوله: «وذلك أنَّه عليه السَّلامُ أبصرَهَا...» إلى آخره:

رواهُ ابنُ جَريرٍ عن ابنِ زيدٍ[1].

قوله: «والواوُ للحَالِ»:

قال أبو حيَّان: لا يكونُ ﴿وَتُخْفِي﴾ حالًا إلَّا عَلى إضمارِ مُبتدأٍ؛ أي: وأنتَ تُخفي؛ لأنَّه مُضارعٌ مثبَتٌ فلا يدخلُ عليه الواوُ إلَّا على ذلكَ الإضمارِ، وهو مع ذلكَ قليلٌ نادِرٌ لا تُبنى على مِثلِه القواعدُ[2].

وقالَ الطِّيبيُّ: الجملُ الثلاثُ الواوُ فيها للحالِ على سبيلِ التَّداخلِ، فقولُه: ﴿وَتُخْفِي﴾ حالٌ مِن المستترِ في ﴿تَقُولُ﴾، و﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ حالٌ مِن فاعلِ (تخفي)، و﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ﴾ حالٌ مِن فاعلِ (تخشى)[3].

(٣٨) ـ ﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ ۖ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾.

﴿مَّا كَانَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ ٱللَّهُ لَهُۥ﴾: قَسَمَ له وقدَّرَ، مِن قولِهم: فرَضَ له في الدِّيوانِ، ومنه: فروضُ العساكرِ، لأرزاقِهم.

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١١٦)، وانظر التعليق السابق.

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٣٣١).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٤٣٥).

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾: سنَّ ذلك سُنَّتَهُ ﴿فِي ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ﴾ من الأنبياءِ، وهي[1] نفيُ الحرجِ عَنْهُم فيما أباحَ لَهُم.

﴿وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾: قضاءً مَقضيًّا وحُكمًا مَبتوتًا.

(٣٩) - ﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ ۗ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾.

﴿ٱلَّذِينَ يُبَلِّغُونَ رِسَٰلَٰتِ ٱللَّهِ﴾ صفةٌ لـ﴿ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟﴾ أو مدحٌ لَهُم منصوبٌ أو مرفوعٌ.

وقُرِئَ: (رسالةَ اللهِ)[2].

﴿وَيَخْشَوْنَهُۥ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا ٱللَّهَ﴾ تعريضٌ بعدَ تصريحٍ ﴿وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾: كافِيًا للمَخاوِفِ، أو: محاسبًا فينبغي أن لا يُخْشَى إلَّا منه.

(٤٠) - ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ على الحقيقةِ فيَثْبُتَ بينَهُ وبينَه ما بينَ الوالدِ ووَلَدِهِ مِن حُرمَةِ المصاهرَةِ وغيرِها، ولا ينتقضُ عمومُهُ بكونِه أبًا للطَّاهرِ والقاسمِ وإبراهيمَ؛ لأنَّهم لم يَبلُغوا مبلغَ الرِّجالِ ولو بلَغُوا كانوا رجالَهُ لا رِجالَهُم.

﴿وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ﴾ وكلُّ رسولٍ أبو أمَّتِه، لا مطلقًا، بل مِن حيثُ إنَّه شَفِيقٌ ناصِحٌ لهم واجبُ التَّوقيرِ والطَّاعةِ عليهِم، وزيدٌ مِنْهُم ليسَ بينَهُ وبينَهُ ولادةٌ.

---

(١) في (خ) و(ض) و(ت): «وهو».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠) عن أبي بن كعب رضي الله عنه.

وقُرِئَ: (رسولُ اللهِ) بالرَّفعِ[1] على أنَّه خبرُ مُبتدأٍ محذوفٍ.

(ولكنَّ) بالتَّشديد[2] على حذف الخَبر؛ أي: ولكنَّ رسولَ الله مَن عرَفتُم أنه لم يَعِشْ له وَلدٌ ذَكَرٌ.

﴿وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـنَ﴾: وآخرَهُم الذي ختمَهُم، أو خُتِمُوا بـه على قراءةِ عاصمٍ بالفَتحِ[3]، ولو كانَ له ابنٌ بالغٌ لاقَ منصبَه بأن يكونَ نبيًّا كما قالَ عليه السَّلامُ في إبراهيمَ حينَ تُوفِّيَ: «لو عاشَ لكانَ نَبيًّا».

ولا يقدحُ فيه نزولُ عيسى عليهِ السَّلامُ بعدَهُ؛ لأنَّه إذا نزلَ كانَ على دينِهِ، مع أنَّ المرادَ مِنه أنَّه آخرُ مَن نُبِّئَ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىۡءٍ عَلِيمًا﴾ فيعلَمُ مَن يليقُ بأنْ يَختمَ به النبوَّةَ وكيفَ ينبَغِي شأنُه.

قوله: «كما قالَ عليهِ السَّلامُ في إبراهيمَ حينَ تُوفِّيَ: لو عاشَ لكانَ نَبيًّا»:

أخرجَه ابنُ ماجَه مِن حَديثِ ابن عبَّاسٍ[4].

---

(١) ذكرها ابن مجاهد كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١)

(٢) رويت عن أبي عمرو في غير المشهور عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١)، و«المحتسب» (٢/ ١٨١).

(٣) وقرأ الباقون بكسرها، انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٢)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

(٤) رواه ابن ماجه (١٥١١)، وإسناده ضعيف جدًّا، فيه إبراهيم بن عثمان أبو شيبة الكوفي قاضي واسط، قال عنه الحافظ في «التقريب»: متروك الحديث.

قال النووي في «تهذيب الأسماء واللغات» (١/ ١٠٣): وأما ما روي عن بعض المتقدمين: (لو عاش إبراهيم لكان نبيًا) فباطلٌ، وجَسارة على الكلام في المغيَّباتِ، ومجازَفةٌ وهجومٌ على عظيم مِن الزَّلاتِ.

قلت: قد روى البخاري (٦١٩٤) عن ابن أبي أوفى قوله: ولو قُضي أن يكون بعد محمد نبيٌّ عاش ابنه، ولكن لا نبيَّ بعده.

=

(٤١ ـ ٤٤) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾ هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ لِيُخۡرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِۚ وَكَانَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَحِيمٗا ﴿٤٣﴾ تَحِيَّتُهُمۡ يَوۡمَ يَلۡقَوۡنَهُۥ سَلَٰمٞۚ وَأَعَدَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَرِيمٗا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ ذِكۡرٗا كَثِيرٗا﴾ يَغْلِبُ الأوقاتَ ويعمُّ أنواعَ ما هو أهلُه مِن التَّقديسِ والتَّحميدِ والتَّهليلِ والتَّمجيدِ.

﴿وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا﴾: أوَّلَ النَّهارِ وآخرَه خصوصًا، وتخصيصُهما بالذِّكرِ للدَّلالةِ على فَضلِهما على سائرِ الأوقاتِ لكونِهما مَشهودينَ؛ كإفرادِ التَّسبيحِ من جُملةِ الأذكارِ لأنَّه العُمدةَ فيها.

وقيل: الفعلانِ مُوجَّهانِ إليهما[1].

وقيل: المرادُ بالتَّسبيحِ الصَّلاةُ.

﴿هُوَ ٱلَّذِي يُصَلِّي عَلَيۡكُمۡ﴾ بالرَّحمةِ ﴿وَمَلَٰٓئِكَتُهُۥ﴾ بالاستغفارِ لكم والاهتمامِ بما يُصلِحُكُم، والمرادُ بالصَّلاةِ: المُشترَكُ، وهو العنايةُ بصلاحِ أمرِكُم وظهورِ شَرَفِكُم، مستعارٌ مِن الصَّلْوِ[2].

وقيل: التَّرحُّمُ والانعطافُ المعنويُّ، مأخوذٌ مِن الصَّلاةِ المشتمِلَةِ على الانعطافِ[3] الصُّوْريِّ الذي هو الرُّكوعُ والسُّجودُ، واستغفارُ الملائكة ودعاؤُهم

= وروى الإمام أحمد في «المسند» (١٢٣٥٨) بإسناد حسن عن أنس قال: لو عاش إبراهيمُ ابنُ النبيِّ ﷺ لكان صِدِّيقًا نبيًّا.

(١) قوله: «الفعلان»؛ أي: (اذكروا) و(سبحوا). انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٧٧).

(٢) قوله: «مستعار من الصَّلْو» بإسكان اللام واحد الصَّلَوين، وهما عِرْقان ـ وقيل: عظمان ـ ينحنيان في الركوع والسجود. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٧٧).

(٣) في (ض): «المشتمل للانعطاف».

للمؤمنينَ تَرحُّمٌ عليهِمْ، سِيَّمَا وهو سَببٌ للرَّحمةِ مِن حيثُ إنَّهُم مجابُو الدَّعوةِ.

﴿لِيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ﴾: مِـن ظلمـاتِ الكفـرِ والمعصيـةِ إلـى نـورِ الإيمـانِ والطَّاعةِ.

﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ حتَّـى اعتنـى بصَـلاحِ أمرِهـم وإنافـةِ قَدْرِهـم، واسـتعملَ فـي ذلـك ملائكتَـه المقرَّبيـنَ.

﴿تَحِيَّتُهُمْ﴾ مِن إضافةِ المصدرِ إلى المفعولِ؛ أي: يُحَيَّوْنَ ﴿يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ﴾: يومَ لقائِه عندَ الموتِ، أو الخروجِ عن القبرِ، أو دخولِ الجنَّةِ ﴿سَلَٰمٌ﴾: إخبارٌ بالسَّلامةِ عن كلِّ مَكروهٍ وآفةٍ.

﴿وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا﴾ هـي الجنَّـةُ، ولعـلَّ اختلافَ النَّظـمِ لِمُحافظَـةِ الفواصلِ والمُبالغـةِ فيما هـو أهَمُّ.

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذْنِهِۦ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا﴾ على مَن بُعِثْتَ إليهم بتَصديقِهم وتَكذيبِهم، ونَجاتِهم وضلالِهم، وهو حالٌ مُقدَّرةٌ.

﴿وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٤٥﴾ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ﴾: إلـى الإقـرارِ بـه وبتَوحيـدِهِ، ومـا يجـبُ الإيمـانُ بـه مِـن صِفاتِه.

﴿بِإِذْنِهِۦ﴾: بتَيسيرِه، أطلقَ له مِن حيثُ إنَّه مِن أَسبابِه[1]، وقيدَ به الدَّعوَةَ إيذانًا بأنَّه[2] أمرٌ صعبٌ لا يَتأتَّى إلا بمعونةٍ مِن جَنابِ قُدسِه.

---

(١) قوله: (أطلق له)؛ أي: أطلق الإذن للتيسير، بمعنى أنه عبَّر به عنه «من حيث إنه»؛ أي: الإذن «من أسبابه»؛ أي: التيسير. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٧٨).

(٢) قوله: (إيذاناً بأنه)؛ أي: بأن الدعاء إلى الإيمان. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٧٨).

﴿وَسِرَاجًا مُّنِيرًا﴾ يُستضاءُ به عن ظُلماتِ الجهالَةِ، ويُقتبَسُ مِن نورِهِ أنوارُ البصائرِ.

(٤٧ ـ ٤٨) ـ ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا ۝٤٧ وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ وَدَعْ أَذَاهُمْ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾.

﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ على سائرِ الأُمَمِ أو على أجرِ أعمالِهِم، ولعلَّه معطوفٌ على مَحذوفٍ مثل: فراقِبْ أحوالَ أُمَّتِك.

﴿وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ﴾ تهييجٌ له على ما هو عليهِ مِن مُخالَفَتِهم ﴿وَدَعْ أَذَاهُمْ﴾: إيذاءَهُم إيَّاكَ ولا تحتَفِل بهِ، أو: إيذاءَكَ إيَّاهُم مجازاةً ومؤاخَذةً على كُفرِهِم، ولذلك قيل: إنَّه مَنسوخٌ.

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾ فإنَّه يَكفيكَهُم ﴿وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا﴾: مَوكولًا إليهِ الأمرُ في الأحوالِ كلِّها.

ولعلَّه تَعالى لَمَّا وَصفَهُ بخمسِ صِفَاتٍ قابَلَ كُلًّا مِنْها بخطابٍ يناسِبُه، فحَذَفَ مقابلَ الشَّاهدِ ـ وهو الأمرُ بالمراقبَةِ ـ لأنَّ ما بعدَهُ كالتَّفصيلِ له، وقابلَ المبشِّرَ بالأَمرِ ببشارةِ المؤمنينَ، والنَّذيرَ بالنَّهيِ عن مُراقبَةِ الكُفَّارِ والمبالاةِ بأذاهُم، والدَّاعيَ إلى اللهِ بتَيسيرِهِ بالأمرِ بالتَّوكُّلِ عليهِ، والسِّراجَ المُنيرَ بالاكتفاءِ به، فإنَّ مَن أنارَهُ اللهُ بُرهانًا على جميعِ خلقِهِ كانَ حَقيقًا بأَنْ يَكتَفِيَ به عن غيرِه.

(٤٩) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَكَحْتُمُ الْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾: تُجامِعُوهُنَّ. وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ بألفٍ وضَمِّ التَّاءِ(١).

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٢).

﴿فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ﴾: أيامٍ يتربَّصْنَ فيها بأنفسِهنَّ ﴿تَعْتَدُّونَهَا﴾: تَسْتوفونَ عَدَدَها، مِن عَدَدْتُ الدَّراهِمَ فاعتَدَّها، كقولِك: كِلْتُه فاكتَالَهُ، أو: تَعدُّونها، والإسنادُ إلى الرِّجالِ للدلالةِ على أنَّ العِدَّةَ حقُّ الأزواجِ كما أشعرَ به[1] ﴿فَمَا لَكُمْ﴾.

وعن ابنِ كثيرٍ: (تَعْتَدُونَها) مخفَّفًا[2] على إبدالِ إحدى الدَّالينِ بالتَّاءِ، أو على أنَّه مِن الاعتداءِ بمَعنى: تَعْتَدُونَ فيها.

وظاهرُه يَقتَضِي عدمَ وُجوبِ العدَّةِ بمجرَّدِ الخَلوَةِ، وتخصيصُ المؤمناتِ ـ والحكمُ عامٌّ ـ للتَّنبيهِ على أنَّ مِن شأنِ المؤمنِ أنْ لا يَنكحَ إلا مؤمنةً تخيُّرًا لنُطَفِه، وفائدةُ ﴿ثُمَّ﴾ إزاحةُ ما عسى يُتوهَّمُ أنَّ تَراخِيَ الطَّلاقِ ريثَما تُمْكِنُ الإصابةُ كما يؤثِّرُ في النَّسبِ يؤثِّرُ في العدَّةِ.

﴿فَمَتِّعُوهُنَّ﴾؛ أي: إن لم يَكُن مَفروضًا لها فإنَّ الواجِبَ للمَفروضِ لها نصفُ المَفروضِ دونَ المتعةِ، ويجوزُ أن يُؤَوَّلَ التَّمتيعُ بما يَعمُّهُما، أو الأمرِ بالمُشتركِ بينَ الوُجوبِ والنَّدبِ، فإنَّ المتعةَ سنَّةٌ للمَفروضِ لها.

﴿وَسَرِّحُوهُنَّ﴾: أخرجوهُنَّ مِن مَنازِلِكُم إذ ليسَ لكم عليهنَّ عدَّةٌ ﴿سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ مِن غيرِ ضرارٍ ولا منعِ حَقٍّ، ولا يجوزُ تَفسيرُه بالطَّلاقِ السُّنِّيِّ؛ لأنَّه مُرتَّبٌ على الطَّلاقِ، والضَّميرُ لغيرِ المدخولِ بهنَّ.

---

(١) في (ض) زيادة: «قوله».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠)، والمشهور عنه مثل قراءة الجمهور بالتشديد.

(٥٠) - ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۗ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ ﴾: مُهورَهُنَّ؛ لأنَّ المهرَ أجرٌ على البُضْعِ، وتقييدُ الإحلالِ لَهُ بإعطائِها معجَّلةً لا لتوقُّفِ الحِلِّ عليه بل لإيثارِ الأفضلِ له؛ كتَقييدِ إحلالِ المملوكَةِ بكونِها مَسبيَّةً بقولِه: ﴿وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ ﴾ فإنَّ المُشتراةَ لا يَتحقَّقُ بَدءُ أَمرِها وما جرَى عَلَيْها[1]، وتقييدِ القرائبِ بكونِها مُهاجراتٍ معَه في قوله: ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ ﴾.

ويحتملُ تَقييدُ الحِلِّ بذلك في حَقِّهِ خاصَّةً، ويعضُدُه قولُ أمِّ هانئٍ بنتِ أبي طالبٍ: خَطَبَني رَسولُ اللهِ ﷺ فاعتذَرْتُ إليهِ، فعَذَرني، ثمَّ أنزلَ اللهُ هذه الآيَةَ، فلم أَحِلَّ له لأنِّي لم أُهاجِرْ معَهُ، كنتُ مِن الطُّلَقاءِ.

---

(١) قوله: «بكونها مسبية»؛ أي: باشر سباءها وشاهده، وقوله: «لا يتحقق بدء أمرها» لجواز كون السبي ليس في محله. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٧٩).

وفي «حاشية ابن التمجيد» (١٥/ ٣٩١): «بدوّ أمرها» قال: البدوُّ على وزن العتوِّ، من بدا يبدو بمعنى: ظهر، أي: فإن الجارية المشتراة لا يتحقق ظهور أمرها في الحل؛ إذ يحتمل أن تكون مغصوبة بخلاف التي سباها المالك من دار الحرب فإنها لا تحتمل غير الحل.

﴿وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ﴾ نصبٌ بفعلٍ يُفسِّرُه ما قبلَهُ، أو عطفٌ على ما سبقَ، ولا يَدفَعُه التَّقييدُ بـ﴿إِن﴾ التي للاستقبالِ فإنَّ المعنيَّ بالإحلالِ: الإعلامُ بالحلِّ؛ أي: أعلَمْناكَ حِلَّ امرأةٍ مُؤمِنَةٍ تَهَبُ لك نفسَها ولا تطلبُ مهرًا إن اتَّفقَ، ولذلك نكَّرَها.

واختُلِفَ في اتِّفاقِ ذلك، والقائلُ به ذكرَ أربعًا: ميمونةَ بنتَ الحارثِ، وزينبَ بنتَ خُزَيمةَ الأنصاريَّةَ، وأمَّ شَرِيكٍ بنتَ جابرٍ، وخولَةَ بنتَ حكيمٍ[1].

وقُرِئَ: (أن) بالفتحِ[2]؛ أي: لأَنْ وهبَتْ، أو: مُدَّةَ أن وهبَتْ، كقولِك: (اجلِسْ ما دامَ زيدٌ جالسًا).

﴿إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا﴾ شرطٌ للشَّرطِ الأوَّلِ في استيجابِ الحلِّ؛ فإنَّ هِبَتَها نفسَها منه لا تُوجِبُ له حِلَّها إلَّا بإرادَتِه نكاحَها، فإنَّها جارِيَةٌ مَجرى القَبولِ.

والعدولُ عن الخِطابِ إلى الغَيبَةِ بلفظِ النَّبِيِّ مكرَّرًا، ثمَّ الرُّجوعُ إليهِ في قَوْلِه: ﴿خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ = إيذانٌ بـأنَّه مما خُصَّ به لشرفِ نُبوَّتِه، وتقريرٌ لاستحقاقِه الكرامةَ لأجلِه.

واحتجَّ به أصحابُنا على أنَّ النِّكاحَ لا ينعقِدُ بلفظِ الهبَةِ؛ لأنَّ اللفظَ تابعٌ للمَعنى، وقد خُصَّ عليه السَّلامُ بالمعنى فيختصُّ باللفظِ.

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٤٩٦).

(٢) وهي قراءة الحسن، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٤٥)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١).

والاستنكاحُ: طلبُ النّكاحِ والرَّغبةُ فيه.

و﴿خَالِصَةً﴾ مَصدرٌ مُؤكَّدٌ؛ أي: خلصَ إحلالُها أو إحلالُ ما أحلَلْنا لكَ على القيودِ المذكورةِ خلوصًا لك، أو حالٌ مِن الضَّميرِ في ﴿وَهَبَتْ﴾، أو صفةٌ لِمصدرٍ مَحذوفٍ؛ أي: هِبَةً خالصَةً.

﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ﴾ مِن شَرائطِ العقدِ، ووُجوبِ القَسْمِ، والمهرِ بالوَطءِ حيثُ لم يُسَمَّ.

﴿وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ﴾ مِن تَوسيعِ الأمرِ فيها أنَّه كيفَ يَنبَغي أنْ يفرضَ عليهِم[1]، والجملةُ اعتراضٌ بينَ قولِه: ﴿لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ﴾ ومُتعلِّقِه وهو ﴿خَالِصَةً﴾ للدَّلالةِ على أنَّ الفرقَ بينَهُ وبينَ المؤمنينَ في نحوِ ذلكَ لا لمُجرَّدِ[2] قصدِ التَّوسيعِ عليه، بل لِمَعانٍ تَقتَضي التَّوسيعَ عليه والتَّضييقَ عليهِمْ تارَةً، والعكسَ أُخرى.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِمَا يَعسُرُ التَّحرُّزُ عنه ﴿رَّحِيمًا﴾ بالتَّوسِعَةِ في مَظانِّ الحرجِ.

قوله: «ويعضُدُه قولُ أمِّ هانئٍ بنتِ أبي طالبٍ: خطبَني رَسولُ اللهِ ﷺ فاعتذرتُ إليهِ، فعَذَرَني»:

أخرجَه التِّرمذيُّ والحاكِمُ[3].

---

(١) قوله: «من توسيع الأمر فيها» بعدم تعيين العدد كالحرائر، وقوله: «كيف ينبغي..» معمول «علمنا»؛ أي: علمنا ما ينبغي فيه وفعلناه على مقتضى علمنا وحكمتنا. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٨٠).

(٢) في (أ) و(ت): «لا بمجرد».

(٣) رواه الترمذي (٣٢١٤) وحسنه، ورواه الحاكم في «المستدرك» (٢٧٥٤) وصححه.

قوله: «أو عَطفٌ على ما سبَقَ ولا يدفعُه التَّقييدُ بـ﴿إِن﴾..» إلى آخره: مأخوذٌ مِن كلامِ أبي البَقاءِ حيث قال: في ناصب ﴿وَٱمۡرَأَةً﴾ وجهان:

أحدُهما: ﴿أَحۡلَلۡنَا﴾ في أوَّلِ الآيةِ، وقَدْ رَدَّ هذا قومٌ وقالوا: ﴿أَحۡلَلۡنَا﴾ ماضٍ و﴿إِن وَهَبَتۡ﴾ هو صِفَةُ المرأةِ مُستقبلٌ، فـ﴿أَحۡلَلۡنَا﴾ في موضعِ جَوابِه، وجوابُ الشَّرطِ لا يكونُ ماضيًا في المعنى.

وهذا ليسَ بصَحيحٍ؛ لأنَّ مَعنى الإحلالِ هاهنا: الإعلامُ بالحلِّ إذا وقعَ الفِعلُ على ذلك، كمَا تقولُ: أَبَحْتُ لك أَنْ تُكلِّمَ فُلانًا إِنْ سَلَّمَ عليك[1].

(٥١) - ﴿تُرۡجِي مَن تَشَآءُ مِنۡهُنَّ وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُۖ وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ مِمَّنۡ عَزَلۡتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَۚ ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمۡۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾.

﴿تُرْجِئُ مَن تشاءُ مِنهُنَّ﴾: تُؤخِّرُها وتتركُ مُضاجعتَها ﴿وَتُـٔۡوِيٓ إِلَيۡكَ مَن تَشَآءُ﴾: وتَضُمُّ إليك مَنْ تشاءُ وتُضاجِعُها، أو: تُطلِّقُ مَن تَشاءُ وتُمسكُ مَن تشاءُ.

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ وحفصٌ: ﴿تُرۡجِي﴾ بالياءِ[2]، والمَعنى واحدٌ.

﴿وَمَنِ ٱبۡتَغَيۡتَ﴾: طلبتَ ﴿مِمَّنۡ عَزَلۡتَ﴾ طلَّقْتَ بالرَّجعةِ ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكَ﴾ في شيءٍ مِن ذلك.

﴿ذَٰلِكَ أَدۡنَىٰٓ أَن تَقَرَّ أَعۡيُنُهُنَّ وَلَا يَحۡزَنَّ وَيَرۡضَيۡنَ بِمَآ ءَاتَيۡتَهُنَّ كُلُّهُنَّ﴾: ذلك التَّفويضُ إلى مَشيئَتِكَ أقربُ إلى قرَّةِ عُيونهنَّ، وقلةِ حزنهنَّ، ورضاهنَّ جميعًا؛ لأنَّه

---

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» (٢/ ١٠٥٨). قال: الوجهُ الثاني: أن يَنتصبَ بفعلٍ محذوف؛ أي: ونُحِلُّ لك امرأةً.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» (ص: ١١٩).

حكمُ كلِّهُنَّ فيه سواءٌ، ثمَّ إنْ سَوَّيْتَ بينَهُنَّ وجدْنَ ذلك تفضُّلًا منك، وإن رجَّحْتَ بعضَهُنَّ عَلِمْنَ أنَّه بحُكْمِ اللهِ فتطمَئِنُّ نُفوسُهُنَّ.

وقُرِئَ: (تُقِرَّ) بضمِّ التَّاءِ، و(أَعْيُنَهُنَّ) بالنَّصب[١]، و(تُقَرَّ) بالبناءِ للمَفعولِ[٢].

و﴿كُلُّهُنَّ﴾ تأكيدُ نونِ ﴿يرضين﴾، وقرئَ بالنَّصبِ تأكيدًا لـ(هنَّ)[٣].

﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ فاجتَهِدُوا في إحسانِه ﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا﴾ بذاتِ الصُّدورِ ﴿حَلِيمًا﴾ لا يُعاجِلُ بالعقوبَةِ، فهو حقيقٌ بأَنْ يُتَّقَى.

(٥٢) ـ ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدُ وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا﴾.

﴿لَا يَحِلُّ لَكَ النِّسَاءُ﴾ بالياءِ؛ لأنَّ تأنيثَ الجمعِ غيرُ حَقيقِيٍّ، وقرأَ البَصرِيَّانِ بالتَّاءِ[٤].

﴿مِنْ بَعْدُ﴾: مِن بعدِ التِّسعِ، وهو في حقِّهِ كالأربعِ في حقِّنَا، أو: مِن بعدِ اليومِ حتَّى لَوْ ماتَت واحدةٌ لم يَحلَّ له نِكاحُ أُخرَى.

﴿وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ فتطلِّقَ واحدةً وتنكِحَ مكانَها أخرى، و﴿مِنْ﴾ مزيدةٌ لتَأكيدِ الاستغراقِ.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٢١) عن ابن محيصن.

(٢) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢١) عن نصر بن علي.

(٣) أي: لـ(هُنَّ) في ﴿ءَاتَيْتَهُنَّ﴾. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١)، و«المحتسب» (٢/ ١٨٢)، عن أبي إياس جؤية بن عائذ.

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٩)، و«النشر» (٢/ ٣٤٩).

﴿وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ﴾: حسنُ الأزواجِ المستبدَلَةِ، وهو حالٌ مِن فاعلِ ﴿تَبَدَّلَ﴾ دونَ مَفعولِه وهو ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ لتوغُّلِه في التَّنكيرِ، وتقديرُه: مَفروضًا إعجابُكَ بهنَّ.

واختُلِفَ في أنَّ الآيةَ مُحكمَةٌ، أو منسوخةٌ بقولِه: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِي إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾ على المعنى الثَّاني[1]، فإنَّه وإنْ تَقدَّمَها قراءةً فهو مسبوقٌ بها نزولًا.

وقيل: المعنى: لا يَحِلُّ لك النِّساءُ مِن بعد الأجناسِ الأربعةِ اللاتي نصَّ على إحلالهنَّ لك، ولا أَنْ تبدَّلَ بهنَّ أزواجًا مِن أجناسٍ أُخَر.

﴿إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ﴾ استثناءٌ مِن ﴿النِّسَآءُ﴾ لأنَّه يتناوَلُ الأزواجَ والإماءَ، وقيل: مُنقَطِعٌ.

﴿وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا﴾ فتحفَّظُوا أمرَكُم ولا تَتخطَّوْا ما حَدَّ لكم.

قوله: «دونَ مَفعولِه وهو ﴿مِنْ أَزْوَاجٍ﴾ لتَوغُّلِه في التَّنكيرِ»:

قال الطِّيبيُّ: عندَ صاحبِ «المفتاح» يجوزُ أَنْ يكونَ حالًا مِن ﴿أَزْوَاجٍ﴾ ومُصحِّحُها مَوصوفيَّةُ ﴿أَزْوَاجٍ﴾ لأنَّه عَلى تقديرِ: أزواجٍ مِن الأزواجِ، ودُخولُ الواوِ لعدمِ الإلباسِ بالصِّفَةِ بناءً على أنَّه لا يجوزُ تَوسيطُ الواوِ بينَ الصِّفَةِ والمَوصوفِ، والمعنى: ولا أن تبدَّلَ بهنَّ مِن أزواجٍ مِن الأزواجِ وإن كُنَّ بالغاتٍ في الحُسنِ غايتَهُ، وهذا أبلَغُ[2].

---

(١) انظر: «الناسخ والمنسوخ» للنحاس (ص: ٦٢٧).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٤٦٧).

(٥٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ وَلَا مُسۡتَـٔۡنِسِينَ لِحَدِيثٍۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ يُؤۡذِي ٱلنَّبِيَّ فَيَسۡتَحۡيِۦ مِنكُمۡۖ وَٱللَّهُ لَا يَسۡتَحۡيِۦ مِنَ ٱلۡحَقِّۚ وَإِذَا سَأَلۡتُمُوهُنَّ مَتَٰعٗا فَسۡـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٖۚ ذَٰلِكُمۡ أَطۡهَرُ لِقُلُوبِكُمۡ وَقُلُوبِهِنَّۚ وَمَا كَانَ لَكُمۡ أَن تُؤۡذُواْ رَسُولَ ٱللَّهِ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزۡوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعۡدِهِۦٓ أَبَدًاۚ إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾: إلَّا وقتَ أَنْ يُؤذنَ لَكُم، أو: إلا مَأذونًا لَكُم.

﴿إِلَىٰ طَعَامٍ﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿يُؤۡذَنَ﴾ لأنَّه مُتضمِّنٌ معنى: يُدعَى؛ للإشعارِ بأنَّه لا يَحسُنُ الدُّخولُ على الطَّعامِ مِن غيرِ دعوةٍ وإن أذنَ، كما أشعرَ به قولُه: ﴿غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾: غيرَ مُنتظرينَ وقتَه أو إدراكَه، حالٌ مِن فاعلِ ﴿لَا تَدۡخُلُواْ﴾ أو المجرورِ في ﴿لَكُمۡ﴾.

وقُرِئَ بالجَرِّ[1] صفَةً لـ﴿طَعَامٍ﴾، فيكونُ جاريًا على غيرِ مَن هو لهُ بلا إبرازِ الضَّميرِ، وهو غيرُ جائزٍ عندَ البَصريِّينَ.

وقد أمالَ حمزةُ والكسائيُّ ﴿إِنَىٰهُ﴾[2] لأنَّه مَصدرُ أَنَى الطَّعامُ: إذا أدرَكَ.

﴿وَلَٰكِنۡ إِذَا دُعِيتُمۡ فَٱدۡخُلُواْ فَإِذَا طَعِمۡتُمۡ فَٱنتَشِرُواْ﴾ تفرَّقُوا ولا تمكثُوا، والآيةُ خِطابٌ لقومٍ كانُوا يَتحيَّنُونَ طعامَ رسولِ اللهِ عليهِ السَّلامُ فيَدخلونَ ويَقعدونَ مُنتظرينَ لإدراكِه، مخصوصةٌ بهم وبأمثالِهم، وإلَّا لَمَا جازَ لأحدٍ أن يدخلَ

---

(١) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢١) عن نصر بن علي، و«الكشاف» (٧/ ٨٥) عن ابن أبي عبلة.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٣).

بيوتَهُ بالإذنِ لغيرِ الطَّعامِ[١]، ولا اللَّبْثُ بعد الطَّعامِ لِمُهمٍّ.

﴿وَلَا مُسْتَـْٔنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾: لحديثِ بعضِكُم بعضًا أو لحديثِ أهلِ البيتِ بالتَّسمُّعِ له، عطفٌ على ﴿نَٰظِرِينَ﴾، أو مقدرٌ بفعلٍ؛ أي: ولا تدخُلُوا، أو: ولا تمكثُوا مُستأنِسينَ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ اللَّبثَ ﴿كَانَ يُؤْذِى ٱلنَّبِىَّ﴾ لتَضييقِ المنزِلِ عليه وعلى أهلِه، وإشغالِه فيما لا يعنيه ﴿فَيَسْتَحْىِۦ مِنكُمْ﴾ مِن إخراجِكُم؛ لقولِه: ﴿وَٱللَّهُ لَا يَسْتَحْىِۦ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ يعني: أنَّ إخراجَكُم حقٌّ فيَنبغي أن لا يُتركَ حياءً كما لـم يتركهُ اللهُ تركَ الحييِّ فأَمَرَكُم بالخروجِ.

وقُرِئَ: (لا يستحي) بحذفِ[٢] الياءِ الأولى وإلقاءِ حركَتِها على الحاءِ[٣].

﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا﴾: شيئًا ينتفَعُ به ﴿فَسْـَٔلُوهُنَّ﴾ المتاعَ ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾: سترٍ.

رُوِيَ أنَّ عُمرَ رضيَ اللهُ عنهُ قال: يا رسولَ الله! يدخلُ عليك البرُّ والفاجِرُ فلو أمرتَ أُمَّهاتِ المؤمنينَ بالحجابِ، فنزلَتْ.

وقيل: إنَّه عليه السَّلامُ كان يَطْعَمُ ومعَهُ بعضُ أصحابِه، فأصابَتْ يدُ رَجُلٍ يدَ عائشةَ فكَرِهَ النَّبيُّ ذلك، فنزلَتْ.

---

(١) عبارة «الكشاف» (٧/ ٨٤): و«إلا لَمَا جازَ لأحَدٍ أن يَدخُلَ بيُوت النَّبيِّ إلاَّ أن يُؤذَنَ لهُ إذناً خاصًّا، وهو الإذنُ إلى الطَّعام فحَسْبُ».

(٢) في (خ): «بترك».

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ٨٥)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٣٩٦)، دون نسبة. وهي لغة تميم وبكر بن وائل، ولغة قريش وعامة العرب بياءين، انظر: «لغات القرآن» للفراء (ص: ٢١).

﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ من الخواطرِ الشَّيطانيَّةِ.

﴿وَمَا كَانَ لَكُمْ﴾: وما صحَّ لَكُم ﴿أَن تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ﴾: أن تفعَلُوا ما يكرهُه ﴿وَلَا أَن تَنكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِن بَعْدِهِ أَبَدًا﴾: مِن بعدِ وَفاتِه أو فراقِه.

وخُصَّ التي لم يَدخُل بها لِمَا رُوِيَ: أنَّ أشعثَ بنَ قيسٍ تزوَّجَ المستعيذةَ في أيَّامِ عُمَرَ، فهمَّ برَجْمِهما[1]، فأُخبرَ بأنَّه عليه السَّلامُ فارَقها قبلَ أنْ يَمسَّها، فترَكَ مِن غيرِ نكيرٍ[2].

---

(١) في (خ): «برجمها».

(٢) ذكره الغزالي في «الوسيط» (٥/ ٢١)، وقال ابن حجر في «التلخيص الحبير» (٣/ ٢٩٢): (لا أصل له في كتب الحديث؛ نعم روى أبو نعيم في «المعرفة» في ترجمة قُتَيلة من حديث داود عن الشعبي مرسلاً، وأخرجه البزار من وجه آخر عن داود، عن عكرمة، عن ابن عباس موصولاً، وصحَّحه ابن خزيمة والضياء من طريقه في «المختارة»: أن النبي ﷺ طلَّق قتيلة بنت قيس أخت الأشعث، طلَّقها قبل الدخول، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل، فشقَّ ذلك على أبي بكر، فقال له عمر: يا خليفة رسول الله! إنها ليست من نسائه، لم يحزها النبي ﷺ، وقد برَّأها الله منه بالردة. وكانت قد ارتدت مع قومها ثم أسلمت، فسكن أبو بكر.

وروى الحاكم من طريق هشام بن الكلبي، عن أبيه، عن أبي صالح، عن ابن عباس قال: خلف على أسماء بنت النعمان المهاجر بن أبي أمية، فأراد عمر أن يعاقبها، فقالت: والله ما ضرب عليَّ الحجاب، ولا سمِّيت أم المؤمنين، فكفَّ عنها.

وروى الحاكم بسنده إلى أبي عبيدة معمر بن المثنى: أنه تزوج حين قدم عليه وفد كندة قتيلة بنت قيس أخت الأشعث، ولم تدخل عليه، فقيل: إنه أوصى أن تخيَّر فاختارت النكاح، فتزوجها عكرمة بن أبي جهل بحضرموت، فبلغ ذلك أبا بكر، فقال: لقد هممتُ بأن أحرق عليهما، فقال عمر: ما هي من أمهات المؤمنين، ولا دخل بها، ولا ضرب عليها الحجاب، فسكن.

وروى البيهقي بإسناده إلى الزهري قال: بلغنا أن العالية بنت ظبيان التي طلَّقها تزوجت قبل أن يحرِّم الله نساءه، فنكحت ابن عم لها وولدت فيهم). =

﴿إِنَّ ذَٰلِكُمْ﴾ يعني: إيذاءَهُ ونكاحَ نِسائِه ﴿كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾: ذنبًا عظيمًا، وفيه تَعظيمٌ مِن اللهِ لرَسُولِه، وإيجابٌ لحُرمَتِه حيًّا وميتًا، ولذلك بالغَ في الوعيدِ عليه، فقال:

قوله: «إلَّا وقتَ أَنْ يُؤذنَ لَكُم»:

قال أبو حيَّان: كونُ ﴿أَن يُؤْذَنَ﴾ في مَعنى الظَّرفِ وتقديرُه: وقتَ أَنْ يؤذنَ، وإيقاعُ الاستثناءِ على الوقتِ= ليسَ بصَحيحٍ، وقد نَصُّوا على أنَّ (أنْ) المصدريَّةَ لا تكونُ في معنى الظَّرفِ، تقول: (أَجيئُكَ صِياحَ الدِّيكِ)، و(قُدومَ الحاجِّ)، ولا يجوزُ: أجيئُكَ أن يَصيحَ الدِّيكُ، ولا: أن يَقدمَ الحاجُّ.

ولا يتعيَّنَ في الآيةِ أَنْ يكونَ ظرفًا لأنَّه يكونُ التَّقديرُ: إلَّا بأَنْ يُؤذنَ لَكُم، فتكونُ الباء للسَّببِ، أو للحالِ؛ أي: مَصحوبينَ بالإذنِ(١).

قوله: «بلا إبرازِ الضَّميرِ»؛ إذ لو أُبرزَ لقيلَ: غيرَ ناظرينَ أنتُم.

قوله: «يَتحيَّنونَ»: قال الطِّيبِيُّ: أي: يضبِطونَ وقتَ إدراكِ الطَّعامِ وحينَه(٢).

قوله: «رُوِيَ أَنَّ عُمرَ قال: يا رسولَ اللهِ! يدخلُ عليكَ البَرُّ والفاجِرُ فلَوْ أَمَرْتَ أُمَّهاتِ المُؤمنينَ بالحِجابِ، فنَزَلتْ»:

= وروى ابن سعد في «الطبقات» (٨/ ١٤٦) من طريق ابن الكلبي عن أبيه عن أبي صالح عن ابن عباس قال: خلف على أسماء بنت النعمان المهاجر بن أبي أمية بن المغيرة فأراد عمر أن يعاقبهما فقالت: والله ما ضرب علي الحجاب ولا سميت أم المؤمنين فكف عنها.

وذكر ابن حجر في «فتح الباري» (٩/ ٣٥٧) أقوالاً في اسمها ونسبتها، وصحح أن اسمها أميمة بنت النعمان بن شراحيل.

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٣٥٨).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٤٦٨).

أخرجَه النَّسائيُّ مِن رِوايةِ أنسٍ عنه(١).

قوله: «وقيل: أنَّه عليهِ السَّلامُ كانَ يطعمُ ومعه بعضُ أصحابِه فأصابَتْ يدُ رَجُلٍ يَدَ عائشةَ فكَرِهَ النَّبِيُّ ﷺ ذلك فنزَلَتْ»:

أخرجَه البُخارِيُّ في «الأدب» والنَّسائيُّ مِن حَديثِ عائشةَ(٢).

(٥٤) ـ ﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾.

﴿إِن تُبْدُواْ شَيْـًٔا﴾ كنِكَاحِهِنَّ على ألسِنَتِكُم ﴿أَوْ تُخْفُوهُ﴾ في صُدورِكُم ﴿فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا﴾ فيعلمُ ذلك فيُجازيكُم به، وفي هذا التَّعميمِ مع البرهانِ على المقصودِ مزيدُ تهويلٍ ومبالغةٍ في الوَعيدِ.

(٥٥) ـ ﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ وَلَا نِسَآئِهِنَّ وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ ۗ وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدًا﴾.

﴿لَّا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِىٓ ءَابَآئِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآئِهِنَّ وَلَآ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ إِخْوَٰنِهِنَّ وَلَآ أَبْنَآءِ أَخَوَٰتِهِنَّ﴾ استثناءٌ لِمَن لا يجبُ الاحتجابُ عَنْهُم.

رُوِيَ أنَّه لَمَّا نَزلَتْ آيةُ الحجابِ قال الآباءُ والأبناءُ والأقاربُ: يا رسولَ اللهِ! أَونُكَلِّمُهنَّ أيضًا مِن وَراءِ حِجابٍ؟ فنزلَتْ(٣).

---

(١) رواه النسائي في «السنن الكبرى» (١١٣٥٤)، ورواه أيضاً البخاري (٤٧٩٠) وكان الأولى بالمصنف العزو إليه.

(٢) رواه البخاري في «الأدب المفرد» (١٠٥٣)، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠/ ٢٢٤)، ورجح الدارقطني في «العلل» (١٤/ ٣٣٨) إرساله.

(٣) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢١/ ٥٣٦)، و«النكت والعيون» (٤/ ٤٢١)، و«زاد المسير» (٦/ ٤١٧).

وإنما لم يَذكُرِ العَمَّ والخالَ لأَنَّهما بمنزلةِ الوالدينِ، ولذلك سمَّى العمَّ أبًا في قولِه: ﴿وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ﴾ أو لأنَّه كَرِهَ تركَ الاحتجابِ مِنْهُما مخافةَ أن يَصِفَا لأبنائِهما.

﴿وَلَا نِسَآئِهِنَّ﴾ يعني: نساءَ المؤمناتِ ﴿وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُنَّ﴾ مِن العبيدِ والإماءِ، وقيل: مِن الإماءِ خاصَّةً، وقد مرَّ في سورةِ النُّورِ.

﴿وَٱتَّقِينَ ٱللَّهَ﴾ فيما أُمِرْتُنَّ به ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ لا يخفَى عليه خافيَةٌ.

(٥٦) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّ﴾ يَعْتَنونَ بإظهارِ شَرَفِه وتعظيمِ شأنِه ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ صَلُّوا۟ عَلَيْهِ﴾: اعتَنُوا أنتُم أيضًا فإنَّكُم أولى بذلك، وقولُوا: اللهمَّ صلِّ على محمَّدٍ ﴿وَسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا﴾ وقولوا: السَّلامُ عليكَ أيُّها النَّبيُّ، وقيل: وانقادوا لأوامرِهِ.

والآيةُ تدلُّ على وجوبِ الصَّلاةِ والسَّلامِ عليه في الجملَةِ.

وقيل: تَجِبُ الصَّلاةُ كلَّما جَرَى ذِكرُه لقولِه عليهِ السَّلامُ: «رَغِمَ أنفُ رَجُلٍ ذُكِرتُ عِندَهُ فلَمْ يُصَلِّ عليَّ»، وقولِه: «مَن ذُكِرت عندَهُ فلم يصلِّ عليَّ فدخلَ النارَ فأبعدَهُ الله[1]».

وتجوزُ الصَّلاةُ على غيرِه تبَعًا، وتكرَهُ استِقلالًا؛ لأنَّه في العُرْفِ صارَ شعارًا

(١) في (خ) زيادة: «من رحمته».

لذكرِ الرُّسُلِ، ولذلك كُرِهَ أن يقالَ: محمَّدٌ عزَّ وجلَّ وإن كانَ عزيزًا وجليلًا[١].

قوله: «رَغِمَ أنفُ رجلٍ ذُكِرتُ عِندَهُ فلَمْ يُصَلِّ عليَّ»:

رواهُ التِّرمذيُّ وابنُ حِبَّان في «صحيحه» مِن حَديث أبي هريرةَ[٢].

قوله: «مَن ذُكِرْتُ عِندَهُ فلَمْ يُصَلِّ عليَّ فدخلَ النَّارَ فأبعدَهُ اللهُ»:

أخرجَهُ الطَّبرانيُّ مِن حَديثِ جابرِ بنِ سَمُرةَ، ومِن حَديثِ ابنِ عبَّاسٍ بلفظ: «أَتاني جِبريلُ فقال: مَن ذُكِرْتَ عِندَه فلَمْ يُصَلِّ عليكَ فدخلَ النارَ فأبعدَهُ اللهُ عزَّ وجلَّ»[٣].

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا ﴿٥٧﴾ وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟ فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ﴾: يرتكبونَ ما يكرهانِه مِن الكُفرِ والمَعاصي، أو يؤذونَ رَسولَ اللهِ بكسرِ رَباعِيَتِه[٤]، وقولِهم: شاعِرٌ مَجنونٌ، ونحوِ ذلك، وذكرُ اللهِ

---

(١) انظر: «الأذكار» للنووي (ص: ٢٢٦ ـ ٢٢٧).

(٢) رواه الترمذي (٣٥٤٥)، وابن حبان في «صحيحه» (٩٠٨)، وقال الترمذي: «حسن غريب».

(٣) رواه الطبراني في «المعجم الكبير» (٢٠٢٢) عن جابر بن سمرة، و(١٢٥٥١) عن ابن عباس رضي الله عنهما. قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٨/ ١٣٩) عن حديث جابر: «رواه الطبراني بأسانيد وأحدها حسن»، وقال عن حديث ابن عباس (١٠/ ١٦٥): «رواه الطبراني، وفيه إسحاق بن عبد الله بن كيسان، وفيه ضعف». وروي عن عدد من الصحابة ذكر أحاديثهم الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٠/ ١٦٤ ـ ١٦٧).

(٤) وردت فيه أحاديث في الصحيحين، منها ما رواه البخاري (٢٩١١)، ومسلم (١٧٩٠)، عن سهل بن سعد رضي الله عنه.

للتَّعظيمِ لـه، ومـن جـوَّزَ إطـلاقَ اللفـظِ الواحـدِ علـى مَعنيَيـنِ فسَّـرَه بالمعنيَيـنِ باعتبـارِ المعمولَيـنِ.

﴿لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ﴾: أبعدَهـم مِـن رَحمَتِـه ﴿فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾ يهينهُـمْ مـع الإيلامِ.

﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ بِغَيْرِ مَا ٱكْتَسَبُوا۟﴾: بغيـرِ جِنايَـةٍ استَحقُّوا بهـا ﴿فَقَدِ ٱحْتَمَلُوا۟ بُهْتَٰنًا وَإِثْمًا مُّبِينًا﴾: ظاهـرًا.

قيل[١]: إنَّها نَزَلَتْ في مُنافِقينَ يؤذونَ عليًّا رضيَ اللهُ عنهُ[٢].

وقيل: في أهلِ الإفكِ[٣].

وقيل: في زُناةٍ كانوا يَتَّبعونَ النِّساءَ وهُنَّ كارِهاتٌ[٤].

(٥٩) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ يُغطِّينَ وُجوهَهُنَّ وأبدانَهُنَّ بمَلاحِفِهِنَّ إذا بَرزْنَ لحاجَةٍ، و﴿مِن﴾ للتَّبعيضِ؛ فإنَّ المرأةَ ترخي جِلبابَها وتتلفَّعُ ببعضٍ.

﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَن يُعْرَفْنَ﴾: يُميَّزنَ عن[٥] الإماءِ والقَيْناتِ.

---

(١) في (ض): «روي».

(٢) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٠٦).

(٣) عزاه الماوردي في «النكت والعيون» (٤/ ٤٢٣) إلى الضحاك.

(٤) عزاه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٥٦٠) إلى الضحاك والسدي والكلبي.

(٥) في (ض) و(ت): «من».

﴿فَلَا يُؤْذَيْنَ﴾: فلا يؤذيهنَّ أهلُ الرِّيبةِ بالتَّعرُّضِ لهنَّ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا﴾ لِمَا سلفَ ﴿رَّحِيمًا﴾ بعبادِه حيثُ يراعي مصالِحَهُم حتى الجُزئيَّاتِ منها.

(٦٠) ـ ﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلًا﴾.

﴿لَّئِن لَّمْ يَنتَهِ ٱلْمُنَٰفِقُونَ﴾ عن نفاقِهِم ﴿وَٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ﴾: ضعفُ إيمانٍ وقلَّةُ ثباتٍ عليه، أو فجورٌ عن تَزَلْزُلِهم في الدِّينِ أو فُجورِهِم.

﴿وَٱلْمُرْجِفُونَ فِى ٱلْمَدِينَةِ﴾: يُرْجِفونَ أخبارَ السُّوءِ عن سرايَا المسلمينَ، ونحوَها[1] مِن إرجافِهِم، وأصلُه: التَّحريكُ، مِن الرَّجفَةِ وهي الزَّلزلَةُ، سُمِّيَ به الإخبارُ الكاذبُ لكونِه مُتزَلْزِلًا غيرَ ثابتٍ.

﴿لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾: لنأمرنَّكَ بقتالِهم وإجلائِهِم، أو ما يَضطرُّهُم إلى طلبِ الجلاءِ.

﴿ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ﴾ عطفٌ على ﴿لَنُغْرِيَنَّكَ﴾، و﴿ثُمَّ﴾ للدلالةِ على أنَّ الجَلاءَ ومُفارقَةَ جوارِ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ أعظَمُ ما يُصيبُهُم.

﴿فِيهَآ﴾: في المدينةِ ﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾: زمانًا، أو: جوارًا قليلًا.

(٦١ ـ ٦٢) ـ ﴿مَّلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا (٦١) سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلُ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا﴾.

﴿مَّلْعُونِينَ﴾ نصبٌ على الشَّتمِ أو الحالِ، والاستثناءُ شامِلٌ له أيضًا؛ أي: لا يُجاوِرُونَكَ إلَّا مَلعونِينَ، ولا يجوزُ أَنْ يَنتَصِبَ عن قولِه: ﴿أَيْنَمَا ثُقِفُوٓا۟ أُخِذُوا۟ وَقُتِّلُوا۟ تَقْتِيلًا﴾؛ لأنَّ ما بعدَ كلمةِ الشَّرطِ لا يعملُ فيما قبلَها.

---

(١) قوله: «ونحوها»؛ أي: ونحو أخبار السوء.

﴿ سُنَّةَ ٱللَّهِ فِى ٱلَّذِينَ خَلَوْاْ مِن قَبْلُ ﴾ مَصدرٌ مُؤكدٌ؛ أي: سنَّ اللهُ ذلك في الأُمَمِ الماضِيَةِ، وهو أن يُقتلَ الذين نافَقُوا[١] الأنبياءَ وسَعَوا في وهنِهِم بالإرجافِ ونحوِه أينَمَا ثُقِفُوا.
﴿ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴾ لأنَّه لا يبدلُها أو لا يقدرُ أحدٌ أن يبدِّلَها.

قوله: «والاستثناءُ شامِلٌ لهُ أيضًا».

قال أبو حيَّان: هَذا لا يَجُوزُ عَلى مَذهَبِ الجُمهُورِ، فلا يَقَعُ بعدَ (إلَّا) في الاستثناءِ إلا المُستَثْنَى والمُستَثْنَى مِنه أو صِفَةُ المُستَثْنَى مِنه.

ولا يجوزُ مَجيءُ الحالِ ممَّا قبلَ (إلا) مذكورةً بعدما استُثنِيَ بـ(إلا) بحيثُ يكونُ الاستثناءُ منصبًّا عليهِما.

وأجازَ الأخفَشُ والكسائيُّ ذلك في الحالِ أجازا: (ما ذهبَ[٢] القومُ إلَّا يومَ الجُمعَةِ راحلينَ[٣] عنَّا)، وعلى هذا يجوزُ ما قالَه الزَّمخشرِيُّ[٤].

قوله: «ولا يَجوزُ أن ينتصبَ عن قولِه: ﴿أُخِذُوٓاْ﴾ لأن ما بعدَ كلمةِ الشَّرطِ لا يعملُ فيمَا قبلَها».

قال أبو حيَّان: ليسَ هذا مُجمَعًا عليه وإن كانَ الكِسائيُّ جوَّزه[٥].

قال الحَلَبِيُّ: هذا[٦] مشيٌ عَلى الجادَّةِ[٧].

---

(١) في (خ) زيادة: «على».

(٢) بعدها في (ن): «إليه».

(٣) غير واضحة في (ن).

(٤) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٣٥٨، و٣٧٢).

(٥) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٣٧٣).

(٦) في (ز) و(ن): «هو».

(٧) انظر: «الدر المصون» (٩/ ١٤٣).

(٦٣) ـ ﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِۚ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾.

﴿يَسْـَٔلُكَ ٱلنَّاسُ عَنِ ٱلسَّاعَةِۖ﴾: عن وَقتِ قيامِها استهزاءً، أو تَعنُّتًا[1] وامتحانًا[2].

﴿قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِندَ ٱللَّهِ﴾ لم يُطلِعْ عليهِ مَلَكًا ولا نَبيًّا ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾: شيئًا قريبًا، أو: تكونُ السَّاعةُ عن قريبٍ، وانتصابُه[3] على الظَّرفِ، ويجوزُ أن يكونَ التَّذكيرُ لأنَّ السَّاعةَ في معنى اليومِ، وفيه تهديدٌ للمُستعجِلينَ وإسكاتٌ للمُتعنِّتينَ.

(٦٤ ـ ٦٦) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴿٦٤﴾ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٦٥﴾ يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَعَنَ ٱلْكَٰفِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا﴾: نارًا شديدةَ الاتِّقادِ[4] ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًاۖ لَّا يَجِدُونَ وَلِيًّا﴾ يحفظُهُم ﴿وَلَا نَصِيرًا﴾ يدفعُ العذابَ عَنْهُم.

﴿يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِى ٱلنَّارِ﴾: تُصرَفُ مِن جِهَةٍ إلى جِهَةٍ كاللحمِ يُشوَى بالنَّارِ، أو مِن حالٍ إلى حالٍ، وقُرِئَ: (تَقَلَّبُ)[5] بمعنى: تَتقلَّب، و: (تُقَلِّبُ)[6].

---

(١) في (خ) و(ت): «وتعنتاً».

(٢) في (ض) و(ت): «أو امتحاناً».

(٣) في (ت): «فانتصابه».

(٤) في (خ): «الإيقاد».

(٥) قراءة الحسن وعيسى وأبي جعفر الرؤاسي. انظر «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١).

(٦) في (خ) و(ض): «نقلِّب»، والمثبت من باقي النسخ، وكلاهما قرئ به. فقرأ (نقلِّب) بالنون ابن أبي عبلة كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢١)، وقرأ (تُقلِّب) بالتاء ـ والفعل للسعير ـ عيسى بن عمر الكوفي كما في «المحتسب» (٢/ ١٨٤).

ومتعلَّقُ الظَّرفِ: ﴿ يَقُولُونَ يَٰلَيْتَنَآ أَطَعْنَا ٱللَّهَ وَأَطَعْنَا ٱلرَّسُولَا۠ ﴾ فلَنْ نُبتلَى بهذا العَذابِ.

(٦٧ ـ ٦٨) ـ ﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴿٦٧﴾ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ وَٱلْعَنْهُمْ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾.

﴿ وَقَالُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّآ أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَآءَنَا ﴾ يَعْنونَ قادتَهُم الذين لَقَّنوهُم الكفرَ.

وقرأَ ابنُ عامرٍ ويعقوبُ: ﴿ساداتِنا﴾[1] على جمعِ الجمعِ للدَّلالةِ على الكثرةِ.

﴿فَأَضَلُّونَا ٱلسَّبِيلَا۠ ﴾ بما زيَّنوا لنا.

﴿ رَبَّنَآ ءَاتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ ٱلْعَذَابِ ﴾: مِثْلَي ما آتيتَنا منه لأنَّهُم ضَلُّوا وأَضَلُّوا ﴿والعَنْهُم لعنًا كَثِيرًا﴾ كثيرَ العددِ. وقرأَ عاصِمٌ بالباءِ[2]؛ أي: لعنًا هو أشدُّ اللعنِ وأعظمُه.

(٦٩) ـ ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا ﴾.

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ﴾: فأظهرَ براءَتَهُ مِن مَقولِهم، يعني: مُؤدَّاهُ ومضمونَه، وذلك أنَّ قارونَ حرَّضَ امرأةً على قذفِهِ بنَفسِهَا فعصمَهُ اللهُ كما مرَّ في القصصِ.

أو اتَّهمَهُ ناسٌ بقَتلِ هارونَ لَمَّا خرجَ معه إلى الطُّورِ، فماتَ هناك فحَمَلَتْهُ الملائكةُ ومَرُّوا بهم حتى رأوهُ غيرَ مَقتولٍ[3].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٩)، و«النشر» (٢/ ٣٤٩).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٣)، و«التيسير» (ص: ١٧٩).

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ١٩٤)، والحاكم في «المستدرك» (٤١١٠) وصححه، والضياء في «المختارة» (٦١١)، عن علي رضي الله عنه موقوفاً.

وقيل: أحياهُ اللهُ فأخبرَهُم ببراءَتِه(١).

أو: قذفوهُ بعيبٍ في بدنِه من برصٍ أو أُدْرَةٍ لفرطِ تَستُّرِه حياءً، فأطلعَهُم اللهُ على أنَّهُ بَرِيءٌ مِنه(٢).

﴿وَكَانَ عِندَ اللَّهِ وَجِيهًا﴾: ذا قُربةٍ ووَجاهَةٍ منه. وقُرِئَ: (وكانَ عَبْدًا للهِ وَجِيهًا)(٣).

(٧٠ ـ ٧١) ـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا ﴿٧٠﴾ يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ﴾ في ارتكابِ ما يكرهُهُ فَضلًا عمَّا يُؤذِي رَسولَه ﴿وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾: قاصدًا إلى الحقِّ، مِن سَدَّ يَسِدُّ سَدادًا، والمرادُ: النَّهيُ عن ضدِّهِ كحديثِ زينبَ مِن غيرِ قصدٍ(٤).

﴿يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ﴾: يوفِّقْكُم للأعمالِ الصالحةِ، أو يُصلِحْها بالقبولِ والإثابةِ عليها.

﴿وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ ويجعَلْها مُكفَّرةً باستقامَتِكُم في القولِ والعملِ.

﴿وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ﴾ في الأوامرِ والنَّواهِي ﴿فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ يعيشُ في الدُّنيا حَميدًا وفي الآخرةِ سَعيدًا.

---

(١) رواه الطبري في «التاريخ» (١/ ٢٥٦) من قول عمرو بن ميمون.

(٢) رواه البخاري (٣٤٠٤)، ومسلم (٣٣٩)، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه مطولًا.

(٣) وهي قراءة ابن مسعود والأعمش وأبي حيوة، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٠)، و«المحتسب» (٢/ ١٨٥).

(٤) قوله: «كحديث زينب من غير قصد» إيضاحه ما في «الكشاف»: والمرادُ نهيُهم عمَّا خاضوا فيه من حديث زينبَ من غير قَصْد وعَدْل في القول. قال: والسَّدادُ: القَصْدُ إلى الحَقِّ والقَوْلُ بالعَدْلِ. انظر: «الكشاف» (٧/ ١٠١).

(٧٢) ـ ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴾.

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ تقريرٌ للوعدِ السَّابقِ بتعظيمِ الطَّاعةِ، وسمَّاها أمانةً مِن حيثُ إنَّها واجبةُ الأداءِ، والمعنى: أنَّها لِعظَمِ[1] شأنِها بحيثُ لو عُرِضَت على هذه الأجرامِ العِظَامِ وكانَتْ ذات شُعورٍ وإدراكٍ لأَبَيْنَ[2] أَنْ يَحمِلْنَها وأشفَقْنَ مِنْهَا وحملَهَا الإنسانُ مَع ضعفِ بنيَتِه ورَخاوةِ قُوَّتِه، لا جرمَ فإنَّ الرَّاعِيَ لها والقائمَ بحقوقِها فائزٌ بخيرِ الدَّارينِ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا﴾ حيثُ لم يفِ بها ولم يُراعِ حقَّها ﴿جَهُولًا ﴾ بكُنْهِ عاقِبَتِها، وهذا وصفٌ للجنسِ باعتبارِ الأغلَبِ.

وقيل: المرادُ بالأمانةِ: الطاعةُ التي تعمُّ الطَّبيعيَّةَ والاختياريَّةَ، وبعَرْضِها: استدعاؤُها الذي يعمُّ طلبَ الفعلِ مِن المختارِ وإرادةَ صُدورِه مِن غيرِه، وبحملِها: الخيانةُ فيها والامتناعُ عن أدائِها، ومنه قولُهُم: حامِلُ الأمانةِ ومُحتَمِلُها، لِمَن لا يُؤدِّيها فتبرَأَ ذِمَّتُه، فيكونُ الإباءُ عنه إتيانًا بما يمكنُ أن يَتأتَّى منه، والظُّلمُ والجَهالَةُ للخيانةِ والتَّقصيرِ.

وقيل: إنَّه تَعالى لَمَّا خلقَ هذه الأجرامَ خلَقَ فيها فهمًا وقالَ لها: إنِّي فرضتُ فَرِيضَةً وخلقتُ الجنَّةَ[3] لِمَن أَطاعَنِي فيها ونارًا لِمَن عَصاني، فقُلْنَ: نحنُ مُسخَّراتٌ

(١) في (خ) و(ض) و(ت): «العظمة».

(٢) في (ض): «لأبت».

(٣) في (ض) و(ت): «جنة».

على ما خَلَقْتَنا لا نَحتَمِلُ فريضَةً ولا نَبْغِي ثَوابًا ولا عقابًا، ولمَّا خُلِقَ آدمُ عليهِ السَّلامُ عُرِضَ عليه مثلُ ذلك فحملَه وكانَ ظلومًا لنَفْسِه بتَحمُّلِه ما يشقُّ عليها[1] جهولًا بوَخامَةِ عاقِبَتِه[2].

ولعلَّ المرادَ بالأمانَةِ: العَقلُ والتَّكليفُ، وبعَرْضِهَا عليهِنَّ: اعتبارُهَا بالإضافَةِ إلى استعدادِهِنَّ، وبإبائِهِنَّ: الإباءُ الطَّبيعي الذي هو عدمُ اللَّياقَةِ والاستعدادِ، وبحملِ الإنسانِ: قابليَّتُهُ واستعدادُه لها، وكونُه ظَلومًا جهولًا لِمَا غلبَ عليه من القوَّةِ الغَضبيَّةِ والشَّهويَّةِ، وعلى هذا يَحْسُنُ أن يكونَ عِلَّةً للحملِ عليه، فإنَّ مِن فوائدِ العَقلِ أن يكونَ مُهيمنًا على القوَّتينِ حافِظًا لهما عن التَّعدِّي ومجاوزةِ الحَدِّ، ومُعظَمُ مَقصودِ التَّكليفِ تَعديلُهُمَا وكَسْرُ سَوْرَتِهِمَا.

(٧٣) ـ ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾.

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ ﴾ تعليلٌ للحَمْلِ مِن حيثُ إنَّه نَتيجَتُه؛ كالتَّأديبِ للضَّربِ في: ضربتُه تأديبًا، وذَكَرَ التَّوبةَ في الوعدِ إشعارًا بأنَّ كونَهُم ظلومًا جهولًا في جِبلَّتِهِم لا يُخْلِيهِمْ عن فَرَطاتٍ.

﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴾ حيثُ تابَ عن فَرَطَاتِهِم وأثابَ بالفوزِ على طاعاتِهِم.

---

(١) في (خ): «عليه».

(٢) رواه محمد بن نصر المروزي في «تعظيم قدر الصلاة» (٥٠١) عن الضحاك، وابن الأنباري في «الأضداد» (ص: ٣٩٠) عن ابن جريج.

قال عليه السَّلامُ: «مَن قرأ سورَةَ الأحزابِ وعَلَّمَها أهلَهُ وما مَلَكَتْ يمينُه أُعْطِيَ الأَمانَ مِن عذابِ القَبْرِ».

قوله: «مَن قرأ سورةَ الأَحزابِ...» إلى آخره: مَوضوعٌ[١].

* * *

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢١/ ٣١١-٣١٢) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً. وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سُورَةُ سَبَإٍ

سُورَةُ سَبَإٍ

مَكِّيَّةٌ، وقيل: إلا قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْعِلْمَ...﴾ الآية، وآيُها أربع وخمسون[1].

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

(١ ـ ٢) ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْخَبِيرُ ① يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۚ وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ خلقًا ونعمةً، فله الحَمدُ في الدُّنيا لكمالِ قُدرَتِه وعلى تمامِ نِعمَتِه ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ لأنَّ ما في الآخرةِ أيضًا كذلك.

وليسَ هذا من عطفِ المقيَّدِ على المطلَقِ، فإنَّ الوصفَ بما يدلُّ على أنَّه المنعِمُ بالنِّعَمِ الدُّنيويَّةِ قيَّدَ الحمدَ بها[2]، وتقديمُ الصِّلَةِ للاختصاصِ، فإنَّ النِّعَمَ

---

(١) في النسخ: «خمس وأربعون»، والصواب المثبت، انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢٠٩)، وفيه: وهي خمسون وخمس آيات في الشّاميّ، وأربع في عدد الباقين، اختلافها آية ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾ عدها الشامي ولم يعدها الباقون.

(٢) قوله: قوله: «وليس هذا»؛ أي: قوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ «من عطف المقيد»: وهو هنا (له الحمد في الآخرة) «على المطلق» وهو هنا ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾؛ «فإن الوصف»؛ أي: وهو ﴿ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ «يدل على أنه المنعم بالنعم الدنيوية، فقيَّد الحمد بها» كما أشار إليه بقوله قبلُ: (فله الحمد في الدنيا)، فصار قوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ إلى آخره حمداً مقيَّداً بنعم الدنيا، وقوله: ﴿وَلَهُ ٱلْحَمْدُ فِى =

الدُّنيويَّةَ قد تكونُ بوساطةِ مَن يَستحِقُّ الحمدَ لأجلِها ولا كذلك نعمُ الآخرةِ.

﴿وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ﴾ الذي أحكمَ أمورَ الدَّارينِ ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ ببواطنِ الأشياءِ.

﴿يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ كالغيثِ ينفُذُ في موضعٍ وينبعُ في آخرَ، وكالكنوزِ والدَّفائنِ والأمواتِ ﴿وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا﴾ كالحيوانِ والنَّباتِ والفلزَّاتِ وماءِ العُيونِ.

﴿وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ﴾ كالمَلائكةِ والكتبِ والمقاديرِ والأرزاقِ والأنداءِ والصَّواعقِ ﴿وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا﴾ كالملائكةِ وأعمالِ العبادِ والأبخرَةِ والأدخِنَةِ.

﴿وَهُوَ ٱلرَّحِيمُ ٱلْغَفُورُ﴾ للمُفرِّطينَ في شكرِ نِعمَتِه مع كثرتِها، أو: في الآخرةِ مع ما له مِن سَوابِقِ هذه النِّعَمِ الفائتةِ للحصرِ.

(٣) - ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ ۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ ۖ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُ﴾ إنكارًا لِمَجيئِها، أو استبطاءً استهزاءً بالوَعدِ به.

﴿قُلْ بَلَىٰ﴾ ردٌّ لكلامِهم وإثباتٌ لِمَا نَفَوْه ﴿وَرَبِّى لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ تكريرٌ لإيجابِه مؤكَّدًا بالقسَمِ مقرَّرًا بوصفِ المقسَمِ به بصفاتٍ تقرِّرُ إمكانَه وتنفي استبعادَهُ على ما مرَّ غيرَ مَرَّةٍ.

وقرأ حمزَةُ والكِسائيُّ: ﴿عَلَّامِ الغَيْبِ﴾ للمبالغةِ، ونافعٌ وابنُ عامرٍ ورُوَيسٌ: ﴿عالِمُ الغيبِ﴾ بالرَّفعِ[1] على أنَّه خبرُ مَحذوفٍ، أو مبتدأٌ خبرُه:

= ﴿ٱلْآخِرَةِ﴾ حمداً مقيداً بنعم الآخرة. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٤٩٣).

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٢٢)، و«النشر» (٢/ ٣٤٩).

﴿لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ وقرأَ الكِسائيُّ: ﴿لا يَعْزِبُ﴾ بالكسرِ[1].

﴿وَلَآ أَصْغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ جملةٌ مُؤَكِّدَةٌ لنَفْيِ العُزوبِ، ورَفعُهُما بالابتداءِ، ويؤيِّدُه القراءةُ بالفتحِ على نفيِ الجنسِ[2]، ولا يجوزُ عَطْفُ المرفوعِ على ﴿مِثْقَالُ﴾[3] والمفتوحِ على ﴿ذَرَّةٍ﴾ بأنَّه فتحٌ في موضعِ الجرِّ لامتناعِ الصَّرفِ؛ لأنَّ الاستثناءَ يمنعُهُ، اللهمَّ إلَّا إذا جُعِلَ الضَّميرُ في ﴿عَنْهُ﴾ للغيبِ، وجُعِلَ المثبتُ في اللوحِ خارجًا عنه لظُهورِه على المطالعينَ له، فيكونُ المعنى: لا ينفصِلُ عن الغَيْبِ شيءٌ إلا مسطورًا في اللوحِ.

قولُه: «ويُؤيِّدُه القِراءَةُ بالفَتحِ على نَفيِ الجنسِ»:

قال الطِّيبيُّ: فيه إشكالٌ؛ لأنَّ قولَه تعالى: (ولا أصغرَ مِن ذلك) مُضارِعٌ للمُضافِ[4] نحو: لا خيرًا منه [قائمٌ هنا]، فلو كانَ (لا) لنفيِ الجنسِ لوجبَ فيه النصب.

قال: ويمكنُ أن يقالَ: إنَّه وضعَ الفتحَ مَوضِعَ النَّصبِ على الكوفيِّ كما وُضِعَ النصبُ موضِعَ الفَتحِ في قولِه: (لا حول ولا قوة إلا بالله) بالرَّفعِ والنَّصبِ[5].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٢٢).

(٢) بالرفع قراءة الجمهور، وبالفتح نسبت للأعمش وقتادة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢).

(٣) في (أ): «مثقالِ» وعليها (معاً). قلت: فالرفع على حكاية الآية والجر على حسب موقعها في الكلام.

(٤) قوله: «مضارع للمضاف»؛ أي: شبيه بالمضاف، وإذا كان اسم (لا) النافية للجنس شبيهاً بالمضاف فإنه يكون منصوباً لا مبنيًّا على الفتح.

(٥) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٥٠٤).

(٤ ـ ٥) ـ ﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ۝٤ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا مُعَٰجِزِينَ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴾.

﴿ لِيَجْزِيَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ﴾ عِلَّةٌ لقولِه: ﴿لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ وبيانٌ لِمَا يقتضي إتيانَها[1] ﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ لا تعبَ فيه ولا مَنَّ عليه.

﴿ وَٱلَّذِينَ سَعَوْ فِىٓ ءَايَٰتِنَا ﴾ بالإبطالِ وتزهيدِ النَّاسِ فيها ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾: مُسابقينَ كَيْ يَفوتُونَا.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿مُعَجِّزينَ﴾[2]؛ أي: مُثَبِّطينَ عن الإيمانِ مَن أرادَه.

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ﴾: من سيِّئِ العذابِ ﴿أليمٍ﴾: مؤلمٍ، ورفعَهُ ابنُ كثيرٍ ويَعقوبُ وحَفصٌ[3].

(٦) ـ ﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ هُوَ ٱلْحَقَّ وَيَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴾.

﴿ وَيَرَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴾: ويعلمَ أولو العلمِ مِن الصَّحابةِ ومَن شايَعَهُم مِن الأمَّةِ، أو مِن مُسلِمِي أهلِ الكتابِ ﴿ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾: القرآنَ ﴿هُوَ ٱلْحَقَّ﴾.

ومَن رفعَ (الحقّ)[4] جعلَ ﴿هُوَ﴾ ضميرًا مُبتدأً و(الحقُّ) خبرَه، والجملةَ ثانيَ

(١) في (أ) و(خ): «إثباتها».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٥٨).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٦)، و«التيسير» (ص: ١٨٠)، و«النشر» (٢/ ٣٤٩).

(٤) أي: (الحقُّ)، حكاها أبو معاذ، ونسبت لابن أبي عبلة، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، و«البحر» (١٧/ ٣٩٤).

مَفعولَيْ (يَرَى)، وهو مرفوعٌ مُستأنَفٌ للاستشهادِ بأولي العلمِ على الجَهَلةِ السَّاعينَ في الآياتِ.

وقيل: منصوبٌ مَعطوفٌ على ﴿لِيَجْزِيَ﴾؛ أي: وليعلمَ أولو العلمِ عندَ مجيءِ السَّاعةِ أنَّه الحقُّ عيانًا كما عَلِمُوه الآنَ بُرهَانًا.

﴿وَيَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ﴾ الذي هو التَّوحيدُ والتَّدرُّعُ بلباسِ التَّقْوَى.

(٧ ـ ٨) ـ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ ۝٧ أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ ۗ بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ قال بَعضُهم لبعضٍ: ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ﴾ يعنون: محمدًا عليه السَّلامُ ﴿يُنَبِّئُكُمْ﴾: يحدِّثُكم بأعجبِ الأعاجيبِ[1]:

﴿إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِى خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: إنَّكُم تُنشؤونَ خلقًا جديدًا بعدَ أن تُمزَّقَ أجسادُكُم كلَّ تَمزيقٍ وتفريقٍ بحيثُ تَصيرُ تُرابًا، وتقديمُ الظَّرفِ للدَّلالةِ على البعدِ والمبالغةِ فيه، وعامِلُهُ مَحذوفٌ دلَّ عليه ما بعدَهُ، فإنَّ ما قبلَه لم يُقارِنْه وما بعدَه مُضافٌ إليه أو محجوبٌ بينهُ وبينَه بـ(إنَّ).

و﴿مُمَزَّقٍ﴾ يحتمِلُ أن يكونَ مَكانًا بمعنى: إذا مُزِّقْتُم وذهبَتْ بكم السُّيولُ كلَّ مَذهبٍ وطرحَتْه[2] كلَّ مطرحٍ.

و﴿جَدِيدٍ﴾ بمعنى فاعلٍ مِن جَدَّ؛ كحَدِيدٍ مِن حَدَّ، وقيل: بمعنى مفعولٍ مِن جَدَّ النَّسَّاجُ الثَّوبَ: إذا قطعَه.

---

(١) في (أ) و(خ): «العجائب».

(٢) في (ض): «فطرحته».

﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَم بِهِۦ جِنَّةٌۢ﴾: جنونٌ يوهمهُ ذلك ويُلقيهِ على لسانِه.

واستُدِلَّ بجَعلِهِم إيَّاه قسيمَ الافتراءِ غيرَ مُعتقِدِينَ صِدقَهُ على أنَّ بينَ الصِّدقِ والكَذبِ واسطةً، وهو: كلُّ خبرٍ لا يَكونُ عن بَصيرةٍ بالمخبَرِ عنه، وضعفُهُ بيِّنٌ؛ لأنَّ(١) الافتراءَ أخصُّ مِن الكَذبِ.

﴿بَلِ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ فِى ٱلْعَذَابِ وَٱلضَّلَـٰلِ ٱلْبَعِيدِ﴾ رَدٌّ مِن اللهِ عليهِم ترديدَهُم، وإثباتٌ لهم ما هو أفظَعُ مِن القِسْمَيْنِ، وهو الضَّلالُ البعيدُ عن الصَّوابِ بحيثُ لا يُرْجَى الخلاصُ منه، وما هو مُؤدَّاهُ من العذابِ، وجَعْلُه رسيلًا(٢) له في الوُقوعِ

---

(١) في (ض): «من حيث إن»، وفي (ت): «حيث إن».

(٢) في (أ): «وسيلاً»، وكذا وقعت عند الأنصاري في «الحاشية» (٤/ ٤٩٧)، وعليه شرح ـ بما ليس بظاهر ـ مستدلًّا بعبارة «الكشاف» على أن اللفظ فيه بالواو، مع أن الذي في «الكشاف» (٧/ ١١٥): «رسيلاً» بالراء، ولم نقع في نسخه الخطية على غيره، وعليه شرح الطيبي عبارة «الكشاف» وشراح البيضاوي عبارة البيضاوي، ولم يذكروا فيه خلافاً ولا فرق نسخ.

فنقل الطيبي عن «أساس البلاغة» قوله: يقال: هو رَسيلُك في الغناء، أي: يُباريك في إرسالِك، ومن المجاز تقول: القَبيحُ سوءُ الذِّكْرِ رَسيلُه، وسوءُ العاقبةِ زَميلُه.

وقال الشهاب: قوله: «وجعله رسيلاً له»؛ أي: قريناً له في الوقوع لأنّ الاقتران في النظم يناسب الاقتران في الوقوع. ونحوه قال القونوي وغيره من الشراح.

قال شيخ زاده: أي: جعل العذاب تابعاً مقارناً للضلال حيث عطف أحدهما على الآخر بالواو المؤذنة بالاجتماع في الوقوع.

وقال ابن التمجيد: رسيل الرجل: الذي يراسله في نضال أو غيره، استعير للمقارن؛ أي: جعل العذاب مقترناً للضلال في الوقوع، والحال أن العذاب إنما هو في الآخرة والضلال في الدنيا؛ إشعاراً بأن الضلال لما كان العذاب من لوازمه فكأنهما في الحقيقة مقترنان في الوجود في وقت واحد. انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٥١٠)، و«حاشية الشهاب» (٧/ ١٩٢)، و«حاشية ابن التمجيد» و«حاشية القونوي» (١٥/ ٢٥٦)، و«حاشية شيخ زاده» (٦/ ٦٧٨).

ومقدَّمًا عليهِ في اللفظِ للمبالغَةِ[1] في استحقاقِهِم له، والبعدُ في الأصلِ صِفَةُ الضَّالِّ، ووصفُ الضَّلالِ به على الإسنادِ المجازيِّ.

(٩) ـ ﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسَفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴾.

﴿ أَفَلَمْ يَرَوْاْ إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِن نَّشَأْ نَخْسِفْ بِهِمُ ٱلْأَرْضَ أَوْ نُسْقِطْ عَلَيْهِمْ كِسْفاً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾ تذكيرٌ بما يعايِنونَهُ ممَّا يدلُّ على كمالِ قُدرَةِ اللهِ وما يحتملُ فيه[2]؛ إزاحةً لاستحالَتِهِم الإحياءَ حتى جَعلوهُ افتراءً وهزءًا، وتهديدًا عليها، والمعنى: أعَمُوا فلم ينظرُوا إلى ما أحاطَ بجَوانبِهِم مِن السَّماءِ والأرضِ ولم يتفكَّرُوا: أهُمْ أشَدُّ خلقًا أم هي؟ وإنَّا إنْ نشَأْ نخسِفْ بهم أو نُسقِط عليهم كسفًا لتكذيبِهِم بالآياتِ بعدَ ظُهورِ البيِّناتِ.

وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿يَشَأْ﴾، و﴿يَخْسِفْ﴾ و﴿يُسْقِطْ﴾ بالياءِ[3]؛ لقولِه: ﴿أَفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ﴾، وحفصٌ: ﴿كِسَفًا﴾ بالتَّحريكِ[4].

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ﴾ النَّظرِ والفِكْرِ فيهما وما يَدُلَّانِ[5] عليه ﴿لَءَايَةً﴾: لدلالةً ﴿لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ﴾: راجعٍ إلى ربِّه، فإنَّه يكونُ كثيرَ التَّأمُّلِ في أمرِه.

---

(١) في (ض): «مبالغة».

(٢) أي: في كما قدرة الله تعالى.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٣٨٥)، و«التيسير» (ص: ١٦٦).

(٤) وقراءة الباقين بإسكان السين، انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٥) في (ت): «وما يدل».

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا﴾؛ أي: على سائرِ الأنبياءِ، وهو ما ذُكرَ بعدُ، أو: على سائرِ النَّاسِ، فيندرجُ فيه النبوَّةُ والكتابُ والملكُ والصَّوتُ الحَسَنُ.

﴿يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ﴾: رجِّعِي معه التَّسبيحَ، أو النَّوحةَ على الذَّنبِ، وذلك: إمَّا بخَلْقِ صَوْتٍ مثلِ صوتِه فيها، أو بحملِها إيَّاه على التَّسبيحِ إذا تأمَّلَ ما فيها.

أو: سيري معه حيثُ سارَ.

وقرئ: (أُوْبي)[1] من الأَوْبِ؛ أي: ارجِعِي في التَّسبيحِ كلَّما رَجَعَ فيه.

وهو بدلٌ مِن ﴿فَضْلًا﴾ أو مِن ﴿ءَاتَيْنَا﴾، بإضمارِ (قولَنا) أو (قُلْنا)[2].

﴿وَٱلطَّيْرَ﴾ عطفٌ على محلِّ الجبالِ، ويؤيِّدُه القراءةُ بالرَّفعِ[3] عطفًا على لفظِها تشبيهًا للحركةِ البنائيَّةِ العارضةِ بحركةِ الإعرابِ[4]، أو على ﴿فَضْلًا﴾، أو مفعولٌ معهُ لـ﴿أَوِّبِى﴾، وعلى هذا يجوزُ أن يكون الرَّفعُ بالعَطفِ على ضَميرِه، وكانَ الأَصلُ[5]: ولقَدْ آتينا داودَ مِنَّا فضلًا تأويبَ الجبالِ والطَّيرِ، فبدَّلَ به هذا النَّظمَ لِمَا فيه من الفَخامَةِ والدَّلالةِ على عظمةِ شأنِه وكبرياءِ سُلطانِه، حيثُ جعلَ الجبالَ والطُّيورَ كالعُقَلاءِ المُنقادينَ لأمرِه في نفاذِ مَشيئَتِه فيها.

---

(١) نسبت لابن عباس والحسن وقتادة وابن أبي إسحاق انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢).

(٢) أي: هو بدلٌ مِن ﴿فَضْلًا﴾ بإضمار: قولَنا؛ أي: ولقد آتينا دواد مِنَّا قَوْلَنا: ﴿يَٰجِبَالُ﴾، أو مِن ﴿ءَاتَيْنَا﴾ بإضمار: قلنا؛ أي: ولقد قُلنا: يا جبالُ. انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٥١٦).

(٣) وهي قراءة الأعرج وعبد الوارث عن أبي عمرو كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢).

(٤) في (ض) و(ت): «بالحركة الإعرابية».

(٥) في (ض) و(ت): «وكان أصل النظم».

﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾: جعلناهُ في يدِه كالشَّمعِ يُصرِّفُهُ كيفَ يَشاءُ مِن غيرِ إحماءٍ وطَرْقٍ، بإلانَتِه أو بقوَّتِه.

﴿أَنِ اعْمَلْ﴾ أمرناهُ أنِ اعمَلْ، و﴿أَنِ﴾ مُفسِّرَةٌ أو مَصدريَّةٌ ﴿سَابِغَاتٍ﴾: دروعًا واسعاتٍ، وقُرِئَ: (صابغاتٍ)[1].

وهو أوَّلُ مَن اتَّخذَها[2].

﴿وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ﴾: وقدِّرْ في نَسجِها بحيثُ يتناسَبُ حَلَقُها، أو قدِّرْ مَساميرَها فلا تَجْعَلْها دِقَاقًا فتَقْلَقَ[3]، ولا غِلَاظاً فتخرِقَ.

ورُدَّ بأَنْ دُروعَهُ لم تكُن مُسمَّرةً، ويؤيِّدُه قولُه: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ﴾.

﴿وَاعْمَلُوا صَالِحًا﴾ الضَّميرُ فيه لداودَ وأهلِه ﴿إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ فأُجازيكُم عليه.

(١٢ ـ ١٣) ـ ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾.

---

(١) دون نسبة في «الكشاف» (٧/ ١٢١)، و«البحر» (١٧/ ٤٠٤). وهي لغة: إبدال السين صاداً للغين بعدها. انظر: «المحتسب» (٢/ ١٦٨)، عند قوله: (وأصبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة).

(٢) وكانت قبل ذلك صفائح. رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (١٨٨٠)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٢٣)، عن قتادة.

(٣) في هامش (ض): «فتقلق؛ أي: فتضطرب. سعدي».

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ﴾؛ أي: وسَخَّرْنا له الرِّيحَ، وقرأ أبو بكرٍ: ﴿الرِّيحُ﴾ بالرَّفعِ[1]؛ أي: ولسليمانَ الرِّيحُ مُسخَّرةٌ، وقرئ: ﴿الرِّيَاحُ﴾[2].

﴿غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ﴾: جَرْيُها بالغَداةِ[3] مسيرةُ شَهرٍ وبالعَشِيِّ كذلك، وقُرِئَ: (غُدْوَتُها... ورَوْحَتُها)[4].

﴿وَأَسَلْنَا لَهُۥ عَيْنَ ٱلْقِطْرِ﴾: النُّحاسِ المُذاب، أسالَه لَهُ مِن معدنِه فنبعَ منه نبوعَ الماءِ مِن الينبوعِ، ولذلك سمَّاهُ عَينًا وكان ذلك باليمنِ.

﴿وَمِنَ ٱلْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلرِّيحَ﴾، و﴿من ٱلْجِنِّ﴾ حالٌ متقدِّمَةٌ، أو جملةٌ مِن مُبتدأٍ وخبرٍ.

﴿بِإِذْنِ رَبِّهِۦ﴾: بأمرِه ﴿وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا﴾: ومَن يعدِلْ منهم عمَّا أَمَرْناه مِن طاعةِ سُلَيْمانَ، وقُرِئَ: (يُزِغ)[5] من أزاغَه.

﴿نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ﴾: عذابِ الآخرةِ.

﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ مِن مَّحَٰرِيبَ﴾: قصورًا حصينةً ومساكنَ شريفَةً، سُمِّيَت به لأنَّها يذبُّ عنها ويُحاربُ عليها.

﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾: وصورًا وتماثيلَ للمَلائكةِ والأنبياءِ على ما اعتادوا مِن العباداتِ ليَراهَا النَّاسُ فيعبدُوا نحوَ عِبادَتِهم[6]،........................

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٢) أي: بالرفع أيضاً، وهي قراءة أبي جعفر، انظر: «النشر» (٢/ ٢٢٣).

(٣) في (ت): «بالغدو».

(٤) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٠٩)، و«البحر» (١٧/ ٤٠٦)، عن أبي حيوة.

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢) عن بعضهم.

(٦) هذا القول ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية عن ابن عباس، ولم =

= أقف عليه عن ابن عباس وحاشاه أن يذهب لمثل هذا، لكن ذكره أكثر المفسرين في تفاسيرهم دون عزو، منهم الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٥٦)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٤٨٩)، وتاج القراء الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ٩٢٨)، والزمخشري في «الكشاف» (٧/ ١٢٤)، والبغوي في «تفسيره» (٦/ ٣٩١).

وهو قول مردود لا دليل عليه من الشرع ولا خبر فيه يعتمد عليه، بل هو مخالف لشرعنا ولشرع مَن قبلنا، فكيف يرضى شرع نبي من أنبياء الله بصنع تماثيل للأنبياء والصالحين لأجل الاقتداء، مع أن هذا هو نفسه سبب ضلال كثير من الناس والأمم كما بين الله سبحانه لنا في سورة نوح، وكما روى البخاري (٤٩٢٠) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: صارت الأوثانُ التي كانت في قومِ نوحٍ في العرب بعدُ، أما وَدٌّ كانت لكَلْبٍ بدَوْمَةِ الجَنْدَلِ، وأما سُوَاعٌ كانت لهُذَيلٍ، وأما يغوثُ فكانت لمُرادٍ، ثُم لبني غُطَيْفٍ بالجَوف، عند سبإٍ، وأما يَعُوقُ فكانت لهَمْدانَ، وأمَّا نَسْرٌ فكانت لحِمْيَرَ لآل ذي الكَلاعِ، أسماءُ رجال صالحين من قوم نوح، فلما هَلَكوا أَوْحى الشيطانُ إلى قومهم أنِ انْصِبُوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسَمُّوها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تُعبدْ، حتى إذا هَلَكَ أولئك وتَنَسَّخ العلمُ عُبدت.

فإن قال قائل: فما هو المقصود بالتماثيل إذاً؟ فنقول: قد قيل فيها أقوال أخر، منها أنها كانت لغير الحيوان، ومنها ما ذكره ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٤٩٢) عن الضحاك: أنها كانت كالطَّواويس والعِقْبان والنُّسور على كرسيِّه ودرجات سريره لكي يَهابَها من أراد الدُّنُوَّ منه.

وقد كان العلامة الشعراوي من القلة الذين أنكروا القول بما تقدم من تفسير التماثيل، وذكر فيها معنًى حسناً لعله لم يسبق إليه، فقال في «تفسيره» (١٥/ ٩٦١٤): أما التماثيل فهي معروفة، والموقف منها واضح منذ زمن إبراهيم عليه السلام حينما كسَّرها ونهى عن عبادتها، وهذا يردُّ قول مَنْ قال بأن التماثيل كانت حلالاً، ثم فُتِن الناس فيها فعبدوها من دون الله فَحرِّمت، إذن: كيف نخرج من هذا الموقف؟ وكيف يمتنُّ الله على نبيه سليمان أن سخر له من يعملون التماثيل وهي مُحرَّمة؟

نقول: **كانوا يصنعون له التماثيل لا لغرض التعظيم والعبادة، إنما على هيئة الإهانة والتحقير**، كأن يجعلوها على هيئة رجل جبار، أو أسد أضخم يحمل جزءاً من القصر أو شرفةً من شرفاته، أو يُصوِّرونها تحمل مائدة الطعام... إلخ؛ أي: أنها ليست على سبيل التقديس.

وقال ابن عاشور في «التحرير والتنوير» (٢٢/ ١٦٢): والتمثالُ هو الصورةُ المُمَثَّلةُ، أي: المُجَسَّمةُ =

وحرمةُ التَّصاويرِ شرعٌ مُجدَّدٌ(١).

رُوِيَ أنَّهم عَمِلُوا أَسدَيْنِ في أسفلِ كُرسيِّهِ ونَسْرَينِ فوقَه، فإذا أرادَ أن يصعدَ بسطَ الأسدانِ له ذِراعَيْهما، وإذا قعدَ أظلَّهُ النَّسرانِ بأَجنِحَتِهما.

﴿وَجِفَانٍ﴾: وصِحَافٍ ﴿كَالْجَوَابِ﴾: كالحياضِ الكبارِ، جمعُ جابِيَةٍ مِن الجبايةِ، وهي مِن الصِّفاتِ الغالبةِ كالدَّابَّةِ.

﴿وَقُدُورٍ رَّاسِيَـٰتٍ﴾: ثابتاتٍ على الأثافيِّ لا تنزلُ عنها لعِظَمِها.

﴿ٱعْمَلُوٓا۟ ءَالَ دَاوُۥدَ شُكْرًا﴾ حكايةٌ لِمَا قيلَ لهم، و﴿شُكْرًا﴾ نصبٌ على العلَّةِ؛ أي: اعمَلُوا له واعبدوهُ شُكْرًا، أو المصدرِ لأنَّ العملَ له شكرٌ، أو الوصفِ له(٢)، أو الحالِ، أو المفعولِ به.

﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾: المتوفِّرُ على أداءِ الشُّكرِ بقَلْبِه ولسانِه وجوارحِه أكثرَ أوقاتِه، ومع ذلك لا يوفِّي حقَّهُ لأنَّ توفيقَهُ للشُّكرِ نعمةٌ تَسْتَدعِي شُكْرًا آخرَ لا إلى نهايةٍ، ولذلك قيل: الشَّكورُ مَن يَرَى عَجْزَه عن الشُّكرِ(٣).

= مِثلَ شيءٍ من الأجسامِ فكان النَّحَّاتون يعملون لسليمانَ صورًا مختلفةً كصورٍ موهومةٍ للملائكة وللحيوان مثلَ الأسود، فقد كان كرسيُّ سليمان محفوفًا بتماثيل أسودٍ أربعةَ عشرَ كما وُصف في الإصحاح العاشر مِن سِفرِ الملوك الأوَلِ، وكان قد جعل جابيةً عظيمةً من نحاسٍ مصقولٍ مرفوعةً على اثنتي عشرةَ صورةَ ثور من نحاس.

(١) أي أنها لم تكن إذ ذاك اتخاذها محرماً، ذكره أبو حفص النسفي في «التيسير» عند هذه الآية، عن أبي العالية، وقال الإمام أبو منصور الماتريدي في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٤٣٣) في توجيه اتخاذ التماثيل: **أو أن تكون تماثيل لا رأس لها، نحو: الأواني والكيزان ونحوها**، اهـ.

(٢) قوله: «أو الوصف له»؛ أي: للمصدر؛ أي: اعملوا عملاً شكراً.

(٣) نسبه أبو حفص النسفي في «التيسير» عند هذه الآية لبسام بن عبد الله الصيرفي، أبي الحسن الكوفي من رجال «التهذيب».

(١٤) ـ ﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُواْ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُواْ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴾.

﴿ فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ ﴾؛ أي: على سليمانَ ﴿مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ ﴾: ما دلَّ الجنَّ، وقيل: آلَهُ ﴿إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ ﴾؛ أي: الأَرَضةُ، أُضيفَت إلى فعلِها.

وقُرِئَ بفَتحِ الرَّاءِ[1] وهو تأثُّرُ الخشبةِ مِن فعلِها؛ يقال: أَرَضَتِ الأَرَضَةُ الخَشبَةَ أَرْضًا، فأَرِضَتْ أَرَضًا، مثل: أَكَلَتِ القَوادِحُ الأسنانَ أَكْلًا فأَكِلَتْ أَكَلًا.

﴿تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ﴾: عصاهُ، مِن نَسَأْتُ البعيرَ: إذا طردتَه، لأنَّها يُطرَدُ بها.

وقُرِئَ بفتحِ الميمِ وتخفيفِ الهمزةِ قلبًا وحذفًا[2] على غيرِ قياسٍ، إذ القياسُ إخراجُها بينَ بينَ.

و: (مِنْسَاءَتَه) على مِفْعَالَةٍ[3] كمِيضَاءَةٍ في مِيضَأَةٍ.

و: (مِن سَأَتِه)[4]؛ أي: طرفِ عصاهُ، مُشتَقٌّ[5] مِن سَأَةِ القوسِ، وفيه لغتانِ كمَا في قَحَةٍ وقِحَةٍ.

---

(١) أي: (الأَرَض)، وهي عند ابن خالويه جمع أَرَضة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، ونسبها للواقدي.

(٢) أي: بقلبها ألفاً، أو بحذفها بالكلية، كلاهما مع فتح الميم، ذكرهما في «البحر» (١٧/ ٤١٤)، والقراءة بفتح الميم وقلب الهمزة ألفاً ذكرها ابن عطية في «المحرر الوجيز» (٤/ ٤١٢) عن حمزة. وهي خلاف المشهور عنه، وسيأتي اختلاف القراء السبعة فيها.

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ١٢٩)، و«البحر» (١٧/ ٤١٤).

(٤) نسبت لعمرو بن ثابت عن سعيد بن جبير، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٨٦)، و«البحر» (١٧/ ٤١٤).

(٥) في (ض): «مستعار»، وفي (ت): «مشتقاً».

وقرأ نافعٌ وأبو عمرٍو: ﴿مِنساتَه﴾ بألفٍ ساكنةٍ بدلاً من الهمزة، وابنُ ذَكْوانَ بهمزةٍ ساكنةٍ، وحمزةُ إذا وَقَفَ جَعَلَها بينَ بينَ[١].

﴿فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ﴾: عَلِمَت الجنُّ بعدَ التباسِ الأمرِ عَلَيهِم ﴿أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾: أنَّهُم لو كانوا يعلمونَ الغيبَ كمَا يزعمونَ لعَلِمُوا موتَه حيثما وقعَ، فلم يلبثوا بعدَهُ حولًا في تسخيرِهِ إلى أَنْ خرَّ.

أو: ظهَرَتِ الجنُّ، و﴿أَن﴾ بما في حَيِّزِه بدلٌ منهُ[٢]؛ أي: ظهرَ أنَّ الجنَّ لو كانوا يعلمونَ الغيب ما لَبِثُوا في العذابِ.

وذلك أن داودَ أَسَّسَ بيتَ المقدسِ في موضعِ فُسطاطِ مُوسى عليهِمَا السَّلامُ، فماتَ قبلَ تَمامِه، فوصَّى به إلى سليمانَ، فاستعملَ الجنَّ فيه، فلم يتمَّ بعدُ إذ دنا أجلُهُ، وأُعلِمَ به فأرادَ أَنْ يُعمِّيَ عليهم موتَه ليُتمُّوهُ، فدعاهم فبَنَوْا عليه صَرْحًا من قواريرَ ليسَ له بابٌ، فقامَ يُصَلِّي مُتَّكِئًا على عصاهُ فقبضَ روحَهُ وهو مُتَّكِئٌ عليها، فبقي كذلك حتى أكلَتْها الأرضَةُ فخرَّ، ثم فتحُوا عنه وأرادوا أن يعرفوا وقتَ موتِه فوضعُوا الأرضةَ على العصا فأكلَتْ يومًا وليلةً مقدارًا، فحَسَبُوا على ذلك فوجدوهُ قد ماتَ منذُ سنةٍ[٣]، وكانَ عمرُهُ ثلاثًا وخمسينَ سنةً، ومَلَكَ وهو

---

(١) والباقون بهمزة مفتوحة، وجميعهم اتفقوا على كسر الميم. انظر: «التيسير» (ص: ١٨٠).

(٢) أي: من ﴿ٱلْجِنُّ﴾.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٢٤١) من طريق السُّدِّي في حديث ذكره عن أبي مالك عن أبي صالح، عن ابن عباس، وعن مُرة الهمداني عن ابن مسعود، وعن ناس من أصحاب رسول الله ﷺ، قال ابن كثير بعد ذكر هذا الخبر في «تفسيره» عند هذه الآية: وهذا الأثر ـ والله أعلم ـ إنما هو مما تُلُقِّي من علماء أهل الكتاب، وهي وَقْفٌ لا يصدق منها إلا ما وافق الحق، ولا يُكذب منها إلا ما خالف الحق، والباقي لا يصدق ولا يكذب.

ابنُ ثلاثَ عشرةَ سنةً، وابتدأَ عمارةَ بيتِ المقدسِ لأربعٍ مَضَيْنَ مِن مُلكِه[١].

(١٥) ـ ﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِي مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ كُلُوا مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾.

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ﴾: لأولادِ سَبأ بنِ يَشْجبَ بنِ يَعْربَ بنِ قحطانَ، ومَنَعَ الصَّرفَ عنه ابنُ كثيرٍ وأبو عَمرٍو[٢] لأنَّه صارَ اسمَ القبيلَةِ، وعن ابنِ كثيرٍ قلبُ هَمزَتِه ألفًا، ولعلَّهُ أخرجَهُ بينَ بينَ فلَمْ يُؤَدِّهِ الرَّاوِي كما وجبَ[٣].

﴿في مسَاكِنِهم﴾: في مواضعِ سُكناهُم وهي باليَمنِ يقالُ لها: مَأرِب، بينَها وبينَ صنعاءَ مسيرةُ ثلاثٍ[٤].

وقرأ حمزةُ وحفصٌ بالإفرادِ والفتحِ، والكِسائيُّ بالكسرِ[٥] حَمْلًا على ما شذَّ مِن القياسِ كالمَسجِدِ والمَطْلِعِ.

﴿ءَايَةٌ﴾: علامةٌ دالَّةٌ على وجودِ الصَّانعِ المختارِ، وأنَّه قادرٌ على ما يشاءُ مِن

---

(١) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٦٥)، ورواه ابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٢٢/ ٢٩٩) عن محمد بن إسحاق عن الزهري وغيره.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

(٣) قال الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٣٣٥): لم يذكر هذه القراءة في «النشر»، لكنه نقل عن عقيل تسكينها بنية الوقف، فإن صحت هذه الرواية فلا مانع من حملها على ظاهرها، فإن الهمزة إذا سكنت يطَّرد قلبها من جنس حركة ما قبلها، وهذا أحسن من توهيم الراوي، فإن مبنى الروايات ونقلها على التحقيق، وقد ذكر المعرب أنه رواية عن أبي عمرو، والمروي عن ابن كثير القصر والتنوين، وإنما حمله على ما ذكر لأنه القياس في الهمزة المتحركة.

(٤) رواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٦٢٤٢) عن قتادة.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٤٨٠)، و«التيسير» (ص: ١٦٧).

الأُمورِ العجيبَةِ مُجازٍ للمُحسِنِ والمسيءِ، معاضِدةٌ للبُرهانِ السَّابقِ كما في قِصَّتَيْ داودَ وسُلَيمانَ عليهِمَا السَّلامُ.

﴿جَنَّتَانِ﴾ بدلٌ مِن ﴿ءَايَةٌ﴾ أو خبرُ مَحذوفٍ تقديرُه: الآيةُ جنَّتانِ، وقُرِئَ بالنَّصبِ(١) على المدحِ.

والمرادُ: جماعتانِ مِن البَساتينِ ﴿عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ﴾: جماعةٌ عن يمينِ بَلَدِهم وجماعةٌ عن شمالِه، كلُّ واحدَةٍ مِنْها في تَقارُبِها وتضايُقِها(٢) كأنَّه جنَّةٌ واحدةٌ، أو بُستانا كلِّ رَجُلٍ مِنْهُم عن يمينِ مَسكَنِه وعن شمالِه.

﴿كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ﴾ حكايةٌ لِمَا قال لهم نبيُّهم أو لسانُ الحال، أو دلالةٌ بأنهم كانوا أحقَّاءَ بأن يقالَ لهم ذلك.

﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾ استئنافٌ للدلالةِ على مُوجِبِ الشُّكرِ؛ أي: هذه البلدةُ التي فيهَا رِزقُكُم بلدةٌ طَيِّبَةٌ، وربُّكُم الذي رزقكُمْ وطلبَ شُكرَكُم ربٌّ غفورٌ فرَطاتِ مَن يَشكُره، وقُرِئَ الكلُّ بالنَّصبِ(٣) على المدحِ.

قيل: كانَت أخصبَ البلادِ وأطيبَهَا لم يَكُن فيها عاهَةٌ ولا هامَةٌ.

---

(١) نسبت لابن أبي عبلة، انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤١٣)، و«البحر المحيط» (١٧/ ٤٢٠).

(٢) وقوله: «وتضايقها» بالقاف؛ أي: واتصالها، فإنه كما يُطلق التفسحُ على الانفصال كقوله: ﴿تَفَسَّحُوا۟ فِى ٱلْمَجَٰلِسِ﴾ [المجادلة: ١١] يطلق الضيق على الاتصال لأنه لازم معناه. وضبط بالفاء وهو بمعنى القاف؛ أي: تنضم إليها وتتصل بها حتى تكون في حكم شيء واحد وإن تباينت حدودها وملاكها. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٩٧). وفي نسخة ذكرها الأنصاري في «الحاشية» (٤/ ٥٠٢): «تضامها»، والمعنى في الكل متقارب.

(٣) نسبت ليعقوب في غير المشهور عنه، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٢).

(١٦ ـ ١٧) ـ ﴿ فَأَعْرَضُوا۟ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَىْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ ﴿١٦﴾ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِمَا كَفَرُوا۟ۖ وَهَلْ نُجَٰزِىٓ إِلَّا ٱلْكَفُورَ ﴾.

﴿ فَأَعْرَضُوا۟ ﴾ عن الشُّكرِ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ ﴾: سيلَ الأمرِ العَرِمِ؛ أي: الصَّعبِ، مِن عَرِمَ الرَّجُلُ فهو عارِمٌ وعَرِمٌ: إذا شَرِسَ خُلُقُه وصَعُبَ.

أو: المطرِ الشَّديدِ(١).

أو: الجُرَذِ، أضافَ إليه السيلَ لأنَّه نقَبَ عليهم سِكْرًا ضربَتْه لهم بلقيسُ فحقنَتْ به ماءَ الشِّحْرِ(٢)، وتركَتْ فيه ثُقْبًا على مقدارِ ما يحتاجونَ إليه.

أو: المسنَّاةِ التي عُقِدَتْ سِكْرًا، على أنه جمعُ عَرِمَةٍ وهي الحجارةُ المَركومَةُ(٣).

وقيل: اسمُ وادٍ جاءَ السَّيلُ مِنْ قِبَلِه.

وكان ذلك بينَ عِيسى ومُحمَّدٍ عليهِمَا السَّلامُ.

﴿وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ ﴾: ثمرٍ بَشِعٍ، فإنَّ الخَمْطَ كلُّ نبتٍ أَخذَ طَعْمًا مِن مرارةٍ، وقيل: الأَراكُ، أو كلُّ شجرٍ لا شوكَ له، والتَّقديرُ: أُكلِ أُكلِ خَمْطٍ،

---

(١) قوله: «أو المطر» بالجرّ عطف على «الأمرِ». انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ١٩٧). وعنه سننقل ما سيأتي من شرح.

(٢) قوله: «أو الجُرذِ» بضم الجيم وفتح الراء المهملة والذال المعجمة: نوع من الفئران، قيل: إنه أعمى، ويسمى الخلد أيضاً، وقوله: «أضاف إليه..» إشارة إلى أنّ الإضافة لأدنى ملابسة، و«السكر» بفتح السين وكسرها وسكون الكاف: الجسر والسد على الماء، و«ضربته» بمعنى: صنعته وبنته، و«حقنت» بمعنى: حبست وجمعت، و«الشّحر» بكسر الشين المعجمة وقد تفتح وسكون الحاء المهملة: واد بين عُمان وعدن من أرض اليمن، وفيه مساكن سبأ، ويطلق على الوادي ومجرى الماء مطلقاً.

(٣) قوله: «أو المسناة التي عقدت سكراً» هذا تفسير آخر للعرم، قيل: هي ما يبنى ليردّ ماء السيل عن البساتين، و«المركومة» بمعنى الموضوع بعضها فوق بعض لتكون سداً.

فحُذِفَ المضافُ وأقيمَ المضافُ إليه مُقامَهُ في كونِه بدلًا أو عطفَ بيانٍ.

﴿وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِّن سِدْرٍ قَلِيلٍ﴾ مَعطوفانِ على ﴿أُكُلٍ﴾ لا على ﴿خَمْطٍ﴾، فإنَّ الأثلَ هو الطرفاءُ[1]، ولا ثمرَ له.

وقُرِئا بالنَّصبِ[2] عطفًا على ﴿جَنَّتَيْنِ﴾.

ووصفُ السِّدرِ بالقلةِ فإنَّ جَنَاه وهو النَّبقُ ممَّا يَطِيبُ أَكْلُه، ولذلك يُغرسُ في البساتين.

وتسميةُ البدلِ جنتين للمُشاكلَةِ والتَّهكُّمِ.

وقرأَ أبو عَمرٍو: ﴿ذَوَاتَيْ أُكُلِ﴾ بغيرِ تنوينِ اللامِ، وقرأَ الحِرْمِيَّانِ بتَخفيفِ ﴿أُكْل﴾[3].

﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَاهُم بِمَا كَفَرُوا﴾: بكُفرانِهم النِّعمةَ، أو: بكُفرِهِم بالرُّسُلِ، إذ رُوِيَ أنَّه بُعِثَ إليهم ثلاثةَ عشرَ نَبيًّا فكذَّبُوهُم، وتَقديمُ المفعولِ للتَّعظيمِ لا للتَّخصيصِ.

﴿وهل يُجازَى إلا الكَفورُ﴾: وهَلْ يُجازَى بمثلِ ما فَعَلْنَا بهم إلا البَليغُ في الكُفرانِ، أو الكُفرِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ ويعقوبُ وحَفصٌ: ﴿نُجَٰزِيٓ﴾ بالنُّونِ، و﴿ٱلْكَفُورَ﴾ بالنَّصبِ[4].

---

(١) الطرفاء بالمد: شجر لا ثمر له، وهو نوع من الأثل، انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٧/ ١٩٨).

(٢) أي: (وأثلًا وشيئًا)، نسبت للفضل بن إبراهيم، انظر: «المختصر شواذ القراءات» (ص: ١٢٢).

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٠).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٨)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ ﴿١٨﴾ فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ﴾.

﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا﴾ بالتَّوسعَةِ على أهلِها، وهي قُرى الشَّامِ ﴿قُرًى ظَاهِرَةً﴾: مُتواصلةً يظهَرُ بعضُها لبعضٍ، أو: راكبةً متنَ الطَّريقِ ظاهرةً لأبناءِ[1] السَّبيلِ.

﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ﴾ بحيثُ يَقيلُ الغادي في قريةٍ ويبيتُ الرَّائحُ في قريةٍ إلى أنْ يَبلُغَ الشَّامَ.

﴿سِيرُوا فِيهَا﴾ على إرادةِ القولِ بلِسانِ الحالِ أو المقالِ ﴿لَيَالِيَ وَأَيَّامًا﴾: مَتى شِئتُم مِن ليلٍ أو نَهارٍ ﴿آمِنِينَ﴾ لا يختلِفُ الأمنُ فيها باختلافِ الأوقاتِ.

أو: سيروا آمنينَ وإن طالَت مُدَّةُ سَفرِكُم فيها.

أو: سيروا فيها لياليَ أعمارِكُم وأيامَها لا تَلقَوْنَ فيها إلا الأمنَ.

﴿فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا﴾ أَشِرُوا النِّعمةَ ومَلُّوا العافيةَ كبني إسرائيلَ، فسألُوا اللهَ أنْ يجعلَ بينَهُم وبينَ الشَّامِ مَفاوِزَ ليَتطاوَلُوا فيها على الفُقَراءِ بركوبِ الرَّواحلِ وتَزوُّدِ الأزوادِ، فأَجابَهُم اللهُ تعالى بتَخريبِ القُرَى المُتوسِّطَةِ.

وقرأَ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو وهشامٌ: ﴿بَعِّدْ﴾[2]، ويعقوبُ: ﴿رَبُّنَا باعَدَ﴾[3]

---

(١) (أ): «لابن».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٣) انظر: «المبسوط» لابن مهران (ص: ٣٦٢)، وهي رواية عنه.

بلَفظِ الخبرِ على أنَّه شَكوى مِنْهم لبُعدِ سَفَرِهِم؛ إفراطًا في التَّرفُّهِ وعدمِ الاعتدادِ بما أَنعمَ اللهُ عليهِم فيه.

ومثلُه قراءَةُ مَن قرأَ: (رَبَّنا بَعُد) أو: (بُعِّد) على النِّداءِ وإسنادِ الفعلِ إلى (بينُ)(١).

﴿وَظَلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ﴾ حيثُ بَطِرُوا النِّعمةَ ولم(٢) يَعتَدُّوا بها.

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمۡ أَحَادِيثَ﴾ يتحدَّثُ النَّاسُ بهم تَعجُّبًا وضَرْبَ مَثَلٍ فيقولونَ: (تَفرَّقُوا أَيدِي سَبَا) ﴿وَمَزَّقۡنَٰهُمۡ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ ففرَّقناهُم غايةَ التَّفريقِ حتَّى لَحِقَ غسَّانُ مِنْهُم بالشَّامِ، وأَنْمارُ بيَثرِبَ، وجُذَامُ بتِهامَةَ، والأَزْدُ بعُمَانَ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾: فيما ذكرَ ﴿لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ﴾ عن المعاصِي ﴿شَكُورٖ﴾ على النِّعَمِ.

(٢٠ ـ ٢١) ـ ﴿وَلَقَدۡ صَدَّقَ عَلَيۡهِمۡ إِبۡلِيسُ ظَنَّهُۥ فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ۝٢٠ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم مِّن سُلۡطَٰنٍ إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖۗ وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾.

﴿ولَقَد صَدَقَ علَيْهِم إبليسُ ظَنَّهُ﴾؛ أي: صَدَقَ في ظَنِّهِ، أو صَدَقَ بظنٍّ ظنَّه، مثلَ: فعلْتَه جهدَكَ، ويجوزُ أن يُعدَّى الفعلُ إليه بنفسِه كمَا في (صَدَقَ وعدَهُ)

---

(١) أي: (ربَّنا بَعُد بَيْنُ أَسفارِنَا) و: (بُعِّد بينُ أَسفَارِنَا) على النداء وإسنادِ الفِعْل إلى (بَيْنُ) ورَفْعِه به. ذكرهما دون نسبة الزمخشري في «الكشاف» (٧/ ١٤٠)، ونسبت الأولى لسعيد بن أبي الحسن أخي الحسن البصري، وابن يعمر، ومحمد بن السميفع، وغيرهم، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٨٩).

(٢) في (خ) و(ض): «أو لم».

لأنَّه نوعٌ مِن القَوْلِ، وشدَّدَه الكوفيُّونَ[١] بمعنى: حقَّقَ ظنَّهُ، أو: وجدَهُ صادِقًا.

وقُرِئَ بنَصبِ (إبليسَ) ورفعِ الظَّنِّ مع التَّشديدِ[٢] بمَعنى: وجدَهُ ظنُّه صادقًا، والتَّخفيفِ[٣] بمعنى: قالَ له ظنُّهُ الصِّدقَ حين خيَّله إغواءَهُم[٤].

وبرفعِهما والتَّخفيفِ[٥] على الإبدالِ.

وذلك إما ظنُّه بالسَّبأ حينَ رأى انهِمَاكَهُم في الشَّهواتِ، أو ببَنِي آدمَ حينَ رَأى أباهُم النَّبيَّ[٦] ضعيفَ العَزْمِ، أو ما ركِّبَ فيهم مِن الشَّهوَةِ والغضبِ، أو سمعَ مِن الملائكةِ: ﴿أَتَجۡعَلُ فِيهَا مَن يُفۡسِدُ فِيهَا﴾ [البقرة: ٣٠] فقال: ﴿وَلَأُضِلَّنَّهُمۡ﴾ [النساء: ١١٩] ﴿وَلَأُغۡوِيَنَّهُمۡ﴾ [الحجر: ٣٩].

﴿فَٱتَّبَعُوهُ إِلَّا فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾: إلا فريقًا هم المؤمنونَ لم يتَّبعوهُ، وتقليلهُم بالإضافةِ إلى الكُفَّارِ، أو: إلَّا فريقًا من فرقِ المُؤمنينَ لم يتَّبعوهُ في العصيانِ وهم المخلِصونَ.

---

(١) وهم عاصم وحمزة والكسائي. انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٢) انظر: «الكشاف» (٧/ ١٤١).

(٣) انظر: «المحتسب» (٢/ ١٩١) عن الزهري وأبي الهجهاج الأعرابي، ونسبها في «المحرر الوجيز» (٤/ ٤١٧) لبلال بن أبي بردة.

(٤) قوله: «خيله إغواءهم» بنصب «إغواءهم» على الحذف والإيصال، وفاعله ضمير الظن؛ أي: خيل له إغواءهم. أو برفعه على الفاعلية. انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٧/ ٢٠٠).

(٥) انظر: «الكشاف» (٧/ ١٤١) دون نسبة، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢) عن عبد الوارث عن أبي عمرو. ولم يقيد ابن خالويه (صدق) بتشديد ولا تخفيف، لكن ذكر الآلوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ٨٥) أن ظاهر قول الزمخشري بعدها: «ولو قرئ بالتَّشديد معَ رفعهمَا» أنه لم يقرأ أحد بذلك.

(٦) «النبي»: ليس في (ض).

﴿ وَمَا كَانَ لَهُۥ عَلَيۡهِم ﴾: على المتَّبِعين ﴿مِّن سُلۡطَٰنٍ﴾: تسلُّطٍ واستيلاءٍ بالوَسْوَسَةِ والاستغواءِ[1].

﴿إِلَّا لِنَعۡلَمَ مَن يُؤۡمِنُ بِٱلۡأٓخِرَةِ مِمَّنۡ هُوَ مِنۡهَا فِي شَكّٖ﴾: إلا ليتعلَّقَ عِلمُنا بذلك تعلُّقًا يترتَّبُ عليه الجزاءُ، أو ليتميَّزَ المؤمنُ مِن الشَّاكِّ، أو ليؤمنَ مَن قدَّرَ إيمانَه ويشكَّ مَن قدَّرَ ضلالَهُ.

والمرادُ مِن حُصولِ العلمِ: حصولُ مُتعلَّقِه مُبالغَةً، وفي نظمِ الصِّلَتينِ نكتةٌ لا تَخْفَى.

﴿وَرَبُّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٍ حَفِيظٞ﴾: مُحافِظٌ، والزِّنَتانِ مُتَآخِيَتانِ.

(٢٢) ـ ﴿ قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَمَا لَهُمۡ فِيهِمَا مِن شِرۡكٖ وَمَا لَهُۥ مِنۡهُم مِّن ظَهِيرٖ﴾.

﴿ قُلِ ﴾ للمُشركينَ: ﴿ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾؛ أي: زَعَمْتُموهُم آلهةً، وهُمَا مَفعولَا (زَعَم) حُذِفَ الأوَّلُ لِطولِ الموصول بصِلَتِه، والثَّاني لقيامِ صِفَتِه ـ وهي ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ ـ مَقامَه، ولا يجوزُ أَنْ يكونَ هو مفعولَهُ الثَّانيَ لأنَّه لا يلتَئِمُ مع الضَّميرِ كلامًا، ولا ﴿لَا يَمۡلِكُونَ﴾ لأنَّهم لا يزعُمونَه ﴿مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ والمعنى: ادعوهُم فيما يُهِمُّكُم مِن جلبِ نَفعٍ أو دفعِ ضرٍّ لعَلَّهُم يستجيبونَ لَكُم إن صحَّ دعواكم، ثمَّ أجابَ عنهم إشعارًا بتعيُّنِ الجوابِ وأنَّه لا يقبلُ المُكابرةَ فقال:

﴿لَا يَمۡلِكُونَ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ مِن خيرٍ أو شَرٍّ ﴿فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ في أمرٍ مّا، وذكرُهُما للعُمومِ العُرْفِيِّ، أو لأنَّ آلهتَهُم بعضُها سَماوِيَّةٌ كالملائكةِ

---

(١) في (ض): «بوسوسة واستغواء».

والكواكبِ، وبعضُهَا أَرضِيَّةٌ كالأصنامِ، أو لأنَّ الأسبابَ القَريبَةَ للشرِّ والخيرِ سماويَّةٌ وأرضيَّةٌ، والجملةُ استئنافٌ ببيانِ حالِهم.

﴿وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ﴾: مِن شركةٍ لا خَلْقًا ولا مُلْكًا ﴿وَمَا لَهُۥ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ﴾ يُعِينُه على تَدبيرِ أمرِهِما.

(٢٣) ـ ﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُوا۟ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ ۖ قَالُوا۟ ٱلْحَقَّ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ﴾.

﴿وَلَا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ عِندَهُۥٓ﴾ فلا تَنفَعُهم شفاعةٌ أيضًا كما يزعمونَ؛ إذ لا تنفعُ الشَّفاعةُ عندَ اللهِ ﴿إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُۥ﴾: أَذِنَ له أن يَشْفعَ، أو أذِنَ أَنْ يُشْفَعَ لهُ لعلوِّ شأنِه، ولم يثبُت ذلك، واللامُ على الأوَّلِ كاللامِ في قولِك: الكَرَمُ لزيدٍ، وعلى الثَّاني كاللامِ في: جئتُك لزيدٍ.

وقرأ أبو عمرٍو وحمزةُ والكِسائيُّ بضمِّ الهمزةِ[1].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ غايةٌ لِمَفهومِ الكلامِ مِن أَنَّ ثَمَّ توقُّفاً وانتظاراً للإذنِ؛ أي: يَتربَّصونَ فَزِعينَ حتَّى إذا كُشفَ الفزعُ عن قلوبِ الشَّافعينَ والمشفوعِ لهم بالإذنِ.

وقيل: الضَّميرُ للمَلائكَةِ وقد تقدَّمَ ذِكرُهُم ضِمْنًا.

وقرأ ابنُ عامرٍ ويَعقوبُ: ﴿فَزَّعَ﴾ على البناءِ للفاعلِ[2]، وقُرِئَ: (فُرِّغَ)[3]؛ أي: نُفِيَ الوجَلُ، مِن فَرَغَ الزَّادُ: إذا فَنِيَ.

---

(١) في (ض) بدل «بضم الهمزة»: «أذن على البناء للمفعول»، انظر: «السبعة» (ص: ٥٢٩)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦١)، و«المحتسب» (٢/ ١٩٢) عن الحسن، و«البحر» (١٧/ ٤٤١) عنه وعن ابن عمر وقتادة وغيرهم.

﴿قَالُواْ﴾ قال بعضُهم لبعضٍ: ﴿مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ﴾ في الشَّفاعةِ؟

﴿قَالُواْ ٱلْحَقَّ﴾ قالوا: قالَ القولَ، وهو الإذنُ بالشَّفاعةِ لِمَن ارتضَى وهُم المؤمنونَ، وقُرِئَ بالرَّفعِ[١]؛ أي: مقولُه الحَقُّ.

(٢٤) ـ ﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ قُلِ ٱللَّهُ وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿قُلْ مَن يَرْزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ يريدُ بهِ تقريرَ قولِه: ﴿لَا يَمْلِكُونَ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُ﴾ إذ لا جوابَ سواهُ، وفيهِ إشعارٌ بأنَّهم إن سكتُوا أو تلعثمُوا في الجوابِ مخافةَ الإلزامِ فهُمْ مُقِرُّونَ به بقُلوبِهم.

﴿وَإِنَّآ أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾؛ أي: وإنَّ أحدُ الفريقَيْنِ مِن الموحِّدينِ المتوحِّدَ بالرِّزقِ والقدرةِ الذَّاتيَّةِ بالعبادةِ والمشركينَ به الجمادَ النَّازلَ في أدنى المراتبِ الإمكانيَّةِ[٢]= لعَلى أحدِ الأمرينِ مِن الهُدَى والضَّلالِ المُبيْنَينِ[٣]، وهو بعدَما تقدَّمَ مِن التَّقريرِ البَليغِ الدَّالِّ على مَن هو على الهُدى ومَن هو في الضَّلالِ أبلَغُ من التَّصريحِ؛ لأنَّه في صورةِ الإنصافِ المُسكِتِ[٤] للخصمِ المشاغبِ، ونظيرُهُ قولُ حسَّان:

---

(١) نسبها الهذلي في «الكامل» (ص: ٦٢٣)، وأبو حيان في «البحر» (١٧/ ٤٤٣)، لابن أبي عبلة، وأجازها نحواً لا قراءة: الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٦٢) فقال: ولو قرئ: (الْحَقُّ) بالرفع ـ أي: هو الحق ـ كان صوابًا، وتابعه الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٢٥٣).

(٢) في (خ): «المكانية».

(٣) في (ض): «والضلال الواضح».

(٤) في (ض) و(ت): «المبكت».

أَتَهْجُــوهُ وَلَسْــتَ لَــهُ بِكُــفْءٍ فَشَــرُّكُمَا لِخَيْرِكُمَــا الفِــدَاءُ[١]

وقيل: إنَّه على اللفِّ، وفيه نظرٌ.

واختلافُ الحرفينِ لأنَّ الهادي كمَنْ صَعِدَ مَنارًا ينظرُ الأشياءَ ويتطلَّعُ عليها، أو رَكِبَ جوادًا يركضُه حيثُ يشاءُ، والضَّالَّ كأنَّه مُنغَمِسٌ في ظلامٍ مُرتبِكٌ فيه لا يَرى شيئًا، أو محبوسٌ في مَطْمورَةٍ لا يستطيعُ أَنْ يَتفصَّى مِنْها.

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٥﴾ قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾.

﴿قُل لَّا تُسْـَٔلُونَ عَمَّآ أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْـَٔلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ هذا أدخَلُ في الإنصافِ وأبلغُ في الإخباتِ، حيثُ أسندَ الإجرامَ إلى أنفُسِهم والعملَ إلى المُخاطبينَ.

﴿قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾ يومَ القيامَةِ ﴿ثُمَّ يَفْتَحُ بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ﴾: يحكمُ ويفصِلُ بأن يُدخِلَ المحقِّينَ الجنَّةَ والمُبطلينَ النَّارَ.

﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ﴾: الحاكمُ الفصلُ[٢] في القضايا المنغلِقَةِ ﴿ٱلْعَلِيمُ﴾ بما يَنبَغي أن يُقضَى به.

(٢٧) ـ ﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ كَلَّا بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿قُلْ أَرُونِيَ ٱلَّذِينَ أَلْحَقْتُم بِهِۦ شُرَكَآءَ﴾ لأَرى بأَيِّ صِفَةٍ أَلحَقْتُموهُم باللهِ في استحقاقِ العِبادةِ، وهو استِفسارٌ عن شُبهَتِهم بعدَ إلزامِ الحُجَّةِ عليهم زيادةً في تَبكيتِهم.

---

(١) انظر: «ديوان حسان» (ص: ٩).

(٢) في (ت): «للفصل».

﴿كَلَّا﴾ ردعٌ لَهُم عن المشاركَةِ بعدَ إبطالِ المُقايَسةِ ﴿بَلْ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾: الموصوفُ بالغلبَةِ وكمالِ القُدرَةِ والحِكمَةِ، وهؤلاءِ الملحقونَ به مُتَّسمةٌ بالذِّلَّةِ متأبِّيَةٌ عن قَبولِ العلمِ والقُدرَةِ رأسًا، والضَّميرُ للهِ أو للشَّأنِ.

(٢٨) - ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾: إلَّا إرسالةً عامَّةً لهم، مِن الكفِّ؛ فإنَّها إذا عَمَّتْهم فقَدْ كَفَّتْهُم أَنْ يخرجَ مِنْها أحدٌ مِنْهُم، أو: إلَّا جامعًا لهم في الإبلاغِ فهيَ حالٌ من الكافِ، والتَّاءُ للمُبالغَةِ، ولا يجوزُ جَعلُها حالًا من (النَّاسِ) على المُختارِ.

﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيَحمِلُهُم جهلُهم على مُخالفَتِك.

قوله: «﴿إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ﴾: إلَّا إرسالة عامَّةً لهم»:

قال أبو حيَّان: المنقولُ عن النَّحويينَ أنَّ ﴿كَآفَّةً﴾ بمعنى: عامَّة، لا يكونُ إلا حالًا، ولم يُتَصرَّف فيها بغيرِ ذلك، فجعْلُها صِفَةً لِمَصدرٍ مَحذوفٍ خروجٌ عما نقلوا، ولا يُحفَظُ أيضًا استعمالُها صِفَةً لِمَوصوفٍ مَحذوفٍ(١).

قوله: «ولا يجوزُ جَعْلُها حالًا (مِن النَّاسِ) على المُختارِ»:

قال أبو حيَّان: هذا مَذهبُ الأكثرينَ، وذهبَ الفارسيُّ وابنُ كَيْسانَ وابنُ برهانَ، ومن المُتأخِّرينَ ابنُ مالكٍ، إلى أنَّه يَجوزُ، وهو الصَّحيحُ(٢).

قال في «الألفيَّة»:

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٤٤٧).

(٢) المصدر السابق (١٧/ ٤٤٧).

وَسَــبْقَ حَالِ مَا بِحَـرْفٍ جُـرَّ قَدْ أَبَــوْا، وَلَا أَمْــنَعُهُ فَقَــدْ وَرَدْ[1]

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿ وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٩﴾ قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ ﴾.

﴿ وَيَقُولُونَ ﴾ مِن فَرْطِ جَهْلِهِم: ﴿مَتَىٰ هَٰذَا ٱلْوَعْدُ﴾ يعنونَ[2]: المبشَرَ به والمنذرَ عنه، أو الموعودَ بقولِه: ﴿يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبُّنَا﴾.

﴿إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴾ يُخاطبونَ به رسولَ اللهِ والمؤمنينَ.

﴿قُل لَّكُم مِّيعَادُ يَوْمٍ﴾: وعدُ يومٍ أو: زمانُ وعدٍ، وإضافتُه إلى اليومِ للتَّبيينِ، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ على البَدلِ[3]، وقُرِئَ: (يوماً)[4] بإضمارِ: أَعْنِي.

﴿لَّا تَسْتَـْٔخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ إذا فاجَأَكُم، وهوَ جوابُ تهديدٍ جاءَ مُطابقًا لِمَا قصدُوهُ بسُؤالِهم مِن التَّعنُّتِ والإنكارِ.

قوله: «ويُؤَيِّدُه أنَّه قُرِئَ عَلَى البَدلِ»:

قال أبو حيَّان: لا تَأييدَ فيه؛ إذ قَدْ يكونُ بدلًا على تَقديرِ مَحذوفٍ؛ أي: قُل: لَكُم ميعادٌ مِيعادُ يومٍ، فلمَّا حُذِفَ أُعرِبَ ما قامَ مَقامَهُ بإعرابِه[5].

وقال السَّفاقُسيُّ: جوابُه: أنَّ الأصلَ عدمُ الحَذفِ.

(١) انظر: «ألفية ابن مالك» (البيت رقم: ٣٤٠).

(٢) في (ت): «يعني».

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ١٥١)، وأجازها الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٦٢) نحواً فقال: ولو قرئت: «ميعادٌ يومٌ» لجاز.

(٤) أي: (ميعادٌ يوماً)، نسبها في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣) لليزيدي، والهذلي في «الكامل» (ص: ٦٢٣) لابن أبي عبلة، وأبو حيان في «البحر» (١٧/ ٤٤٩) لهما.

(٥) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٤٤٩).

(٣١ ـ ٣٢) ـ ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لَوْلَا أَنتُمْ لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ (٣١) قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾.

﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَن نُّؤْمِنَ بِهَٰذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ﴾: ولا بما تقدَّمه من الكتبِ الدَّالَّةِ على البعثِ.

وقيل: إنَّ كُفَّارَ مكَّةَ سألوا أهلَ الكتابِ عن الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ، فأخبروهُم أنَّهُم يجدونَ نعتَهُ في كتبِهِم، فغَضِبُوا وقالوا ذلك[1].

وقيل: (الذي بينَ يديه): يومُ القيامَةُ.

﴿وَلَوْ تَرَىٰ إِذِ الظَّالِمُونَ مَوْقُوفُونَ عِندَ رَبِّهِمْ﴾؛ أي: في موضعِ المُحاسبَةِ ﴿يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ الْقَوْلَ﴾: يتحاوَرُونَ ويتراجعونَ القولَ.

﴿يَقُولُ الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا﴾ يقولُ الأتباعُ ﴿لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا﴾ للرُّؤساءِ: ﴿لَوْلَا أَنتُمْ﴾: لولا إِضلالُكُم وصَدُّكُم إيَّانا عن الإيمانِ ﴿لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ﴾ باتِّباعِ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ.

﴿قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا أَنَحْنُ صَدَدْنَاكُمْ عَنِ الْهُدَىٰ بَعْدَ إِذْ جَاءَكُم ۖ بَلْ كُنتُم مُّجْرِمِينَ﴾ أنكَرُوا أنَّهُم كانوا صادِّينَ لهم عن الإيمانِ، وأثبَتُوا أنَّهُم هم الذين

(١) ذكر الإمام أبو منصور في «تأويلات أهل السنة» (٨/ ٨٥) هذه القصة في تفسير قوله تعالى ﴿أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ آيَةً أَن يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الشعراء: ١٩٧]، وأبو الليث السمرقندي في «بحر العلوم» (٢/ ٦١١)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٠/ ٤٦٦)، والواحدي في «الوجيز» (ص: ٨٢٠) عند قوله تعالى: ﴿قَالُوا سِحْرَانِ تَظَاهَرَا﴾.

صَدُّوا أنفُسَهُم[1] حيثُ أعرَضُوا عن الهُدَى وآثَرُوا التَّقليدَ عليه، ولذلك بَنَوا الإنكارَ على الاسم.

(٣٣) - ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ وَأَسَرُّوا۟ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُوا۟ لِلَّذِينَ ٱسْتَكْبَرُوا۟ بَلْ مَكْرُ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ ﴾ إضرابٌ عن إضرابِهم؛ أي: لم يَكُن إجرامُنا هو الصادَّ، بل مَكرُكُم[2] لنا دائبًا ليلًا ونهارًا حتى أَغرَتُم علينا رأينا[3].

﴿ إِذْ تَأْمُرُونَنَآ أَن نَّكْفُرَ بِٱللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُۥٓ أَندَادًا ﴾ والعاطفُ يَعْطِفُه على كلامِهِم الأوَّلِ، وإضافةُ المكرِ إلى الظَّرفِ على الاتِّساعِ.

وقُرِئَ: (مكرَ الليل) بالنَّصبِ على المصدرِ[4].

و: (مكرٌ الليلَ) بالتَّنوينِ ونصبِ الظَّرفِ[5]، و: (مكرّ الليل) مِن الكرورِ[6].

---

(١) في (ض): «بأنفسهم».

(٢) في (خ) و(ض) و(ت) زيادة: «لنا».

(٣) قوله: «أغرتم علينا رأينا» كذا وقع في النسخ، والظاهر: غيرتم علينا رأينا. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٢٠٥).

(٤) لم أجدها.

(٥) انظر: «المحتسب» (٢/ ١٩٣) عن قتادة.

(٦) نسبت برفع (مكرٌ) لسعيد بن جبير وأبي رزين وجعفر بن محمد، وبنصبه لابن جبير أيضاً وطلحة وراشد الذي نظر في مصاحف الحجاج. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٢)، و«المحتسب» (٢/ ١٩٣)، و«البحر» (١٧/ ٤٥٣). قال أبو حيان: وراشد هذا من التابعين ممن صحح المصاحف بأمر الحجاج.

﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ﴾: وأَضمَرَ الفريقانِ النَّدامةَ على الضَّلالِ والإضلالِ وأخفاها كلٌّ عن صاحبِه مخافةَ التَّعييرِ، أو: أظهَرُوها فإنَّه(١) مِن الأضدادِ، إذ الهمزةُ تَصْلحُ للإثباتِ والسَّلبِ كما في: أَشْكَيْتُه(٢).

﴿وَجَعَلْنَا ٱلْأَغْلَٰلَ فِىٓ أَعْنَاقِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾؛ أي: في أعناقِهم، فجاءَ بالظَّاهرِ تنويهًا بذمِّهم وإشعارًا بموجبِ أغلالِهم.

﴿هَلْ يُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ﴾؛ أي: لا يُفعلُ بهم إلا ما يُفعلُ بالأُجَراءِ على أعمالِهم، وتعديَةُ (يجزي) إمَّا لتَضمينِ معنى: يَقضي، أو لنزعِ الخافضِ.

(٣٤ ـ ٣٥) ـ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٤﴾ وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ﴾ تسليةٌ لرسولِ اللهِ ﷺ ممَّا مُنيَ بهِ مِن قومِه، وتخصيصُ المُتنعِّمينَ بالتَّكذيبِ لأنَّ الدَّاعِيَ المعظَمَ إلى التكبُّرِ والمفاخرةِ بزخارفِ الدُّنيا الانهماكُ(٣) في الشَّهواتِ والاستهانةُ بمَنْ لم يحظَ مِنها، ولذلك ضمُّوا التَّهكُّمَ والمفاخرةَ إلى التَّكذيبِ فقالوا: ﴿إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ﴾ على مقابلةِ الجمعِ بالجَمعِ.

﴿وَقَالُواْ نَحْنُ أَكْثَرُ أَمْوَٰلًا وَأَوْلَٰدًا﴾ فنحنُ أولى بما تَدَّعونَه إنْ أمكنَ ﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ إمَّا لأنَّ العذابَ لا يكونُ، أو لأنَّه كرَّمنا بذلك فلا يهينُنا بالعذابِ.

---

(١) في (ت): «لأنه».

(٢) أي: أزلت شكواه.

(٣) في (ض): «لأنَّ الدَّاعِيَ المعظَمَ إليه التكبُّر والمفاخرة بزخارفِ الدُّنيَا والانهماك».

(٣٦) ـ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿قُلْ﴾ رَدًّا لحُسبانِهِم: ﴿إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ﴾ ولذلك يختلفُ فيه الأشخاصُ المتماثلةُ في الخصائصِ والصِّفاتِ، ولو كان ذلك لكرامةٍ وهوانٍ يُوْجِبانه لم يَكُن بمَشيئتِه.

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيظنونَ أنَّ كثرةَ الأموالِ والأولادِ للشَّرفِ والكرامةِ، وكثيرًا ما يكونُ للاستدراجِ كما قال:

(٣٧) ـ ﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا وَهُمْ فِي الْغُرُفَاتِ آمِنُونَ﴾.

﴿وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم بِالَّتِي تُقَرِّبُكُمْ عِندَنَا زُلْفَىٰ﴾: قربةً، و(التي) إمَّا لأنَّ المرادَ: وما جماعةُ الأموالِ والأولادِ، أو لأنَّها صِفَةُ مَحذوفَةٍ كالتَّقوى والخَصلَةِ.

وقُرِئَ: (بالذي)؛ أي: بالشَّيءِ الذي يُقرِّبُكُم[1].

﴿إِلَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا﴾ استثناءٌ مِن مَفعولِ ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾؛ أي: الأموالُ والأولادُ لا تُقرِّبُ أحدًا إلا المؤمنَ الصَّالحَ الذي يُنفِقُ مالَهُ في سبيلِ اللهِ، ويُعلِّمُ ولدَهُ الخيرَ، ويُربِّيهِ على الصَّلاحِ.

أو مِن ﴿أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُم﴾ على حذفِ المُضافِ.

﴿فَأُولَٰئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضِّعْفِ بِمَا عَمِلُوا﴾: أن يجازَوا الضِّعفَ إلى عشرٍ فما فوقَه، والإضافةُ إضافةُ المصدرِ إلى المفعولِ، وقُرِئَ بالإعمالِ على الأصلِ[2].

---

(١) انظر: «الكشاف» (٧/ ١٥٦)، و«البحر المحيط» (١٧/ ٤٥٧)، دون نسبة.

(٢) انظر: «الكشاف» (٧/ ١٥٧) دون نسبة، وأجازها نحواً لا قراءة الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٦٤) فقال: لو نصبتَ بالتنوين الذي في الجزاء كان صوابًا، وتابعه الزجاج في «معاني =

وعن يعقوبَ رَفعُهُما على إبدالِ (الضِّعْفُ)(١)، ونصبُ الجَزاءِ(٢) على التَّمييزِ، أو المصدرِ لفعلِه الذي دلَّ عليه ﴿لَهُمْ﴾.

﴿وَهُمْ فِي ٱلْغُرُفَٰتِ ءَامِنُونَ﴾ مِن المَكارِه.

وقُرِئَ بفَتحِ الرَّاءِ وسُكونِها، وقرأَ حمزَةُ: ﴿في الغُرْفَةِ﴾(٣) على إرادةِ الجنسِ.

قوله: «﴿إِلَّا مَنْ ءَامَنَ وَعَمِلَ صَٰلِحًا﴾ استثناءٌ مِن مَفعولِ ﴿تُقَرِّبُكُمْ﴾؛ أي: الأموالُ والأَولادُ لا تقرِّبُ أحدًا إلا المؤمنَ الصَّالحَ»:

قال أبو حيَّان: اتَّبعَ الزَّجَّاجَ في ذلك(٤)، وقال النَّحَّاسُ: هذا غلطٌ؛ لأنَّ الكافَ والميمَ للمُخاطَبِ، ولا يجوزُ البدلُ، ولَوْ جازَ هذا لجازَ: رأيتُكَ زَيْدًا، وقول الزَّجَّاجِ هذا هو قولُ الفَرَّاءِ(٥).

قال أبو حيَّان: ومذهَبُ الأخفَشِ والكوفِيِّينَ أنَّه يجوزُ أن يُبدلَ مِن ضَميرِ

= القرآن» (٤/ ٢٥٣) فقال: ويجوز: (فأُولَئِكَ لهم جزاءٌ الضِعْفَ) على نصب (الضعْف) المعنى: فأُولَئِكَ لهم أَنْ نُجَازِيَهم الضعْفَ.

(١) أي: (جزاءٌ الضِّعْفُ)، و(الضِّعْفُ) بدَلٌ مِن (جَزاءٌ). نسبت لقتادة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣)، و«البحر المحيط» (١٧/ ٤٥٨).

(٢) أي: ﴿جزاءَ الضعفُ﴾ بنصب الجزاء ورفع الضعف، رواية رويس عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٥١).

(٣) والباقون بالجمع وضم الراء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٨١). وبالجمع وسكون الراء قرأ الحسن والأعمش ومحمد بن كعب كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣). وبالجمع وفتح الراء ذكرها ابن خالويه عن بعضهم ولم يسمه.

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٥٥).

(٥) انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٤٠)، وزاد: إلا أن الفراء لا يقول: بدل، لأنه ليس من لفظ الكوفيين، ولكن قوله يؤول إلى ذلك.

المُخاطبِ والمُتكلِّمِ، لكنَّ البدلَ في الآيةِ لا يَصِحُّ، ألا تَرى أنَّه لا يَصِحُّ تفريغُ الفعلِ الواقعِ صِلةً لِمَا بعدَ (إلَّا)، لو قلتَ: (ما زيدٌ بالذي يضرِبُ إلا خالدًا) لم يَصِحَّ.

وَتَخيَّلَ الزَّجَّاجُ أنَّ الصِّلَةَ وإنْ كانَتْ مِن حَيثُ المعنى مَنفيَّةً أنَّه يَجوزُ البَدلُ، وليسَ بجائزٍ إلا فيما يَصِحُّ التَّفريغُ له، لا يجوزُ: (ما زيدٌ بالذي يخرجُ إلَّا أخوهُ)، ولا: (ما زيدٌ بالذي يضربُ إلا عمرًا)، ولا: (ما زيدٌ بالذي يَمرُّ إلا ببكرٍ).

والتَّركيبُ الذي رَكَّبَه الزَّمخشريُّ من قولِه: (لا تُقرِّبُ أحدًا إلَّا المؤمنَ) غيرُ مُوافقٍ للتَّركيبِ القُرآنيِّ، ففي الذي رَكَّبَه يجوزُ ما قال لأنَّه ذكرَ فِعلًا غيرَ واقعٍ صِلةً، وفي لفظِ القُرآنِ لا يَجوزُ.

قال أبو حيَّان: والظَّاهرُ في الآية أنَّه استثناءٌ مُنقطِعٌ، وهو مَنصوبٌ على الاستثناءِ؛ أي: لكنْ مَن آمنَ وعَمِلَ صالحًا فإيمانُه وعملُهُ يُقرِّبانِه[1].

وقال الحَلَبيُّ: مَنعُه قولَك: (ما زيدٌ بالذي يضربُ إلَّا خالدًا) فيه نظرٌ؛ لأنَّ النَّفيَ إذا كانَ مُنسحِبًا على الجملةِ أُعطِيَ حكمَ ما لو باشَرَ ذلك الشَّيءَ، ألَا ترى أنَّ النَّفيَ في قولِك: (ما ظننتُ أحدًا يفعلُ ذلك إلا زيدًا) سَوَّغَ البَدلَ في (زَيدٍ) مِن ضَميرِ (يفعلُ) وإنْ لم يَكُن النَّفيُ مُتسلِّطًا عليه.

قالوا: ولكنَّه لَمَّا كانَ في حيِّزِ النَّفيِ صحَّ فيه ذلك، فهذا مِثلُه.

وأيضًا فالزَّمخشريُّ لم يجعَلْه بدَلًا بل استثناءً صريحًا، ولا يُشتَرطُ في الاستثناءِ التَّفريغُ اللَّفظيُّ، بل الإسنادُ المَعنويُّ، ألا ترى أنَّك تَقولُ: قامَ القَومُ إلَّا زيدًا، ولو فرَّغْتَه لَفْظًا لامتنعَ؛ لأنَّه مُثبَتٌ[2].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٤٥٧ ـ ٤٥٨).

(٢) انظر: «الدر المصون» (٩/ ١٩٤ ـ ١٩٥).

وقال السَّفاقُسيُّ: الأمثلةُ المذكورةُ في الردِّ عليه أيضًا ليسَتْ مثلَ ما ذكَرَ؛ لأنَّها مُفرَّغةٌ وما ذكرَه هو استثناءٌ، إلا أن يُقال: إنَّ جوازَ الاستثناءِ إنَّما يكونُ حيثُ يَجوزُ التَّفريغُ، على أنَّ في منعِ الأَمثِلَةِ المذكورةِ نظرًا، وما تخيَّلَه الزَّجَّاجُ مِن مَعنى النَّفيِ لا يَبعدُ.

(٣٨) ـ ﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا مُعَاجِزِينَ أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وَالَّذِينَ يَسْعَوْنَ فِي آيَاتِنَا﴾ بالرَّدِّ والطَّعنِ فيها ﴿مُعَاجِزِينَ﴾: سابقينَ لأَنبيائِنا[1]، أو ظانِّينَ أنَّهم يفوتوننا ﴿أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ﴾.

(٣٩) ـ ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ﴾: يوسِّعُ عليهِ تارةً ويضيِّقُ عليه أخرى، فهذا في شَخصٍ واحدٍ باعتبارِ وَقتَيْنِ، وما سبقَ في شَخصينِ فلا تكريرَ.

﴿وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ﴾ عِوَضًا إمَّا عاجلًا أو آجلًا ﴿وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ فإنَّ غيرَهُ وسطٌ في إيصالِ رزقِه لا حقيقةَ لرازقيَّتِه.

(٤٠ ـ ٤١) ـ ﴿وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ يَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهَؤُلَاءِ إِيَّاكُمْ كَانُوا يَعْبُدُونَ (٤٠) قَالُوا سُبْحَانَكَ أَنْتَ وَلِيُّنَا مِنْ دُونِهِمْ بَلْ كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ﴾.

﴿ويومَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعاً﴾ المستكبرينَ والمُستضعفينَ ﴿ثمَّ نقولُ للملائكةِ أهؤلاءِ إيَّاكُمْ كانُوا يَعْبُدون﴾ تقريعًا للمُشركينَ وتبكيتًا لهم، وإقناطًا لهم عمَّا يتوقَّعونَ من شَفاعَتِهِم، وتخصيصُ المَلائكةِ لأنَّهم أشرفُ شُركائِهم والصَّالحونَ

---

(١) في (ض): «لآياتنا».

للخطابِ مِنهم، ولأنَّ عبادَتَهم مبدأُ الشِّركِ وأصلُه. وقرأَ حَفْصٌ بالياءِ فيهِمَا[1].

﴿ قَالُواْ سُبۡحَٰنَكَ أَنتَ وَلِيُّنَا مِن دُونِهِم ﴾: أنتَ الذي نُواليهِ مِن دونِهم لا مُوالاةَ بينَنا وبينَهُم، كأَنَّهُم بيَّنُوا بذلك براءتَهم مِن الرِّضَا بعِبادَتِهم، ثمَّ أضرَبُوا عن ذلك ونفَوا أنَّهُم عَبَدُوهم على الحقيقةِ بقولهم: ﴿بَلۡ كَانُواْ يَعۡبُدُونَ ٱلۡجِنَّ﴾؛ أي: الشَّياطينَ حيثُ أَطاعوهُم في عبادةِ غيرِ اللهِ.

وقيل: كانوا يَتمثَّلونَ لهم ويخيِّلونَ إليهِم أنَّهُم الملائكةُ فيعبدونَهُم.

﴿أَكۡثَرُهُم بِهِم مُّؤۡمِنُونَ﴾ الضَّميرُ الأوَّلُ للإنسِ أو للمُشركينَ والأكثرُ بمعنى الكلِّ، والثَّاني للجنِّ.

(٤٢) ـ ﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴾.

﴿ فَٱلۡيَوۡمَ لَا يَمۡلِكُ بَعۡضُكُمۡ لِبَعۡضٖ نَّفۡعٗا وَلَا ضَرّٗا ﴾ إذِ الأمرُ فيه كلُّه له؛ لأنَّ الدَّارَ دارُ جزاءٍ وهو المجازي وحدَه.

﴿وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُواْ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلنَّارِ ٱلَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ﴾ عطفٌ على ﴿لَا يَمۡلِكُ﴾ مُبيِّنٌ للمقصودِ مِن تَمهيدِه.

(٤٣) ـ ﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّا رَجُلٞ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمۡ عَمَّا كَانَ يَعۡبُدُ ءَابَآؤُكُمۡ وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ إِلَّآ إِفۡكٞ مُّفۡتَرٗىۚ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلۡحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمۡ إِنۡ هَٰذَآ إِلَّا سِحۡرٞ مُّبِينٞ ﴾.

﴿ وَإِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٖ قَالُواْ مَا هَٰذَآ ﴾ يعنونَ: مُحمَّدًا عليه السَّلامُ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٠٧).

﴿إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَن يَصُدَّكُمْ عَمَّا كَانَ يَعْبُدُ ءَابَآؤُكُمْ﴾ فيستتبِعكُم بما يستبدعه.

﴿وَقَالُواْ مَا هَٰذَآ﴾ يعني القُرآنَ ﴿إِلَّآ إِفْكٌ﴾ لعدمِ مُطابقةِ ما فيه الواقعَ ﴿مُّفْتَرًى﴾ بإضافتِه إلى اللهِ سُبحانَه.

﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ﴾: لأمرِ النبوَّةِ، أو الإسلامِ، أو القرآنِ، والأوَّلُ باعتبارِ معناه وهذا باعتبارِ لَفظِهِ وإعجازِه: ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ سحريَّتُه.

وفي تكريرِ الفعلِ، والتَّصريحِ بذكرِ الكفرةِ، وما في اللامَينِ[1] مِن الإشارةِ إلى القائلِينَ والمقولِ فيه[2]، وما في ﴿لَمَّا﴾ مِن المبادهَةِ إلى البتِّ تمهيدًا للقولِ[3]= إنكارٌ عظيمٌ له وتعجيبٌ بليغٌ منه.

(٤٤ ـ ٤٥) ـ ﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ ﴿٤٤﴾ وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ فَكَذَّبُواْ رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿وَمَآ ءَاتَيْنَٰهُم مِّن كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا﴾ وفيها دليلٌ على صِحَّةِ الإشراكِ ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِن نَّذِيرٍ﴾ يَدعوهُم إليه وينذرُهُم على تركِه، وقد بانَ مِن قبلُ أَنْ لا وجهَ له فمِن أينَ وقعَ لَهُم هذه الشُّبهَةُ؟ وهذا في غايةِ التَّجهيلِ لَهُم والتَّسفيهِ لِرَأيِهِم، ثمَّ هَدَّدَهُم فقال:

﴿وَكَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ كما كذبُوا ﴿وَمَا بَلَغُواْ مِعْشَارَ مَآ ءَاتَيْنَٰهُمْ﴾: وما بلغَ هؤلاء عُشرَ ما آتينا أولئكَ مِن القوَّةِ وطولِ العمرِ وكثرة المالِ، أو: ما بلغَ أولئكَ عُشرَ ما آتينا هؤلاءِ مِن البيناتِ والهُدى.

---

(١) قوله: «وما في اللامين»؛ أي: لامي (الذين) و(الحق).

(٢) في (ت): «فيهم».

(٣) في (ض): «إلى البت بهذا القول».

﴿فَكَذَّبُوا رُسُلِي فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾ فحينَ كذَّبُوا رسُلِي جاءَهُم إنكاري بالتَّدميرِ فكيفَ كان نكيرِي لهم؟ فليحذَرْ هؤلاءِ مِن مثلِه.

ولا تكريرَ في (كذَّب) لأنَّ الأوَّلَ للتَّكثيرِ والثَّاني للتَّكذيبِ، أو الأوَّلُ مُطلَقٌ والثَّاني مُقيَّدٌ ولذلك عطفَ عليه بالفاءِ.

(٤٦) - ﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَى وَفُرَادَى ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ﴾: أُرشدُكُم وأنصَحُ لَكُم بخَصلَةٍ واحدَةٍ هي ما دلَّ عليه: ﴿أَن تَقُومُوا لِلَّهِ﴾ وهو القيامُ مِن مجلسِ رسولِ اللهِ ﷺ، أو الانتصابُ في الأمرِ خالصًا لوجهِ الله مُعرِضًا عن المراءِ والتَّقليدِ ﴿مَثْنَى وَفُرَادَى﴾: مُتفرِّقينَ اثنَيْنِ اثنَيْنِ وواحدًا واحدًا؛ فإنَّ الازدحامَ يشوِّشُ الخاطرَ ويخلطُ القولَ ﴿ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا﴾ في أمرِ مُحمَّدٍ وما جاءَ به لتَعْلَمُوا حقيقتَهُ.

ومَحلُّهُ الجرُّ على البدلِ أو البيانِ[1]، أو الرَّفعُ أو النَّصبُ، بإضمارِ (هو)[2] أو (أَعْني).

﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾ فتَعْلَمُوا: ما بِهِ جنونٌ يحملُه على ذلك، أو استئنافٌ[3]

---

(١) في هامش (أ): «من واحدة». قال الأنصاري في «الحاشية» (٤/ ٥١٦): «ومحله»؛ أي: ﴿أَن تَقُومُوا﴾ «الجر على البدل»؛ أي: من (واحدةٍ)، «أو البيان»؛ أي: أو عطف بيان لها، و﴿تَتَفَكَّرُوا﴾ عطف على ﴿تَقُومُوا﴾.

(٢) في (أ): «هي».

(٣) قوله: «أو استئناف» عطفٌ من حيث المعنى على «فتعلموا»، والمعنى: ثم تتفكروا فتعلموا ما به جنون، أو استئناف تنبيهاً على أن ما عرفوا... إلى آخره، فالاستئناف واقع على ﴿مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٥١٧). =

منبهٌ لهم على أنَّ ما عرَفُوا مِن رَجاحَةِ عقلِه كافٍ في تَرجُّحِ صدقِهِ، فإنَّه لا يَدَعُه أن يَتصدَّى لادِّعاءِ أمرٍ خطيرٍ وخَطْبٍ عظيمٍ مِن غيرِ تحقُّقٍ ووُثوقٍ ببُرهانٍ، فيُفْتَضَحُ على رُؤوسِ الأشهادِ ويُسْلِمُ[1] نفسَهُ إلى الهلاكِ، فكيفَ وقد انضمَّ إليه مُعجِزَاتٌ كثيرةٌ؟

وقيل: ﴿مَا﴾ استفهاميَّةٌ، والمعنى: ثمَّ تتفكَّرُوا أيُّ شيءٍ به مِن آثارِ الجُنونِ؟

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُم بَيْنَ يَدَىْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾: قُدَّامَه لأنَّه مَبعوثٌ في نَسَمِ السَّاعةِ[2].

قولُه: «ومحلُّهُ الجرُّ على البدلِ أو البَيانِ»:

= ويؤيده قول الزمخشري: (فإن قلتَ ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾ بمَ يَتعلَّق؟ قلتُ: يجوز أن يكُونَ كلاماً مُستأنفاً تَنْبيهاً من اللهِ عزَّ وجلَّ على طريقَةِ النَّظر في أَمْر رسُول الله، ويجوز أن يكُونَ المَعنى: ثُمَّ تتفكَّرُوا فتَعْلَمُوا ما بصَاحبكُم من جِنَّةٍ). قلت: وقد عكس المصنف ترتيب الزمخشري لهذين الوجهين.

(١) في (أ) و(خ): «ويلقي».

(٢) إشارة إلى حديث: «بُعِثتُ في نَسَم السَّاعةِ»، رواه نعيم بن حماد في «الفتن» (١٧٧٣) من طريق أبي جبيرة بن الضحاك، عن أشياخ من الأنصار.

ورواه البزار (٣٢١٥ ـ كشف)، وأبو نعيم في «حلية الأولياء» (٤/ ١٦١) من طريق أبي جبيرة بن الضحاك، عن النبيِّ ﷺ، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١١/ ٢٢٨): ورجاله رجال الصحيح غير شبل ـ أو شبيل ـ بن عوف، وهو ثقة.

وقال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٠٩): أخرجه البزار بسند حسن من حديث أبي جبيرة بن الضحاك الأنصاري.

قلت: وأبو جبيرة مختلف في صحبته. انظر: «الإصابة» (٧/ ٥٤).

قال ابن الأثير في «النهاية» (مادة: نسم): والنَّسَمُ جمع: نسمَة، وهي النَّفسُ وَالروحُ؛ أَي: بُعِثت فِي ذِي أَرْوَاحٍ خلقهم اللهُ تعالى قبل اقتراب السَّاعَةِ.

قال أبو حيَّان: البيانُ لا يجوزُ؛ لأنَّ ﴿بِوَٰحِدَةٍ﴾ نكرَةٌ و﴿أَن تَقُومُواْ﴾ معرفةٌ، والتَّخالفُ في عطفِ البَيانِ لا يَجوزُ[1].

(٤٧) - ﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

﴿قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ﴾: أيَّ شيءٍ سألتُكُم مِن أجرٍ على الرِّسالةِ ﴿فَهُوَ لَكُمْ﴾، والمرادُ نفيُ السُّؤالِ كأنَّه جعلَ التَّنبِّيَ مُستلزِمًا لأحدِ الأمرينِ: إمَّا الجنونُ، وإما توقُّعُ نفعٍ دُنيويٍّ عليه؛ لأنَّه: إمَّا أن يكونَ لغرضٍ أو لغيرِه، وأيًّا مّا كانَ يلزمُ أحدُهما، ثمَّ نَفى كُلًّا منهُما.

وقيلَ: (ما) مَوصولةٌ مرادٌ بها ما سألَهُم بقولِه: ﴿مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٥٧]، وبقولِه: ﴿لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] واتِّخاذُ السَّبيلِ يَنفعُهُم وقُرباهُ قُرباهُم.

﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾: مُطَّلِعٌ يَعلَمُ صِدقِي وخُلوصَ نِيَّتي.

وقرأ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكسائيُّ وأبو بكر بإسكانِ الياءِ[2].

(٤٨ - ٤٩) - ﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾.

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّى يَقْذِفُ بِٱلْحَقِّ﴾: يُلقيهِ ويُنزلُه على مَن يَجتَبيهِ مِن عِبادِه، أو يرمي بهِ الباطلَ فيَدمَغُه، أو يرمي بهِ إلى أقطارِ الآفاقِ فيكونُ وعدًا بإظهارِ الإسلامِ وإفشائِه.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ١٩٥).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣١)، و«التيسير» (ص: ١٨٢).

﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ صِفَةٌ مَحمولَةٌ على محلِّ ﴿إِنَّ﴾ واسمِها، أو بدلٌ مِن المستكنِّ في ﴿يَقۡذِفُ﴾، أو خبرٌ ثانٍ[1]، أو خبرُ مَحذوفٍ.

وقُرِئَ بالنَّصبِ[2] صِفَةً لـ﴿رَبِّي﴾ أو مُقدَّرًا بـ(أعني).

وقرأَ حمزَةُ وأبو بكرٍ: ﴿الغِيوب﴾ بالكسرِ كالبِيُوتِ، وبالضَّمِّ كالعُشورِ[3]، وقُرِئَ بالفَتحِ[4] كالصَّيُودِ[5] على أنَّه مُبالغَةُ غائبٍ.

﴿قُلۡ جَآءَ ٱلۡحَقُّ﴾؛ أي: الإسلامُ ﴿وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾: وزهقَ الباطلُ؛ أي: الشِّركُ بحيثُ لم يبقَ لَهُ أثرٌ، مَأخوذٌ مِن هَلاكِ الحيِّ فإنَّه إذا هلكَ لم يبقَ لهُ إبداءٌ ولا إعادةٌ، قال:

أَقْفَـرَ مِـن أَهْلِـهِ عَبِيـدُ ... فَاليَوْمَ لَا يُبْـدِي وَلَا يُعِيـدُ[6]

وقيل: الباطِلُ إبليسُ أو الصَّنمُ، والمعنى: لا يُنشِئُ خَلْقًا ولا يُعيدُه، أو لا يُبدِئُ خَيْرًا لأهلِه ولا يُعيدُ. وقيل: (ما) استفهاميَّةٌ مُنتصبَةٌ بما بعدَه.

قوله: «﴿عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ﴾ صِفَةٌ مَحمولَةٌ على محلِّ ﴿إِنَّ﴾ واسمِها»:

---

(١) «أو خبر ثان»: ليس في (ت).

(٢) نسبت لعيسى وابن أبي إسحاق، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣).

(٣) بالضم قرأ الباقون، انظر: «السبعة» (ص: ١٧٨)، و«التيسير» (ص: ١٠١).

(٤) ذكرها أبو حيان في «البحر» (١٧/ ٤٧٣) دون نسبة، وهي قراءة شاذة.

(٥) انظر: «الكشاف» (٧/ ١٦٦)، و«البحر» (١٧/ ٤٧٣)، دون نسبة، وقوله: «كالصَّيود»، كقَبُولٍ: الصَّيَّادُ، يقال: كلبٌ صَيُودٌ، وصَقْرٌ صَيُودٌ، وكذلك الأنثى، والجمع: صُيُدٌ. انظر: «التاج» (مادة: صيد). وهو على هذا ـ أي: الفتح ـ مفرد، ويراد به المبالغة كما سيذكر.

(٦) انظر: «ديوان عبيد بن الأبرص» (ص: ٤٥)، و«الأغاني» للأصفهاني (٢٢/ ٨٨).

قال أبو حيَّان: الحملُ على محلِّ (إنَّ) واسمِها غيرُ مذهب سيبويه، وليس بصحيحٍ عند أصحابِنا[١].

قوله:

(أقفَــرَ مِــن أهلِــهِ عَــبيدُ فاليَومَ لا يُبْــدِي ولا يُعيــدُ)

قال الطِّيبيُّ: كانَ المُنذِرُ بنُ ماءِ السَّماءِ مَلِكًا، وكانَ له يومٌ في السَّنَةِ يذبَحُ فيه أوَّلَ مَن يَلقَى، فاتَّفَقَ إشرافُ عَبيدٍ فأمرَ بقَتلِه، فقيلَ له: امدَحْه، فقال: حالَ الجرِيضُ دُونَ القَرِيضِ[٢]، فقالَ الملكُ: أنشِدْنَا قولَك:

أقفَــرَ مِــن أَهْلِــهِ مَلْحُوبُ فــالقُـطَّبِــيَّاتُ فالذَّنُــوبُ

فقال:

أَقْفَرَ مِنْ أَهْـلِــهِ عَبِيــدُ فَاليَــوْمَ لا يُبْدِي وَلَا يُعِيدُ[٣]

(٥٠) ـ ﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى ۖ وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ ﴾.

﴿ قُلْ إِن ضَلَلْتُ ﴾ عـن الحـقِّ ﴿فَإِنَّمَآ أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِى﴾: فـإنَّ وَبـالَ ضَلالـي علَيْهـا لأنَّـه بسـبَبِها؛ إذ هـيَ الجاهِلَـةُ بالـذَّاتِ والأمَّـارةُ بالسُّـوءِ، وبهـذا الاعتبـارِ قابـلَ الشَّـرطيَّةَ بقولِـه:

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٧/ ٤٧٢).

(٢) الجريـض: أن يغـص بريقـه عند المـوت، والقريض الشـعر، يضرب لأمـر يعوق عنه عائـق. انظر: «المسـتقصى» للزمخشري (٢/ ٥٥).

(٣) انظر: «الشـعر والشـعراء» (١/ ٢٦٠)، و«جمهـرة الأمثـال» (١/ ٣٥٩)، و«الجليـس الصالـح» (ص: ٧٠٣).

﴿وَإِنِ ٱهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِىٓ إِلَىَّ رَبِّىٓ﴾ - قرأ نافعٌ وأبو عمرٍو بفتحِ الياءِ[1] - فإنَّ الاهتِداءَ بهِدايَتِه وتَوفيقِه.

﴿إِنَّهُۥ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾ يُدرِكُ قولَ كُلِّ ضالٍّ ومُهتَدٍ وفعلَه وإن أخفاهُ.

(٥١) - ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟ فَلَا فَوْتَ وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾.

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ فَزِعُوا۟﴾ عندَ المَوتِ، أو البعثِ، أو يومَ بدرٍ، وجوابُ (لو) مَحذوفٌ مثل: لرأيتَ فظيعًا.

﴿فَلَا فَوْتَ﴾: فلا يَفوتونَ اللهَ بهَرَبٍ أو تَحصُّنٍ[2].

﴿وَأُخِذُوا۟ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ﴾: مِن ظهرِ الأرضِ إلى بَطنِها، أو مِن الموقفِ إلى النَّارِ، أو مِن صَحراءِ بَدرٍ إلى القليبِ، والعطفُ على ﴿فَزِعُوا۟﴾ أو (لا فوت)، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: (وأَخْذٌ)[3] عطفًا على محلِّه؛ أي: فلا فوتَ هُناكَ وهناكَ أخذٌ.

(٥٢) - ﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾.

﴿وَقَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِهِۦ﴾: بمُحمَّدٍ عليهِ السَّلامُ، وقد مرَّ ذِكرُهُ في قولِه: ﴿مَا بِصَاحِبِكُم﴾.

﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ﴾: ومِن أينَ لَهُم أَنْ يَتناوَلُوا الإيمانَ تَناوُلًا سَهْلًا ﴿مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ فإنَّه في حيِّزِ التَّكليفِ وقد بَعُدَ عَنْهُم، وهو تمثيلُ حالِهم في الاستخلاصِ بالإيمانِ بعدَما فاتَ عَنْهُم وبَعُدَ عَنْهُم أوانُه بحالِ مَن يُريدُ أَنْ

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣١)، و«التيسير» (ص: ١٨٢).

(٢) في (ض): «بحصن».

(٣) نسبت لعبد الرحمن مولى بني هاشم عن أبيه ولطلحة بن مصرف، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢٩٦).

يَتناولَ الشَّيءَ مِن غَلْوةٍ[1] تناوُلَه مِن ذراعٍ في الاستحالَةِ.

وقرأ أبو عمرٍو والكوفيُّونَ غيرَ حَفصٍ بالهمزِ على قلبِ الواوِ لضَمَّتِها[2]، أو أنَّه مِن نَأَشْتُ الشَّيءَ: إذا طلَبْتُه، قالَ رُؤبَةُ:

أَقْحَمَنِي جَارُ أَبِي الخَامُوشِ ... إِلَيْكَ نَأْشَ القَدَرِ النَّؤُوشِ[3]

أو مِن نَأَشْتُ: إذا تَأَخَّرتَ، ومنهُ قولُه:

تَمَنَّى نَئِيشًا أَنْ يَكُونَ أَطَاعَنِي ... وَقَدْ حَدَثَتْ بَعْدَ الأُمُورِ أُمُورُ[4]

فيكونُ بمَعْنَى التَّناوُلِ مِن بُعْدٍ.

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِن قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ (٥٣) وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾.

﴿وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ﴾: بمُحمَّدٍ أو بالعَذابِ ﴿مِن قَبْلُ﴾: مِن قبلِ ذلك أوانَ التَّكليفِ.

﴿وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ﴾: ويرجمونَ بالظَّنِّ ويتكلَّمونَ بما لم يَظْهَرْ لَهُم في الرَّسُولِ عليهِ السَّلامُ مِن المطاعنِ، أو في العذابِ مِن البتِّ على نَفيِهِ.

---

(١) قوله: «مِن غَلْوة»، هي مِقدارُ رمية. وعبارة «الكشاف»: مُثِّلَتْ حَالُهم بحالِ مَن يُريْد أن يتَناوَل الشَّيءَ من غَلْوَةٍ كما يتَناوَله الآخرُ من قِيْسِ ذراعٍ تَناوُلاً سَهْلاً لا تعَبَ فيه.

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٠)، و«التيسير» (ص: ١٨١).

(٣) انظر: «ديوان رؤبة» (ص: ٧٧).

(٤) البيت لنهشل بن حريٍّ كما في «الألفاظ» لابن السكيت (ص: ٢٠٣)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٣٥ ـ ٢٣٦)، و«المستقصى» للمؤلف (١/ ٣٠٢). ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٦٥)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (١/ ٨٩)، و«غريب الحديث» للحربي (٢/ ٨٨٣)، و«تفسير الطبري» (١٩/ ٣١٤).

﴿مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾: مِن جانبٍ بَعيدٍ من أمرِه، وهو الشُّبَه التي تَمحَّلُوها في أمرِ الرَّسولِ وحالِ الآخرَةِ كما حكاهُ مِن قبلُ، ولعلَّهُ تَمثيلٌ لحالِهم في ذلك بحالِ مَن يرمي شَيئًا لا يراهُ مِن مَكانٍ بعيدٍ لا مجالَ للظَّنِّ في لُحوقِه(١).

وقرئ: (ويُقْذَفُونَ)(٢) على أنَّ الشَّيطانَ يُلقي إليهم ويُلقِّنُهم ذلك.

والعطفُ على ﴿وَقَدْ كَفَرُواْ﴾ على حكايةِ الحالِ الماضيَةِ، أو على ﴿قالوا﴾ فيكونُ تَمثيلًا لحالِهم بحالِ القاذفِ في تَحصيلِ ما ضيَّعُوهُ مِن الإيمانِ في الدُّنيا.

﴿وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ مِن نَفعِ الإيمانِ والنَّجاةِ به مِن النَّارِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ والكِسائيُّ بإشمامِ الضَّمِّ للحاءِ(٣).

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم مِّن قَبْلُ﴾ بأشباهِهِم مِن كفرةِ الأُمَمِ الدَّارجةِ.

﴿إِنَّهُمْ كَانُواْ فِى شَكٍّ مُّرِيبٍ﴾ مُوْقِعٍ في الرِّيبةِ، أو: ذي ريبةٍ، منقولٌ مِن المشكِّكِ أو الشَّاكِّ نُعِتَ به الشَّكُّ للمُبالغَةِ.

عن رسولِ اللهِ ﷺ: «مَن قرَأ سُورةَ سبأٍ لم يبقَ رَسولٌ ولا نبيٌّ إلَّا كانَ لَه يوم القيامةِ رفيقًا ومُصافِحًا».

قوله: «مَنْ قَرَأَ سُورَةَ سَبأٍ...» إلى آخره: موضوعٌ(٤).

* * *

(١) في (ض): «في وقوعه».

(٢) نسبت لمجاهد، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣)، و«المحتسب» (٢/ ١٩٧).

(٣) انظر: «التيسير» (ص: ١٨١).

(٤) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٧) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً، وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سُورَةُ فَاطِرٍ

سُورَةُ المَلائِكَةِ[1]

مَكِّيَّةٌ وآيُها خمسٌ وأربعونَ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١) ـ ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾: مُبدِعُهُما، مِن الفَطْرِ بمعنى الشَّقِّ، كأنَّه شَقَّ العَدَمَ بإخراجِهما منه، والإضافَةُ محضةٌ لأنَّه بمعنى الماضي.

﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا﴾: وسائط بينَ اللهِ وبينَ أنبيائِه والصَّالحينَ مِن عبادِه يبلِّغونَ إليهِم رسالاتِه بالوَحْيِ والإلهامِ والرُّؤيا الصَّادقةِ، أو: بينَه وبين خلقِه يوصلونَ إليهم آثارَ صُنعِه.

﴿أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾: ذَوِي أجنِحَةٍ مُتعدِّدَةٍ مُتفاوِتَةٍ بتفاوُتِ ما لهم مِن المراتبِ ينزلونَ بها ويَعْرُجونَ، أو يسرعونَ بها نحو ما وكَّلَهُم اللهُ عليه فيتصرَّفُون فيه على ما أمرَهُم به، ولعلَّه لم يُرِدْ به خُصوصيَّةَ الأعدادِ ونفيَ ما زادَ عليها، لِمَا رُوِيَ أنَّه عليه السَّلامُ رأى جبريلَ ليلةَ المعراجِ وله ستُّ مئةِ جَناحٍ.

﴿يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ﴾ استئنافٌ للدَّلالةِ على أنَّ تفاوُتَهُم في ذلكَ مُقتَضى

(١) في (ت): «سورة فاطر».

مَشيئتِه ومُؤدَّى حكمتِه لا أمرٌ تَستدعيهِ ذَواتُهم؛ لأنَّ اختلافَ الأصنافِ والأنواعِ بالخواصِّ والفُصولِ إن كانَ لذَواتِهم المشتركةِ لزمَ تنافي لوازمِ الأمورِ المتَّفِقَةِ وهو محالٌ، والآيةُ مُتناوِلَةٌ زياداتِ الصُّوَرِ والمعاني كمَلَاحةِ الوَجهِ وحُسنِ الصَّوتِ وحَصافةِ العَقلِ وسَماحةِ النَّفسِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ وتخصيصُ بعضِ الأشياءِ بالتَّحصيلِ دونَ بَعضٍ إنَّما هو مِن جهَةِ الإرادةِ.

قوله: «رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ رأى جِبريلَ ليلةَ المِعراجِ وله سِتُّ مئةِ جناحٍ».

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حَديثِ ابنِ مَسعودٍ إلَّا أنَّه ليسَ فيه «ليلة المعراجِ»[1].

ولفظُ ابنِ حِبَّان في «صحيحه»: «رأيتُ جِبريلَ عندَ سِدرَةِ المُنتهى وله ستُّ مئةِ جَناحٍ ينتثرُ مِن ريشِهِ الدرُّ والياقوتُ»[2].

(٢) ـ ﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ مِن رَّحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا ۖ وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾.

﴿مَّا يَفْتَحِ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ﴾: ما يُطلِق لَهُم ويُرسِلْ، وهو مِن تجوُّزِ السَّببِ للمُسبَّبِ.

﴿مِن رَّحْمَةٍ﴾ كنعمَةٍ وأَمنٍ وصِحَّةٍ وعلمٍ ونبوَّةٍ ﴿فَلَا مُمْسِكَ لَهَا﴾ يحبِسُها ﴿وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُۥ﴾ يُطْلقُه، واختلافُ الضَّميرينِ لأنَّ الموصولَ الأوَّلَ مُفسَّرٌ بالرَّحمةِ والثَّاني مُطلَقٌ يتناوُلها والغَضبَ، وفي ذلك إشعارٌ بأنَّ رحمتَهُ سَبقَتْ غَضبَه.

---

(١) رواه البخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).

(٢) رواه ابن حبان في «صحيحه» (٦٤٢٨) بلفظ: (رأيت جبريل عند سدرة المنتهى، وعليه ست مائة جناح ينثر من ريشه تهاويل الدر والياقوت).

﴿مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾ من بعدِ إمساكِه ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ﴾: الغالبُ على ما يشاءُ ليسَ لأحَدٍ أَنْ يُنازِعَهُ فيه ﴿ٱلۡحَكِيمُ﴾ الذي لا يفعلُ إلا بعِلْمٍ وإتقانٍ.

ثمَّ لَمَّا بيَّنَ أنَّه الموجِدُ للمُلكِ والمَلكوتِ والمُتصرِّفُ فيهما على الإطلاقِ أمرَ النَّاسَ بشُكرِ إنعامِه فقال:

(٣) - ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡۚ هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ﴾: احفَظوها بمَعرفةِ حقِّها والاعترافِ بها وطاعةِ مُوليهَا، ثمَّ أنكرَ أَنْ يكونَ لغَيْرِه في ذلك مدخلٌ فيَستحقَّ أن يُشركَ به بقولِه: ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ غَيۡرُ ٱللَّهِ يَرۡزُقُكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ ولذلك عقَّبه[1]: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ فَأَنَّىٰ تُؤۡفَكُونَ﴾: فمِن أيِّ وَجهٍ تُصرَفونَ عن التَّوحيدِ إلى إشراكِ غيرِه به؟

ورفعُ ﴿غَيۡرُ﴾ للحَملِ على محلِّ ﴿مِنۡ خَٰلِقٍ﴾ بأنَّه وصفٌ أو بدلٌ فإنَّ الاستفهامَ بمعنى النَّفيِ، أو لأنَّه فاعلُ ﴿خَٰلِقٍ﴾.

وجرَّهُ حمزَةُ والكِسائيُّ[2] حملًا على لفظِه، وقد نُصِبَ[3] على الاستثناءِ.

و﴿يَرۡزُقُكُم﴾ صِفَةٌ لـ﴿خَٰلِقٍ﴾ أو استئنافٌ مُفسِّرٌ لـه، أو كلامٌ مُبتدأٌ، وعلى الأخيرِ يكونُ إطلاقُ ﴿هَلۡ مِنۡ خَٰلِقٍ﴾ مانعًا مِن إطلاقِه على غيرِ اللهِ.

---

(١) «ولذلك عقبه» من (ض).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٢).

(٣) نسبت القراءة بنصب الراء للفضل بن إبراهيم النحوي، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤).

(٤) ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِّن قَبْلِكَ﴾؛ أي: فتأسَّ بهم في الصَّبرِ على تكذيبِهم، فوضعَ ﴿فَقَدْ كُذِّبَتْ﴾ موضِعَه استغناءً بالسَّببِ عن المسبَّبِ، وتنكيرُ ﴿رُسُلٌ﴾ للتَّعظيمِ المُقتَضِي زيادةَ التَّسليةِ والحثَّ على المُصابرةِ.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ﴾ فيُجازيكَ وإيَّاهُم على الصَّبرِ والتَّكذيبِ.

(٥ ـ ٦) ـ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ ۝٥ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ بالحشرِ والجزاءِ ﴿حَقٌّ﴾ لا خُلْفَ فيه ﴿فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا﴾ فيذهلكُم التمتُّعُ بها عن طلبِ الآخرةِ والسَّعيِ لها ﴿وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾: الشَّيطانُ؛ بأَنْ يُمَنِّيَكُم المغفرةَ مع الإصرارِ على المعصيةِ، فإنَّها وإن أمكنَت لكنَّ الذَّنبَ بهذا التَّوقُّعِ كتناوُلِ السُّمِّ اعتمادًا على دفعِ الطَّبيعةِ.

وقُرِئَ بالضَّمِّ(١) وهو مصدرٌ، أو جمعٌ كقعُودٍ.

﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ﴾ عداوةً عامَّةً قديمةً ﴿فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾ في عقائدِكُم وأفعالِكُم، وكونوا على حذرٍ منه في مَجامعِ أحوالِكُم.

﴿إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ تقريرٌ لعَداوتِه، وبيانٌ لغرضِهِ في دَعوةِ شِيعَتِه إلى اتِّباعِ الهَوى والرُّكونِ إلى الدُّنيا.

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٦٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٤٥)، و«تفسير الثعلبي» (٢٢/ ١٥٩)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦١٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٢٩)، عن أبي السمال وأبي حيوة حيث وقع كما قال الهذلي.

(٧ ـ ٨) ـ ﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ ﴾.

﴿ الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ ﴾ وعيدٌ لِمَن أجابَ دُعاءَه، ووعدٌ لِمَن خالفَهُ، وقطعٌ للأماني الفارغَةِ، وبناءٌ للأمرِ كلِّه على الإيمانِ والعملِ الصَّالحِ، وقولُه:

﴿ أَفَمَن زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَنًا ﴾ تقريرٌ لَه؛ أي: فمَنْ زُيِّنَ له سوءُ عملِه بأَنْ غلبَ وَهْمُه وهَواهُ على عقلِهِ حتَّى انتكسَ رأيُهُ فرأَى الباطلَ حقًّا والقَبيحَ حَسنًا كمَنْ لم يُزَيَّنْ له بَلْ وُفِّقَ حتَّى عرفَ الحقَّ واستحسَنَ الأعمالَ واستَقْبَحَها على ما هي عليه، فحُذِفَ الجوابُ لدلالةِ: ﴿فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَاءُ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ ﴾.

وقيل: تَقديرُهُ: أفمَنْ زُيِّنَ له سوءُ عَملِه ذهبَتْ نفسُكَ عليهِم حسرةً، فحُذِفَ الجَوابُ لدَلالةِ: ﴿فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ﴾ عليهِ، ومعناهُ: فلا تُهْلِك نفسَكَ عليهِم للحسراتِ على غيِّهم وإصرارِهم على التَّكذيبِ.

والفاءاتُ الثَّلاثُ للسَّببيَّةِ، غيرَ أنَّ الأُولَيَيْنِ دَخلَتا على السَّببِ والثَّالثةَ دخلَتْ على المُسبَّبِ.

وجمعُ الحسراتِ للدَّلالةِ على تَضاعُفِ اغتمامِه على أحوالِهم، أو كثرةِ مَساوِئِ أَفعالِهم المُقتَضِيَةِ للتَّأسُّفِ، و﴿عَلَيْهِمْ﴾ ليسَ صِلةً لها؛ لأنَّ صِلةَ المَصدرِ لا تتقدَّمُه، بل صِلَةُ ﴿تَذْهَبْ﴾ أو بيانٌ للمُتحسَّرِ عليه.

﴿إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾ فيُجازيهِمْ عليه.

(٩) - ﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابٗا فَسُقۡنَٰهُ إِلَىٰ بَلَدٖ مَّيِّتٖ فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ بَعۡدَ مَوۡتِهَاۚ كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾.

﴿ وَٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَرۡسَلَ ٱلرِّيَٰحَ ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ: ﴿الرِّيحَ﴾[1].

﴿فَتُثِيرُ سَحَابٗا ﴾ على حكايةِ الحالِ الماضيةِ؛ استحضارًا لتلكَ الصُّورةِ البَديعةِ الدَّالَّةِ على كمالِ الحكمَةِ، ولأنَّ المُرادَ بيانُ إحداثِها بهذه الخاصِّيَّةِ ولذلك أسندَهُ إليها، ويجوزُ أَنْ يكونَ اختلافُ الأفعال للدلالةِ على استمرارِ الأمرِ.

﴿فسُقْنَاهُ إلى بَلَدٍ مَيْتٍ﴾ وقرأ نافِعٌ وحمزةُ والكِسائيُّ وحفصٌ بتَشديدِ الياءِ[2].

﴿فَأَحۡيَيۡنَا بِهِ ٱلۡأَرۡضَ ﴾: بالمطرِ النَّازلِ منه، وذكرُ السَّحابِ كذكرِهِ، أو: بالسَّحابِ فإنَّه سببُ السَّببِ، أو الصَّائرُ[3] مَطرًا ﴿بَعۡدَ مَوۡتِهَا ﴾: بعدَ يَبسِهَا.

والعُدولُ فيهما مِن الغَيبَةِ إلى ما هو أَدْخَلُ في الاختصاصِ؛ لِمَا فيهِمَا مِن مَزيدِ الصُّنعِ.

﴿كَذَٰلِكَ ٱلنُّشُورُ ﴾؛ أي: مثلُ إحياءِ المَواتِ نشورُ الأمواتِ في صِحَّةِ المقدوريَّةِ؛ إذ ليسَ بينَهُما إلا احتمالُ اختلافِ المادَّةِ في المَقيسِ عليه[4]، وذلك لا مدخلَ له فيها[5].

وقيل: في كيفيَّةِ الإحياءِ، فإنَّه تعالى يرسلُ ماءً مِن تحتِ العرشِ يُنبِتُ منه أَجسادَ الخَلْقِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ١٧٢)، و«التيسير» (ص: ٧٨).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٣)، و«التيسير» (ص: ٨٧).

(٣) بالرفع عطف على «سببُ السبب».

(٤) في (ت): «في المقيس والمقيس عليه».

(٥) في (خ): «ولا مدخل لذلك فيها».

(١٠) - ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًاۚ إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥۚ وَٱلَّذِينَ يَمْكُرُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۖ وَمَكْرُ أُوْلَٰٓئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾.

﴿مَن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعِزَّةَ﴾: الشَّرفَ والمَنعةَ ﴿فَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ جَمِيعًا﴾؛ أي: فليَطْلُبْهَا مِن عندِه فإنَّ له كلَّها[1]، فاستغنَى بالدَّليلِ عن المدلولِ.

﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ ٱلْكَلِمُ ٱلطَّيِّبُ وَٱلْعَمَلُ ٱلصَّٰلِحُ يَرْفَعُهُۥ﴾ بيانٌ لِمَا يُطلَبُ به العِزَّةُ، وهو التَّوحيدُ والعملُ الصَّالحُ، وصُعودُهُما إليه مَجازٌ عن قبولِه إيَّاهُما، أو صعودُ الكَتَبةِ بصَحيفَتِهما، والمستكنُّ في ﴿يَرْفَعُهُۥ﴾ للكَلِمِ، فإنَّ العملَ لا يُقبَلُ إلا بالتَّوحيدِ، ويؤيِّدُهُ أنَّه نُصِبَ (العَمل)[2]، أو للعَملِ فإنَّه يحقِّقُ الإيمانَ ويقوِّيه، أو للهِ وتخصيصُ العملِ بهذا الشَّرفِ لِمَا فيه مِن الكلفةِ.

وقُرِئَ: (يُصعَدُ) على البناءينِ[3]، والمُصعِد هو اللهُ تعالى، أو المتكلمُ بهِ، أو الملكُ.

وقيل: الكَلِمُ الطَّيِّبُ يتناوَلُ الذِّكرَ والدُّعاءَ وقراءةَ القُرآنِ.

وعنه عليه السَّلامُ: «هو سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبرُ، إذا قالها العَبدُ عَرَجَ به الملكُ إلى السَّماءِ فحَيَّا بها وجهَ الرَّحمنِ، فإذا لم يَكُن عملٌ صالحٌ لَمْ يُقبَلْ».

---

(١) في (ض): «فإن كلها له».

(٢) أي: ويؤيده قراءة: (والعملَ الصالحَ) بالنصب، نسبت لعيسى وابن أبي عبلة. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٣).

(٣) أي: بالفتح على البناء للمفعول، والكسر على البناء للفاعل، الأولى قراءة الضحاك كما في «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٣١)، والثانية نسبت لعلي بن أبي طالب وابن مسعود رضي الله عنهما والسلمي وإبراهيم، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤)، و«البحر» (١٨/ ٢٣).

﴿وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ﴾: المَكَراتِ السَّيِّئاتِ، يعني: مَكَراتِ قريشٍ للنَّبيِّ عليهِ السَّلامُ في دارِ النَّدوَةِ، وتداورَهُم[1] الرأيَ في إحدى ثلاثٍ: حبسِه وقَتلِه وإجلائِه.

﴿لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ﴾ لا يؤبَهُ دونَه بما يمكرونَ به ﴿وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾: يَفسدُ ولا يَنفذُ؛ لأنَّ الأمورَ مقدَّرةٌ لا تتغيَّرُ به كمَا دلَّ عليهِ بقولِه:

قوله: «وعنه عليهِ السَّلامُ: هو سُبحانَ اللهِ والحَمدُ للهِ ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكبَرُ، إذا قالها العَبدُ عرجَ بها المَلَكُ إلى السَّماءِ فحيَّا بها وجهَ الرَّحمنِ، فإذا لم يَكُن للعَبدِ عَمَلٌ صالحٌ لم يُقبَلْ مِنه»:

رواهُ الثَّعلبيُّ وابنُ مَردويهِ مِن حَديثِ أبي هُريرةَ مَرفوعًا[2]، والحاكمُ وغيرُه عن ابنِ مَسعودٍ موقوفًا[3].

(١١) ـ ﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ وَلَا يُنقَصُ مِنْ عُمُرِهِ إِلَّا فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ﴾.

﴿وَاللَّهُ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ﴾ بخلقِ آدمَ منه ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ﴾ بخلقِ ذُرِّيَّته مِنْها ﴿ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا﴾: ذُكرانًا وإناثًا.

---

(١) في (خ): «وتداورهم».

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ١٦٧)، وابن مردويه كما في «تخريج أحاديث الكشاف» للزيلعي (٣/ ١٤٨). وفيه علي بن عاصم وهو ضعيف كما في «الكاشف» للذهبي (٢/ ٤٢).

(٣) رواه الحاكم في «المستدرك» (٦٥٨٩) وصححه، ورواه أيضاً الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٣٨)، والطبراني في «المعجم الكبير» (٩١٤٤)، ومن طريق الحاكمِ البيهقيُّ في «الشعب» (٦٢٥)، عن ابن مسعود قال: إذا حدثناكم بحديث أتيناكم بتصديق ذلك من كتاب الله، إن العبد المسلم إذا قال: سبحان الله وبحمده، الحمد لله، لا إله إلا الله، والله أكبر، تبارك الله، أخذهن ملك فجعلهن تحت جناحيه ثم صعد بهن إلى السماء، فلا يمر بهن على جمع من الملائكة إلا استغفروا لقائلهن حتى يحيِّي بهن وجه الرحمن، ثم قرأ عبد الله: ﴿وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾.

﴿وَمَا تَحۡمِلُ مِنۡ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلۡمِهِۦ﴾ إلا معلومةً له.

﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾: وما يمدُّ في عمره مِن مَصيرِه إلى الكبرِ ﴿وَلَا يُنقَصُ مِنۡ عُمُرِهِۦٓ﴾ مِن عمرِ المُعمَّرِ لغيرِه بأَن يُعطَى له عمرٌ ناقصٌ مِن عمرِه.

أو: لا ينقصُ مِن عمرِ المنقوصِ عمرُهُ بجعلِه ناقصًا، والضَّميرُ له وإن لم يُذكَر لدَلالةِ مُقابلِه عليه، أو للمُعمَّرِ على التَّسامُحِ فيه ثقةً بفَهمِ السَّامعِ كقولِهم: (لا يثيبُ اللهُ عبدًا ولا يعاقِبُه إلا بحقٍّ)(١).

وقيل: الزِّيادَةُ والنُّقصانُ في عمرٍ واحدٍ باعتبارِ أسبابٍ مُختَلِفَةٍ أثبتَتْ في اللوحِ، مثل أَنْ يكونَ فيه: إن حجَّ عمرٌو فعمرُه ستُّونَ سنةً وإلا فأربعونَ(٢).

وقيل: المرادُ بالنُّقصانِ ما يمرُّ من عمرِه وينتقِصُ، فإنَّه يكتبُ في صحيفةِ عمرِه يومًا فيومًا.

وعَن يَعقوبَ: ﴿وَلا يَنْقُصُ﴾ على بناءِ الفَاعِلِ(٣).

---

(١) قوله: «لا يثيب الله عبداً ولا يعاقبه إلا بحقٍّ» ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٧/ ١٥٩)، وتعقبه الطيبي في «فتوح الغيب» (١٢/ ٦٢١) قال: فيه اعتزالٌ خفيٌّ، وذلك أنَّ مذهبهم أن استحقاق العقاب بالكبيرة يحبط استحقاق الثواب بالطاعة، فعلى هذا لا يجتمع الثواب والعقاب في شخص واحد، وأما أهل السّنة فلا يبعد ذلك لأن أهل النار من العاصين لا يخلدون فيها.

قلت: ومعنى الآية على هذا الوجه بغض النظر عن دسيسة الزمخشري: ولا يُطوَّلُ عُمُرُ أحدٍ ولا يُنقَصُ من عُمرِ أحدٍ آخر. وأولُ من وقفتُ عليه في ذكر هذا المعنى في الآية هو الفراء، قال في «معاني القرآن» (٢/ ٣٦٨): قوله: ﴿وَمَا يُعَمَّرُ مِن مُّعَمَّرٍ﴾ يقول: ما يُطَوَّل من عمرٍ ولا يُنْقَصُ من عمره، يريدُ آخَرَ غيرَ الأول، ثُمَّ كُني عنه بالهاء كأنه الأول، ومثله في الكلام: (عندي درهم ونصفه) يعني: ونصف آخر. فجازَ أن يكنى عنه بالهاء لأن لفظ الثاني قد يظهر كلفظ الأول، فكني عنه ككناية الأوّل.

(٢) في (ض) و(ت): «فأربعون».

(٣) انظر: «المبسوط» لابن مهران (ص: ٣٦٦).

﴿إِلَّا فِي كِتَٰبٍ﴾ هو عِلْمُ اللهِ، أو اللوحُ، أو الصَّحيفةُ.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ﴾ إشارةٌ إلى الحفظِ أو الزِّيادةِ والنَّقص.

(١٢) ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ﴾ ضَرْبُ مثلٍ للمُؤمنِ والكافرِ.

والفراتُ: الذي يَكسرُ العطشَ.

والسَّائغُ: الذي يَسْهُلُ انحدارُهُ.

والأُجَاجُ: الذي يحرقُ بمُلوحَتِه.

وقُرِئَ: (سَيِّغٌ) بالتَّشديدِ والتَّخفيفِ[١]، و: (مَلِحٌ) على فَعِلٍ[٢].

﴿وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا﴾ استطرادٌ في صفَةِ البَحْرينِ وما فيهِما مِن النِّعَمِ، أو تمامُ التَّمثيلِ، والمعنى: كما أنَّهُما وإن اشتركَا في بعضِ الفَوائدِ لا يَتساوَيانِ مِن حيثُ إنَّهما لا يَتساوَيانِ فيمَا هو المَقصودُ بالذَّاتِ مِن الماءِ، فإنَّه خالطَ أحدَهُما ما أفسدَهُ وغيَّرَه عن كَمالِ فِطرَتِه، لا يَتساوى المؤمنُ والكافرُ وإن اتَّفَق اشتِراكُهُما في بعضِ الصِّفَاتِ كالشَّجاعَةِ والسَّخاوَةِ؛ لاختلافِهِما فيما هو الخاصيَّةُ العُظمى وبقاءِ أحدِهِما على الفِطرةِ الأَصْليَّةِ دونَ الآخرِ.

---

(١) قراءة التشديد عن عيسى، كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤)، و«المحتسب» (٢/ ١٩٩)، وقراءة التخفيف ذكرها في «المحتسب» (٢/ ١٩٨) عن عيسى أيضاً.

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ١٩٩) عن طلحة بن مصرف.

أو تفضيلٌ[1] للأجاجِ على الكافرِ بما يشاركُ فيه العذبَ من المنافعِ.

والمرادُ بالحِليةِ: اللآلئُ واليواقيتُ.

﴿وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ﴾؛ أي: في كلٍّ ﴿مَوَاخِرَ﴾ تشقُّ الماءَ بجَرْيِها.

﴿لِتَبْتَغُواْ مِن فَضْلِهِۦ﴾: مِن فضلِ اللهِ بالنُّقْلةِ فيها، واللامُ مُتعلِّقةٌ بـ﴿مَوَاخِرَ﴾، ويجوزُ أَنْ تَتعلَّقَ بما دلَّ عليه الأفعالُ المذكورةُ.

﴿وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ على ذلك، وحرفُ التَّرجِّي باعتبارِ ما يقتضيهِ ظاهرُ الحالِ.

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ (١٣) إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُواْ دُعَآءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُواْ مَا ٱسْتَجَابُواْ لَكُمْ وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾.

﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِي ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِي ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هي مُدَّةُ دورِه، أو مُنتهاهُ، أو يومُ القيامةِ.

﴿ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ الإشارةُ إلى الفاعلِ لهذه الأشياءِ، وفيه إشعارٌ بأنَّ فاعِليَّتَه لها موجبةٌ لثُبوتِ الأخبارِ المُترادِفَةِ.

ويحتملُ أن يكونَ ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ﴾ كلامًا مبتدأً في قِرانِ ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ للدلالةِ على تفرُّدِه بالألوهيَّةِ والرُّبوبيَّةِ، والقِطْميرُ: لفافةُ النَّواةِ.

---

(١) عطف على «استطراد».

﴿إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ﴾ لأنَّهم جمادٌ ﴿وَلَوْ سَمِعُوا﴾ على سبيلِ الفَرْضِ ﴿مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ﴾ لعدمِ قُدرَتِهم على الإنفاعِ، أو لتبرُّئِهم منكُمْ مما تَدَّعونَ لهم.

﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ﴾: بإشراكِكُم لهم؛ يقرُّونَ ببُطلانِه، أو يقولون[1]: ﴿مَا كُنتُمْ إِيَّانَا تَعْبُدُونَ﴾ [يونس: ٢٨].

﴿وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ﴾: ولا يخبرُكَ بالأمرِ مُخبِرٌ مثلُ خبيرٍ به أخبركَ، وهو اللهُ سُبحانَهُ، فإنَّه الخبيرُ به على الحقيقةِ دونَ سائرِ المُخبِرينَ، والمرادُ: تَحقيقُ ما أخبرَ به مِن حالِ آلهَتِهم، ونفيُ ما يدَّعونَ لَهُم.

(١٥ ـ ١٧) ـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿١٥﴾ إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٦﴾ وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾.

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ في أنفسِكُم وما يَعِنُّ لكُم، وتعريفُ ﴿الْفُقَرَاءُ﴾ للمُبالغةِ في فَقرِهم، كأنَّهم لشدَّةِ افتقارِهم وكثرةِ احتياجِهم هم الفُقَراءُ، وأنَّ افتقارَ سائرِ الخَلائقِ بالإضافةِ إلى فقرِهم غيرُ معتدٍّ به، ولذلك قال: ﴿وَخُلِقَ الْإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٢٨].

﴿وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾: المُستغني على الإطلاقِ، المنعِمُ على سائرِ الموجوداتِ حتى استحَقَّ عليه الحمدَ.

﴿إِن يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ﴾: بقومٍ آخرينَ[2] أطوعَ منكم، أو بعالَمٍ آخرَ غيرِ ما تعرفونَه ﴿وَمَا ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ﴾ بمُتعذِّرٍ أو مُتعسِّرٍ.

---

(١) في (ت): «ويقولون».

(٢) في (ض): «آخر».

(١٨) - ﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۚ وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ إِلَىٰ حِمْلِهَا لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ ۗ إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۚ وَمَن تَزَكَّىٰ فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ ۚ وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾.

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ﴾: ولا تحملُ نفسٌ آثمةٌ إثمَ نَفسٍ أُخرى، وأمَّا قولُه: ﴿وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] ففي الضَّالِّين المُضلِّين، فإنَّهم يحملونَ أثقالَ إِضلالِهم مع أثقالِ ضَلالِهم، وكلُّ ذلك أوزارُهم ليسَ فيها شيءٌ مِن أَوزارِ غيرِهم.

﴿وَإِن تَدْعُ مُثْقَلَةٌ﴾: نفسٌ أثقلَها الأوزارُ ﴿إِلَىٰ حِمْلِهَا﴾ بحَمْلِ بعضِ أوزارِهَا ﴿لَا يُحْمَلْ مِنْهُ شَيْءٌ﴾: لم تُجَبْ بحَملِ شَيءٍ منه. نَفَى أن يُحمَلَ عنها ذنبُها كما نَفَى أن يُحْمَلَ عليها ذنبُ غيرِها.

﴿وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰٓ﴾ ولو كانَ المدعوُّ ذا قرابَتِها، فأُضمرَ (المدعوُّ) لدلالةِ ﴿إِنْ تَدْعُ﴾ عليهِ.

وقُرِئَ: (ذو قُرْبى)[1] على حذفِ الخبرِ، وهو أَوْلَى مِن جعلِ (كانَ) التامَّةَ؛ فإنَّها لا تُلائِمُ نظمَ الكَلامِ.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ ٱلَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِٱلْغَيْبِ﴾: غائبينَ عن عذابِه، أو عن النَّاسِ في خَلَواتِهم، أو غائبًا عَنهُم عذابُه.

﴿وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ فإنَّهُم المنتفِعونَ بالإنذارِ لا غير، واختلافُ الفعلينِ لِمَا مرَّ.

---

(١) دون نسبة في «الكشاف» (٧/ ٢٠٢)، و«البحر» (١٨/ ٣٤) دون نسبة، وأجازها نحواً لا قراءة: الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٦٨).

﴿وَمَن تَزَكَّىٰ﴾: ومَن تَطهَّرَ عن دنسِ المعاصي ﴿فَإِنَّمَا يَتَزَكَّىٰ لِنَفْسِهِۦ﴾ إذ نفعُهُ لها، وقُرِئَ: (ومَن ازَّكى فإنَّما يزَّكَّى)(١).

وهو اعتراضٌ مؤكِّدٌ لخَشيَتِهِم وإقامَتِهم الصَّلاةَ لأنَّهما من جملةِ التَّزكِّي.

﴿وَإِلَى ٱللَّهِ ٱلْمَصِيرُ﴾ فيُجازيهم على تزكِّيهم.

(١٩ ـ ٢٢) ـ ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾: الكافرُ والمؤمنُ، وقيل: هما مَثَلانِ للصَّنَمِ ولله عزَّ وجلَّ.

﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾: ولا الباطلُ ولا الحقُّ(٢).

﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾: ولا الثَّوابُ ولا العقابُ(٣).

و(لا) لتأكيدِ نَفْيِ الاستواءِ، وتكريرُها على الشِّقَّيْنِ لمزيدِ التَّأكيدِ.

والحَرُورُ: فَعُولٌ مِن الحرِّ غلبَ على السَّمُومِ.

وقيل: السَّمُومُ ما يهبُّ نهارًا، والحَرُورُ ما يهبُّ لَيْلًا.

﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾ تمثيلٌ آخرُ للمُؤمنينَ والكافرينَ أبلغُ مِن الأوَّلِ، ولذلك كرَّرَ الفعلَ، وقيل: للعُلماءِ والجُهلاءِ.

---

(١) نسبت لطلحة بن مصرف في «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٣٥)، و«البحر» (١٨/ ٣٥)، وفي «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤) عن أبي عمرو في رواية: «ومن يزكى فإنما يزكى».

(٢) في (ض): «ولا الباطل والحق».

(٣) في (ض) و(ت): «ولا الثواب والعقاب».

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُ﴾ هدايتَـهُ، فيوفِّقُـه لفهـمِ آياتِه والاتِّعـاظِ بعظاتِه ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِى ٱلْقُبُورِ﴾ ترشيحٌ لتَمثيـلِ المصرِّيـنِ على الكفـرِ بالأمـواتِ، ومُبالغةٌ في إقناطِـه عَنْهُم.

(٢٣ ـ ٢٤) ـ ﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ ﴿٢٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ بَشِيرًا وَنَذِيرًا ۚ وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٌ﴾.

﴿إِنْ أَنتَ إِلَّا نَذِيرٌ﴾ فما عليكَ إلَّا الإنذارُ، وأمَّا الإسماعُ فلا إليكَ، ولا حيلةَ لك إليه في المطبوعِ على قُلوبِهم.

﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ بِٱلْحَقِّ﴾: مُحقِّينَ، أو: مُحِقًّا، أو: إرسالًا مصحوبًا بالحقِّ، ويجوزُ أَنْ يكونَ صِلةً لقولِه: ﴿بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾؛ أي: بشيرًا بالوعدِ الحقِّ ونذيرًا بالوعيدِ الحقِّ.

﴿وَإِن مِّنْ أُمَّةٍ﴾: أهلِ عَصْرٍ ﴿إِلَّا خَلَا﴾: مَضى ﴿فِيهَا نَذِيرٌ﴾ مِن نبيٍّ أو عالمٍ ينذِرُ عنه، والاكتفاءُ بذكرِه[1] للعلمِ بأنَّ النِّذارةَ قرينةُ البِشارةِ، سيَّمَا وقد قُرِنَ به من قبلُ، ولأنَّ الإنذارَ هو المقصودُ الأهمِ مِن البعثَةِ.

(٢٥ ـ ٢٦) ـ ﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَبِٱلزُّبُرِ وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾.

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ جَآءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ﴾: بالمُعجزاتِ الشَّاهدَةِ على نبوَّتِهم ﴿وَبِٱلزُّبُرِ﴾: كصُحُفِ إبراهيمَ ﴿وَبِٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُنِيرِ﴾ كالتَّوراةِ والإنجيلِ على إرادةِ التَّفصيلِ دونَ الجمعِ، ويجوزُ أَنْ يرادَ بهما واحدٌ، والعطفُ لتغايُرِ الوَصْفَينِ.

﴿ثُمَّ أَخَذْتُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ﴾؛ أي: إنكاري بالعُقوبَةِ.

---

(١) أي: بذكر النذير وعدم اقترانه بالبشير.

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَٰلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾: أجناسُها وأصنافُها على أنَّ كُلًّا مِنها ذو[1] أصنافٍ مُختَلِفَةٍ، أو: هيئاتُها مِن الصُّفرَةِ والخُضرةِ ونحوِهما.

﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ﴾؛ أي: ذو جُدَدٍ؛ أي: خُطَطٍ وطرائقَ، يقال: (جُدَّةُ الحمارِ) للخطَّةِ السَّوداءِ على ظهرِه.

وقُرِئَ: (جُدُدٌ) بالضمِّ[2] جمعُ جَديدَةٍ[3] بمعنى الجُدَد[4]، و: (جَدَدٌ) بفتحتينِ[5]، وهو الطَّريقُ الواضِحُ.

﴿بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا﴾ بالشدَّةِ والضَّعفِ ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ عطفٌ على ﴿بِيضٌ﴾ أو على ﴿جُدَدٌ﴾ كأنَّه قيل: ومِن الجبالِ ذو جددٍ مختلفةِ اللونِ ومنها غرابيبُ مُتَّحِدَةُ اللونِ، وهو تأكيدُ مُضمَرٍ يُفَسِّرُهُ ما بعده، فإنَّ الغِرْبيبَ تأكيدٌ للأَسْوَدِ ومِن حَقِّ التَّأكيدِ أن يَتبَعَ المؤكَّدَ، ونظيرُ ذلك في الصِّفَةِ قولُ النَّابغَةِ:

---

(١) في (ض) و(ت): «لها».

(٢) وهي قراءة الزهري كما في «المحتسب» (٢/ ١٩٩).

(٣) في «المحتسب» (٢/ ٢٠٠): جمع جديد؛ أي: آثار جدد غير مخلقة، فهو أصح لها، وأوضح للونها.

(٤) قوله: «بمعنى الجُدَد»؛ أي: بضم ففتح، أشار به إلى أنها بمعنى الأولى، وتجمع على جدائد أيضاً. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٢٢٤). وفي (أ) و(خ) و(ض): «بمعنى الجِدَّة».

(٥) وهي قراءة الزهري أيضاً فيما رواه سهل عن الوقاصي عنه كما في «المحتسب» (٢/ ١٩٩)، وقال أبو حاتم، وقطرب: لا قراءة فيه غير جُدَد.

والمـؤمِـنِ العـائـذاتِ الطَّـيرَ

وفي مثلِه مَزيدُ تأكيدٍ؛ لِمَا فيه مِن التَّكريرِ باعتبارِ الإضمارِ والإظهارِ.

﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ وَٱلدَّوَآبِّ وَٱلْأَنْعَٰمِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ كَذَٰلِكَ﴾ كاختلافِ الثِّمارِ والجبالِ.

﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾ إذ شرطُ الخَشيَةِ مَعرِفَةُ المخشيِّ والعِلمُ بصِفَاتِه وأَفعالِه، فمَن كانَ أَعْلَمَ به كانَ أَخْشَى منه، ولذلك قال عليهِ السَّلامُ: «إني أَخشاكُمْ للهِ وأَتْقَاكُم لَه»[1]، ولهذا أتبعَه ذكرَ أَفعالِه الدَّالَّةِ على كمالِ قُدرَتِه.

وتقديمُ المَفعولِ لأنَّ المقصودَ حَصْرُ الفاعليَّةِ، ولو أُخِّرَ انعكسَ الأمرُ.

وقُرِئَ برفعِ اسمِ اللهِ ونصبِ ﴿ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾[2] على أنَّ الخشيةَ مُستعارَةٌ للتَّعظيمِ، فإنَّ المُعظَّمَ يكونُ مَهيبًا.

---

(١) رواه البخاري (٥٠٦٣) من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه بلفظ: «أما والله إني لأخشاكم لله وأتقاكم له»، ورواه مسلم (١١٠٨) من حديث عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما بلفظ: «أما والله إني لأتقاكم لله، وأخشاكم له».

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٨/ ١٠٥)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٤). قال الثعلبي: والقراءة الصحيحة ما عليه العامة.

وقد طعن ابن الجزري في هذه القراءة في «النشر» (١/ ١٦) فقال ما معناه: ومثال ما نقله غير ثقة كثير مما في كتب الشواذ مما غالب إسناده ضعيف، ومنه القراءة المنسوبة إلى الإمام أبي حنيفة التي جمعها أبو الفضل محمد بن جعفر الخزاعي ونقلها عنه أبو القاسم الهذلي، ومنها: (إنما يخشى اللهُ من عباده العلماءَ) برفع الله ونصب العلماء، وقد راجَ ذلك على أكثر المفسرين ونسبها إليه وتكلَّف توجيهها، وإنَّ أبا حنيفةَ لبريءٌ منها، وقد كتب الدارقطني وجماعة بأن هذا الكتاب موضوع لا أصل له.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ غَفُورٌ﴾ تعليلٌ لوُجوبِ الخشيةِ لدلالتِه على أنَّه مُعاقِبٌ للمُصِرِّ على طُغيانِه غفورٌ للتَّائبِ عن عِصيانِه.

قوله: «وهو توكيدُ مُضمَرٍ يفسِّرُهُ»:

قال أبو حيَّان: هذا لا يَصِحُّ إلا على مذهبِ مَن يجيزُ حذفَ المؤكَّدِ، ومِن النُّحاةِ مَن منعَ ذلك، وهو اختيارُ ابنِ مالكٍ[1].

وقال الحَلَبيُّ: ليسَ هذا هو التَّأكيدُ المختلَفُ في حذفِ مؤكَّدِه؛ لأنَّ هذا مِن بابِ الصِّفَةِ والمَوصوفِ، ومَعنى تَسمِيَةِ الزَّمخشريِّ لها تأكيدًا مِن حيثُ إنَّها لا تفيدُ مَعنًى زائدًا، إنَّما تفيدُ المبالغةَ والتَّوكيدَ في ذلك اللونِ، والنَّحويُّونَ قد سَمَّوا الوصفَ إذا لم يُفِدْ غيرَ الأوَّلِ تَوْكيدًا، فقالوا: وقَدْ يَجيءُ لِمُجرَّدِ التَّوكيدِ نحو: ﴿نَعۡجَةٞ وَٰحِدَةٞ﴾[2] [ص: ٢٣] و﴿إِلَٰهَيۡنِ ٱثۡنَيۡنِ﴾ [النحل: ٥١]، والتَّوكيدُ المختلَفُ في حذفِ مُؤكَّدِهِ إنَّما هو مِن بابِ التَّأكيدِ الصِّناعيِّ، فأينَ هذا مِن ذاكَ؟

إلَّا أنَّه يُشكِلُ على الزَّمخشريِّ هذا المذكورُ بعدَ (غَرَابِيب) ونحوِه بالنِّسبَةِ إلى أنَّه جعلَهُ مُفسِّرًا لذلك المَحذوفِ، وهذا إنَّما عُهِدَ في الجُمَلِ لا في المُفرداتِ، إلَّا في بابِ البدلِ وعطفِ البَيانِ، فبأيِّ شَيءٍ يسمِّيه؟ والأَوْلَى فيه أَنْ يُسمَّى تَوكيدًا لفظيًّا؛ إذ الأصلُ: سودٌ غرابيبُ سودٌ[3].

قوله: «قالَ النَّابغةُ:

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٤٤)، وانظر: «شرح التسهيل» (٣/ ٢٩٥، ٢٩٨)، و«شرح الكافية الشافية» (٣/ ١١٨٠).

(٢) في (ن): «نفخة واحدة».

(٣) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٢٣٠).

والمُؤْمِـــنِ العَائِـــذَاتِ الطَّيْـــرَ»

تمامه:

.... تَمْسَـــحُهَا رُكْبَانُ مَكَّـــةَ بيـــنَ الغَيْـــلِ وَالسَّـــنَدِ[1]

قال الطِّيبِيُّ: «المؤمِن» اسمُ فاعلٍ وهو اللهُ تعالى، و«العائذات»: الحمائم لمَّا عاذت بمكة والتجأت إليها حرُم قتلُها وصيدُها وأَنْ تُهاج، والغَيل والسَّنَد: موضعانِ، و«المؤمن» مجرورٌ بالقسَم، و«العائذاتِ»: مَنصوبٌ باسمِ الفاعلِ وهو «المؤمِن»، و«الطَّيرَ» مَنصوبٌ، إمّا بدلٌ أو عطفُ بيانٍ. والاستشهادُ بأَنَّ هذا الطَّيرَ المَذكورَ دالٌّ عَلَى المحذوفِ، وهو مَفعولٌ لاسمِ الفاعلِ، و«العائذات» صِفَة؛ أي: المؤمِنِ الطَّيرَ العائذاتِ الطَّيرَ[2].

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ يَرۡجُونَ تِجَٰرَةٗ لَّن تَبُورَ ﴿٢٩﴾ لِيُوَفِّيَهُمۡ أُجُورَهُمۡ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضۡلِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ غَفُورٞ شَكُورٞ﴾.

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتۡلُونَ كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾: يُداوِمُونَ قراءتَهُ أو متابعةَ ما فيهِ حتَّى صارَت سِمَةً لَهُم وعنوانًا، والمرادُ بـ﴿كِتَٰبَ ٱللَّهِ﴾ القرآنُ، أو: جنسُ كُتُبِ اللهِ، فيكونُ ثناءً على المصدِّقينَ مِن الأُمَمِ بعدَ اقتِصاصِ حالِ المكذِّبينَ.

﴿وَأَقَامُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنفَقُواْ مِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ﴾ كيفَ اتَّفَقَ مِن غيرِ قصدٍ إليهِمَا.

وقيل: السرُّ في المسنونَةِ، والعَلانيَةُ في المفروضَةِ.

---

(١) انظر: «ديوان النابغة» (ص: ٣٦)، وفيه: «والسعد».

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٢/ ٦٤٤).

﴿يَرْجُونَ تِجَـٰرَةً﴾: تحصيلَ ثوابٍ بالطَّاعةِ ـ وهو خبرُ ﴿إِنَّ﴾ ـ ﴿لَّن تَبُورَ﴾: لن تكسدَ ولن تهلكَ بالخُسرانِ، صِفةٌ للتِّجارةِ، وقوله: ﴿لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ﴾ عِلَّةٌ لمدلولِه؛ أي: يَنتَفِي عنها الكسادُ وتَنْفُقُ عندَ اللهِ ليوفيَهم بنَفاقِها أجورَ أعمالِهم، أو لمدلولِ ما عدَّ مِن أفعالِهم نحو: فَعَلوا ذلك ليوفِّيَهُم، أو عاقبةٌ لـ﴿يَرْجُونَ﴾.

﴿وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ﴾ على ما يقابلُ أعمالَهُم ﴿إِنَّهُۥ غَفُورٌ﴾ لفَرطاتِهم ﴿شَكُورٌ﴾ لطاعاتِهم؛ أي: مُجازيهِمْ عليها، وهو عِلَّةٌ للتَّوفِيَةِ والزِّيادةِ، أو خبرُ ﴿إِنَّ﴾، و﴿يَرْجُونَ﴾ حالٌ مِن واوِ ﴿وَأَنفَقُواْ﴾.

(٣١) ـ ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾.

﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ مِنَ ٱلْكِتَـٰبِ﴾ يعني: القرآن، و﴿مِنَ﴾ للتَّبيينِ، أو الجنسِ و﴿مِنَ﴾ للتَّبعيضِ، ﴿هُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ﴾ أَحُقُّهُ[1] مُصدِّقًا لِمَا تقدَّمَه مِن الكتبِ السَّماويَّةِ، حالٌ مُؤكِّدةٌ لأنَّ حقيَّتَهُ تستلزمُ مُوافقتَهُ إيَّاهُ في العَقائدِ وأُصولِ الأحكامِ.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ بِعِبَادِهِۦ لَخَبِيرٌۢ بَصِيرٌ﴾ عالمٌ بالبَواطنِ والظَّواهرِ، فلو كان في أحوالِكَ ما يُنافي النُّبوَّةَ لم يُوحِ إليك مثلَ هذا الكتابِ المعجزِ الذي هو عِيَارٌ على سائرِ الكتبِ، وتقديمُ (الخبير) للدَّلالةِ على أنَّ العُمدةَ في ذلك الأمورُ الروحانيَّةُ.

---

(١) قوله: «أَحُقُّه»؛ أي: أُحقِّقه أو أجعله حقًّا، فالعامل فيه مقدر يفهم من مضمون الجملة. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٢٢٦).

(٣٢) - ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾.

﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ﴾: حَكَمْنا بتَوريثِه منك، أو: نـورثُه، فعبَّرَ عنه بالماضي لتَحقُّقِه، أو: ورَّثْناهُ مِن الأُمَمِ السَّالفَةِ، والعطفُ على ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَتْلُونَ﴾، و﴿ٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ اعتراضٌ لبيانِ كيفيَّةِ التَّوريثِ.

﴿ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا﴾ يعني: علماءَ الأُمَّةِ مِن الصَّحابةِ ومَن بعدَهُم، أو الأمَّةَ بأسرِهِم فإنَّ اللهَ اصطفاهُم على سائرِ الأُمَمِ.

﴿فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالتَّقصيرِ في العمـلِ بـه ﴿وَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ﴾ يعمَـلُ به في أغلـبِ الأوقاتِ[1] ﴿وَمِنْهُمْ سَابِقٌۢ بِٱلْخَيْرَٰتِ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ بضمِّ[2] التَّعليمِ والإرشـادِ إلـى العملِ.

وقيل: الظَّالمُ: الجاهِلُ، والمُقتَصِدُ: المُتعَلِّمُ، والسَّابِقُ: العالِمُ[3].

وقيل: الظَّالِمُ: المُجرِمُ، والمُقتَصِدُ: الذي خلـطَ الصَّالحَ بالسَّيِّئ، والسَّابقُ: الذي ترجَّحَتْ حَسناتُه بحيثُ صارَتْ سَيِّئاتُه مُكفَّرَةً[4]، وهو مَعنى قولِه عليهِ السَّلامُ: «أمَّا الذين سبقُوا فأولئكَ يَدخلونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ، وأمَّا الذين اقتصدُوا فأولئكَ يحاسَبونَ حِسابًا يسيرًا، وأمَّا الذينَ ظلمُوا أنفُسَهُم فأولئكَ يُحبسون في طولِ المحشرِ ثمَّ يَتلقَّاهُم اللهُ برَحمَتِه».

---

(١) في (ض) و(ت): «في أغلب الأمر».

(٢) في (ض): «يضم».

(٣) رواه التستري في «تفسيره» (ص: ١٢٩) عن سهل.

(٤) ذكره التستري في «تفسيره» (ص: ١٢٩) عن الحسن البصري.

وقيل: الظالمُ: الكافرُ، على أنَّ الضَّميرَ للعبادِ، وتقديمُهُ لكثرةِ الظَّالِمينَ، ولأنَّ الظُّلمَ بمعنى الجهلِ والرُّكونِ إلى الهوى مُقتضَى الجبلَّةِ، والاقتصادُ والسَّبقُ عارِضانِ.

﴿ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَضْلُ ٱلْكَبِيرُ﴾ إشارةٌ إلى التَّوريثِ، أو الاصطفاءِ، أو السَّبقِ.

قوله: «أمَّا الذينَ سَبقُوا فأولئكَ يَدخلونَ الجنَّةَ بغيرِ حسابٍ...» الحديث:

أخرجَه أحمدُ وابنُ جريرٍ والطَّبرانيُّ والحاكمُ مِن حديثِ أبي الدَّرداءِ(١).

(٣٣ - ٣٥) - ﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَذْهَبَ عَنَّا ٱلْحَزَنَ إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٤﴾ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾.

﴿جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا﴾ مبتدأٌ وخبرٌ، والضَّميرُ للثَّلاثةِ، أو لـ﴿ٱلَّذِينَ﴾، أو للمُقتصدِ والسَّابقِ فإنَّ المرادَ بهما الجنسُ.

وقُرِئَ: (جَنَّةُ عَدْنٍ) و: (جَنَّاتِ) منصوبةً(٢) بفعلٍ يُفسِّرُه الظَّاهرُ.

وقرأَ أبو عمرٍو: ﴿يُدْخَلُونَها﴾ على بناءِ المَفعولِ(٣).

---

(١) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢١٧٢٧)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٧٥)، والطبراني كما في «مجمع الزوائد» (٧/ ٩٦)، والحاكم في «المستدرك» (٣٥٩٢)، وعنه البيهقي في «البعث والنشور» (٥٨). قال الحاكم وعنه البيهقي: وقد اختلفت الروايات في إسناد هذا الحديث... وإذا كثرت الروايات في حديث ظهر أن للحديث أصلاً.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤) الأولى عن الزهري والثانية عن الجحدري.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٢).

﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا﴾ خبرٌ ثانٍ أو حالٌ مُقدرَةٌ. وقُرِئَ: (يَحْلَوْنَ)[١] مِن حَلِيَت المَرأَةُ فهيَ حالٍ[٢].

﴿مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾ ﴿مِنْ﴾ الأولى للتَّبعيضِ والثَّانيةُ للتَّبيينِ.

﴿ولؤلؤٍ﴾ عطفٌ على ﴿ذَهَبٍ﴾؛ أي: مِن ذَهَبٍ مُرَصَّعٍ باللؤلؤِ، أو من ذهبٍ في صَفاءِ اللؤلؤِ، ونصبَهُ نافعٌ وعاصمٌ[٣] عطفًا على محلِّ ﴿مِنْ أَسَاوِرَ﴾.

﴿وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزَنَ﴾: همَّهُم مِن خوفِ العاقبةِ، أو همَّهُم مِن أجلِ المعاشِ وآفاتِه، أو مِن وسوسةِ إبليسَ[٤] وغيرِها.

وقُرِئَ: (الحُزْنَ)[٥].

﴿إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ﴾ للمُذنبينَ ﴿شَكُورٌ﴾ للمُطيعينَ.

﴿الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمُقَامَةِ﴾: دارَ الإقامةِ ﴿مِن فَضْلِهِ﴾: من إنعامِه وتَفضُّلِه؛ إذ لا واجبَ عليه ﴿لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ﴾: تعبٌ، ﴿وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ﴾: كَلالٌ؛ إذ لا تكليفَ فيها ولا كَدَّ، أَتْبَعَ نفيَ النَّصَبِ نفيَ ما يَتبعُهُ مُبالغَةً.

---

(١) ذكرها ابن جني في «المحتسب» (٢/ ٧٧) عن ابن عباس في الآية (٢٣) من سورة الحج.

(٢) كتب فوقها في (ض): «كقاض».

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٤ ـ ٥٣٥)، و«التيسير» (ص: ١٥٦).

(٤) في (ت): «الشيطان».

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٤) عن جناح بن حبيش.

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ فَيَمُوتُواْ وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَاۚ كَذَٰلِكَ نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴿٣٦﴾ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُۚ أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُۖ فَذُوقُواْ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ ﴾.

﴿ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ ﴾: لا يُحكَمُ عليهِم بموتٍ ثانٍ ﴿فَيَمُوتُواْ ﴾: فيستريحوا[١]، ونصبُه بإضمارِ (أنْ).

وقُرِئَ: (فيَموتونَ)[٢] عطفًا على ﴿يُقْضَىٰ ﴾ كقولِه: ﴿وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَعْتَذِرُونَ ﴾ [المرسلات: ٣٦].

﴿وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُم مِّنْ عَذَابِهَا ﴾ بل كلَّما خَبَتْ زيدَ إسعارُهَا.

﴿كَذَٰلِكَ﴾: مثلَ ذلك الجزاءِ ﴿نَجْزِى كُلَّ كَفُورٍ ﴾ مُبالغٍ في الكُفْرِ أو الكُفْرانِ.

وقرأ أبو عمرٍو: ﴿يُجْزَى﴾[٣] على بناءِ المفعولِ وإسنادِه إلى ﴿كُلَّ﴾، وقُرِئَ: (يُجازَى)[٤].

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا ﴾: يستغيثونَ، يَفْتَعِلُونَ مِن الصُّراخِ وهو الصِّيَاحُ، استعمِلَ في الاستغاثَةِ لجهدِ[٥] المُستغيثِ صوتَه.

---

(١) في (ض): «ويستريحوا».

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٠١) عن الحسن.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٥)، و«التيسير» (ص: ١٨٢).

(٤) ذكرها دون نسبة الزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٢٤٩)، وعليها وعلى التي قبلها (كلُّ) بالرفع.

(٥) قوله: «يستعمل في الاستغاثة» فيقال: صريخ، للمستغيث لأنه يصيح غالباً، وقوله: «الجهد» بالدال المهملة لا بالراء كما في بعضها، أي: يجهد ويبالغ في مد صوته ويبذل جهده فيه. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٢٢٨).

﴿رَبَّنَا أَخْرِجْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ﴾ بإضمارِ القولِ وتقييدِ العملِ الصَّالحِ بالوصفِ المذكورِ للتَّحسُّرِ على ما عَمِلُوهُ مِن غيرِ الصَّالحِ، والاعترافِ به، والإشعارِ بأنَّ استخراجَهُم لتلافيهِ، وأنَّهم كانوا يحسبونَ أنَّه صالحٌ والآنَ تحقَّقَ لَهُم خِلافُه.

﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَن تَذَكَّرَ وَجَآءَكُمُ ٱلنَّذِيرُ﴾ جوابٌ مِن اللهِ وتَوبيخٌ لهم، و﴿مَّا يَتَذَكَّرُ فِيهِ﴾ متناوِلٌ كلَّ عُمرٍ تمكَّنَ المكلَّفِ فيه من التَّفكُّرِ والتَّذكُّرِ.

وقيل: ما بين العشرينَ إلى السِّتِّينَ، وعنه عليه السَّلامُ: «العمرُ الذي أعذرَ اللهُ فيه إلى ابنِ آدمَ سِتُّونَ سَنةً».

والعطفُ على مَعنى ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُم﴾ فإنَّه للتَّقريرِ؛ كأنَّه قيل: عمَّرْناكُم وجاءَكُم النَّذيرُ وهو النَّبيُّ أو الكتابُ، وقيل: العقلُ أو الشَّيبُ أو موتُ الأقاربِ.

﴿فَذُوقُوا۟ فَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِن نَّصِيرٍ﴾ يدفعُ العذابَ عنهُم.

قوله: «العمرُ الذي أعذرَ اللهُ فيهِ إلى ابنِ آدمَ ستُّونَ سنةً».

أخرجَهُ البزَّارُ بهذا اللفظِ مِن حديثِ أبي هُريرةَ[1]، وأصلُه عندَ البُخاريِّ بلفظِ: «مَن عمَّرَه اللهُ ستينَ سنةً فقد أعذرَ إليه في العمرِ»[2].

(٣٨) - ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَٰلِمُ غَيْبِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ لا يَخفَى عليه خافيَةٌ فلا يخفَى عليهِ أحوالُهم.

---

(١) رواه البزار في «مسنده» (٨٥٢١).

(٢) رواه البخاري (٦٤١٩)، واللفظ الذي ساقه المصنف هو لفظ ترجمة الباب، ولفظ الحديث عنده: (أعذر الله إلى امرئ أخر أجله حتى بلغه ستين سنة).

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ تعليلٌ له، لأنَّه إذا علمَ مُضمَراتِ الصُّدورِ وهي أخفَى ما يكونُ؛ كان أعلمَ بغَيْرِها.

(٣٩) - ﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾.

﴿هُوَ ٱلَّذِي جَعَلَكُمۡ خَلَٰٓئِفَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾: مُلْقًى إليكُم مقاليدُ التَّصرُّفِ فيها، وقيل: خَلَفًا بعدَ خَلَفٍ، جمع خليفَةٍ، والخلفاءُ: جمعُ خَليفٍ.

﴿فَمَن كَفَرَ فَعَلَيۡهِ كُفۡرُهُۥ﴾: جزاءُ كُفره ﴿وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ إِلَّا مَقۡتٗاۖ وَلَا يَزِيدُ ٱلۡكَٰفِرِينَ كُفۡرُهُمۡ إِلَّا خَسَارٗا﴾ بيانٌ له، والتَّكريرُ للدَّلالةِ على أنَّ اقتضاءَ الكُفرِ لكلِّ واحدٍ مِن الأمرينِ مستقلٌّ باقتضاءِ قُبحِهِ ووُجوبِ التَّجنُّبِ عنه، والمرادُ بالمَقتِ وهو أشدُّ البُغْضِ: مقتُ اللهِ، وبالخسارِ: خَسارُ الآخرةِ.

(٤٠) - ﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُۚ بَلۡ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعۡضُهُم بَعۡضًا إِلَّا غُرُورًا﴾.

﴿قُلۡ أَرَءَيۡتُمۡ شُرَكَآءَكُمُ ٱلَّذِينَ تَدۡعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ يعني: آلهتَهُم، والإضافةُ إليهم لأنَّهُم جعَلُوهُم شركاءَ للهِ، أو لأنفُسِهم فيما يَملِكُونَه.

﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُواْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِ﴾ بدلٌ مِن ﴿أَرَءَيۡتُمۡ﴾ بدلَ الاشتمالِ؛ لأنَّه بمعنى: أَخبِرُوني، كأنَّه قال: أخبِرُوني عن هؤلاءِ الشُّركاءِ، أَرُوني أيَّ جزءٍ مِن الأرضِ استبَدُّوا بخَلْقِه ﴿أَمۡ لَهُمۡ شِرۡكٞ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾: أَمْ لهم شِرْكةٌ معَ اللهِ في خلقِ السَّماواتِ فاستحقُّوا بذلك شِركةً في الألوهيَّةِ ذاتيَّةً.

﴿أَمۡ ءَاتَيۡنَٰهُمۡ كِتَٰبٗا﴾ ينطقُ على أنَّا اتَّخذْناهم شُركاءَ ﴿فَهُمۡ عَلَىٰ بَيِّنَتٖ مِّنۡهُ﴾: على

حُجَّةٍ من ذلك الكتابِ بأنَّ لَهُم شركةً جعليَّةً، ويجوزُ أَنْ يكونَ (هم) للمُشركينَ كقولِه: ﴿أَمْ أَنزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَٰنًا﴾ [الروم: ٣٥].

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ ويعقوبُ وأبو بكرٍ والكِسائيُّ: ﴿على بيِّناتٍ﴾[1] فيكونُ إيماءً إلى أنَّ الشِّركَ خَطيرٌ لا بدَّ فيهِ مِن تَعاضُدِ الدَّلائلِ.

﴿بَلْ إِن يَعِدُ ٱلظَّٰلِمُونَ بَعْضُهُم بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا﴾ لَمَّا نفى أنواعَ الحُجَجِ في ذلك أضربَ عنه بذكرِ ما حملَهُم عليه، وهو تَغريرُ الأسلافِ الأخلافَ[2]، أو الرُّؤساءِ الأتباعَ، بأنَّهُم شُفَعاءُ عندَ اللهِ يَشفَعُونَ لَهُم بالتَّقرُّبِ إليهِم.

قوله تعالى: «﴿أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ ٱلْأَرْضِ﴾ بدلٌ مِن ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ بَدَلَ الاشتمالِ؛ لأنَّه بمَعنى أَخبِرُوني»:

قال أبو حيَّان: هذا لا يَصِحُّ؛ لأنَّه إذا أُبدلَ ممَّا دخلَ عليه الاستِفهامُ فلا بُدَّ مِن دُخولِ الأَداةِ على البدلِ.

وأَيْضًا فإبدالُ الجُملةِ مِن الجُملةِ لم يعهَدْ في لِسانِهِم.

ثمَّ البدلُ على نيَّةِ تكرارِ العاملِ، ولا يَتأتَّى ذلك هنا؛ لأنَّه لا عاملٌ في ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ فيُتخيَّلَ دخولُه في ﴿أَرُونِي﴾.

قال: والذي أذهَبُ إليهِ هُنا أنَّ ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ بمَعنى: أخبِروني، وهي تطلبُ مَفعولَيْنِ: أحدُهُما مَنصوبٌ، والآخرُ مُشتمِلٌ على الاستفهامِ كقَوْلِ العَربِ: أرأيتَ زَيدًا ما صنعَ؟

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٥)، «المبسوط» لابن مهران (ص: ٦٣٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٢).

(٢) في (ض): «الأخلاف» «الأجلاف» في كلمة واحدة وعليها (معا).

فالأوَّل هنا هو ﴿شُرَكَآءَكُمُ﴾، والثَّاني: ﴿مَاذَا خَلَقُواْ﴾، و﴿أَرُونِي﴾ جُملةٌ اعتِراضيَّةٌ فيها تأكيدٌ للكلامِ وتَشديدٌ[١].

ويحتمِلُ أَنْ يكونَ ذلك مِن بابِ الإعمالِ؛ لأنَّه تَواردَ على ﴿مَاذَا خَلَقُواْ﴾: ﴿أَرَءَيْتُمْ﴾ و﴿أَرُونِي﴾؛ لأنَّ ﴿أَرُونِي﴾ قد تُعلَّقُ عن مَفعولِها [الثاني كما علِّقت (رأى) التي لم تدخلْ عليها همزةُ النقلِ عن مفعولها] في قولِهم: (أمَا تَرى أيُّ برقٍ هاهُنا؟) ويكونُ قد أُعملَ الثَّاني على المُختارِ عندَ البَصريِّينَ[٢].

وقال الحَلَبِيُّ: الجوابُ عن الأوَّلِ: أنَّ الاستفهامَ فيه غيرُ مُرادٍ قَطْعًا، فلم تُعَدَّ أداتُه لعدمِ إرادَتِه.

وأمَّا قولُه: (فلَم يُوجَد في لِسانِهم) فقَدْ وُجد، ومِنه[٣]:

تأتِنا تُلْمِم بنَا......[٤]

إنَّ علَيَّ اللهَ أَنْ تُبايِعَا تؤخَذُ كرهًا...............[٥]

---

(١) في «البحر المحيط»: «وتسديد».

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٦٠ ـ ٦١).

(٣) في «الدر المصون»: «فقد وجد ومنه».

(٤) البيت بتمامه:

متى تَأْتِنا تُلْمِمْ بنا في ديارنا تَجِدْ حَطَباً جَزْلاً وناراً تَأَجَّجا

وهو لعبيد الله بن الحر. انظر: «شرح كتاب سيبويه» للرماني (ص: ١٠١١)، و«شرح أبيات سيبويه» للسيرافي (٢/ ٧٧)، و«شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ٢٥٥)، و«شرح المفصل» لابن يعيش (٤/ ٢٨١).

(٥) تمام عجز البيت:

تُؤْخَذَ كَرْهاً أو تَجِيءَ طائِعا

انظر: «الكتاب» (١/ ١٥٦)، و«المقتضب» (٢/ ٦٣)، و«الحجة» لأبي علي الفارسي (٥/ ٣٥٠).

وقـد نـصَّ النَّحويُّـونَ عَلـى أنَّه مَتـى كانَـت الجُملَةُ فـي مَعنـى الأُولَـى ومُبيِّنةً لهـا؛ أبدلَـتْ مِنْها[١].

(٤١) ـ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَاۚ وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يُمْسِكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ أَن تَزُولَا﴾ كراهَةَ أَنْ تَزُولَا، فإنَّ المُمْكِنَ حالَ بقائِه لا بُدَّ لَه مِن حافظٍ، أو: يمنعُهُما أن تَزُولَا لأنَّ الإمساكَ منعٌ.

﴿وَلَئِن زَالَتَآ إِنْ أَمْسَكَهُمَا﴾: ما أمسكَهُما ﴿مِنْ أَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِهِۦٓ﴾: مِن بَعدِ اللهِ، أو: مِن بَعدِ الزَّوالِ، والجملةُ سادَّةٌ مَسَدَّ الجَوابينِ و﴿مِنْ﴾ الأولى زائدةٌ والثَّانيةُ للابتداءِ.

﴿إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا﴾ حيـثُ أمسَـكَهُما وكانتَـا جَدِيرتينِ بأن تُهَدَّا هَـدًّا كما قال: ﴿تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَتَنشَقُّ ٱلْأَرْضُ﴾ [مريم: ٩٠].

قوله: «والجملةُ سادَّةٌ مَسَدَّ الجَوابينِ»:

قال أبو حيَّان: إنْ أُخذَ هذا على ظاهرِه لم يصحَّ؛ لأنَّها لو سَدَّت مَسَدَّهُما لكانَ لها موضعٌ مِن الإعرابِ باعتبارِ جَوابِ الشَّرطِ، ولا مَوضِعَ لها مِن الإعرابِ باعتبارِ جوابِ القَسَمِ، والشَّيءُ الواحدُ لا يكونُ مَعمُولًا غيرَ مَعمولٍ[٢].

وقال الحَلَبِيُّ: قولُ الزَّمخشريِّ: إنَّه سادٌّ مَسَدَّ الجَوابينِ، يعني: أنَّه دالٌّ على جوابِ الشَّرطِ[٣].

---

(١) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٢٣٨ ـ ٢٣٩).

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٦٣).

(٣) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٢٣٩).

وقال السَّفاقسيُّ: ينبغي أن يُتأوَّلَ كَلامُ الزَّمخشريِّ على أنَّه أرادَ: مِن حيثُ المعنى، لا مِن حيثُ الإعرابُ.

(٤٢ ـ ٤٣) ـ ﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ مَّا زَادَهُمْ إِلَّا نُفُورًا ﴿٤٢﴾ ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ ۚ وَلَا يَحِيقُ ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ ۚ فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ ۚ فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾.

﴿وَأَقْسَمُوا۟ بِٱللَّهِ جَهْدَ أَيْمَٰنِهِمْ لَئِن جَآءَهُمْ نَذِيرٌ لَّيَكُونُنَّ أَهْدَىٰ مِنْ إِحْدَى ٱلْأُمَمِ﴾ وذلك أنَّ قُرَيْشًا لَمَّا بَلغَهُم أنَّ أهلَ الكتابِ كذَّبُوا رُسُلَهُم قالوا: لعنَ اللهُ اليَهودَ والنَّصارَى لو أتانا رَسولٌ لنكونَنَّ أهدى مِن إحدى الأُمَمِ؛ أي: مِن واحدةٍ مِن الأُممِ: اليهودِ والنَّصارى وغيرِهِم، أو: مِن الأُمَّةِ التي يقالُ فيهَا: (هي إحدى الأممِ) تَفضيلًا لها على غيرِها في الهُدَى والاستقامةِ.

﴿فَلَمَّا جَآءَهُمْ نَذِيرٌ﴾ يعني: مُحمَّدًا عليه السَّلامُ ﴿مَّا زَادَهُمْ﴾؛ أي: النَّذيرُ، أو: مجيئه على التَّسبُّبِ ﴿إِلَّا نُفُورًا﴾: تَباعُدًا عن الحقِّ.

﴿ٱسْتِكْبَارًا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ بدلٌ مِن ﴿نُفُورًا﴾ أو مفعولٌ له ﴿وَمَكْرَ ٱلسَّيِّئِ﴾ أصلُه: وأنْ مَكَروا المكرَ السَّيِّئ، فحُذِفَ الموصوفُ استغناءً بوَصفِهِ، ثمَّ بدِّلَ (أنْ) مع الفعلِ بالمصدَرِ، ثمَّ أُضيفَ.

وقرأَ حمزةُ وحدَهُ بسكونِ الهمزةِ في الوَصلِ[1].

﴿وَلَا يَحِيقُ﴾: ولا يحيطُ ﴿ٱلْمَكْرُ ٱلسَّيِّئُ إِلَّا بِأَهْلِهِۦ﴾ وهو الماكرُ، وقد حاقَ بهم يومَ بَدرٍ.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٥).

وقُرِئَ: (وَلَا يُحِيقُ المَكْرَ السَّيِّئَ)[1] أي: وَلَا يُحيقُ اللهُ.

﴿فَهَلْ يَنظُرُونَ﴾: ينتظرونَ ﴿إِلَّا سُنَّتَ ٱلْأَوَّلِينَ﴾: سُنَّةَ اللهِ فيهِم بتَعذيبِ[2] مُكذِّبيهِم.

﴿فَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا وَلَن تَجِدَ لِسُنَّتِ ٱللَّهِ تَحْوِيلًا﴾ إذ لا يبدِّلُها بجعلِه غيرَ التَّعذيبِ تَعذيبًا[3]، ولا يحوِّلُها بأن ينقلَهُ من المكذِّبينَ إلى غيرِهِم، وقوله:

(٤٤) ـ ﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَكَانُوٓا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا قَدِيرًا﴾.

﴿أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِى ٱلْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ استشهادٌ عليه بما يُشاهِدُونَه في مَسايرِهِم إلى الشَّامِ واليمنِ والعراقِ مِن آثارِ الماضينَ.

﴿وَكَانُوٓا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعْجِزَهُۥ مِن شَىْءٍ﴾ ليسبقَهُ ويفوتَه ﴿فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِى ٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ كَانَ عَلِيمًا﴾ بالأشياءِ كُلِّها ﴿قَدِيرًا﴾ عليها.

(٤٥) ـ ﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًا﴾.

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا﴾ مِن المَعاصي ﴿مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا﴾: ظهرِ الأرضِ ﴿مِن دَآبَّةٍ﴾: مِن نسمةٍ تَدِبُّ عليها بشؤمِ مَعاصيهِم.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٧/ ٢٢٩)، و«البحر» (١٨/ ٦٨) دون نسبة.

(٢) في (ض): «بتكذيب»، وفي الهامش: «في نسخة: بتعذيب».

(٣) «تعذيباً»: ليس في (خ) و(ض) و(ت).

وقيل: المـرادُ بالدَّابَّةِ الإنسُ وحدَه، لقولِـه: ﴿وَلَٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هـو يـومُ القِيامَـةِ ﴿فَإِذَا جَآءَ أَجَلُهُمْ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِعِبَادِهِۦ بَصِيرًۢا﴾ فيُجازيهـم علـى أعمالِهم.

عـن النَّبـيِّ ﷺ: «مَن قـرأَ سـورةَ الملائكَةِ دعَتْـهُ ثمانيةُ أبـوابِ الجنَّـةِ: أنِ ادخُلْ مِـن أيِّ بابٍ شِـئتَ».

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ المَلائكةِ...» إلى آخره: مَوضوعٌ[1].

* * *

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (١٤٦/٢٢) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور. وتقدم الكلام عليه مراراً وانظر: «الفوائد المجموعة» للشوكاني (ص: ٢٩٦).

سُورَةُ يسٓ

سُورَةُ يس

مَكِّيَّةٌ، وعنهُ عليهِ السَّلامُ: «يس تُدْعى المُعِمَّةَ تعمُّ صاحِبَهَا خيرَ الدَّارَينِ، والدَّافِعَةُ والقاضيَةُ، تدفَعُ عنهُ كُلَّ سُوءٍ، وتَقْضِي لهُ كلَّ حاجةٍ»[1].

وآيُها ثلاثٌ وثمانونَ[2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٤) ـ ﴿يسٓ ۝١ وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ ۝٢ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

﴿يسٓ﴾ كـ﴿الٓمٓ﴾ في المعنى والإعرابِ، وقيل: مَعناهُ: (يا إنسانُ) بلُغَةِ طَيِّئٍ[3]،

---

(١) رواه ابن الضريس في «فضائل القرآن» (٢١٦)، والحكيم الترمذي في «نوادر الأصول» (٣/ ٢٥٨)، والعقيلي في «الضعفاء» (٢/ ١٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٦)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٢٢٣٧)، من حديث أبي بكر رضي الله عنه. وضعفه العقيلي بسليمان بن مرقاع الجندعي، وقال: لا يتابع على حديثه والحديث منكر ولا يعرف إلا به.

وقال البيهقي: تفرد به محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر الجدعاني، عن سليمان بن مرقاع، وهو منكر.

(٢) انظر: «البيان في عد آي القرآن» للداني (ص: ٢١١)، وفيه: وهي ثمانون وثلاث آيات في الكوفي، وآيتان في عدد الباقين، اختلافها آية ﴿يسٓ﴾ عدها الكوفي ولم يعدها الباقون.

(٣) ذكره السمرقندي في «تفسيره» (٣/ ١١٥)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٦)، عن ابن عباس، وذكره في «المحتسب» (٢/ ٢٠٣) عن الكلبي.

وروى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٣٩٨) من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: (يا إنسان) بالحبشية.

على أنَّ أصلُه: (يا أُنَيْسِين) فاقتُصِرَ على شطرِهِ لكثرةِ النِّداءِ به؛ كمَا قيل: (مُن اللهِ)[1] في (ايمُنُ اللهِ).

وقرئ: بالكسرِ كجَيْرِ[2]، وبالفَتحِ[3] على البناءِ كأَيْنَ، أو الإعرابِ على: اتلُ يس، أو بإضمارِ حرفِ القَسمِ والفتحةُ لمنعِ الصَّرفِ، وبالضمِّ[4] بناءً كحَيْثُ، أو إعرابًا على: هذهِ يس.

وأمالَ الياءَ حمزَةُ والكِسائيُّ وأبو بكرٍ ورَوْحٌ[5].

وأدغمَ النُّونَ في واوِ ﴿وَٱلْقُرْءَانِ ٱلْحَكِيمِ﴾ ابنُ عامرٍ والكِسائيُّ وورشٌ وأبو بكر ويَعقوبُ[6]، وهي واوُ القَسَمِ، أو العطفِ إنْ جُعِلَ ﴿يسٓ﴾ مُقسَمًا بهِ.

﴿إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٣ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾: لَمِنَ الذينَ أُرسِلُوا على صراطٍ مُستَقيمٍ، وهو التَّوحيدُ والاستقامةُ في الأمورِ.

---

(١) في (خ): «مُ الله»، والمثبت من باقي النسخ، وكلاهما صواب، قال الطيبي: (وايمن الله): اسم وضع للقسم هكذا بضم الميم والنون وألفه ألف وصل، وربما حذفوا منه النون فقالوا: (ايم الله)، وربما حذفوا الياء وقالوا: (امُ الله)، وربما أبقوا الميم وحدها مضمومة وقالوا: (مُ الله). وفي «المقدمة الجزولية» (ص: ١٣٨): وفيه لغات: أيمن الله، إيمن الله، وليمن الله، وايم الله، إيم الله، ليم الله، مِنِ الله، مُنُ الله، مُ الله، ما الله، مِ الله.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥) عن أبي السمال.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٠٣)، عن عيسى بن عمر وابن أبي إسحاق.

(٤) انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٠٣) عن الكلبي.

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٨)، و«النشر» (٢/ ٧٠).

(٦) المصدرين السابقين.

ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ خبرًا ثانيًا، أو حالًا من المستكنِّ في الجارِّ والمجرورِ، وفائدتُه: وصفُ الشَّرعِ بالاستقامةِ صريحًا وإن دلَّ عليهِ ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ التزامًا.

قوله: «وقيل: مَعناه: (يا إنسانُ) بلُغَةِ طيِّء، على أنَّ أصلَهُ: يا أُنَيْسِين، فاقتصرَ على شَطرِه»:

قال أبو حيَّان: الذي نُقلَ عن العربِ في تَصغيرِ (إنسانٍ) إنَّما هو: أُنَيْسيان، بياءٍ بعدَها ألف، ولا نعلَمُهم قالوا في تصغيرِه: أُنَيْسِين.

وعلى تَقديرِ أنه يصغَّرُ كذلك، فَلا يجوزُ ذلك، إلا أَنْ يُبنَى على الضَّمِّ ولا يَبقى مَوْقوفًا؛ لأنَّه مُنادًى مُقبَلٌ عليه، ومع ذلك فلا يجوزُ لأنَّه تَحقيرٌ، ويمتنِعُ ذلكَ في حَقِّ النُّبُوَّةِ[1].

وقال الحَلَبِيُّ: هذا الاعتراضُ الأخيرُ صَحيحٌ، نصُّوا على أنَّ التَّصغيرَ لا يَدخُلُ في الأَسماء المُعظَّمَةِ شرعًا[2].

قوله: «لِمَن الذين أرسلُوا على صراطٍ»:

أي: أن قوله: ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ مِن صِلَةِ ﴿ٱلْمُرْسَلِينَ﴾.

قوله: «ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿عَلَىٰ صِرَٰطٍ﴾ خبرًا ثانيًا»:

قال الزجَّاجُ: إنَّه الأحسنُ في العَربيَّةِ، والمعنى: إنَّك مِن[3] المُرسلينَ، إنَّكَ عَلى صِراطٍ مُستقيمٍ[4].

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٧٣).

(٢) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٢٤٥).

(٣) في (ن): «لمن».

(٤) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٧٨).

(٥ ـ ٦) ـ ﴿ تَنزِيلَ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ ۝٥ لِتُنذِرَ قَوْمًا مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ فَهُمْ غَٰفِلُونَ ﴾.

﴿تنزيلُ ٱلْعَزِيزِ ٱلرَّحِيمِ﴾ خبرُ محذوفٍ، والمصدرُ بمعنى المفعولِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ وحمزَةُ والكِسائيُّ وحفصٌ بالنَّصبِ[1] على إضمارِ: أَعْني، أو فعلِه على أنَّه على أصلِه، وقُرِئَ بالجرِّ على البدلِ مِن (القُرآنِ)[2].

﴿ لِتُنذِرَ قَوْمًا﴾ مُتعلِّقٌ بـ﴿ تَنزِيلَ﴾ أو بمَعنى ﴿لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾[3].

﴿مَّآ أُنذِرَ ءَابَآؤُهُمْ﴾: غيرَ مُنذَرٍ آباؤُهُم، يعني: آباءَهُم الأقربينَ لتَطاوُلِ مُدَّةِ الفترةِ، فيكونُ صفَةً مبيِّنةً لشدَّةِ حاجَتِهِم إلى إرسالِه، أو: الذي أُنذرَ بهِ، أو: شيئًا أُنذرَ بهِ آباؤُهُم الأبعدونَ، فيكونُ مفعولًا ثانيًا لـ(تُنْذِرَ)، أو: إنذارَ آبائِهِم على المصدرِ.

﴿فَهُمْ غَٰفِلُونَ﴾ مُتعلِّقٌ بالنَّفيِ على الأوَّلِ؛ أي: لم يُنذَرُوا فبقُوا غافلينَ، وبقولِه: ﴿ إِنَّكَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ على الوُجوهِ الأُخرِ؛ أي: أرسلتُكَ[4] إليهم لتُنذِرَهُم فإنَّهُم غافلونَ.

(٧ ـ ٩) ـ ﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝٧ إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ فَهُم مُّقْمَحُونَ ۝٨ وَجَعَلْنَا مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَٰهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ ﴾.

﴿ لَقَدْ حَقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَىٰٓ أَكْثَرِهِمْ﴾ يعني: قولَه: ﴿لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩]، ﴿فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ لأنَّهُم ممَّنْ عُلِمَ أنَّهم لا يؤمنونَ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٣).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥) عن اليزيدي.

(٣) قوله: «أو بمعنى لمن المرسلين»؛ أي: بإضمار فعل يدل عليه هذا اللفظ؛ أي: أرسلناك لتنذر. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٥٤٢).

(٤) في (ت): «أرسلناك».

﴿إِنَّا جَعَلْنَا فِىٓ أَعْنَٰقِهِمْ أَغْلَٰلًا﴾ تقريرٌ لتَصميمِهِم على الكُفرِ والطبعِ على قُلوبِهِم بحيثُ لا تُغْني عَنْهُم الآياتُ والنُّذُرُ بتَمثيلِهِم بالذينَ غُلَّتْ أَعْناقُهُم ﴿فَهِىَ إِلَى ٱلْأَذْقَانِ﴾: فالأغلالُ واصِلَةٌ إلى أذقانِهِم ملزوزةٌ إليها، فلا تخلِّيهم يُطَأْطِئُونَ رُؤوسَهُم له.

﴿فَهُم مُّقْمَحُونَ﴾: رافعونَ رُؤوسَهُم غاضُّونَ أَبصارَهُم في أَنَّهُم لا يلتفتونَ لفتَ الحقِّ، ولا يَعْطِفونَ أعناقَهُم نحوَه، ولا يُطأطِئونَ رؤوسَهُم له.

وإنَّما وَصَف الغُلَّ بإيصاله إلى الذَّقنِ لأن طَرَفه الذي في عنقِ المغلولِ يكون في مُلْتَقَى طَرَفيه تحت الذَّقَنِ حَلْقَةٌ فيها رأسُ العمود بارزاً من الحلقةِ إلى الذَّقَنِ، فلا تخلِّيه يطأطئُ رأسه ولا يُوْطِئُ قَذَالَهُ[1]، ويقال: قَمَحَ البعيرُ فهو قامحٌ: إذا رَوِيَ فرفع رأسَه وغضَّ بصرَه، ومنه: (شهرا قِمَاحٍ)[2]؛ لأن الإبلَ ترفعُ رأسها فيهما لبردِ الماء.

﴿وجَعَلْنا مِن بينِ أيديهِم سُدًّا ومِن خَلْفِهِم سُدًّا فأغشيناهم فهم لا يُبصِرون﴾ وبمَنْ أحاطَ بهم[3] سدَّانِ فغطَّى أبصارَهُم بحيثُ لا يبصرونَ قُدَّامَهُم ووراءَهُم في أَنَّهُم مَحبوسونَ في مطمورةِ الجَهالةِ ممنوعونَ عن النَّظرِ في الآياتِ والدَّلائلِ.

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ وحفصٌ: ﴿سَدًّا﴾ بالفَتحِ[4]، وهو لُغَةٌ فيه، وقيل: ما كانَ بفعلِ النَّاسِ فبالفَتحِ، وما كان بخلقِ اللهِ فبالضمِّ.

---

(١) قوله: «ويوطئ قذاله» القذال: جماعُ مؤخَّر الرأس. انظر: «الصحاح» (مادة: قذل).

(٢) قوله: «شهرا قماح» بوزن كتاب وغراب: أشد ما يكون البرد. انظر: «القاموس» (مادة: قمح). وفي «الصحاح»: سميا بذلك لأن الإبل إذا وردت فيهما آذاها برد الماء فقامحت، وقامحت إبلك: إذا وردت ولم تشرب ورفعت رأسها من داء يكون بها أو برد.

(٣) قوله: «وبمن أحاط بهم» عطف على «بالذين غُلَّت أعناقهم». انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٥٤٣).

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٣).

وقُرِئَ: (فَأَعْشَيْنَاهُم) مِن العَشَا[١].

وقيل: الآيتانِ في بني مخزومٍ، حلفَ أبو جَهْلٍ أن يرضخَ رأسَ النبيِّ عليهِ السَّلامُ، فأتاهُ وهوَ يُصَلِّي ومعَهُ حجَرٌ ليدمغَهُ، فلَمَّا رفعَ يدَهُ انْثَنَتْ إلى عنقِه، ولزقَ الحجرُ بيدِه حتى فكُّوهُ عنها بجهدٍ، فرجعَ إلى قومِهِ فأخبرَهُم، فقالَ مَخزوميٌّ آخرُ: أنا أقتلُهُ بهذا الحَجَرِ، فذهبَ فأعماهُ اللهُ تَعالى[٢].

(١٠ ـ ١١) ـ ﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ۝١٠ إِنَّمَا تُنذِرُ مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

﴿وَسَوَآءٌ عَلَيْهِمْ ءَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ سبقَ في البقرةِ تفسيرُه.

﴿إِنَّمَا تُنذِرُ﴾ إنذارًا يترتَّبُ عليهِ البغيةُ المرومةُ ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ ٱلذِّكْرَ﴾؛ أي: القرآنَ بالتَّأمُّلِ فيه والعَملِ بهِ ﴿وَخَشِىَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ﴾: وخافَ[٣] عِقابَهُ قبلَ حُلولِه ومُعاينَةِ أهوالِه، أو في سَريرَتِه، ولا يغترُّ برَحمَتِهِ فإنَّه كما هو رحمنٌ مُنتقِمٌ قهَّارٌ ﴿فَبَشِّرْهُ بِمَغْفِرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ﴾.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٠٤)، عن ابن عباس وعكرمة وعمر بن عبد العزيز والحسن وغيرهم.

(٢) القصة ذكرها مع زيادة في آخرها: الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٤٨) دون سند، ورواها أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٥٢) من طريق المعتمر بن سليمان عن أبيه، ومختصرة: الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٤٠٦ ـ ٤٠٧) عن عكرمة، وهي في «السيرة النبوية» لابن هشام (١/ ٢٩٨ ـ ٢٩٩) دون ذكر النزول، وكذا رواها أبو نعيم في «دلائل النبوة» (١٥٦) من طريق محمد بن إسحاق، عن بعض أهل العلم عن سعيد بن جبير وعكرمة عن ابن عباس.

(٣) في (ت): «فخاف».

(١٢) ـ ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَارَهُمْ ۚ وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾.

﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِ الْمَوْتَىٰ ﴾: الأمواتَ بالبعثِ، أو الجُهَّال بالهِدايةِ[1].

﴿وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا﴾: ما أسلفوا من الأعمالِ الصَّالحةِ والطَّالحةِ.

﴿وَآثَارَهُمْ﴾ الحسنةَ؛ كعلمٍ عَلَّموهُ وحبيسٍ وَقَفوهُ، والسَّيِّئَةَ كإشاعةِ باطلٍ وتأسيسِ ظُلمٍ.

﴿وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ يعني: اللوحَ المَحفوظَ.

(١٣ ـ ١٤) ـ ﴿وَاضْرِبْ لَهُم مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴿١٣﴾ إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا بِثَالِثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ ﴾.

﴿وَاضْرِبْ لَهُم ﴾: ومثِّلْ لَهُم، مِن قولهم: هذهِ الأشياءُ على ضَرْبٍ واحدٍ؛ أي: مثالٍ واحدٍ، وهو يتعدَّى إلى مَفعولَيْنِ لتَضمُّنِهِ مَعنى الجعلِ وهما: ﴿مَّثَلًا أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾ على حذفِ مُضافٍ؛ أي: اجعَلْ لهم مثلَ أصحابِ القَريَةِ مثلًا، ويجوزُ أن يُقتصَرَ على واحدٍ ويُجعلَ المقدَّرُ بدلًا من الملفوظِ أو بيانًا له، والقريةُ أنطاكيةُ.

﴿إِذْ جَاءَهَا الْمُرْسَلُونَ ﴾ بدلٌ مِن ﴿أَصْحَابَ الْقَرْيَةِ ﴾، و﴿الْمُرْسَلُونَ ﴾: رسلُ عيسى عليه السَّلامُ إلى أهلِها[2]،.........

---

(١) ذكره الماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩) عن الضحاك، وأبو حيان في «البحر» (١٨/ ٨٠) عن الحسن والضحاك واستبعده. ولعل سبب استبعاده أنه ارتكاب مجاز بلا ضرورة، والحمل على الحقيقة أولى.

(٢) القول بأن القرية هي أنطاكية وأن الرسل من عيسى عليه السلام ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦١) عن وهب بن منبه، وهو متداول في أكثر كتب التفسير، لكن لم يرتضِ أيًا منهما ابنُ كثير =

وإضافَتُه[1] إلى نفسِه في قولِه: ﴿إِذْ أَرْسَلْنَآ إِلَيْهِمُ ٱثْنَيْنِ﴾ لأنَّه فعلُ رسولِه وخَليفَتِه، وهما: يحيى ويونسُ، وقيل: غيرُهما.

﴿فَكَذَّبُوهُمَا فَعَزَّزْنَا﴾: فقوَّيْنا، وقرأه أبو بكرٍ مخففًا[2] من عزَّهُ: إذا غلبَهُ، وحُذفَ المفعولُ لدلالةِ ما قبلَهُ عليه، ولأنَّ المقصودَ ذكرُ المُعَزِّ به ﴿بِثَالِثٍ﴾ هو شَمْعونُ.

﴿فَقَالُوٓاْ إِنَّآ إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ﴾ وذلك أنَّهُم كانوا عبدَةَ أصنامٍ، فأرسلَ إِلَيْهِم عِيسَى اثنَيْنِ، فلَمَّا قَرُبَا مِن المدينةِ رَأَيا حَبِيبًا النَّجَّارَ يَرْعَى غنمًا فسَألَهُما فأخبراهُ، فقال: أمعَكُما آيةٌ؟ فقالا: نَشْفِي المريضَ ونُبْرِئُ الأكمَهَ والأبرَصَ، وكانَ لهُ وَلَدٌ مَريضٌ فمَسَحاهُ فبَرِئَ فآمنَ حَبيبٌ، وفشا الخبرُ فشُفِيَ على أيديهِمَا خلقٌ، وبلغَ حَديثُهُما إلى الملكِ وقال لهما: ألَنَا إلهٌ سِوَى آلهتِنا، قالا: نعم، مَن أوجدَكَ وآلهتَك، قال: قُوما حتى أنظُرَ في أمرِكُما، فحَبَسَهُما، ثمَّ بعثَ عِيسَى شَمْعُونَ فدخلَ مُتنكِّرًا، وعاشرَ أصحابَ الملكِ حتَّى استَأْنَسُوا به، وأوصَلُوهُ إلى الملكِ فأَنِسَ به، فقالَ له يومًا: سمعْتُ أنَّكَ حَبَسْتَ رَجُلَيْنِ فهَلْ سمعتَ ما يَقولانِه؟ قال: لا، فدعاهما، فقال شَمْعُونُ: مَن أرسلَكُمَا؟ قالا: اللهُ الذي خلقَ كلَّ شَيءٍ وليسَ لَهُ شَريكٌ، فقال: صِفَاهُ وأَوْجِزَا، قالا: يفعَلُ ما يَشاءُ ويَحكُم ما يُريدُ، قال: وما آيَتُكُما؟ قالا: ما يَتمنَّى الملكُ، فدَعَا بغُلامٍ مَطمُوسِ العَيْنينِ فدعَوَا اللهَ حتَّى انشَقَّ له بَصرٌ[3]، وأَخَذَا بُندُقَتَينِ فوُضِعَا

= رحمه، فنظر في ذلك ـ في «تفسيره» عند هذه الآيات ـ من وجوه عدَّدها ثم قال: فعلى هذا يتعين أن هذه القرية المذكورة في القرآن قرية أخرى غير أنطاكية، كما أطلق ذلك غير واحد من السلف أيضاً، أو تكون أنطاكيةُ ـ إن كان لفظها محفوظاً في هذه القصة ـ مدينة أخرى غير هذه المشهورة المعروفة، فإن هذه لم يعرف أنها أهلكت لا في الملة النصرانية ولا قبل ذلك، والله سبحانه وتعالى أعلم.

(١) في (ت) و(ض): «وإسناده».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٣٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٣).

(٣) في (خ): «البصر».

في حدقتَيْهِ فصارتَا مُقلتَيْنِ ينظرُ بِهمَا، فقال له شَمعونُ: أرأيتَ لَوْ سَأَلْتَ إلهكَ حتَّى يصنعَ مثلَ هذا، حتى يكونَ لكَ وله الشَّرَفُ، قال: ليسَ لي عنكَ سِرٌّ، إنَّ إلهنا لا يسمع ولا يبصرُ ولا يَضرُّ ولا ينفعُ(١)، ثم قال: إنْ قدرَ إلهُكما على إحياء ميتٍ آمنَّا به، فدَعَوْا بغُلَامٍ ماتَ منذُ سبعةِ أيَّامٍ، فدَعَوَا فقامَ وقال: إنِّي أُدخلتُ في سبعةِ أَودِيَةٍ مِن النَّارِ، وأنا أُحَذِّرُكُم ما أنتُمْ فيه فآمِنُوا، وقال: فُتِحَت أبوابُ السَّماءِ فرَأَيتُ شَابًّا حَسنًا يشفَعُ لهؤلاءِ الثَّلاثةِ شَمْعُون وهَذانِ، فلَمَّا رأَى شمعونُ أنَّ قولَهُ قد أَثَّر فيه نَصَحَهُ فآمَنَ في جمعٍ، ومَنْ لَمْ يُؤمِنْ صَاحَ عَليهِمْ جِبريلُ فهَلَكُوا(٢).

(١٥ ـ ١٧) ـ ﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ ١٥ قَالُواْ رَبُّنَا يَعۡلَمُ إِنَّآ إِلَيۡكُمۡ لَمُرۡسَلُونَ ١٦ وَمَا عَلَيۡنَآ إِلَّا ٱلۡبَلَٰغُ ٱلۡمُبِينُ ﴾.

﴿ قَالُواْ مَآ أَنتُمۡ إِلَّا بَشَرٞ مِّثۡلُنَا ﴾ لا مَزِيَّـةَ لَكُـم عَلَينَـا تقتَضِـي اختِصاصَكُـم بمـا تَدَّعـونَ، ورفـعُ ﴿بَشَرٞ﴾ لانتقـاضِ النَّفـيِ ـ المُقتَضِـي إعمـالَ ﴿مَآ﴾ ـ بـ﴿إِلَّا﴾.

﴿وَمَآ أَنزَلَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مِن شَيۡءٍ﴾: مِـن وحـيٍ ورسـالةٍ ﴿إِنۡ أَنتُمۡ إِلَّا تَكۡذِبُونَ﴾ في دَعوى رسالتِه(٣).

---

(١) في (ت): «إن آلهتنا لا تبصر ولا تسمع ولا تضر ولا تنفع».

(٢) ذكره الثعلبيُّ في «تفسيره» (٢٢/ ٢٦١ ـ ٢٦٣)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ١١ ـ ١٢)، وأبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية، عن وهبٍ، وهو مما أخذه وهب من أهل الكتاب. وليس عند الثعلبي والبغوي: «ومَن لم يُؤمِن صَاح عليهم جبريلُ فهَلَكُوا»، وذكرا بدلاً منه: وقال ابن إسحاق عن كعب ووهب: بل كفر الملك، وأجمع هو وقومه على قتل الرسل، فبلغ ذلك حبيباً وهو على باب المدينة الأقصى، فجاء يسعى إليهم ويذكِّرهم ويدعوهم إلى طاعة المرسلين، فذلك قوله سبحانه: ﴿إِذۡ أَرۡسَلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱثۡنَيۡنِ﴾.

(٣) في (ت): «الرسالة».

﴿قَالُواْ رَبُّنَا يَعْلَمُ إِنَّآ إِلَيْكُمْ لَمُرْسَلُونَ﴾ استَشْهَدُوا بعلمِ اللهِ، وهو يجرِي مَجْرَى القسمِ، وزادُوا اللامَ المؤكِّدةَ لأنَّه جوابٌ عن إنكارِهم.

﴿وَمَا عَلَيْنَآ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ ٱلْمُبِينُ﴾: الظَّاهِرُ البَيِّنُ بالآياتِ الشَّاهِدةِ بصِحَّتِه، وهو المحسِّنُ للاستشهادِ فإنَّه لا يَحْسُنُ إلا ببيِّنةٍ.

(١٨ ـ ١٩) ـ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْۖ لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١٨ قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْۚ أَئِن ذُكِّرْتُمۚ بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾.

﴿قَالُوٓاْ إِنَّا تَطَيَّرْنَا بِكُمْ﴾: تشاءَمْنَا بِكُم، وذلك لاستغرابِهم ما ادَّعَوهُ واستقباحِهِم لهُ وتَنفُّرِهم عنه ﴿لَئِن لَّمْ تَنتَهُواْ﴾ عن مَقالَتِكم هذه ﴿لَنَرْجُمَنَّكُمْ وَلَيَمَسَّنَّكُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾.

﴿قَالُواْ طَٰٓئِرُكُم مَّعَكُمْ﴾: سببُ شُؤمِكُم مَعكُم، وهو سوءُ عَقيدَتِكُم وأعمالِكُم.

وقُرِئَ: (طَيْرُكُم)[1].

﴿أَئِن ذُكِّرْتُم﴾: وُعِظْتُم، وجوابُ الشَّرطِ مَحذوفٌ مثل: تَطيَّرْتُم، أو: تَوعَّدْتُم بالرَّجمِ والتَّعذيبِ.

وقد قرئ بألفٍ بينَ الهمزتينِ[2].

وبفَتحِ (أنْ)[3] بمَعنى: أَتَطيَّرْتُم لِأَن ذُكِّرْتُم.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥)، و«تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٢٦٥) عن الحسن والأعرج.

(٢) قرأ بها هشام. انظر: «التيسير» (ص: ٣٢).

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٤) عن أبي رزين من أصحاب ابن مسعود، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥)، و«البحر (١٨/ ٨٥)، عن زر بن حبيش.

و: (أَنْ) و: (إِن) بغيرِ استفهامٍ[1].

و: (أينَ ذُكِّرْتُم)[2] بمعنى: طائِرُكم معكُم حيثُ جَرى ذِكرُكُم، وهو أبلَغُ[3].

﴿بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ﴾: قومٌ عادَتُكم الإسرافُ في العِصْيانِ فمِن ثمَّ جاءَكُم الشُّؤمُ.

أو: في الضَّلالِ، ولذلك تَوعَّدْتُم وتشاءَمْتُم بمَن يجبُ أن يُكرَمَ ويُتبرَّكَ به.

قوله: «وجوابُ الشَّرطِ مَحذوفٌ مثلَ: تطيَّرتُمْ أو تَوعَّدْتُم بالرَّجمِ والتَّعذيبِ»:

قال الطِّيبيُّ: وأمَّا ما قدَّرَهُ أبو البَقاءِ: إنْ ذُكِّرْتُم كَفَرْتُم، فليسَ بشيءٍ؛ لأنَّ الكلامَ مع الكُفَّارِ، والكفرُ مَوجودٌ فلا يجوزُ تَعليقُ الشَّرطِ به[4].

(٢٠ ـ ٢٤) ـ ﴿وَجَآءَ مِنْ أَقْصَا ٱلْمَدِينَةِ رَجُلٌ يَسْعَىٰ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱتَّبِعُوا۟ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٢٠﴾ ٱتَّبِعُوا۟ مَن لَّا يَسْـَٔلُكُمْ أَجْرًا وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا لِىَ لَآ أَعْبُدُ ٱلَّذِى فَطَرَنِى وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢٢﴾ ءَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدْنِ ٱلرَّحْمَٰنُ بِضُرٍّ لَّا تُغْنِ عَنِّى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا يُنقِذُونِ ﴿٢٣﴾ إِنِّىٓ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

---

(١) نسبت الأولى للماجشون يوسف بن يعقوب المدني، والثانية للحسن وخالد بن إياس. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٠٥)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥٠).

(٢) أي: (أين) بهمزة مفتوحة وياء ساكنة وفتحِ النون ظرفُ مكان (ذكرتم) بتخفيف الكاف على أن (أين) ظرفٌ أداةُ شرط وجوابها محذوف لدلالة (طائركم) عليه، نسبت للحسن وقتادة والأعمش وغيرهم، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٠٥)، و«البحر» (١٨/ ٨٥).

(٣) عبارة الزمخشري في «الكشاف» (٧/): (أي: شُؤمُكم مَعَكم حَيثُ جَرى ذِكرُكُم، وإذا شُئِّمَ المكانُ بِذِكرهم كان بحُلُولِهم فيه أشأَمَ). وفيها بيان المراد بالأبلغية.

(٤) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٢٥)، وانظر: «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (٢/ ١٠٧٩).

﴿ وَجَآءَ مِنۡ أَقۡصَا ٱلۡمَدِينَةِ رَجُلٞ يَسۡعَىٰ ﴾ هو حبيبٌ النَّجَّارُ، وكانَ يَنحِتُ أصنامَهُم، وهو ممَّنْ آمَنَ بمُحمَّدٍ عليه السَّلامُ وبينَهُما ستُّ مئةِ سنةٍ.

وقيل: كانَ في غارٍ يعبدُ اللهَ فلمَّا بلغَهُ خبرُ الرُّسلِ أظهرَ دينَه[١].

﴿قَالَ يَٰقَوۡمِ ٱتَّبِعُواْ ٱلۡمُرۡسَلِينَ ۝٢٠ ٱتَّبِعُواْ مَن لَّا يَسۡـَٔلُكُمۡ أَجۡرٗا ﴾ على النُّصحِ وتَبليغِ الرِّسالَةِ ﴿وَهُم مُّهۡتَدُونَ ﴾ إلى خَيرِ الدَّارينِ.

﴿ وَمَا لِيَ لَآ أَعۡبُدُ ٱلَّذِي فَطَرَنِي ﴾ - على قراءةِ غيرِ حمزةَ، فإنَّه يسكنُ الياءَ في الوصلِ[٢] - تلطَّفَ في الإرشادِ بإيرادِه[٣] في مَعرِضِ المُناصحَةِ لنَفسِه، وإمحاضِ النُّصحِ حيثُ أرادَ لهم ما أرادَ لَها، والمرادُ: تَقريعُهُم على تَركِهم عِبادَةَ خالِقِهم إلى عبادةِ غيرِه، ولذلكَ قال: ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾ مبالغةً في التَّهديدِ، ثمَّ عادَ إلى المساقِ الأوَّلِ فقال:

﴿مِن دُونِهِۦٓ ءَالِهَةً إِن يُرِدۡنِ ٱلرَّحۡمَٰنُ بِضُرّٖ لَّا تُغۡنِ عَنِّي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـٔٗا ﴾: لا تَنفعُني شفاعَتُهُم ﴿وَلَا يُنقِذُونِ ﴾ بالنَّصرِ والمُظاهرَةِ ﴿ إِنِّيٓ إِذٗا لَّفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ﴾ فإنَّ إيثارَ ما لا ينفَعُ ولا يدفَعُ ضرًّا بوجهٍ مّا على الخالقِ المقتدِرِ على النَّفعِ والضرِّ وإشراكَهُ به ضلالٌ بيِّنٌ لا يَخفى على عاقلٍ.

وقرأَ نافعٌ ويَعقوبُ وأبو عمرٍو بفَتحِ الياءِ[٤].

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٥٧٧).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٤).

(٣) في (ت) و(ض): «بإبرازه».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٥)، ولم أقف على قراءة يعقوب بالفتح، والذي في «النشر» (٢/ ١٦٧)، و«المبسوط» لابن مهران (ص: ٢٤٣): فتحها نافع وأبو عمرو وأبو جعفر، وأسكنها الباقون.

=

(٢٥ ـ ٢٧) ـ ﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ فَٱسۡمَعُونِ ۝٢٥ قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَۖ قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾.

﴿إِنِّيٓ ءَامَنتُ بِرَبِّكُمۡ﴾ الذي خلقَكُم، وقرأ نافعٌ وابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو بفتحِ الياءِ[١].

﴿فَٱسۡمَعُونِ﴾: فاسمَعوا إيماني.

وقيل: الخِطابُ للرُّسُلِ، فإنَّه لَمَّا نصحَ قومَهُ أَخَذوا يَرجمونَهُ، فأسرعَ نحوَهُم قبلَ أَنْ يَقتلُوه.

﴿قِيلَ ٱدۡخُلِ ٱلۡجَنَّةَ﴾ قيلَ له ذلك لَمَّا قَتلُوه؛ بُشرى بأنَّه مِن أهلِ الجنَّةِ، أو إكرامًا وإذنًا في دُخولِها كسائرِ الشُّهداءِ، أو لَمَّا هَمُّوا بقَتلِهِ فرفعَهُ اللهُ إلى الجنَّةِ على ما قالَهُ الحَسَنُ[٢]، وإنَّما لم يُقَل: (له) لأنَّ الغرضَ بيانُ المقولِ دونَ المقولِ لهُ فإنَّه مَعلومٌ.

والكلامُ استئنافٌ في حيِّزِ الجوابِ عن السُّؤالِ عن حالِهِ عندَ لِقاءِ رَبِّهِ بعدَ تَصلُّبِهِ في نصرِ دينِه، ولذلك[٣] ﴿قَالَ يَٰلَيۡتَ قَوۡمِي يَعۡلَمُونَ ۝٢٦ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ ٱلۡمُكۡرَمِينَ﴾ فإنَّه جوابٌ عن السُّؤالِ عن قولِه عندَ ذلك القولِ[٤].

= وقال الأنصاري في «الحاشية» (٤/ ٥٤٧): وفي نسخة بإسقاط يعقوب، وهو الصواب، فإنه إنما يقرأ بسكونها.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٤).

(٢) ذكره عن الحسن: الكرمانيُّ في «لباب التفاسير» (٦/ ٣٧٣)، والقشيري كما قال القرطبي في «تفسيره» (١٥/ ١٩)، وتعقبه الآلوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ٢٢٨) بقوله: «والجمهور على أنه قتل».

(٣) في (خ) و(ض): «وكذلك».

(٤) بعدها في (ت) و(ض): «له».

وإنَّما تمنَّى عِلمَ قومِه بحالِه ليحملَهُم على اكتسابِ مِثلِها بالتَّوبَةِ عن الكُفرِ والدُّخولِ في الإيمانِ والطَّاعةِ، على دأبِ الأولياءِ في كَظْمِ الغَيظِ والتَّرحُّمِ على الأعداءِ، ولِيَعلَموا(١) أنَّهُم كانوا على خطأٍ عَظيمٍ في أمرِه، وأنَّه كانَ عَلى حَقٍّ.

وقُرِئَ: (من المُكرَّمينَ)(٢).

و(ما) خبريَّةٌ أو مصدريَّةٌ والباءُ صِلَةُ ﴿يَعْلَمُونَ ﴾، أو استفهاميَّةٌ جاءَتْ على الأصلِ والباءُ صِلَةُ ﴿غَفَرَ﴾؛ أي: بأيِّ شَيءٍ غفرَ لي، يريدُ به المهاجرةَ عن دينِهِم والمصابرةَ على أَذِيَّتِهِم.

قوله: «و(ما) خبريَّةٌ أو مَصدرِيَّةٌ والباءُ صِلَةُ ﴿يَعْلَمُونَ ﴾، أو استفهاميَّةٌ جاءَتْ على الأصلِ والباءُ صِلَةُ ﴿غَفَرَ﴾؛ أي: بأيِّ شيءٍ غفرَ لي»:

قال ابنُ هِشامٍ: ردَّ الكِسائيُّ قولَ مَن قالَ: إنَّها استِفهامِيَّةٌ، والعَجبُ مِن الزَّمخشَرِيِّ إذْ جوَّزَ ذلك هُنا مع ردِّهِ على مَن قالَ في ﴿بِمَآ أَغْوَيْتَنِي ﴾ [الأعراف: ١٦]: بأيِّ شيءٍ أغويتَنِي؟ بأنَّ إثباتَ الألفِ قَليلٌ شاذٌّ.

وكونُها بمعنى الذي بعيدٌ؛ لأنَّ الذي غُفِرَ له هو الذُّنوبُ، ويَبعُدُ إرادةُ الاطِّلاعِ علَيْها وإن غُفِرَت(٣).

(٢٨) ـ ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ ﴾.

﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ قَوْمِهِۦ مِنۢ بَعْدِهِۦ ﴾: مِن بَعدِ إهلاكِه أو رفعِه ﴿مِن جُندٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ﴾

---

(١) في (ت) و(ض): «أو ليعلموا».

(٢) انظر: «الكشاف» (٧/ ٢٥٣)، و«تفسير القرطبي» (١٧/ ٤٣٢)، و«البحر» (١٨/ ٩٣)، دون نسبة.

(٣) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٣٩٤).

لإهلاكِهِم، كما أرسلنا يومَ بَدرٍ والخندقِ، بل كفينا أمرَهُم بصيحَةِ مَلَكٍ، وفيه استِحقارٌ لإهلاكِهِم وإيماءٌ بتَعظيمِ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ.

﴿وَمَا كُنَّا مُنزِلِينَ﴾: وما صَحَّ في حِكمتِنا[1] أن ننزلَ جندًا لإهلاكِ قومِه، إذ قَدَّرْنَا لكلِّ شيءٍ سببًا، وجعَلْنَا ذلك سببًا لانتصارِكَ مِن قومِك.

وقيل: (ما) موصولةٌ مَعطوفةٌ على ﴿جُندٍ﴾؛ أي: وما كنَّا مُنزلينَ على مَن قبلَهُم مِن حجارةٍ وريحٍ وأمطارٍ شَديدَةٍ.

(٢٩ ـ ٣٠) ـ ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ ﴿٢٩﴾ يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾.

﴿إِن كَانَتْ﴾: ما كانَتِ الأخذَةُ أو العقوبةُ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ صاحَ بها جِبريلُ، وقُرِئَت بالرَّفعِ[2] على (كانَ) التامَّةِ.

﴿فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ﴾: ميِّتونَ، شُبِّهُوا بالنَّارِ رَمْزًا إلى أنَّ الحيَّ كالنَّارِ السَّاطعةِ والميتَ كرَمادِها، كما قالَ لَبيدٌ:

وَمَا المَرْءُ إِلَّا كَالشِّهَابِ وَضَوْئِهِ   يَحُورُ رَمَادًا بَعْدَ إِذْ هُوَ سَاطِعُ[3]

﴿يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ﴾ تَعَالَيْ فهذهِ مِنَ الأَحْوَالِ التي مِنْ حَقِّهَا أَنْ تَحضُري فيها، وهي ما دلَّ عَليها: ﴿مَا يَأْتِيهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ فإنَّ المُستَهْزِئينَ بالنَّاصحينَ المُخلصينَ المَنوطِ بنُصحِهِم خيرُ الدَّارينِ أَحِقَّاءُ بأَنْ يَتحَسَّرُوا ويُتحَسَّرَ عليهِم، وقَدْ تلهَّفَ على حالِهِم الملائكةُ والمُؤمنونَ مِن الثَّقلينِ.

---

(١) في (أ) و(ت): «حكمنا».

(٢) وهي قراءة أبي جعفر المدني، انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٣).

(٣) انظر: «ديوان لبيد» (ص: ٥٦)، و«الشعر والشعراء» (١/ ٢٧٠).

ونصبُها: لطُولِها بالجارِّ المُتعلِّقِ بها[١]، وقيل: بإضمارِ فِعلِهَا والمُنادَى محذوفٌ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ تَحسُّرًا مِن اللهِ عَلَيهِم على سبيلِ الاستعارةِ لتَعظيمِ ما جَنَوْه على أنفُسِهِم، ويؤيِّدُه قراءة: (يا حَسْرَتَا)[٢].

وقُرِئَ: (يا حَسْرَةَ العِبَادِ)[٣] بالإضافةِ إلى الفاعِلِ أو المفعولِ.

و: (يَا حَسْرَهْ على العِبادِ)[٤] بإجراءِ الوَصلِ مُجرَى الوَقفِ.

(٣١) ـ ﴿ أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ أَلَمْ يَرَوْا ﴾: ألم يَعلَمُوا، وهو مُعلَّقٌ عن قولِه: ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ الْقُرُونِ﴾ لأنَّ (كم) لا يعمَلُ فيها ما قبلَها وإن كانَتْ خبريَّةً؛ لأنَّ أصلَها الاستفهامُ.

﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدلٌ مِن ﴿كَمْ﴾ على المَعنى لا على اللفظ[٥]؛ أي: أَلَمْ يَرَوْا كثرةَ إهلاكِنَا مَن قبلَهُم كونَهُم غيرَ راجعينَ إليهِم. وقُرِئَ بالكَسرِ على الاستئنافِ[٦].

---

(١) قوله: «ونصبها لطُولها بالجار المتعلق بها»: جواب ما يقال: ﴿يَحَسْرَةً﴾ مفرد، فكيف نُصب؟ فأجاب بأنه مُطوَّل؛ أي: شبيه بالمضاف. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٥٤٩).

(٢) لأن المعنى: يا حسرتي. انظر: «الكشاف» (٧/ ٢٥٧)، و«البحر المحيط» (١٨/ ٩٧)، دون نسبة.

(٣) نسبت لابن عباس وأُبيٍّ والحسن وعلي بن الحسين وغيرهم، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٠٨)، و«البحر المحيط» (١٨/ ٩٦).

(٤) نسبت للأعرج ومسلم بن جندب وأبي الزناد عبد الله بن ذكوان المدني، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥)، و«المحتسب» (٢/ ٢٠٨)، و«البحر المحيط» (١٨/ ٩٦).

(٥) «لا على اللفظ» من (ت).

(٦) وهي قراءة الحسن، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٥ ـ ١٢٦).

قوله: «وإنْ كانَتْ خبريَّةً لأنَّ أصلَها الاستفهامُ»:

قال أبو حيَّان: ليسَ كذلك، بل كلٌّ واحدةٍ أصلٌ بنفسِها، ولكنَّهُما لَفظانِ مُشتركانِ بينَ الاستفهامِ والخبرِ[1].

قوله: «﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾ بدلٌ مِن ﴿كَمْ﴾ على المعنى»:

قال صاحبُ «الكشف»: هو بدلٌ مِن موضعِ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا﴾ وليسَ بَدَلًا مِن ﴿كَمْ﴾ وحدَهُ؛ لأنَّ العامِلَ في ﴿كَمْ﴾ هو ﴿أَهْلَكْنَا﴾ ولم يَعمَلْ ﴿أَهْلَكْنَا﴾ في (أنَّ)، إذ ليسَ المعنى: أهلكنا أنَّهُم لا يَرجِعونَ، والتَّقديرُ: أَلَم يَرَوْا أنَّهُم إليهم لا يَرجِعونَ، تَقديرُه: أَلَمْ يَروا كثرةَ إهلاكِنا؛ أي: أَلَمْ يَعتبِرْ كُفَّارُ مَكَّةَ بكثرةِ إهلاكِنا مَن قبلَهُم واستئصالِنا وتَدميرِنا إيَّاهُم حتَّى لم يبقَ مِنْهم أثرٌ فيقلِعُوا عمَّا هُم فيه[2].

قال الطِّيبيُّ: والبَدَلُ بَدلُ كلٍّ، فإنَّ كونَهُم غيرَ راجعينَ عبارةٌ عن إهلاكِهم لأنَّه لازمٌ له، وهو المرادُ مِن قَولِه: «بدلٌ على المعنَى لا على اللفظِ»[3].

وقال أبو حيَّان: لا يَصِحُّ أن يكونَ بَدلًا لا على اللفظِ ولا على المَعنى:

أمَّا على اللفظِ: فإنَّه ذكرَ أنَّ ﴿يَرَوْا﴾ مُعلَّقةٌ فتكونُ (كم) استِفهاميَّةً فهي مَعمولَةٌ لـ﴿أَهْلَكْنَا﴾، و﴿أَهْلَكْنَا﴾ لا يَتسلَّطُ على ﴿أَنَّهُمْ إِلَيْهِمْ لَا يَرْجِعُونَ﴾.

وأمَّا على المَعنى: فلا يَصِحُّ أيضًا؛ لأنَّه قال: تَقديرُه: «أَلَم يَرَوْا كثرَةَ إهلاكِنا القُرونَ مِن قَبلِهِم كونَهُم غيرَ راجعينَ إِلَيْهِم»، فكونُهُم غيرَ كذا ليسَ كثرةَ الإهلاكِ

---

(١) انظر: «البحر» (١٨/ ١٠٠).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٣٩).

(٣) المصدر السابق.

فلا يَكونُ بدلَ كلٍّ مِن كلٍّ، وليسَ بعضَ الإهلاكِ، فلا يكونُ بدلَ بَعضٍ مِن كلٍّ، ولا يكونُ بدلَ اشتمالٍ؛ لأنَّ بدلَ الاشتمالِ يَصِحُّ أن يُضافَ إلى ما أبدلَ منه، وكذلك بدلُ بَعضٍ مِن كلٍّ، ولا يَكونُ بدلَ اشتمالٍ لأنَّ بدلَ الاشتمالِ يَصِحُّ أن يُضافَ إلى ما أُبدلَ منه، وكذا بدلُ بَعضٍ مِن كلٍّ وهذا لا يَصِحُّ هنا، لا تقولُ: أَلَمْ يَرَوا انتفاءَ رُجوعِ كثرةِ إهلاكِنا القُرونَ مِن قبلِهِم، وفي بدلِ الاشتمالِ نحو: أعجَبَتْني الجاريَةُ حُسْنُها، وسُرِقَ[١] زيدٌ ثَوبُهُ، يَصِحُّ: أعجبَنِي حسنُ الجاريةِ، وسُرِق ثوبِ زَيدٍ[٢].

(٣٢) ـ ﴿وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾.

﴿وإنْ كلٌّ لَمَا جميعٌ لَدَيْنا مُحْضَرون﴾ يومَ القِيامَةِ للجَزاءِ، و(إنْ) مُخفَّفَةٌ مِن الثَّقيلةِ[٣]، واللامُ هي الفارقَةُ، و(ما) مَزيدةٌ للتَّأكيدِ.

وقرأ ابنُ عامرٍ وعاصِمٌ وحمزَةُ: ﴿لَّمَّا﴾ بالتَّشديدِ[٤] بمعنى (إلا)، فتكونُ (إنْ) نافيةً.

و﴿جَمِيعٌ﴾ فَعيلٌ بمعنى مَفعولٍ، و﴿لَّدَيْنَا﴾ ظرفٌ له أو لـ﴿مُحْضَرُونَ﴾.

(٣٣ ـ ٣٤) ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ أَحْيَيْنَٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ ﴿٣٣﴾ وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ وَفَجَّرْنَا فِيهَا مِنَ ٱلْعُيُونِ﴾.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾ وقرأ نافعٌ بالتَّشديدِ[٥].

---

(١) في (ز) و(س): «وشرف» في الموضعين، والمثبت من (ن) و«البحر».

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ١٠٠).

(٣) في (ت): «المثقلة».

(٤) وقراءة باقي السبعة بالتخفيف. انظر: «التيسير» (ص: ١٢٦).

(٥) وباقي السبعة بالتخفيف، انظر: «السبعة» (ص: ٢٠٣)، و«التيسير» (ص: ١٠٦).

﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾ خبرٌ لـ﴿الْأَرْضُ﴾ والجُملَةُ خبرُ (آيةٌ)، أو صِفَةٌ لها ـ إذ لم يُرِدْ بها مُعيَّنَةً ـ وهي الخبرُ، أو المبتدأُ والآيةُ خبرُهَا، أو استئنافٌ[١] لبيانِ كونِها آيةً[٢].

﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾: جنسَ الحَبِّ ﴿فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾ قدَّمَ الصِّلَةَ للدلالةِ على أنَّ الحبَّ مُعظَمُ ما يؤكَلُ ويُعاشُ بهِ.

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾: مِن أنواعِ النَّخلِ والعنبِ، ولذلك جمعَهُما دونَ الحَبِّ، فإنَّ الدَّالَّ على الجنسِ مُشعِرٌ بالاختلافِ ولا كذلك الدَّالُّ على الأنواعِ، وذكرُ النَّخيلِ دونَ التُّمورِ ليطابقَ الحبَّ والأعنابَ؛ لاختصاصِ شَجرِهَا بمزيدِ النَّفعِ وآثارِ الصُّنعِ.

﴿وَفَجَّرْنَا فِيهَا﴾ وقُرِئَ بالتَّخفيفِ[٣]، والفَجْرُ والتَّفجيرُ كالفَتْحِ والتَّفْتيحِ لفظًا ومعنًى.

﴿مِنَ الْعُيُونِ﴾؛ أي: شيئًا مِن العُيونِ، فحُذِفَ الموصوفُ وأقيمَتِ الصِّفَةُ مُقامَه، أو: العيونَ، و(مِن) مزيدةٌ عندَ الأخفَشِ.

(٣٥) ـ ﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ﴾: ثمرِ ما ذُكِرَ وهو الجنَّاتُ.

---

(١) قوله: «والجملة»؛ أي: الجملة الكبرى «خبر (آية)، أو صفة لها»؛ أي: للأرض؛ «إذ لم يرد بها»؛ أي: بالأرض «وهي»؛ أي: الأرض «الخبر»؛ أي: لـ(آية)، «أو» هي «المبتدأ والآية خبرها» مقدَّم عليها، «أو استئناف» عطف على «خبر للأرض». انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٥٥٠).

(٢) قوله: «لبيان كونها آية» كأن قائلًا قال: كيف تكون الأرض الميتة آية؟ فقال: ﴿أَحْيَيْنَاهَا﴾. انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٤١).

(٣) نسبت لجناح بن حبيش، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٦).

وقيل: الضَّميرُ للهِ على طريقَةِ الالتفاتِ، والإضافةُ إليه لأنَّ الثَّمرَ بخَلْقِه.

وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ بضَمَّتينِ[1]، وهو لغةٌ فيه أو جمعُ ثمارٍ، وقُرِئَ بضَمَّةٍ وسُكونٍ[2].

﴿وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ﴾ عطفٌ على الثَّمرِ، والمرادُ: ما يُتَّخذُ منه كالعَصيرِ والدِّبسِ ونحوِهما.

وقيل: (ما) نافيةٌ، والمرادُ: أنَّ الثَّمرَ بخلقِ اللهِ لا بفِعْلِهم، ويؤيِّدُ الأوَّلَ قراءةُ الكوفيِّينَ غيرَ حفصٍ بلا هاءٍ[3]، فإن حذفَه مِن الصِّلَةِ أحسَنُ مِن غيرِها.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ أمرٌ بالشُّكرِ مِن حيثُ إنَّه إنكارٌ لتركِه.

قوله: «وقيل: الضَّميرُ للهِ على طريقَةِ الالتفاتِ»:

قال الطِّيبيُّ: ليسَ هذا مِن مَظانِّ الالتفاتِ؛ لأنَّ القصدَ في جعلِ الجناتِ وتفجيرِ العيونِ إخراجُ الثَّمرِ المأكولِ، فكانَ التَّمكُّنُ على الأكلِ أَوْلَى بالتَّفخيمِ؛ لأنَّه أدَلُّ على الامتنانِ، وأنتَ تعلَمُ الفرقَ بينَ ضميرِ الإفرادِ والجَمعِ للواحدِ المُطاعِ، بل الضَّميرُ راجعٌ إلى المذكوراتِ ليكونَ على وِزانِ قولِه: ﴿وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا فَمِنْهُ يَأْكُلُونَ﴾، ويَظهَرُ التَّفاوتُ بين ذلك المَأكولِ وبين هذا مِن تَقديمِ المَعمولِ وتأخيرِه عن العاملِ[4].

---

(١) والباقون بفتحتين، انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٤)، و«التيسير» (ص: ١٠٥).

(٢) قرأ بها الأعمش كما في «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٢٧٣)، و«الكامل» للهذلي (ص: ٥٤٥)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥٣).

(٣) قرأ بها حمزة والكسائي وشعبة. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

(٤) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٤٤).

قوله: «وقيل: (ما) نافيةٌ»:

قال الطِّيبيُّ: جعلُ (ما) نافيةً أَحْرَى ممَّا تجعلُ موصولةً لإيرادِ قَولِه: ﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ على التَّقريعِ والتَّوبيخِ.

وَأَيْضًا يلزَمُ مِنَ المَوْصُولَةِ أن يكونوا مُستقلينِ في ذلك العملِ، وليسَ فيهِ للهِ تَعالى أثرٌ، كقولِه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَـٰمًا﴾ [يس: ٧١] لأنَّ التَّركيبَ مِن بابِ قَولِهِم: (أخذتُه بيَدِي) و(رَأَيتُه بعَيْنِي)، وذلك يُنافي أن يكونَ قولُه: ﴿أَحْيَيْنَـٰهَا وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا﴾ إلى آخرِ الآيتينِ بيانًا لقولِه: ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلْأَرْضُ ٱلْمَيْتَةُ﴾[1].

(٣٦) - ﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿سُبْحَـٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا﴾: الأنواعَ والأصنافَ ﴿مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ﴾ مِن النَّباتِ والشَّجرِ ﴿وَمِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ الذكرِ والأُنثى ﴿وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ﴾: وأزواجًا ممَّا لم يُطْلِعْهم اللهُ عليه ولم يجعَلْ لَهُم طريقًا إلى مَعرِفَتِه.

(٣٧) - ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمُ ٱلَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ ٱلنَّهَارَ﴾: نُزيلُه ونكشفُ عن مَكانِه، مُستعارٌ مِن سلخِ الجلدِ، والكلامِ في إعرابِه ما سبقَ ﴿فَإِذَا هُم مُّظْلِمُونَ﴾: داخلونَ في الظَّلامِ.

قوله: «مُستعارٌ مِن سَلْخِ الجلدِ»:

قال الطِّيبيُّ: يعني: استعارَ لإزالةِ الضَّوءِ السَّلْخَ، وهو استعارَةٌ تَبَعيَّةٌ مَصرحَةٌ، والجامِعُ: ما يُعقَلُ مِن تَرتُّبِ أَحدِهما على الآخرِ[2].

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٤٤).

(٢) المصدر السابق (١٣/ ٤٦).

(٣٨) ـ ﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾.

﴿وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾: لحدٍّ مُعيَّنٍ يَنتَهِي إليه دورُها، فشُبِّهَ بمُستقَرِّ المُسافرِ إذا قطعَ مسيرَهُ.

أو: لكبدِ السَّماءِ، فإنَّ حركتَها فيه يُوجِدُ إبطاءً بحيثُ يُظنُّ أنَّ لها هناك وِقفةً، قال:

والشَّمْسُ حَيْرَى لَهَا بِالجَوِّ[١] تَدْوِيمُ[٢]

أو: لاستقرارٍ لها على نهجٍ مَخصوصٍ.

أو: لِمُنتهًى مُقدَّرٍ لكلِّ يومٍ مِن المشارقِ والمغاربِ، فإنَّ لها في دورِها ثلاثَ مئةٍ وستِّينَ مَشرِقًا ومَغرِبًا تطلعُ كلَّ يومٍ مِن مطلعٍ وتَغربُ مِن مَغربٍ، ثمَّ لا تعودُ إليهِمَا إلى العامِ القابلِ.

أو: لمنقطَعِ جَرْيِها عندَ خَرابِ العالمِ.

---

(١) في (ض): «في الجو».

(٢) عجز بيت لذي الرمة وهو في «ديوانه» (ص: ٢٥٨)، و«غريب الحديث» لابن قتيبة (١/ ٦١٠)، وصدره:

مُعْرَوريـاً رمـَضَ الـرَّضْراض يركضُـه

«معروريا»: ليس دونه شيءٌ يستره، يقول: الجندب قد اعرورى. رمَض الرضراض؛ أي: ركبه وعلاه ليس دونه شيء يستره. يقول: باشر الرمضاء، لا شيء بينه وبينها يستره. والرمض: شدة الحر والرمضاء. و«الرضراض»: الحصى الصغار. «يركضه»: ينزو ويضرب برجله. و«الشمس حيرى»، أي: متحيرة، كأنها لا تبرح من طول النهار وشدة الحر. وكأنها تحيرت لا تمضي من بطئها، وقوله: «تدويم»؛ أي: تدويرٌ. يقول: كأنها لا تمضي وهي تدور على رأسه ولا تبرح. عن الباهلي شارح الديوان.

وقُرِئَ: (لا مُسْتَقَرَّ لَها)(١)؛ أي: لا سُكونَ فإنَّها مُتحرِّكَةٌ دائمًا.

و: (لا مُسْتَقَرٌّ)(٢) على أنَّ (لا) بمعنى (ليس).

﴿ذَٰلِكَ﴾ الجريُ على هذا التَّقديرِ المُتضمِّنِ للحِكَمِ التي تَكِلُّ الفِطَنُ عن إحصائِها ﴿تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ﴾: الغالبِ بقُدرَتِه على كلِّ مَقدورٍ ﴿ٱلۡعَلِيمِ﴾: المُحيطِ عِلْمُه بكُلِّ مَعلومٍ.

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿وَٱلۡقَمَرَ قَدَّرۡنَٰهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَٱلۡعُرۡجُونِ ٱلۡقَدِيمِ ٣٩ لَا ٱلشَّمۡسُ يَنۢبَغِي لَهَآ أَن تُدۡرِكَ ٱلۡقَمَرَ وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِۚ وَكُلّٞ فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾.

﴿والقمرُ قَدَّرْناهُ﴾: قَدَّرْنا مَسيرَهُ ﴿مَنَازِلَ﴾؛ أو: سيرَهُ في منازلَ وهيَ ثمانيةٌ وعِشرونَ: الشَّرطَانُ، البُطَيْنُ، الثُّرَيَّا، الدَّبَرانُ، الهَقْعَةُ، الهَنْعَةُ، الذِّراعُ، النَّثْرَةُ، الطَّرْفُ، الجَبْهَةُ، الزُّبْرَةُ، الصَّرْفَةُ، العَوَّاءُ، السِّماكُ، الغَفْرُ، الزُّبانَى، الإِكْليلُ، القَلْبُ، الشَّوْلَةُ، النَّعائِمُ، البَلْدَةُ، سَعْدُ الذَّابحُ، سَعْدُ بُلَعَ، سَعْدُ السُّعُودِ، سَعْدُ الأَخْبِيَةِ، فَرْغُ الدَّلْوِ المُقَدَّمُ، فَرْغُ الدَّلْوِ المُؤَخَّرُ، الرِّشَاءُ، وهو بطنُ الحُوتِ.

ينزِلُ كلَّ ليلةٍ في واحدٍ منها لا يَتخطَّاه ولا يَتقاصَرُ عنهُ، فإذا كانَ في آخرِ مَنازِلِه وهو الذي يكونُ فيهِ قبيلَ الاجتماعِ دقَّ واستَقْوَسَ.

---

(١) نسبت لابن مسعود وابن عباس وعكرمة وعطاء بن أبي رباح وأبي جعفر محمد بن علي وأبي عبد الله جعفر بن محمد وعلي بن الحسين. انظر: «تفسير يحيى بن سلام» (٢/ ٨٠٨)، و«فضائل القرآن» لأبي عبيد (ص: ٣١٠)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٨٧)، و«معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٤٩٣)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٢)، و«تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٢٧٦)، و«البحر المحيط» (١٨/ ١٠٨).

(٢) انظر: «البحر» (١٨/ ١٠٨) عن ابن أبي عبلة، ودون نسبة في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٧).

وقرأ الكوفيُّونَ وابنُ عامرٍ: ﴿وَٱلْقَمَرَ﴾ بنَصْبِ الرَّاءِ(١).

﴿حَتَّىٰ عَادَ كَٱلْعُرْجُونِ﴾: كالشِّمْرَاخِ المعوجِّ، فُعْلُون مِن الانعراجِ وهو الاعوجَاجُ(٢)، وقُرِئَ: (كالعِرْجُونِ)(٣)، وهما لُغتانِ كالبُزْيُونِ والبِزيَونِ.

﴿ٱلْقَدِيمِ﴾: العتيقِ، وقيل: ما مرَّ عليه حولٌ فَصاعدًا.

﴿لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ﴾: يَصِحُّ لها ويتسهَّلُ(٤) ﴿أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ﴾ في سرعةِ سَيرِه؛ فإنَّ ذلك يُخلُّ بتكوُّنِ النَّباتِ وتَعيُّشِ الحيوانِ، أو: في آثارِه ومنافعِه، أو: مكانِه بالنُّزولِ إلى محلِّه أو سُلطانِه فتطمسَ نورَهُ، وإيلاءُ حرفِ النَّفيِ الشَّمسَ للدَّلالةِ على أنَّها مسخَّرةٌ لا يتيسَّرُ لها إلا ما أُريدَ بِها.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

(٢) وهو قول الزجاج كما في «معاني القرآن» (٤/ ٢٨٨)، ووقع في مطبوعه: «فعلول»، وكذا نقله عنه المرزوقي في «الأزمنة والأمكنة» (ص: ٢٢)، والواحدي في «البسيط» (١٨/ ٤٨٥).

وكون وزنه (فعلون) بالنون من الانعراج نقله عن الزجاج: ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٢٤)، والقرطبي في «تفسيره» (١٧/ ٤٤٧)، وأبو حيان في «البحر» (١٨/ ٧١)، والسمين الحلبي في «الدر المصون» (٩/ ٢٧١)، والنيسابوري في «تفسيره» (٥/ ٥٣٣)، والآلوسي في «روح المعاني» (٢٢/ ٣٤٦)، وهو الصواب على أنه من (عرج) والنون زائدة كما ذكر الآلوسي. وقال في «النهاية»: (مادة: عرج): وهو فُعْلون من الانْعِرَاج: الانعطاف، والواوُ والنونُ زائدتان.

قلت: أما (فعلول) باللام فصحيح أيضاً على أن النون أصلية، بل اختاره قوم ـ كما ذكر الآلوسي ـ منهم الراغب والسمين وصاحب «القاموس» انظر: «الدر المصون» (٩/ ٢٧٠)، و«مفردات الراغب» و«القاموس» (ماد: عرجن)، وصرح المنتجب الهمذاني في «الدر الفريد» (٥/ ٣٥١) سبب الاختيار له فقال: واختلف في وزنه، فقيل: هو فُعْلُولٌ والنون أصل، وليس بفُعْلُون، لأن فُعْلُونًا ليس في كلامهم.

(٣) نسبت لسليمان التيمي، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٦).

(٤) في (ت): «أو يتسهل لها».

﴿وَلَا ٱلَّيۡلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ﴾: يسبقُه فيفوتُهُ، ولكن يُعاقِبُه.

وقيل: المرادُ بهما آيَتاهُما وهما النيِّرانِ، وبالسَّبْق: سبقُ القمر إلى سلطان الشمس، فيكون عكسًا للأول، وتبديلُ الإدراك بالسَّبقِ لأنه الملائمُ لسُرعَةِ سيرِه.

﴿وَكُلٌّ﴾: وكلُّهُم، والتَّنوينُ عِوَضُ المضافِ إليه، والضَّميرُ للشُّموسِ والأقمارِ، فإنَّ اختلافَ الأحوالِ يوجِبُ تَعدُّدًا مَّا في، أو للكواكبِ فإنَّ ذِكرَهما مُشعِرٌ بها.

﴿فِي فَلَكٍ يَسۡبَحُونَ﴾: يسيرونَ فيه بانبساطٍ.

قوله: «وهي ثمانيةٌ وعِشرونَ: الشَّرطَان..»:

قالَ المَرزُوقِيُّ في كتابِ «الأزمنة والأمكنة»: الشَّرطانِ سُمِّيَا بذلك لأنَّهما كالعَلَامتينِ، أي: سُقوطُهُما علامَةُ ابتداءِ المَطرِ، والشَّرطُ: العلامَةُ، ولهذا قيلَ لأَصحابِ السُّلطانِ: الشُّرَطُ؛ لأَنَّهم يلبَسُونَ السَّوادَ كأَنَّهُم جعَلُوا لأَنفُسِهم عَلاماتٍ يُعرَفُونَ بها، ويقالُ: إنَّهُما قرنَا الحَمَلِ، وهما أَوَّلُ نجومِ فَصلِ الرَّبيعِ، ونوؤُه ثلاثَةُ أيامٍ.

والبُطَينُ: وسُمِّيَ بذلك لأَنَّه بطنُ الحَمَلِ، ونَوؤُه ثلاثُ ليالٍ.

والثُّرَيَّا وتُسمَّى: النَّجْمَ والنَّظْمَ، وهو تَصغِيرُ ثَرْوَى مِن الكَثرَةِ، ونَوؤُها خمسُ ليالٍ.

والدَّبَرَانِ: وسُمِّيَ بذلك لأَنَّه دَبَرَ الثُّرَيَّا؛ أي: صارَ خلفَهَا، وسُمِّيَ: المجدح، ونَوؤُه ثلاثُ ليالٍ.

فإن قيل: أتقولُ لكلِّ ما دبرَ كوكَبًا الدَّبَران؟

قلتُ: لا؛ لأَنَّهُ قَدْ يَختَصُّ الشَّيءُ مِن جِنسِه بالاسمِ حتَّى يَصيرَ عَلَمًا له وإِنْ كانَ المَعْنَى يَعُمُّ الجميعَ، على ذلك قولُ: (النَّابغةِ) في الجَعدِيِّ [والذُّبياني] و(ابن عبَّاسٍ) في عبدِ اللهِ، وأنشد:

وَرَدْتُ اعتِسَافًا والثُّرَيَّا كأَنَّها عَلَى قِمَّةِ الرَّأْسِ ابنُ ماءٍ مُحَلِّقُ
يَدفُّ لي عَلَى آثَارِهَا دَبَرانُهَا فَلَا هُوَ مَسْبُوقٌ وَلَا هُوَ يَلْحَقُ[(١)]

والهَقْعَةُ: سُمِّيَت بذلك تَشبيهًا بهَقْعَةِ الدابَّةِ، وهي دائرةٌ تكونُ عندَ رجلِ الفارسِ في جنبِ الدابَّةِ، يقال: فرسٌ مَهقُوعٌ، وهي ثلاثُ كواكِبَ تُسمَّى: رأسَ الجَوْزاءِ، ونَوؤُه ستُّ ليالٍ، ولا يذكرونَ نوءَها إلا بنوءِ الجَوْزَاءِ، وتُسمَّى الأَثافيَّ لأنَّها ثلاثةٌ صِغارٌ مُثَفَّاةٌ[(٢)].

والهَنْعَةُ وتُسَمَّى[(٣)]: مَنْكِبَ الجَوزاءِ الأَيسرَ، وسُمِّيَت بذلك مِن قولِهم: هَنَعْتُ الشَّيءَ: عطفتَهُ وثنيتَ بعضَه على بَعضٍ، وكأنَّ كلَّ واحدةٍ منها منعطفٌ على صاحبِه، ونَوؤُها لا يُذكَرُ، وهو ثلاثُ ليالٍ، وإنَّما يَكونُ في أنواءِ الجَوْزاءِ.

والذِّراعُ: ذِراعُ الأسدِ، ولَه ذِراعانِ: مَقبوضَةٌ ومَبسوطَةٌ، ونوؤُهَا خَمْسُ ليالٍ، وقيل: ثَلاثُ لَيالٍ، وأَحَدُ كَوْكَبَي الذِّرَاعِ: الغُمَيْصَاء، وهي تُقابِلُ: العَبورَ، والمجرَّةَ [بينهما]، ويُقالُ لكوكَبِها الآخرِ الشماليِّ: المِرْزَم، ويُسمَّى[(٤)] مِرْزَمَ الجَوزاءِ، ولا نَوْءَ لَه.

والنَّثْرَةُ: وهي ثلاثُ كواكِبَ، وسُمِّيَت نَثْرَةً لأنَّها مخطةٌ يَمْخُطُّها الأَسدُ كأنَّها

---

(١) البيتان لذي الرمة وهو في «ديوانه» (١/ ٤٩٠). «اعتسافاً»: أخذاً على غيرِ هدى، «قمة الرأس»: أعلاه ووسطه، «ابن ماءٍ»، يعني: طائر الماء، شبه الثريا به وقد تحلق، «الدفيف»: سيرٌ كأنه طيرانٌ. يقول: الدبران خلف الثريا، فلا هو يسبق ولا هو يلحق؛ أي: لهذا منزلةٌ ولهذا منزلةٌ، فلا يسبق هذا هذا، ولا يلحق هذا هذا. عن الباهلي شارح الديوان.

(٢) في «الأزمنة والأمكنة»: «متعينة».

(٣) في (ز) و(ن): «والهنعة وهي».

(٤) في (ز) و(ن): «ويروى».

قِطعَةُ سَحابٍ، ويَجوزُ أَنْ تُسمَّى بذلك لأنها كأنَّها كانَت مِن سَحابٍ فقدَ نثرَ، والنَّثْرَةُ: الأَنفُ، ونَوؤُها سَبْعُ ليالٍ.

والطَّرْفُ: سُمِّيَت بذلكَ لأَنَّهُما عَيْنَا الأسدِ، يقال: طَرَفَ فلانٌ؛ أي: رفعَ طَرْفَه، ونَوؤُه ثلاثُ ليالٍ.

والجَبْهَةُ: جَبْهَةُ الأَسَدِ، ونَوؤُهُ سبعُ لَيالٍ.

والزُّبْرَةُ: زُبْرَةُ الأَسَدِ؛ أي: كاهِلُهُ، وقيل: زُبْرَتُه: شَعرهِ الذي يَزبئرُّ عندَ الغَضبِ في قَفاه[1]، ونَوؤُها أربعُ لَيالٍ.

والصَّرْفَةُ: سُمِّيَتْ بذلكَ لأنَّ البردَ يَنصرِفُ بسُقوطِها، وقيل: أرادَوا صَرْفَ الأسدُ رأسَهُ مِن قِبَلِ ظهرِه، [ويقال: الصَّرفة: نابُ الدّهر؛ لأنَّها تفترُّ عن فصل الزّمان] وأيامُ العَجوزِ في نَوئِها، وهي ثلاثُ ليالٍ[2].

والعَوَّاءُ: يُمَدُّ ويُقصَرُ، والقَصْرُ أجوَدُ وأكثَرُ، وهي خمسةُ كواكبَ كأنَّها أَلِفٌ مَعطوفَةُ الذَّنَبِ، وسُمِّيَت العَوَّاءَ للانعِطافِ والالتواءِ الذي فيها، تَقولُ العَرَبُ: عَوَيْتُ الشَّيءَ: عَطَفْتُه، ويجوزُ أَنْ يكونَ مِن عَوَى: إذا صاحَ كأَنَّه يَعْوِي في أثرِ البردِ، ولهذا سُمِّيَت طاردَةَ البردِ، ونَوؤُها لَيلَةٌ.

والسِّمَاكُ: سُمِّيَ السِّمَاكَ الأعزلَ لأنَّ السِّمَاكَ الآخرَ يُسمَّى: رامِحًا؛ لكوكَبٍ تقدَّمَه كأنَّه رُمحُه، ونوؤُه أربَعُ لَيالٍ، وسُمِّيَ سِمَاكًا لأَنَّه سَمَكَ؛ أي: ارتفَعَ.

والغَفْرُ: وهيَ ثَلاثةُ كَواكِبَ، قيل: هو مِن الغُفْرَةِ وهو الشَّعرُ الذي في طرفِ ذنبِ الأَسدِ، وقيل: سُمِّيَت الغَفْرَ لأَنَّها يَنقُص ضَوؤُها، يقال: غَفَرْتُ الشَّيءَ: إذا

---

(١) قال المرزوقي: «وهذا غير صحيح لأن ازبأر من الرباعي والزبرة من الثلاثي».

(٢) انظر: «الأزمنة والأمكنة» (ص: ٢٣٤ ـ ٢٣٦).

غَطَّيَه، فعَلى هذا هوَ في مَعنى مفعولٍ، ونوؤُها ثلاثُ ليالٍ، وقيل: بَلْ ليلَةٌ.

والزُّبَانَى: وسُمِّيَ زُبَانَى العَقْرَبِ، وهما قَرناها، كوكبانِ، مَأخوذٌ مِن الزَّبْنِ: الدَّفعِ، وكلُّ واحدٍ مِنْهُما مُندَفِعٌ عن صاحبِه غيرُ مُقارِنٍ له، ونَوؤُها ثلاثُ لَيالٍ.

والإكْلِيلُ: وهيَ ثلاثةُ كواكبَ مُصطَفَّةٌ على رأسِ العَقربِ، ولذلك سُمِّيَت بِهِ كأنَّه مِن التَّكلُّلِ وهو الإحاطَةُ، ونَوؤُهُ أربَعُ لَيالٍ، وهو مِن العقربِ.

والقَلْبُ: وهو كوكَبٌ أحمَرُ نَيِّرٌ سُمِّيَ بالقَلْبِ لأنَّه في قَلْبِ العَقْرَبِ، ونَوؤُه ليلةٌ، والقُلوبُ أربعَةٌ: قَلبُ العَقربِ، وقَلبُ الأَسدِ، وقَلْبُ الثَّورِ، وهو الدَّبرانُ، وقَلبُ الحُوتِ.

والشَّوْلَةُ: سُمِّيَت بذلكَ لأنَّها ذنَبُ العَقربِ، وذَنبُها شائلٌ أَبَدًا، والحِجازِيُّونَ يُسمُّونَها: الإبرةَ، ونوؤُها ثَلاثُ ليالٍ، وهما كوكبانِ مُضيئانِ.

والنَّعائِمُ: وهيَ ثَمانيَةُ كواكِبَ، أربعَةٌ مِنها في المجرَّةِ وتُسمَّى: الواردةَ؛ لأنَّها شَرَعت في المَجرَّةِ كأنَّها تشربُ، وأربعَةٌ خارجَةٌ تُسمَّى: الصَّادرَةَ، وإنَّما سُمِّيَتْ نَعائِمَ تشبيهًا بالخَشَباتِ التي تكونُ على البئرِ، ونَوؤُها ليلةٌ.

والبَلْدَةُ: وهيَ فُرجَةٌ بينَ النَّعائمِ وبينَ سَعْدِ الذَّابحِ، وهو مَوضِعٌ خالٍ ليسَ فيه كوكَبٌ، وإنَّما سُمِّيَتْ بلدَةً تَشبيهًا بالفُرْجَةِ التي تَكونُ بين الحاجِبَيْنِ غيرَ مَقرُونَيْنِ، يقال: رَجُلٌ أبلَدُ: إذا افترق[1] حاجِبَاهُ، ونَوءُها ثلاثُ ليالٍ، وقيل: ليلَةٌ.

والذَّابِحُ: سُمِّيَ بذلك لكَوكبٍ بينَ يديهِ يقال: هو شاتُهُ التي تُذبَحُ، ونوؤُهُ ليلَةٌ.

والبَلَعُ: سُمِّيَ بذلك لأنَّ الذَّابحَ معَهُ كوكَبٌ بمنزلَةِ شاتِهِ، وهذا لا كوكَبَ معَهُ، فكأنَّهَ قد بلَعَ شاتَه، وقيل: سُمِّيَ بِهِ لأنَّ صورَتَهُ صُورَةُ فمٍ فُتِحَ ليبلَعَ، ونَوؤُه ليلةٌ.

---

(١) في (س) و(ن): «إذا اقترن»، وفي (ز): «إذا قرن»، والمثبت من «الأزمنة والأمكنة».

وسَعْدُ السُّعودِ: سُمِّيَ بذلك لأنَّ في وقتِ طُلوعِه ابتداءُ ما بِهِ يَعيشونَ وتَعيشُ مَواشيهِمْ، ونَوؤُها لَيْلَةٌ.

وسَعْدُ الأَخبِيَةِ: وسُمِّيَ بذلك لكَوْكَبٍ في كَواكِبِها على صُورَةِ الخِباءِ، وقيل: لأنَّه يَطْلُعُ قبلَ الدِّفءِ فيُخرِجُ مِن الهوامِّ ما كانَ مُختَبِئًا، ونوؤُهُ ليلَةٌ.

وفَرْغُ[١] الدَّلْوِ المُقَدَّمُ، ويقال: الأَعلى، وقيل: إنَّما سُمِّيَ بِهِ لأنَّ في وقتِهِ تَأتي الأمطارُ كثيرًا، فكأنَّه فرغُ دَلوٍ وهو مصبٌّ لها[٢]، ونوؤُه ثلاثُ ليالٍ.

وفَرْغُ الدَّلْوِ المُؤَخَّرُ: ونَوؤُهُ أربَعُ ليالٍ.

والرِّشَاءُ: وهو السَّمكَةُ، ويقالُ: بطنُ السَّمكَةِ، وقَلْبُ الحُوتِ.

تمَّ كلامُ المَرزوقِيِّ، واللهُ أعلَمُ[٣].

قوله: «كالبُرْيُونُ»: قال الجوهريُّ: هو بالضَّمِّ: السُّنْدُسُ[٤].

(٤١ ـ ٤٢) ـ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝٤١ وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِۦ مَا يَرْكَبُونَ﴾.

﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ﴾: أولادَهم الذين يبعثونهم إلى تجاراتهم، أو: صبيانَهم ونساءَهم الذين يَستصحِبونهم، فإنَّ الذرِّيَّةَ تقعُ عليهنَّ لأنهنَّ مزارِعُها، وتخصيصُهم لأنَّ استقرارهم في السفن أشقُّ وتماسُكَهم فيها أعجبُ.

---

(١) في (ن): «فرع» وكذا تالياه ولعله الصواب.

(٢) كذا في (س) و(ز)، وفي (ن): «الماء»، وفي «الأزمنة والأمكنة»: «مصبُّ مائها».

(٣) انظر: «الأزمنة والأمكنة» (ص: ٢٣٠ ـ ٢٣٤).

(٤) انظر: «الصحاح» (مادة: بزن).

وقرأ نافعٌ وابن عامر: ﴿ذُرِّيَّاتِهِمْ﴾[(١)].

﴿فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ﴾: المملوءِ، وقيل: المرادُ: فُلْكُ نوحٍ وحملُ اللهِ ذُرِّيَّاتِهم فيها: أنَّه حملَ فيها آباءَهُم الأقدمينَ وفي أصلابِهم ذُرِّيَّاتُهم[(٢)]، وتخصيصُ الذُّرِّيَّةِ لأنَّه أبلَغُ في الامتنانِ وأدخَلُ في التَّعجيبِ مع الإيجازِ.

﴿وَخَلَقْنَا لَهُم مِّن مِّثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ﴾ مِن مثلِ الفُلْكِ ﴿مَا يَرْكَبُونَ﴾ مِن الإبلِ فإنَّها سفائنُ البرِّ، أو مِن السُّفنِ والزَّوارقِ.

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ ﴿٤٣﴾ إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ﴾: فلا مُغيثَ لهم يحرسُهُم عن الغرقِ، أو: فلا استغاثةَ، كقولِهم: أتاهُم الصَّريخُ.

﴿وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾: يَنْجُونَ مِن الموتِ به.

﴿إِلَّا رَحْمَةً مِّنَّا وَمَتَاعًا﴾: إلا لرحمةٍ وتمتيعٍ بالحياةِ ﴿إِلَىٰ حِينٍ﴾: زمانٍ قُدِّرَ لآجالهم.

(٤٥ ـ ٤٦) ـ ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٤٥﴾ وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ آيَةٍ مِّنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ وَمَا خَلْفَكُمْ﴾: الوقائعَ التي خلَتْ والعذابَ المعدَّ في الآخرةِ.

أو: نوازلَ السَّماءِ ونَوائبَ الأرضِ؛ كقولِه: ﴿أَفَلَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ﴾ [سبأ: ٩].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٠).

(٢) في (ض): «وفي أصلابهم هم وذرياتهم».

أو: عذابَ الدنيا وعذابَ الآخرة، أو عكسه.

أو: ما تقدَّمَ مِن الذُّنوبِ وما تأخَّر.

﴿لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾: لِتكونُوا راجينَ رحمةَ اللهِ.

وجوابُ (إذا) مَحذوفٌ دلَّ عليهِ قولُه: ﴿وَمَا تَأْتِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ مِّنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ﴾ كأنَّه قال: وإذا قيلَ لهم اتَّقُوا العذابَ أعرَضُوا لأنَّهم اعتادوهُ وتمرَّنُوا عليه.

(٤٧) - ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُۥ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ أَنفِقُوا مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ﴾ على مَحاويجِكُم ﴿قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا﴾ بالصَّانعِ، يعني: مُعطِّلةً كانُوا بمَكَّةَ ﴿لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ تَهكُّمًا بهم مِن إقرارِهِم به وتَعليقِهِم الأمورَ بمَشيئَتِه: ﴿أَنُطْعِمُ مَن لَّوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُۥ﴾ على زَعمِكُم.

وقيل: قاله مُشرِكُو قريشٍ حين استَطْعَمَهُم فقراءُ المؤمنينَ[1] إيهامًا بأنَّ اللهَ لَمَّا كانَ قادرًا أن يطعمَهُم ولم يُطْعِمْهم فنحنُ أحقُّ بذلك، وهذا مِن فَرْطِ جهالَتِهِم، فإنَّ اللهَ يُطعِمُ بأسبابٍ مِنْها: حثُّ الأغنياءِ على إطعامِ الفُقراءِ وتَوفيقُهم له.

﴿إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ حيثُ أَمَرْتُمونَا ما يخالفُ مَشيئةَ اللهِ، ويجوزُ أنْ يكونَ جوابًا مِن اللهِ لهم، أو حكايةً لجَوابِ المُؤمنينَ لهم.

(٤٨ - ٥٠) - ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ۝٤٨ مَا يَنظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ۝٤٩ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَىٰ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْوَعْدُ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ يعنونَ: وعدَ البعث.

---

(١) في (خ): «المسلمين».

﴿مَا يَنظُرُونَ﴾: ما ينتظرون ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً﴾ هي النفخةُ الأولى ﴿تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾: يتخاصَمون في متاجِرِهم ومُعامَلاتهم لا يَخطُرُ ببالهم أمرُها؛ كقوله: ﴿أَوْ تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٠٧].

وأصله: يختصِمون، فسكِّنت التاءُ وأُدغمت، ثم كُسرت الخاءُ لالتقاءِ الساكنَين، وروى أبو بكرٍ بكسرِ الياءِ للإتْباع، وقرأ ابنُ كثيرٍ وورشٌ وهشامٌ بفتحِ الخاءِ على إلقاءِ[1] حركةِ التاءِ إليه، وأبو عمرٍو به، وقالونُ مع الاختلاس، وعن نافعٍ الفتحُ فيه والإسكان[2]، وكأنه جَوَّز الجمعَ بين الساكنَين إذا كان الثاني مدغَمًا، وقرأ حمزةُ: ﴿يَخْصِمُون﴾ مِن خَصَمه: إذا جادلَه[3].

---

(١) في (ت): «وقرأ ابن كثير وورش وهشام بفتح الخاء وإلقاء».

(٢) في (خ): «مع الإسكان» وفي (ت) بعدها: «والتشديد».

(٣) وتفصيل هذه القراءات: قرأ ورش وابن كثير وهشام: ﴿يَخَصِّمون﴾ بفتح الخاء وتشديد الصاد.

وابن ذكوان وعاصم والكسائي: ﴿يَخِصِّمون﴾ بكسر الخاء وتشديد الصاد.

وحمزة: ﴿يَخْصِمون﴾ بإسكان الخاء وتخفيف الصاد.

وقالون في أحد وجهيه: ﴿يَخْصِّمون﴾ بإسكان الخاء وتشديد الصاد.

وأبو عمرو وقالون في وجهه الآخر باختلاس فتحة الخاء وتشديد الصاد. والياء مفتوحة للجميع.

انظر: «السبعة» (ص: ٥٤١)، و«التيسير» (ص: ١٨٤)، و«النشر» (٢/ ٣٥٤)، و«البدور الزاهرة» (ص: ٢٦٦).

وقرأ: (يختصمون) أبيٌّ رضي الله عنه كما في «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٧٩)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٦٨)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥٧).

ونسب لعاصم في غير المشهور عنه: (يِخِصِّمون) بكسر الياء إتباعاً لكسرة الخاء وتشديد الصاد.

انظر: «السبعة» (ص: ٥٤١)، و«جامع البيان» للداني (٤/ ١٥١٩ ـ ١٥٢٠)، و«النشر» (٢/ ٣٥٤).

وهي التي استهل بها المصنف عن أبي بكر.

﴿ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً ﴾ في شيء مِن أمورِهم ﴿وَلَآ إِلَىٰٓ أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ ﴾ فيَروا حالَهم، بل يموتون حيث تَبْغَتُهم الصيحةُ.

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴿٥١﴾ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا ۜ هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِى ٱلصُّورِ ﴾؛ أي: مرةً ثانيةً، وقد سبقَ في سورةِ المؤمنينَ.

﴿فَإِذَا هُم مِّنَ ٱلْأَجْدَاثِ ﴾: مِن القُبورِ، جمعُ جدثٍ، وقُرِئَ: بالفَاءِ[1].

﴿إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنسِلُونَ ﴾: يُسرِعُونَ، وقُرِئَ بالضَّمِّ[2].

﴿ قَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا ﴾ وقُرِئَ: (وَيْلَتَنا)[3].

﴿مَنۢ بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا﴾ وقُرِئَ: (مَن أَهَبَّنَا)[4] مِن هَبَّ مِن نَومِه: إذا انتبَه.

و: (مَن هَبَّنَا)[5] بمعنى: أَهبَّنَا، وفيه ترشيحٌ ورَمزٌ أو إشعارٌ بأنَّهُم لاختِلاطِ عُقولِهم يَظُنُّونَ أنَّهُم كانُوا نيامًا.

و: (مِنْ بَعْثِنَا)[6] و: (مِنْ هَبِّنَا)[7] على (مِن) الجارَّةِ والمَصدَرِ.

---

(١) انظر: «الكشاف» (٧/ ٢٧١)، و«البحر المحيط» (١٨/ ١٢١)، دون نسبة.

(٢) قراءة ابن أبي إسحاق كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٦)، و«البحر» (١٨/ ١٢١)، وزاد أبو حيان نسبتها لأبي عمرو بخلف عنه.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٦)، و«البحر» (١٨/ ١٢١)، عن ابن أبي ليلى، وذكر في «المحتسب» (٢/ ٢١٣)، و«البحر» (١٨/ ١٢١)، عنه: (يا ويلتا).

(٤) نسبت لابن مسعود رضي الله عنه، انظر: «معاني القرآن» للنحاس (٥/ ٥٠٤)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٤).

(٥) نسبت لأبيٍّ، انظر: «المحتسب» (٢/ ٢١٤).

(٦) نسبت لعلي بن أبي طالب وأبي نهيك والضحاك. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٣).

(٧) انظر: «الكشاف» (٧/ ٢٧٢).

﴿هَٰذَا مَا وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ وَصَدَقَ ٱلْمُرْسَلُونَ﴾ مُبتدأٌ وخبرٌ، و﴿مَا﴾ مَصدريَّةٌ، أو موصولةٌ محذوفةُ الرَّاجعِ.

أو ﴿هَٰذَا﴾ صِفَةٌ لِـ﴿مَّرْقَدِنَا﴾، و﴿مَا وَعَدَ﴾ خبرُ مَحذوفٍ، أو مُبتدأٌ خبرُه مَحذوفٌ؛ أي: ما وعدَ الرَّحمنُ وصدقَ المرسلونَ حقٌّ، وهو مِن كلامِهِم.

وقيل: جوابٌ للمَلائكةِ أو المؤمنينَ عن سُؤالِهم معدولٌ عن سَنَنِه تَذكيرًا لكُفرِهِم وتقريعًا لَهُم عليه، وتنبيهًا بأنَّ الذي يُهِمُّهُم هو السُّؤالُ عن البعثِ دُونَ الباعثِ، كأنَّهُم قالوا: بَعثَكُم الرَّحمنُ الذي وعدَكُم البَعثَ وأرسلَ إليكُم الرُّسُلَ فصَدَقوكُم، وليسَ الأمرُ كمَا تَظنُّونَهُ فإنَّه ليسَ بعثَ النَّائمِ فيُهِمَّكُم السُّؤالُ عن الباعثِ، وإنَّما هو البعثُ الأكبرُ ذو الأَهوالِ.

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿إِن كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴿٥٣﴾ فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾.

﴿إِن كَانَتْ﴾: ما كانت الفعلةُ ﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي النَّفخةُ الأخيرةُ، وقُرِئَت بالرَّفعِ[1] على (كان) التامَّةِ.

﴿فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ بمجرَّدِ تلك الصَّيحةِ، وفي كلِّ ذلك تهوينُ أمرِ البَعثِ والحَشْرِ، واستِغناؤُهُما عن الأسبابِ التي يَنوطان بها فيما يُشاهدونَهُ.

﴿فَٱلْيَوْمَ لَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا وَلَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ حكايةٌ لِمَا يقالُ لهم حينَئذٍ؛ تصويرًا للموعودِ، وتمكينًا له في النُّفوسِ، وكذا قولُه:

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر، وباقي العشرة بالنصب، انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٣).

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ ﴿٥٥﴾ هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾.

﴿إِنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ ٱلْيَوْمَ فِى شُغُلٍ فَٰكِهُونَ﴾: مُتلذِّذونَ في النعمةِ، من الفَكاهةِ، وفي تَنكيرِ ﴿شُغُلٍ﴾ وإبهامِه تعظيمٌ لِمَا هُمْ فيه مِن البَهجَةِ والتَّلذُّذِ، وتنبيهٌ على أنَّه أعلى مِن أن[1] يحيطُ به الأفهامُ، ويُعْرِبَ عن كُنْهِهِ الكلامُ.

وقرأَ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو: ﴿في شُغْلٍ﴾ بالسُّكونِ[2]، ويعقوبُ في روايةٍ: ﴿فَكِهُونَ﴾[3] للمُبالغَةِ، وهما خَبرانِ لـ﴿إِنَّ﴾.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿فِى شُغُلٍ﴾ صِلَةً لـ﴿فَٰكِهُونَ﴾.

وقرئ: (فكُهون) بالضمِّ[4] وهو لغةٌ كنُطُسٍ ونَطِسٍ.

و: (فاكِهينَ)[5]، و: (فَكِهِيْنَ)[6]، على الحالِ مِن المستكنِّ في الظَّرفِ.

و: (شَغلٍ) بفتحتينِ وفتحةٍ وسُكونٍ[7]، والكلُّ لُغاتٌ.

---

(١) في (أ) و(ت) و(خ): «أعلى ما».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤١)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

(٣) لم أقف على قراءة يعقوب، وذكر ابن مهران في «المبسوط» (ص: ٣٧١) أن أبا جعفر وحده قرأ ﴿فكهون﴾ بغير ألف في جميع القرآن.

(٤) دون نسبة في «الكشاف» (٧/ ٢٧٦)، و«البحر» (١٨/ ٢٥).

(٥) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٠)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٧)، عن ابن مسعود، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٧١) عن طلحة بن مصرف، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٥٩) عن طلحة والأعمش.

(٦) انظر: «المصاحف» لابن أبي داود (ص: ١٨٣) عن ابن مسعود.

(٧) بفتحتين أبو هريرة وأبو السمال، وبفتحة فسكون يزيد النحوي. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٦).

﴿هُمْ وَأَزْوَٰجُهُمْ فِى ظِلَٰلٍ﴾: جمعُ ظِلٍّ كشِعَابٍ، أو ظُلَّةٍ كقِبَابٍ، ويؤيدُه قراءةُ حمزةَ والكِسائيُّ: ﴿في ظُلَلٍ﴾[1].

﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾: على السُّرُرِ المزيَّنةِ ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾.

و﴿هُمْ﴾ مبتدأٌ خبرُه: ﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾، و﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ جُملةٌ مُستأنفَةٌ أو خبرٌ ثانٍ.

أو: ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾، والجارَّان صِلَتانِ له. أو تأكيدٌ للضَّميرِ[2] في ﴿فِى شُغُلٍ﴾ أو في ﴿فَٰكِهُونَ﴾، و﴿عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ﴾ خبرٌ آخرُ لـ﴿إِنَّ﴾. و﴿أزواجهم﴾ عطفٌ على ﴿هُمْ﴾ للمُشاركةِ في الأحكامِ الثَّلاثةِ، و﴿فِى ظِلَٰلٍ﴾ حالٌ مِن المعطوفِ والمعطوفِ عليهِ.

(٥٧ ـ ٥٨) ـ ﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ۝٥٧ سَلَٰمٌ قَوْلًا مِّن رَّبٍّ رَّحِيمٍ﴾.

﴿لَهُمْ فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ﴾: ما يدَّعونَ به لأنفُسِهم، يَفْتَعِلُونَ مِن الدُّعاءِ؛ كاشتَوَى واجتَمَلَ: إذا شَوَى وجملَ لنفسِهِ.

أو: ما يَتداعونَه؛ كقولِك: (ارتَمَوْهُ) بمعنى: تَرَامَوْهُ.

أو: يتمنَّوْنَ مِن قولِهم: (اِدَّعِ عليَّ ما شئتَ) بمعنى: تمنَّهُ عليَّ.

أو: ما يدَّعونَه في الدُّنيا مِن الجنَّةِ ودَرجاتِها.

و(ما) موصولةٌ أو موصوفةٌ مُرتفِعةٌ بالابتداءِ، و﴿لهم﴾ خبرُها، وقولُه:

---

(١) قراءة حمزة والكسائي، والباقون بالألف وكسر الظاء. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

(٢) قوله: «أو متكئون» عطف على (في ظلال)، «والجاران»: هما (في) و(على)، «صلتان له»؛ أي لـ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾ «أو تأكيد» عطف على (مبتدأ). انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/٥٥٨).

﴿ سَلَٰمٌ ﴾ بدلٌ منها، أو صفةٌ أخرى، ويجوز أن يكونَ خبرَها، أو خبرَ محذوف، أو مبتدأً محذوفَ الخبر؛ أي: ولهم سلام.

وقرئ بالنصب[1] على المصدر أو الحال؛ أي: لهم مرادُهم خالصًا.

﴿قَوۡلٗا مِّن رَّبّٖ رَّحِيمٖ ﴾؛ أي: يقولُ[2] اللهُ، أو يُقَالُ لهم قولًا كائنًا مِن جِهَتِه، بمعنى[3]: أنَّ اللهَ يسلِّمُ عليهِم بواسطةِ الملائكةِ، أو بغيرِ واسطَةٍ تعظيمًا لهم، وذلك مَطلوبُهُم ومُتمنَّاهُم، ويُحتملُ نصبُه على الاختصاصِ.

قوله: «يَفتَعِلونَ مِن الدُّعاءِ»:

قال مكيٌّ: أصلُ ﴿يَدَّعُونَ﴾ يَدْتَعِيُونَ على وزنِ يَفتَعِلُون، مِن دَعَا يَدعو، فأُسْكِنَت الياءُ بعدَ أَنْ أُلْقِيَت حَرَكَتُها على ما قَبْلَها، وحُذِفَت لسُكُونِها وسُكونِ الواوِ بعدَها، وقيل: بَلْ ضُمَّت العَينُ لأجلِ واوِ الجَمْعِ بعدَها، ولم تُلْقَ عليها حَرَكَةُ الياءِ لأنَّ العينَ كانَتْ مُتحرِّكَةً، فصارَتْ: يَدْتَعُونَ، فأُدْغِمَت التاءُ في الدَّالِ، وكان ذلك أَوْلى مِن إدغامِ الدَّالِ في التَّاءِ لأنَّ الدَّالَ حرفٌ مَجهورٌ والتَّاءَ مَهموسٌ، والمَجهورُ أَقْوَى، وكانَ ردُّ الأضعَفِ إلى الأقوى أَوْلَى، فأَبدَلُوا مِن التَّاءِ دالًا فأُدغِمَت فصارَتْ: يَدَّعُونَ[4].

قوله: «كاشْتَوَى» بالشِّينِ المُعجمَةِ، و«اجتَمَل» بالجيمِ؛ أي: أذابَ الجميلَ وهو الإهالَةُ.

---

(١) عن ابن مسعود رضي الله عنه، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٠)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٦)، «المحتسب» (٢/ ٢١٥).

(٢) في (ت) و(ض): «يقوله».

(٣) في (ت) و(ض): «والمعنى».

(٤) انظر: «مشكل إعراب القرآن» لمكي بن أبي طالب (٢/ ٦٠٧).

قوله: «﴿سَلَٰمٌ﴾ بدلٌ مِنها»:

قال الطِّيبِيُّ: هذا إذا كانَتْ ﴿مَّا﴾ نكِرَةً مَوصوفَةً ظاهرٌ، وأمَّا إذا كانَتْ مَعرِفَةً مَوصولَةً فجائزٌ عندَ بَعضِهِم[1].

وقالَ أبو حيَّان: إذا كانَ بَدَلًا كانَ ﴿مَّا يَدَّعُونَ﴾ خصوصًا، والظَّاهرُ أنَّه عُمومٌ في كلِّ ما يدَّعونَه، وإذا كان عمومًا لم يكُنْ ﴿سَلَٰمٌ﴾ بدَلًا منه[2].

قال الطيبي: قيل: ﴿سَلَٰمٌ﴾ صفة ثانية لـ﴿مَّا﴾ أو من الهاء المحذوفة، أي: ذا سلامةٍ، أو مسلَّمًا[3].

قوله: «ويُحتمَلُ نَصبُه على الاختصاصِ»:

قال في «الكشاف»: والأوجَهُ أنَّه يَنتصِبُ على الاختِصاصِ[4].

قال الطِّيبِيُّ: أي: ﴿قَوْلًا﴾ إذا جُعِلَ منصوبًا على المدحِ فإنَّه أوجَهُ مِن أَنْ يَنتَصِبَ على المصدرِ بفعلٍ مَحذوفٍ، أو على أنَّه مصدرٌ مُؤكِّدٌ لمَضمونِ الجُملَةِ؛ لأنَّ المقامَ مِن محازِّ[5] المدحِ؛ لأنَّ هذا القولَ صادِرٌ عن ربٍّ رَحيمٍ في مقامِ التَّعظيمِ، فكانَ جَديرًا بأَنْ يُفخَّمَ أمرُهُ ويُعظَّمَ قَدْرُهُ، ويكونُ جُملَةً مُستَقِلَّةً مَفصولَةً عمَّا سبَقَ[6].

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٧١).

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ١٢٨).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٧١).

(٤) انظر: «الكشاف» (٧/ ٢٧٨).

(٥) في مطبوع «فتوح الغيب»: «من مجاز».

(٦) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٧٣ ـ ٧٤).

(٥٩) ـ ﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾.

﴿وَٱمْتَٰزُوا۟ ٱلْيَوْمَ أَيُّهَا ٱلْمُجْرِمُونَ﴾ وانفرِدُوا عن المؤمنينَ، وذلك حين يسارُ بهم إلى الجنَّةِ كقولِه: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَتَفَرَّقُونَ﴾ [الروم: ١٤].

وقيل: اعتزِلُوا مِن كلِّ خيرٍ، أو تفرَّقُوا في النَّارِ لكلٍّ بيتٌ[١] ينفردُ به لا يَرى ولا يُرى.

(٦٠ ـ ٦١) ـ ﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٠﴾ وَأَنِ ٱعْبُدُونِى هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾.

﴿أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ أَن لَّا تَعْبُدُوا۟ ٱلشَّيْطَٰنَ﴾ مِن جملةِ ما يُقالُ لهم تقريعًا وإلزامًا للحجةِ، وعهدُه إليهم: ما نصبَ لهم مِن الحججِ العقليَّةِ والسَّمعيةِ الآمرةِ بعِبادَتِه الزَّاجرَةِ عن عبادةِ غيرِه، وجَعلُها عبادةً للشيطانِ لأنَّه الآمرُ بها والمزيِّنُ لها.

وقُرِئَ: (إِعْهَد) بكسرِ حرفِ المُضارعةِ[٢] و: (أَحْهَد) بالحاء[٣]، و: (أَحَّد) على لغةِ تَميمٍ[٤].

﴿إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ﴾ تعليلٌ للمَنْعِ عن عبادَتِه بالطَّاعةِ فيما يحملُهُم عليه.

﴿وَأَنِ ٱعْبُدُونِى﴾ عطفٌ على ﴿أَن لَّا تَعْبُدُوا۟﴾ ﴿هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ﴾ إشارةٌ إلى ما عهدَ إليهم، أو إلى عِبادَتِه، فالجملَةُ استئنافٌ لبيانِ المُقتَضِي للعهدِ بشِقَّيْهِ أو

---

(١) في (خ): «لكل كافر بيتاً» وفي (ت) و(ض): «فإن لكل كافر بيتاً».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٦) عن يحيى بن وثاب.

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ٢٨٠).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٦)، وعزاها السمين في «الدر المصون» (٩/ ٢٨٠) لابن وثاب.

بالشِّقِّ الأخيرِ، والتَّنكيرُ للمُبالغَةِ والتَّعظيمِ، أو للتَّبعيضِ؛ فإنَّ التَّوحيدَ سلوكُ بعضِ الطَّريقِ المُستقيمِ.

قوله: «و(إعْهِد) على لغَةِ تَميمٍ»:

أي: بكسرِ الهاءِ مِن المضارعِ.

وقد جوَّزَ الزَّجَّاجُ أن يكونَ مِن بابِ ضَرَبَ يَضرِبُ أو حَسَبَ يَحسِبُ[1].

والذي نَسبَهُ في «الكشاف» لبني تميمٍ قراءَةَ (أحَّد) بالحاءِ المُشدَّدةِ على قلبِ الحرفينِ والإدغامِ[2]، فلعلَّ الناسِخَ هُنا حَرَّفَ[3].

(٦٢ ـ ٦٤) ـ ﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴿٦٢﴾ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٦٣﴾ ٱصْلَوْهَا ٱلْيَوْمَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴾.

﴿ وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنكُمْ جِبِلًّا كَثِيرًاۖ أَفَلَمْ تَكُونُواْ تَعْقِلُونَ ﴾ رجوعٌ إلى بيانِ مُعاداةِ الشَّيطانِ مَع ظُهورِ عداوَتِه ووضوحِ إضلالِه لِمَن لهُ أَدنَى عقلٍ ورَأيٍ، والجِبلُّ: الخَلْقُ.

وقرأَ يعقوبُ بضَمَّتينِ[4]، وابنُ كثيرٍ وحمزةُ والكِسائيُّ بهما مع تخفيفِ اللامِ، وابنُ عامرٍ وأبو عمرٍو بضمَّةٍ وسكونٍ مع التَّخفيفِ[5]، والكُلُّ لُغاتٌ.

وقرِئَ: (جِبَلًا) جمع جِبلَةٍ كخِلْقَةٍ وخِلَقٍ[6]، و(جيلاً) واحدُ الأجيالِ[7].

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٩٢).

(٢) انظر: «الكشاف» (٧/ ٢٨٠).

(٣) بل لعل التحريف في النسخ التي اعتمدها السيوطي رحمه الله، فالذي في النسخ التي اعتمدناها وأثبتناها مطابق لما في «الكشاف».

(٤) هي قراءة روح عن يعقوب. انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٥).

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٤).

(٦) انظر: «الكشاف» (٧/ ٢٨٢) دون نسبة، و«زاد المسير» (٣/ ٥٢٩) عن أبي العالية وابن يعمر.

(٧) نسبت لعلي رضي الله عنه في «تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٢٩٤)، و«الكشاف» (٧/ ٢٨٢)، ولبعض =

﴿ هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِي كُنتُمۡ تُوعَدُونَ ۝٦٣ ٱصۡلَوۡهَا ٱلۡيَوۡمَ بِمَا كُنتُمۡ تَكۡفُرُونَ ﴾: ذوقوا حرَّهَا اليومَ بكُفرِكُم في الدُّنيا.

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٦٥ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴾.

﴿ ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ ﴾: نمنعُها عن[1] الكلامِ ﴿وَتُكَلِّمُنَآ أَيۡدِيهِمۡ وَتَشۡهَدُ أَرۡجُلُهُم بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ﴾: بظهورِ آثارِ المَعاصِي عليْها ودلالتِها على أفعالِها، أو بإنطاقِ اللهِ إيَّاها، وفي الحديثِ: أَنَّهم يَجْحَدونَ ويُخاصِمونَ، فيُختمُ على أفواهِهم وتَكلَّمُ أيديهِمْ وأَرجلُهُم.

﴿ وَلَوۡ نَشَآءُ لَطَمَسۡنَا عَلَىٰٓ أَعۡيُنِهِمۡ ﴾: لَمَسحْنَا أعيُنَهُم حتَّى تصيرَ مَمسوحَةً.

﴿فَٱسۡتَبَقُواْ ٱلصِّرَٰطَ ﴾: فاستبقُوا إلى الطَّريقِ الذي اعتادوا سلوكَهُ، وانتصابُه بنَزعِ الخافضِ، أو بتضمينِ الاستباقِ مَعنى الابتدار، أو بجعلِ المسبوقِ إليه مسبوقًا على الاتِّساعِ، أو بالظَّرفِ.

﴿فَأَنَّىٰ يُبۡصِرُونَ ﴾ الطَّريقَ وجهةَ السُّلوكِ فَضْلًا عن غيرِه.

قوله: «وفي الحَديثِ: أَنَّهم يجحَدُونَ ويُخاصِمُونَ، فيُختَمُ على أفواهِهِم وتكلَّمُ أيديهِم وأَرجلُهُم».

رواهُ مُسلِمٌ مِن حَديثِ أنسٍ[2].

= الخراسانيين في «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦٠)، ولهما في «البحر» (١٨/ ١٣١).

(١) في (خ) و(ض): «من».

(٢) رواه مسلم (٢٩٦٩) بلفظ: «من مخاطبة العبد ربه يقول: يا ربِّ ألم تجرني من الظلم؟ قال: يقول: بلى، قال: فيقول: فإني لا أجيز على نفسي إلا شاهداً مني، قال: فيقول: كفى بنفسك اليوم عليك =

قوله: «وانتصابُهُ بنَزعِ الخافضِ»:

قال ابنُ هِشامٍ: وتَقديرُهُ: في الصِّراطِ، أو: إلى الصِّراطِ[١].

قوله: «أو بالظَّرفِ»:

قال الطِّيبِيُّ: على تَقديرِ: (في)، قال: وفيهِ إشكالٌ؛ لأنَّ حكمَ مؤقتِ المكانِ كحكمِ غيرِ الظَّرفِ[٢].

وقال أبو حيَّان: هذا لا يَجوزُ؛ لأنَّ الصِّراطَ هو الطَّريقُ، وهو ظرفُ مَكانٍ مُختصٌّ لا يَصِلُ إليه الفعلُ إلا بواسطَةٍ، إلا في شُذوذٍ كقولِهِ:

كَمَا عَسَلَ الطَّرِيقَ الثَّعْلَبُ[٣]

ومذهبُ ابنِ الطَّرَاوَةِ أنَّ الصِّراطَ والطَّريقَ وما أشبَهَهُما مِن الظُّروفِ المَكانيَّةِ ليسَتْ مُختصَّةً، فعلى مذهبِهِ يسوغُ ما قالَهُ الزَّمخشريُّ[٤].

(٦٧) ـ ﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ ﴾.

﴿ وَلَوْ نَشَآءُ لَمَسَخْنَٰهُمْ ﴾ بتغييرِ صُوَرِهِم وإبطالِ قُواهُم ﴿عَلَىٰ مَكَانَتِهِمْ ﴾:

= شهيداً، وبالكرام الكاتبين شهوداً، قال: فيختم على فيه فيقال لأركانه: انطقي، فتنطق بأعماله، قال: ثم يخلى بينه وبين الكلام، قال: فيقول: بعداً لكُنَّ وسحقاً، فعنكنَّ كنت أناضل».

(١) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٧٤٩ ـ ٧٥٠).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٨٠).

(٣) عجز بيت لساعدة بن جؤية، وصدره:

لَـدْنٌ بِهَـزِّ الكَـفِّ يَعْسِـلُ مَتْنُـهُ

انظر: «الكتاب» (١/ ٣٦)، و«شرح ديوان المتنبي» للمعري (ص: ١٢٣)، و«المخصص» (٤/ ٢٤٦).

(٤) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ١٣٣).

على مكانهم بحيثُ يجمدونَ[١] فيه. وقرأ أبو بكرٍ: ﴿مكانَاتِهِم﴾[٢].

﴿فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مُضِيًّا﴾: ذَهابًا ﴿وَلَا يَرْجِعُونَ﴾: ولا رجوعًا، فوُضعَ الفعلُ مَوضِعَهُ للفواصلِ.

وقيل: ولا يرجعونَ عن تكذيبِهِم.

وقُرِئَ: (مِضِيًّا) بإتباعِ الميمِ الضَّادَ المكسورةَ لقلبِ الواوِ ياءً[٣]؛ كالعُتِيِّ والعِتِيِّ.

و: (مَضِيًّا) كصَبِيٍّ[٤].

والمعنى: أنَّهُم بكُفرِهِم ونقضِهِم ما عُهِدَ إليهم أحقَّاءُ بأنْ يُفعلَ بهم ذلك، لكنَّا لم نفعَلْ لشُمولِ الرَّحمةِ لَهُم واقتضاءِ الحكمَةِ إمهالَهُم.

(٦٨) - ﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ نُنَكِّسْهُ فِى ٱلْخَلْقِ ۖ أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَمَن نُّعَمِّرْهُ﴾: ومَن نُطِلْ عُـمرَهُ ﴿نَنْكُسْهُ فـي الخَلْق﴾ نَقلِبْهُ فيه، فلا يزالُ يتزايَدُ ضعفُهُ وانتقاصُ بِنيتِهِ وقواه عكسَ ما كانَ عليه بدءُ أمرِه.

وقرأَ عاصمٌ وحمزَةُ: ﴿نُنَكِّسْهُ﴾[٥] مِن التَّنكيسِ وهو أبلَغُ، والنَّكْسُ أشهَرُ.

﴿أَفَلَا يَعْقِلُونَ﴾ أنَّ مَن قَدَرَ على ذلك قَدَرَ على الطَّمسِ والمَسخِ، فإنَّه مُشتَمِلٌ عليهِما وزيادةٌ غيرَ أنَّه على تَدرُّجٍ.

---

(١) في (خ): «يخمدون».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٢ ـ ٥٤٣)، و«التيسير» (ص: ١٨٥).

(٣) ذكرها الهذلي في «الكامل» (ص: ٦٢٦) عن الثغري في قول الرّازي.

(٤) وهي قراءة أبي حيوة، انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦١).

(٥) وقراءة الباقين بفتح النون الأولى وإسكان الثانية، وضم الكاف مخفّفة. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٣)، و«التيسير» (ص: ١٨٥).

وقرأ نافعٌ وابنُ عامرٍ برواية ابن ذكوان ويعقوبُ بالتَّاءِ[١]؛ لجريِ الخطابِ قبلَه.

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ ۚ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْءَانٌ مُّبِينٌ ﴿٦٩﴾ لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيًّا وَيَحِقَّ ٱلْقَوْلُ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿وَمَا عَلَّمْنَٰهُ ٱلشِّعْرَ﴾ ردٌّ لقولِهم: إنَّ مُحمَّدًا شاعرٌ؛ أي: ما علَّمْناهُ الشِّعرَ بتَعليمِ القُرآنِ فإنَّه لا يماثلُه لفظاً ولا معنًى لأنه غيرُ مُقفًّى ولا مَوزونٍ، وليسَ معناه ما يَتوخَّاهُ الشُّعَراءُ مِن التَّخييلاتِ المُرغِّبَةِ والمُنفِّرَةِ ونحوِها[٢].

﴿وَمَا يَنۢبَغِى لَهُۥٓ﴾: وما يَصِحُّ له الشِّعرُ ولا يَتأتَّى له إن أرادَ قرضَهُ على ما اختبَرْتُم طبعَه نحوًا مِن أَربعينَ سَنةً، وقولُه عليه السَّلامُ:

أَنَـا النَّبِـيُّ لَا كَـذِبْ أَنَا ابْـنُ عَبْـدِ المُطَّلِـبْ

وقولُه:

هَـلْ أَنْـتِ إِلَّا إِصْبَـعٌ دَمِيتِ وَفِـي سَـبِيلِ اللهِ مَـا لَقِيـتِ

= اتفاقيٌّ مِن غيرِ تكلُّفٍ وقصدٍ منه إلى ذلك، وقد يقَعُ مثلُه كثيرًا في تَضاعيفِ المنثوراتِ، على أنَّ الخليلَ ما عدَّ المشطورَ مِن الرَّجَزِ شِعرًا[٣].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٥٦) عن نافع، و«التيسير» (ص: ١٨٥) عن نافع وابن ذكوان، وقراءة يعقوب في «النشر» (٢/ ٢٥٧)، وذكر ابن الجزري اختلافاً عن ابن عامر ينظر ثمة.

(٢) في (ت) و(ض): «من التخييلات المرغبة والمنفرة ونحوها».

(٣) انظر: «العين» (٦/ ٦٤ ـ ٦٥).

هذا وقَدْ رُوِيَ أنَّه عليه السلام حَرَّكَ الباءينِ[١] وكسَرَ التَّاءَ الأولى بلا إشباعٍ وسَكَّنَ الثَّانيةَ[٢].

وقيل: الضَّميرُ للقُرآنِ؛ أي: وما يَصِحُّ للقُرآنِ أَنْ يكونَ شِعرًا ﴿إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرٞ﴾ عِظَةٌ وإرشادٌ مِن اللهِ ﴿وَقُرۡءَانٞ مُّبِينٞ﴾: وكتابٌ سَماوِيٌّ يُتلى في المعابِدِ ظاهرٌ[٣] أنَّه ليسَ كلامَ البشرِ؛ لِمَا فيهِ مِن الإعجازِ.

﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا﴾ القرآنُ أو الرَّسولُ، ويؤيِّدُه قراءةُ نافعٍ وابنِ عامرٍ ويعقوبَ بالتَّاءِ[٤].

﴿مَن كَانَ حَيّٗا﴾: عاقلاً فَهِماً، فإنَّ الغافلَ كالميتِ، أو: مؤمناً في علمِ اللهِ فإنَّ الحياةَ الأبدية بالإيمانِ، وتخصيصُ الإنذارِ به لأنه المنتفِع به.

﴿وَيَحِقَّ ٱلۡقَوۡلُ﴾ وتجبَ كلمةُ العذابِ ﴿عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ المُصِرِّينَ على الكفرِ، وجَعلُهُم في مقابلةِ ﴿مَن كَانَ حَيّٗا﴾ إشعارٌ بأنَّهُم لكفرِهم ولسقوطِ حُجَّتِهم وعدمِ تَأمُّلِهم أمواتٌ في الحقيقَةِ.

قوله:

«أَنَــا النَّبِــيُّ لَا كَــذِبْ   أَنَـا ابْـنُ عَبْـدِ المُطَّلِـبْ»

---

(١) أي من قوله: «أنا النبي لا كذب.. إلخ».

(٢) أي من قوله: «هل أنت إلا إصبع... إلخ».

(٣) في (ت) زيادة: «على».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٤)، و«التيسير» (ص: ١٨٥)، و«النشر» (٢/ ٣٧٢)، و«المبسوط» لابن مهران (ص: ٣٧٢)، وهي قراءة أبي جعفر أيضاً.

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حديثِ البَراءِ بنِ عازِبٍ(١).

قوله:

«هَلْ أَنْتِ إِلَّا إِصْبَعٌ دَمِيتِ وَفِي سَبِيلِ اللهِ مَا لَقِيتِ»

أخرجَهُ الشَّيخانِ مِن حَديثِ جُندبِ بنِ سُفيان(٢).

قوله: «**المشطُورُ مِن الرَّجَزِ**»: هو الذي أُخِذَ شَطرُه(٣).

(٧١ ـ ٧٣) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ ﴿٧١﴾ وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ ﴿٧٢﴾ وَلَهُمْ فِيهَا مَنَافِعُ وَمَشَارِبُ أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا﴾: ممَّا تولَّيْنا إحداثَهُ ولم يَقدِرْ على إحداثِه غيرُنا، وذكرُ الأيدي وإسنادُ العملِ إليها استعارةٌ تفيدُ مُبالغَةً في الاختصاصِ والتَّفرُّدِ بالإحداثِ.

﴿أَنْعَامًا﴾ خصَّها بالذِّكرِ لِمَا فيها مِن بَدائعِ الفِطرةِ وكَثرةِ المنافعِ.

﴿فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾ متملِّكُونَ بتَمليكِنا إيَّاهُم، أو متمكِّنونَ مِن ضَبطِها والتَّصرُّفِ فيها بتَسخيرِنا إيَّاها لهم، قال:

أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا أَمْلِكُ رَأْسَ البَعِيرِ إِنْ نَفَرَا

﴿وَذَلَّلْنَاهَا لَهُمْ﴾: وصَيَّرْناها مُنقادةً لهم ﴿فَمِنْهَا رَكُوبُهُمْ﴾: مَركوبُهم.

---

(١) رواه البخاري (٢٨٦٤)، ومسلم (١٧٧٦).

(٢) رواه البخاري (٦١٤٦)، ومسلم (١٧٩٦).

(٣) بياض هنا في (س). وانظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٨٨) وعنه نقل المصنف.

وقُرِئَ: (رَكُوبَتُهُم)[1]، وهي بمعناهُ كالحَلُوبِ والحَلُوبَةِ، وقيل: جمعُه، و: (رُكُوبهم)[2]؛ أي: ذو رُكوبِهم، أو فمِن مَنافعِها[3] ركوبُهم.

﴿وَمِنْهَا يَأْكُلُونَ﴾؛ أي: ما يأكلونَ لحمَهُ.

﴿وَلَهُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ﴾ مِن الجلودِ والأَصوافِ والأوبارِ ﴿وَمَشَارِبُ﴾ مِن اللبنِ: جمعُ مشرَبٍ بمعنى الموضعِ أو المصدَرِ.

﴿أَفَلَا يَشْكُرُونَ﴾ نعمَ اللهِ في ذلك؛ إذ لولا خلقُهُ لها وتذليلُه إيَّاها كيفَ أمكنَ التَّوسُّلُ إلى تحصيلِ هذه المنافعِ المهمَّةِ.

قوله: «وذكرُ الأَيدِي وإسنادُ العَمَلِ إليها استِعارَةٌ»:

قال الطِّيبيُّ: يعني: استُعيرَ عَمَلُ الأيدِي مِن مكانٍ يُستعمَلُ فيه هذا اللفظُ حقيقَةً وهو الإنسانُ لِمَن لا يُستعمَلُ فيه عمَلُ الأيدي إلَّا مَجازًا وهو الله سُبحانَه وتَعالى.

ونحوُه استِعمالُ الطَّلعِ في قولِه: ﴿طَلْعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ [الصافات: ٦٥] فيما لا طلعَ لَهُ مِن الشَّجرِ، واستِعمالُ المِرْسنِ في أنفٍ لا رسنَ له[4].

قوله:

«أَصْبَحْتُ لَا أَحْمِلُ السِّلَاحَ وَلَا أَمْلِكُ رَأْسَ البَعِيرِ إِنْ نَفَرَا»[5]

---

(١) وهي قراءة عائشة وأبي بن كعب رضي الله عنهما، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٦).

(٢) وهي قراءة الحسن والأعمش، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٦)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٦).

(٣) في (خ): «فمنافعها».

(٤) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٩٠).

(٥) البيت للربيع بن ضبع الفزاري كما في «الكتاب» (١/ ٨٩)، و«النوادر» لأبي زيد (ص: ٤٤٩)، =

وبعدَهُ:

وَالذِّئْبَ أَخْشَاهُ إِنْ مَرَرْتُ بِهِ ... وَحْدِي وَأَخْشَى الرِّيَاحَ وَالمَطَرَا

(٧٤ ـ ٧٦) ـ ﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ جُندٌ مُّحْضَرُونَ ﴿٧٥﴾ فَلَا يَحْزُنكَ قَوْلُهُمْ إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾.

﴿وَٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ ءَالِهَةً﴾ أشركُوها به في العِبادةِ بعدَما رأَوْا منه تلك القُدرةَ الباهرةَ والنِّعمَ المتظاهرةَ وعَلِمُوا أنَّه المُتفرِّدُ بها.

﴿لَّعَلَّهُمْ يُنصَرُونَ﴾: رجاءَ أَنْ يَنصرُوهُم فيما حَزَبَهُم مِن الأُمورِ، والأمرُ بالعكسِ؛ لأنَّه ﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ نَصْرَهُمْ وَهُمْ لَهُمْ﴾: لآلهتِهِم ﴿جُندٌ مُّحْضَرُونَ﴾: مُعَدُّونَ لحفظِهِم والذبِّ عنهم، أو مُحضرونَ إثرَهُم في النَّارِ.

﴿فَلَا يَحْزُنكَ﴾: فلا يُهمنَّكَ، وقرئَ بضمِّ الياءِ[1] مِن أحزَنَ.

﴿قَوْلُهُمْ﴾ في اللهِ بالإلحادِ والشِّركِ، أو: فيك بالتَّكذيبِ والتَّهجينِ.

﴿إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ﴾ فنُجازيهِمْ عليه، وكفى ذلك أن يتسلَّى به، وهو تَعليلٌ للنَّهيِ على الاستئنافِ، ولذلك لو قُرِئَ: (أَنَّا) بالفتحِ[2] على حذفِ لامِ التَّعليلِ جازَ.

= و«الحماسة» للبحتري (ص: ٣٩٩)، و«أمالي القالي» (٢/ ١٨٥)، و«جمهرة الأمثال» للعسكري (١/ ٢٣٧)، ودون نسبة في «الجمل» للخليل (ص: ١٣٣)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٨٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٩٥)، و«مجمع الأمثال» للميداني (٢/ ١٧٩).

(١) وهي قراءة نافع، انظر: «التيسير» (ص: ٩١).

(٢) يشير إلى ما في «الكشاف» (٧/ ٢٩١): ما تقول فيمن يقول: إن قرأ قارئ: (أنا نعلم) بالفتح انتقضت صلاته وإن اعتقد ما يعطيه من المعنى كفر؟ فأجاب الزمخشري عنه من وجهين أحدهما ما ذكره المصنف، والثاني أن يكون بدلاً من ﴿قَوْلُهُمْ﴾ كأنه قيل: فلا يحزنك أنا نعلم ما يسرون وما يعلنون، وهذا المعنى قائم مع المكسورة إذا جعلتها مفعولة للقول اهـ.

(٧٧ ـ ٧٨) ـ ﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ﴿٧٧﴾ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾.

﴿أَوَلَمْ يَرَ الْإِنسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ تسليةٌ ثانيةٌ بتهوينِ ما يقولونَه بالنسبةِ إلى إنكارِهم الحشرَ، وفيه تقبيحٌ بليغٌ لإنكارِه حيثُ عجَّبَ منه وجعلَهُ إفراطًا في الخُصومةِ بيِّنًا، ومنافاةٌ لجحودِ[1] القدرةِ على ما هو أهوَنُ ممَّا علمهُ[2] في بدءِ خلقِه، ومقابلة[3] النِّعمةِ التي لا مزيدَ عليها ـ وهي خلقُهُ مِن أخسِّ شَيءٍ وأمهنِه شريفًا مُكرمًا ـ بالعقوقِ والتَّكذيبِ.

رُوِيَ أنَّ أبيَّ بنَ خَلَفٍ أتى النَّبيَّ ﷺ بعَظمٍ بالٍ يُفتِّته بيدِه، وقال: أترى اللهَ يُحيي هذا بعدَما رَمَّ؟ فقال عليه السَّلامُ: «نعم ويبعَثُكَ ويُدخِلُكَ النَّارَ» فنزلَت.

وقيل: معنى ﴿فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾: فإذا هو بعدَما كانَ ماءً مهينًا مميِّزٌ مِنْطيقٌ قادرٌ على الخِصامِ مُعْرِبٌ عمَّا في نفسِه.

﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا﴾: أمرًا عجيبًا، وهو نفيُ القُدرةِ على إحياءِ الموتى وتشبيهُهُ بخَلقِه بوَصفِهِ بالعجزِ عمَّا عَجَزوا عنه ﴿وَنَسِيَ خَلْقَهُ﴾: خَلْقَنَا إيَّاه.

---

(١) في (ض): «ومعاجاة لجحود» وفي الهامش: «في نسخة: ومنافاة». قال الشهاب في «الحاشية» (٧/ ٢٥٣): قوله: «ومنافاة...» هو إمّا مرفوع معطوف على «تقبيح» كما ذهب إليه بعضهم، فالمعنى: في بيان ما ذكر منافاةُ كلام الكافر لأجل جحوده القدرة على أهون الأمرين، فإنّ تسليم القدرة الإلهية مناف للخصومة المذكورة، وإمّا منصوب بالعطف على إفراطاً كما قيل، فما بعده تعليل له أو للتعجيب والجعل، والأول أحسن لأنه تعالى لم يذكر تلك المنافاة لا صريحاً ولا ضمناً حتى يقال: جعله منافاة، وإن كان ما فيه بمنزلة الجعل.

(٢) في (أ) و(خ): «عمله». والمثبت من باقي النسخ، وهو أولى عند الشهاب حيث قال: قوله: «مما علمه»؛ أي: الإنسان إشارة إلى أنّ (رأى) علمية، وفي نسخة: «عمله» بتقديم الميم، والأولى أولى.

(٣) قوله: «ومقابلة النعمة» يجوز رفعه ونصبه كما في قوله «منافاة». انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٢٥٤).

﴿قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ مُنكِرًا إيَّاه مستبعدًا له، والرَّميمُ: ما بَلِيَ مِن العِظامِ، ولعلَّهُ فَعيلٌ بمعنى فاعلٍ مِن (رَمَّ الشَّيءُ) صارَ اسمًا بالغلبةِ، ولذلك لم يُؤَنَّث، أو بمَعنى مفعولٍ مِن (رَمَمْتُه)، وفيه دليلٌ على أنَّ العظمَ ذو حياةٍ فيؤثِّرُ فيه الموتُ كسائرِ الأعضاءِ.

قوله: «تَسْلِيَةٌ ثانيَةٌ بتَهوينِ ما يَقولونَه بالنِّسبَةِ إلى إنكارِهِم الحشرَ»:

قال الطِّيبِيُّ: يريدُ أنَّ قولَه: ﴿أَوَلَمۡ يَرَ ٱلۡإِنسَٰنُ﴾ معطوفٌ على قولِه: ﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا خَلَقۡنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتۡ أَيۡدِينَآ﴾، وأسلوبُها أسلوبُها في التَّعكيسِ، يعني: أنَّا كمَا تولَّيْنا إحداثَ النِّعمِ ليَكونَ ذَريعَةً إلى أَنْ يَشكرُوها فجَعلوهَا وسيلةً إلى الكُفرانِ، كذلك خَلَقناهُم مِن أَخَسِّ[1] الأَشياءِ وأَمْهَنِها ليَخضَعُوا ويَتذلَّلُوا فإذا هو خَصيمٌ مُبينٌ[2].

قوله: «رُوِيَ أنَّ أبيَّ بنَ خلفٍ أتى النَّبيَّ ﷺ بعظمٍ بالٍ..» إلى آخره:

أخرجَه البيهقيُّ في «شعب الإيمان» عن أبي مالكٍ هكذا[3]، وأخرجَهُ الحاكِمُ مِن حديثِ ابن عبَّاسٍ أنَّ العاصَ بنَ وائلٍ... فذكرَه[4].

قال الطِّيبِيُّ: قولُه: «نَعَمْ ويَبعَثُكَ ويُدخِلُكَ النَّارَ»، قيل: هو مِن الأسلوبِ الحَكيمِ؛ أي: إحياؤُه ممَّا لا كلامَ فيه، فاسأل عن حالِكَ كيفَ تصيرُ إلى جهنَّم.

وقيل: ليسَ منه، بَلْ أجابَ وزادَ في الجوابِ بالبعثِ والعِقابِ.

---

(١) في النسخ: «أحسن» وهو خطأ واضح، والتصويب من «فتوح الغيب».

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٩٥).

(٣) رواه البيهقي في «البعث والنشور» (١٦)، ورواه أيضاً سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٨٠٢) (٧/ ١٤٠).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٣٦٠٦)، وصححه.

قال: فيقال: الأُسلوبُ الحَكيمُ هو تَلَقِّي المُخاطَبِ بغيرِ ما يَترقَّبُ، أو السَّائلِ بغيرِ ما يَتطلَّبُ، فقولُه صَلواتُ اللهُ عليهِ: «ويبعثُكَ ويُدخِلُكَ جهنَّمَ» هو الجوابُ المُفحِمُ.

وقوله: «نعم» تَوطِئَةٌ للجَوابِ، والسَّائِلُ لم يَترقَّب ذلك، على أنَّ سُؤالَهُ لم يَكُن سُؤالَ مُستَرشِدٍ طالبٍ للحَقِّ بَلْ سُؤالُ مُتعَنِّتٍ مُنكِرٍ لم يقنَع بـ(نعم)[1].

(٧٩ ـ ٨٠) ـ ﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾.

﴿قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ فإنَّ قُدْرتَه كما كانَت؛ لامتناعِ التَّغيُّرِ فيه والمادةُ على حالها في القابليَّةِ اللازمةِ لذاتِها[2].

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ يعلَمُ تَفاصيلَ المخلوقاتِ بعلمِه[3]، وكيفيَّةَ خلقِها، فيعلَمُ أجزاءَ الأشخاصِ المُتفتِّتَةِ المُتبدِّدِ[4] أصولَها وفُصولَها ومواقِعُها، وطريقَ تَمييزِها وضمِّ بَعضِهَا إلى بعضٍ على النَّمطِ السَّابقِ، وإعادةَ الأعراضِ والقوى التي كانَتْ فيها أو إحداثَ مِثلِهَا.

﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ﴾ كالمَرْخِ والعَفَارِ ﴿نَارًا﴾ بأَنْ يُسحَقَ المَرْخُ على العَفَارِ ـ وهما خَضراوانِ يقطرُ مِنهُما الماءُ ـ فتَنْقَدِحُ النَّارُ ﴿فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ﴾

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٩٧).

(٢) قوله: «كما كانت..» خبر (إنَّ) و«لامتناع التغير» تعليلٌ لذلك، وما بعده جملة حالية. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٥٦٦).

(٣) «بعلمه»: ليس في (ت) و(ض).

(٤) في (ت) و(أ): «المتبددة»، وفي (خ): «المتبدل».

لا تشكُّونَ في أنَّها نارٌ تخرجُ[١] منه، فمَن قَدَرَ على إحداثِ النَّارِ مِن الشَّجرِ الأخضرِ[٢] مع ما فيه مِن المائيَّةِ المضادَّةِ لها بكيفيَّته = كانَ أقدرَ على إعادةِ الغضاضةِ فيما كان غَضًّا فيبسَ وبَلِيَ.

وقُرِئَ: (مِن الشَّجرِ الخضراءِ)[٣] على المعنى كقولِه: ﴿فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ [الصافات: ٦٦].

قوله: «كالمَرْخِ»: بفتحِ الميمِ وسُكونِ الرَّاءِ والخاءِ المُعجمةِ.

قوله: «والعَفَارُ» بفتحِ العينِ المُهملَةِ والفاءِ وراءٍ.

(٨١ ـ ٨٢) ـ ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾.

﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ﴾ مع كِبَرِ جِرْمِهما وعظمِ شَأنِهما ﴿بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم﴾ في الصِّغَرِ والحقارةِ بالإضافةِ إليهما، أو مثلَهم في أصولِ الذَّاتِ[٤] وصِفاتِها؟ وهو المعادُ، وعَن يعقوبَ: ﴿يَقْدِرُ﴾[٥].

﴿بَلَىٰ﴾ جوابٌ مِن اللهِ لتَقريرِ ما بعدَ النَّفيِ مشعرٌ بأنَّه لا جوابَ سِواهُ ﴿وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ﴾: كثيرُ المَخلوقاتِ والمَعلوماتِ.

---

(١) في (ت): «تخرج خرجت»، وفي (ض): «خرجت».

(٢) في (ض): «من شجر خضراء».

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ٢٩٥)، و«البحر» (١٨/ ١٤٤)، وذكرها النحاس في «إعراب القرآن» (٣/ ٢٧٥)، لغة عن بعض العرب.

(٤) في (ض): «الذوات».

(٥) وهي قراءة رويس عن يعقوب، انظر: «النشر» (٢/ ٣٥٥)، و«المبسوط» لابن مهران (ص: ٣٧٣).

﴿إِنَّمَآ أَمۡرُهُۥٓ﴾: إنَّما شأنُه ﴿إِذَآ أَرَادَ شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن﴾؛ أي: تكوَّنْ ﴿فَيَكُونُ﴾ فهو يكون؛ أي: يحدثُ، وهو تمثيلٌ لتأثيرِ قُدرَتِه في مرادِه بأَمرِ المطاعِ للمُطيعِ في حصولِ المأمورِ مِن غيرِ امتناعٍ وتوقُّفٍ وافتقارٍ إلى مُزاولَةِ عملٍ واستعمالِ آلَةٍ؛ قطعًا لمادَّةِ الشُّبهَةِ، وهو[1] قياسُ قُدرَةِ اللهِ تَعالى على قدرةِ الخلقِ.

ونصَبَهُ ابنُ عامرٍ والكِسائيُّ[2] عطفًا على ﴿يَقُولَ﴾.

(٨٣) ـ ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾.

﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ تنزيهٌ له عمَّا ضَرَبُوا له، وتَعجيبٌ مما قالوا[3] فيه مُعلِّلًا بكونِه مالكًا للمُلكِ كلِّهِ قادرًا على كلِّ شيءٍ.

﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ وعدٌ ووعيدٌ للمُقرِّينَ والمنكرينَ.

وقرأ يعقوبُ بفتحِ التَّاءِ[4].

وعن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عنه: كنتُ لا أعلَمُ ما رُوِيَ في فضلِ ﴿يسٓ﴾ كيفَ خُصَّتْ به فإذا إنَّه لهذهِ الآيَةِ[5].

وعنه عليهِ السَّلامُ: «إنَّ لُكلِّ شيءٍ قلبًا، وقلبُ القرآنِ ﴿يسٓ﴾، مَن قرأَها يريدُ بها وجهَ الله غفرَ اللهُ له وأُعطِيَ مِن الأجرِ كأَنما قرأَ القُرآنَ اثنتينِ وعشرينَ مَرَّةً، وأيُّما مُسلمٍ قُرِئَ عندَهُ إذا نزلَ به ملكُ الموتِ (يس) نزلَ بكلِّ حرفٍ منها عشرةُ أَملاكٍ

---

(١) في (خ): «وهي».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٢ـ ٣٧٣)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

(٣) في (خ): «قالوه».

(٤) انظر: «النشر» (٢/ ٢٠٨)، و«المبسوط» لابن مهران (ص: ٣١٥).

(٥) ذكره الزمخشري في «الكشاف» (٧/ ٢٩٨).

يقومونَ بين يديهِ صُفوفًا يصلُّونَ عليه ويستغفرونَ له، ويشهَدونَ غَسْلَه، ويَتْبعونَ جنازتَهُ، ويصلُّونَ عليه، ويشهدونَ دفنَهُ، وأيُّما مُسلمٍ قرأَ (يس) وهو في سَكراتِ الموتِ لم يَقبضْ ملكُ الموتِ روحَهُ حتى يجيئَه رضوانُ بشربةٍ مِن الجنَّةِ يشرَبُها وهو على فراشِهِ، فيقبضُ روحَهُ وهو ريَّانُ، ويمكثُ في قبرِهِ وهو ريَّانُ، ولا يحتاجُ إلى حوضٍ مِن حياضِ الأنبياءِ حتَّى يدخلَ الجنَّةَ وهو ريَّانُ».

قوله: «وعَن ابنِ عبَّاسٍ: كنتُ لا أعلَمُ ما رُوِيَ في فَضلِ يس كيفَ خُصَّتْ به، فإذا إنَّه لهذهِ الآيَةِ»:

لَمْ أَقِفْ عليه.

قوله: «إنَّ لكلِّ شَيءٍ قلبًا وقلبُ القرآنِ يس، مَن قرأَهَا يريدُ بهَا وَجهَ اللهِ غُفِرَ لَه..» الحديثَ بطولِه:

قال الشَّيخُ وَلِيُّ الدِّينِ: رواهُ الثَّعلبيُّ وابنُ مردويه مِن حَديثِ أُبَيِّ بنِ كَعبٍ[1]، وهوَ مَوضوعٌ.

ورَوَى التِّرمِذِيُّ الجُملةَ الأُولى منهُ مِن حديثِ أَنسٍ[2].

قال الغَزاليُّ: إنَّما كانَتْ قلبَ القُرآنِ لأنَّ الإيمانَ صِحَّتُه الاعترافُ بالحَشرِ والنَّشرِ، وهذا المَعنى مُقرَّرٌ فيها بأبلَغِ وجهٍ[3].

***

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٢٣٩)، والقضاعي في «مسند الشهاب» (١٠٣٦).

(٢) روى التِّرمذيّ (٢٨٨٧) الجملة الأولى منه عن هارون أبي محمد عن مقاتل بن حَيَّان عن قَتادَة عن أنس، وقال: غريب، وهارون أبو محمد شيخ مجهول.

(٣) انظر: «التفسير الكبير» للرازي (٢٦/ ٣١١)، وقد تكلم الغزالي في «جواهر القرآن» (٧٩) عن هذه المسألة، ووكل استخراج معنى ذلك إلى فهم الطالب ليستنبطه على قياس ما نبه إلى أمثاله.

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

سُورَةُ الصَّافَّاتِ

مَكِّيَّةٌ، وآيُها إحدَى أو اثنتانِ وثمانونَ.

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾.

﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ۝١ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجۡرًا ۝٢ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكۡرًا﴾ أقسمَ بالمَلائكةِ الصَّافِّينَ في مقامِ العُبوديَّةِ على مراتِبَ باعتبارِها تُفيضُ عليهِم الأنوارَ الإلهيَّةَ مُنتظِرينَ لأمرِ اللهِ. الزَّاجرينَ الأجرامَ العلويَّةَ والسُّفليَّةَ بالتَّدبيرِ المأمورِ فيها، أو النَّاسَ عن المعاصي بإلهامِ الخيرِ، أو الشَّياطينَ عن التَّعرُّضِ لهم. التَّالينَ آياتِ اللهِ وجَلايَا قُدسِهِ على أنبيائِهِ وأَوْليائه.

أو بطوائفِ الأجرامِ المُترتِّبَةِ كالصُّفوفِ المَرصوصةِ، والأرواحِ المدبِّرةِ لها، والجواهرِ القدسيَّةِ المستغرقةِ في بحارِ القدسِ يسبحونَ الليلَ والنَّهارَ لا يفترونَ.

أو بنفوسِ العُلماءِ الصَّافِّينَ في العباداتِ، الزَّاجرينَ عن الكفرِ والفُسوقِ بالحُجَجِ والنَّصائحِ، التَّالينَ آياتِ اللهِ وشرائعَه.

أو بنفوسِ الغزاةِ الصَّافِّينَ في الجهادِ، الزَّاجرينَ الخيلَ أو العدوَّ، التَّالينَ ذِكرَ اللهِ لا يَشغَلُهُم عنه مباراةُ العدوِّ.

والعطفُ لاختلافِ الذَّواتِ أو الصِّفاتِ[١]، والفاءُ لترتُّبِ الوجودِ كقولِه:

يَا لَهْفَ زَيَّابَةَ للحَارِثِ الصْـ ـصَابِحِ فَالغَانِمِ فالآيِبِ[٢]

فإنَّ الصفَّ كَمالٌ، والزَّجرَ تَكميلٌ بالمنعِ عن الشرِّ أو الإساقةِ إلى قبولِ الخيرِ، والتِّلاوةَ إفاضَتُه.

أو الرُّتبةِ[٣] كقولِه عليه السَّلامُ: «رَحِمَ اللهُ المُحَلِّقِينَ فالمُقَصِّرِينَ»، غيرَ أنَّه لفَضلِ المتقدِّمِ على المتأخِّرِ وهذا للعكسِ.

وأدغمَ أبو عمرٍو وحمزةُ التَّاءاتِ فيما يليها لتقارُبِها، فإنَّها مِن طرفِ اللسانِ وأُصولِ الثَّنايَا[٤].

قوله: «لقولِه عليهِ السَّلامُ: رَحِمَ اللهُ المُحلِّقينَ فالمُقصِّرينَ»[٥].

---

(١) في (ت): «والصفات».

(٢) البيت لابن زيابة التيمي، وهو في «الحماسة» بشرح المرزوقي (ص: ١٠٩). اللهف: كلمة استغاثة يُتحسر بها على ما فات، وزيابة بفتح الزَّاي المُعْجَمة وتشديد المُثنَّاة التَّحتيَّة وبعد الألف باء مُوَحَّدة: اسم أم الشَّاعِر. والحارث هو ابن همام الشيباني، وكان غزاهم وصبحهم وغنم منهم، وآب إلى قومه سالماً، واللَّام في (للحارث) للتعليل؛ أي: يا لهف أُمِّي من أجل الحارِث. قاله البغدادي في «خزانة الأدب» (٥/ ١١٠).

(٣) قوله: «أو الرتبة» عطف على «الوجود».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٦)، و«التيسير» (ص: ٢٢ ـ ٢٦)، و(ص: ١٨٥ ـ ١٨٦).

(٥) كذا في النسخ دون تعليق أو تخريج، وقد قال الشيخ زكريا الأنصاري في «الحاشية» (٤/ ٥٧٠) ـ وهو ممن ينقل عن السيوطي ـ: لم أره بهذا اللفظ. وقال المناوي في «الفتح السماوي» (٣/ ٩٥٤): لم أقف عليه.

قلت: أصله في الصحيحين دون الشاهد، فقد رواه البخاري (١٧٢٧)، ومسلم (١٣٠١)، من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «اللهم ارحم المحلقين»، قالوا: والمقصرين =

(٤ ـ ٥) ـ ﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ ۝٤ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾.

﴿إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَاحِدٌ﴾ جوابُ القَسَمِ، والفائدةُ فيه: تعظيمُ المقسَمِ به وتأكيدُ المقسَمِ عليه على ما هو المألوفُ في كلامِهم، وأمَّا تَحقيقُه فبقولِه:

﴿رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ ٱلْمَشَٰرِقِ﴾ فإنَّ وُجودَها وانتظامَها على الوجهِ الأكمَلِ مع إمكانِ غيرِه دليلٌ على وُجودِ الصَّانعِ الحكيمِ ووحدتِه على ما مرَّ غيرَ مرَّةٍ، و﴿رَّبُّ﴾ بدلٌ مِن (واحدٌ) أو خبرٌ ثانٍ، أو خبرُ مَحذوفٍ، وما بينَهُما يتناوَلُ أفعالَ العِبادِ فيدلُّ على أنَّها مِن خَلقِه.

و﴿ٱلْمَشَٰرِقِ﴾: مَشارِقُ الكواكبِ، أو مَشارِقُ الشَّمسِ في السَّنَةِ، وهي ثلاثُ مئةٍ وسِتُّونَ مَشرِقًا، تشرقُ كلَّ يومٍ في واحدٍ، وبحسبِهَا تَختَلِفُ المغارِبُ، ولذلك اكتفَى بذكرِهَا، مع أنَّ الشُّروقَ أدَلُّ على القُدرَةِ وأبلَغُ في النِّعمَةِ، وما قيلَ: إنَّها مئةٌ وثمانونَ إنَّما يَصِحُّ لو لم تختَلِفْ أوقاتُ الانتقالِ.

(٦ ـ ٧) ـ ﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ۝٦ وَحِفْظًا مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾.

﴿إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا﴾: القُرْبَى مِنكُم ﴿بزينَةِ الكَواكِبِ﴾: بزينةٍ هي الكواكبُ والإضافَةُ للبَيانِ، ويعضُدُه قراءةُ حمزةَ ويعقوبَ وحفصٍ بتنوينِ: ﴿زينةٍ﴾ وجرِّ ﴿ٱلْكَوَاكِبِ﴾ على إبدالِها منه[1].

= يا رسول الله، قال: «اللهم ارحم المحلقين»، قالوا: والمقصرين يا رسول الله، قال: «والمقصرين».

وقال الطيبي في «فتوح الغيب» (١٣/ ١١٣) في شرح الشاهد: أي: المحلق أقرب من المقصر، والفاء لدنو رتبة المقصر من المحلق.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٦ ـ ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦)، و«النشر» (٢/ ٣٥٦)، و«المبسوط» (ص: ٣٧٥)، وقرأ عاصم في رواية أبي بكر ﴿بزينةٍ﴾ منونةً ﴿الكواكبَ﴾ نصباً، ولم أقف على قراءة يعقوب التي ذكرها المصنف، وفي «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٢٧٨): وحكى يعقوب القارئ =

أو: بزينةٍ هي لها كأضوائِها وأوضاعِها.

أو: بأنْ زينَّا الكواكبَ فيها، على إضافةِ المصدرِ إلى المفعولِ فإنَّها كما جاءَت اسمًا[1] كاللِّيقةِ جاءَتْ مصدرًا كالنِّسبَةِ، ويؤيِّدُه قراءةُ أبي بكرٍ بالتَّنوينِ والنَّصبِ[2] على الأصلِ.

أو: بأَنْ زيَّنَتْها الكواكبُ، على إضافتهِ إلى الفاعلِ.

وركوزُ[3] الثَّوابتِ في الكُرَةِ الثَّامنَةِ، وما عدا القمرَ مِن السَّيَّاراتِ في السِّتِّ المتوسِّطَةِ بينَها وبين سماءِ الدُّنيا، إن تحقَّقَ لم يقدَحْ في ذلك، فإنَّ أهلَ الأرضِ يَرونَها بأَسْرِها كجواهرَ مُشرقَةٍ مُتلألِئَةٍ على سطحِها الأزرقِ بأشكالٍ مُختَلِفَةٍ .

﴿وَحِفْظًا﴾ منصوبٌ بإضمارِ فِعلِه، أو العطفِ على ﴿زينة﴾ باعتبارِ المعنى كأنَّه قال: إنَّا خَلَقْنا الكواكبَ زِينَةً للسَّماءِ وحِفْظًا[4] ﴿مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ﴾: خارجٍ مِن الطَّاعةِ برمي الشُّهُبِ.

قوله: «كاللِّيقَةِ»:

قال الطِّيبيُّ: اسمٌ لِمَا يُلاقُ بِهِ الدَّواةُ[5].

= أن أبا عمرو والأعمش قرءا: ﴿بزينةٍ الكواكبَ﴾ بتنوين زينة ونصب الكواكب، وهي المعروفة من قراءة عاصم.

(١) في (ض): «آلة».

(٢) تقدمت قريباً.

(٣) في (خ) و(ت): «وركون».

(٤) في (ت): «للسماء الدنيا وحفظًا لها».

(٥) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ١١٧).

(٨ ـ ١٠) ـ ﴿ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴾.

﴿لا يَسْمَعونَ إِلَى المَلَأ الأَعْلَى﴾ كلامٌ مُبتدَأٌ لبيانِ حَالِهم بعدما حفظَ السَّماءَ عَنْهُم، ولا يجوزُ جعلُه صِفَةً لـ﴿كُلِّ شَيْطَانٍ﴾، فإنَّه يَقتَضِي أن يكونَ الحفظُ مِن شَياطين لا يَسْمَعونَ، ولا علَّةً للحفظِ على حذفِ اللامِ كما في: (جِئتُكَ أَنْ تُكرِمَنِي) ثمَّ حذفِ (أنْ) وإهدارِها كقولِه:

أَلَا أَيُّهَذَا الزَّاجِـــرِي أَحْضُر الوَغَى[1]

فإنَّ اجتماعَ ذلك مُنْكَرٌ[2].

والضَّميرُ لـ﴿كُلِّ﴾ باعتبارِ المعنى، وتعديةُ السَّماعِ بـ﴿إِلَى﴾ لتَضمينِه معنى الإصغاءِ مُبالغَةً لنَفيِه، وتَهويلًا لِمَا يمنَعُهُم عنه، ويدلُّ عليه قراءةُ حمزةَ والكِسائيِّ وحَفصٍ بالتَّشديدِ مِن التَّسمُّعِ[3]، وهو تطلُّبُ السَّماعِ، و(الملأُ الأعلى): الملائكةُ، أو أشرافُهُم.

﴿وَيُقْذَفُونَ﴾: ويُرمَونَ ﴿مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ مِن جَوانبِ السَّماءِ إذا قصدوا صعودَهُ.

﴿دُحُورًا﴾ عِلَّـةٌ؛ أي: للدُّحورِ وهـو الطَّردُ، أو مصدرٌ لأنَّه والقـذفَ متقاربانِ، أو حـالٌ بمَعنـى: مدحوريـنَ، أو منزوعٌ عنه البـاءُ جمع دَحْـرٍ، وهو ما يُطرَدُ بـه، ويقوِّيهِ

---

(١) صدر بيت لطرفة بن العبد، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٢)، و«الكتاب» (٣/ ٩٩). و(أحضر) يروى بالرفع والنصب كما قال السمين في «الدر المصون» (١/ ٤٦٠). وعجزه:

وأن أَشْـهدَ اللَّـذاتِ هل أنـتَ مُخلِدِي

(٢) قوله: «فإن اجتماع ذلك»؛ أي: ما ذكر من الحذفين.

(٣) والباقون بإسكان السين وتخفيف الميم. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

القـراءةُ بالفتـحِ[١]، وهـو يحتمِـلُ أَنْ يكونَ أيضـاً مصدرًا كالقَبُـولِ، أو صفـةً له؛ أي: قذفًـا دَحُورًا.

﴿وَلَهُمْ عَذَابٌ﴾؛ أي: عذابٌ آخرُ ﴿وَاصِبٌ﴾: دائمٌ، أو شديدٌ، وهو عذابُ الآخرةِ.

﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ ٱلْخَطْفَةَ﴾ استثناءٌ مِـن واوِ ﴿يَسَّمَّعُونَ﴾ و﴿مَنْ﴾ بـدلٌ منه ﴿فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ﴾ والخطـفُ: الاختـلاسُ، والمـرادُ: اختـلاسُ كلامِ الملائكـةِ مُسـارقَةً، ولذلـكَ عـرَّفَ الخطفةَ.

وقُـرِئَ: (خَـطِّف) بالتشـديد مفتـوحَ الخـاءِ ومكسـورَها، ومكسـورَ الطاء[٢] وأصلُهمـا: اختطـفَ.

و(أتبعَ) بمعنى: تبعَ، والشِّهابُ: ما يُرَى كأنَّ كوكبًا انقضَّ، وما قيل: إنَّه بخارٌ يصعدُ إلى الأثيرِ فيشتعلُ، فتخمين إن صحَّ لم ينافِ ذلك؛ إذ ليسَ فيه ما يدلُّ على أنَّه ينقضُّ من الفَلَكِ، ولا في قولِه: ﴿وَلَقَدْ زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَجَعَلْنَٰهَا رُجُومًا لِّلشَّيَٰطِينِ﴾ [الملك: ٥] فإنَّ كلَّ نيرٍ يحصلُ فـي الجوِّ العالي فهو مِصباحٌ لأهلِ الأرضِ وزينةٌ للسَّماءِ مِن حيثُ إنَّه يُرى كأنَّه على سطحِه.

ولا يَبعُـدُ أَنْ يصيـرَ الحـادثُ[٣] ـ كما ذُكِـرَ ـ في بعضِ الأوقاتِ رجمًا لشـيطانٍ يَتصعَّـدُ إلى قربِ الفَلَكِ للتَّسـمُّعِ.

---

(١) أي: بفتح الدال، نسبت لأبي عبد الرحمن السلمي وعلي رضي الله عنه. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٧)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٩).

(٢) نسبت الأولى للحسن وقتادة وعيسى، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨)، والثانية لابن عباس رضي الله عنهما، انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦٧).

(٣) قوله: «أن يصير الحادث»؛ أي: وهو البخار. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٥٧٢).

وما رُوِيَ أنَّ ذلك حدثَ بميلادِ النَّبيِّ ﷺ[١] - إنْ صَحَّ - فلعلَّ المرادَ كثرةُ وُقوعِه[٢]، أو مصيرُه دُحورًا.

واختُلفَ في أنَّ المرجومَ يَتأذَّى به فيرجعُ، أو يحترقُ به، لكن قد يصيبُ الصَّاعدَ مرَّةً وقد لا يصيبُ كالموجِ لراكبِ السَّفينَةِ، ولذلك لا يرتدِعُونَ عنه رأسًا.

ولا يقال: إنَّ الشَّيطانَ مِن النَّارِ فلا يحترقُ؛ لأنَّه ليسَ مِن النَّارِ الصِّرْفِ كما أنَّ الإنسانَ ليسَ مِن التُّرابِ الخالصِ، مع أنَّ النَّارَ القويَّةَ إذا استَوْلَت على الضَّعيفَةِ استهلَكَتْها.

﴿ثَاقِبٌ﴾: مُضيءٌ كأنَّه يَثْقُبُ الجوَّ بضَوئِه.

قوله: «ولا يَجوزُ جَعلُهُ صِفَةً لـ﴿كُلِّ شَيْطَٰنٍ﴾ فإنَّه يَقتَضِي أَنْ يكونَ الحِفظُ مِن شَياطينَ لا يَسمعونَ، ولا عِلَّةَ للحفظ على حَذفِ اللَّامِ..» إلى آخرِه:

قال صاحبُ «الانتصاف»: أَبطَلَ أن يكونَ صِفَةً، وأن يكونَ أَصلُهُ: لئلَّا يسمعُوا؛ لاجتماعِ حذفينِ، وكِلا الوَجهينِ صَحيحٌ، وعَدمُ استماعِ الشَّيطانِ إنَّما كانَ بسببِ الحفظِ، فحالُه عندَ الحفظِ أَنْ لا يَسمعَ، فيصيرُ موصوفًا حالَةَ الحفظِ بذلك، ومِثلُه: ﴿وسَخَّرَ لكمُ اللَّيلَ والنَّهارَ والشَّمسَ والقَمرَ والنجومَ مُسَخَّراتٍ﴾[٣] [النحل: ١٢]،

---

(١) رواه البيهقي في «دلائل النبوة» (٢/ ٢٤١) عن الشعبي.

(٢) قوله: «كثرة وقوعه»؛ أي: بعد الميلاد. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٥٧٢).

(٣) بالنصب في الكل قراءة أكثر السبعة، وقرأ ابن عامر: ﴿وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ مُسخَّراتٌ﴾ كلها بالرفع. وروى حفص عن عاصم مثل قراءة ابن عامر في ﴿والنُّجُومُ مُسَخَّراتٌ﴾ وحدهَا ونصب الباقي. انظر: «السبعة» (ص: ٣٧٠)، و«التيسير» (ص: ١٣٧).

فالعامِلُ في ﴿مسخَّراتٍ﴾ وهي حالٌ قولُه: ﴿سَخَّر﴾، فالحالُ التي سَخَّرَها مُلازِمَةٌ لكونِها مُسخرةً، وقد أشارَ الزَّمخشَرِيُّ في هذه الآيةِ إلى ما يَقرُبُ مِن هذا، وأمَّا إنكارُ اجتماعِ حَذفَيْنِ فقَدْ ساغَ في قولِه: ﴿يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ أَن تَضِلُّواْ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ أي: لئلَّا تَضِلُّوا[1].

(١١) ـ ﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾.

﴿فَٱسْتَفْتِهِمْ﴾: فاستَخبِرْهُم، والضَّميرُ لِمُشركِي مَكَّةَ، أو لِبَني آدَمَ.

﴿أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَم مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ يعني: ما ذكرَ مِن الملائكةِ والسَّماءِ والأرضِ وما بينَهُما، والمشارقِ والكواكبِ والشُّهبِ الثَّواقبِ، و﴿مَّنْ﴾ لتَغليبِ العُقلاءِ، ويدلُّ عليه إطلاقُه ومجيئُه بعدَ ذلك، وقراءةُ مَن قرأَ: (أَمْ مَن عَدَدْنَا)[2]، وقولُه: ﴿إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ﴾ فإنَّه الفارقُ بينَهُم وبينَها[3]، لا بينَهُم وبينَ مَن قبلَهُم كعادٍ وثمودَ،

---

(١) انظر: «الانتصاف» (٤/ ٣٥)، و«فتوح الغيب» (١٣/ ١٢٢) وعنه نقل المصنف.

(٢) أي: بالتخفيف والتشديد كما في «الكشاف» (٧/ ٣٠٩)، نسبت إلى ابن مسعود رضي الله عنه والضحاك. انظر: «تفسير الطبري» (١٩/ ٥٠٩ ـ ٥١٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦٧). ولم يقيداها بتخفيف أو تشديد.

(٣) قوله: «ويدل عليه»؛ أي: على أن المراد بـ ﴿مَّنْ خَلَقْنَآ﴾ ما ذكر من الملائكة.. إلى آخره «إطلاقه»؛ أي: إطلاق الخلق عن التقيد ببيانٍ؛ اكتفاءً بما تقدَّمه، «ومجيئه بعد ذلك» هو وتالياه عطف على (إطلاقه)، وجه دلالة المعطوف الأول: مجيءُ الخلق مطلقاً بعد البيان، والمطلق محمول على المقيَّد، وجه دلالة الثاني: أن التعداد يدل قطعاً على أنه يريد به ما ذكر من خلائقه، ووجه دلالة الثالث: اختصاصُ خَلْق بني آدم بكونه من طين لازب، فمَن عداهم داخل في مقابلهم المطلق «فإنه»؛ أي: خلق آدم من طين لازب «الفارق بينهم وبينها»؛ أي: وبين السماء والأرض ونحوِهما مما لم يخلق من ذلك. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٥٧٣).

ولأنَّ[١] المرادَ إثباتُ المعادِ وردُّ استحالَتِهم، والأمرُ فيه[٢] بالإضافةِ إليهم وإلى مَن قبلَهُم سَواءٌ، وتقريرُه: أنَّ استحالةَ ذلك:

إمَّا لعدمِ قابليَّةِ المادَّةِ، ومادَّتُهم الأصليَّةُ هي الطِّينُ اللازبُ الحاصِلُ مِن ضمِّ الجزءِ المائيِّ إلى الجزءِ الأَرضيِّ، وهما باقيانِ قابلانِ للانضمامِ بعدُ، وقد عَلِمُوا أنَّ الإنسانَ الأوَّلَ إنَّما تولَّدَ منه: إمَّا لاعترافِهم بحدوثِ العالمِ، أو بقصَّةِ آدم، وشاهَدوا تولُّدَ كثيرٍ مِن الحيواناتِ منه بلا توسُّطِ مَواقعةٍ، فلَزِمَهُم أن يجوِّزُوا إعادَتَهُم كذلك.

وإمَّا لعدمِ قدرةِ الفاعلِ، فإن مَن[٣] قدرَ على خلقِ هذه الأشياءِ قَدرَ على ما لا يعتدُّ به بالإضافةِ إليها، سِيَّمَا ومن ذلك بدَأَهُم أوَّلًا وقدرتُهُ ذاتيَّةٌ لا تَتغيَّرُ[٤].

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ﴾.

﴿بَلْ عَجِبْتَ﴾ مِن قُدرَةِ اللهِ وإنكارِهم للبَعثِ ﴿وَيَسْخَرُونَ﴾ مِن تَعجُّبك وتقريرِكَ للبَعثِ. وقرأَ حمزةُ والكسائيُّ بضمِّ التَّاءِ[٥]؛ أي: بلغَ كمالُ قُدرَتي وكثرةُ خَلائقِي أني تعجَّبْتُ مِنها، وهؤلاء بجهلِهِم يسخرونَ مِنْها، أو: عَجِبْتُ من أن يُنكَرَ البَعثُ ممَّنْ هذه أفعالُهُ وهم يسخرونَ ممَّنْ يُجوِّزُه، والعجبُ مِن اللهِ إمَّا على

---

(١) في (خ): «لأن».

(٢) قوله: «ورد استحالتهم»؛ أي: إحالتهم للمعاد، «والأمر فيه»؛ أي: في المعاد. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٥٧٣).

(٣) في (ت): «وأن من»، وفي (أ): «ومن».

(٤) في (ت): «قدرته ذاتية لا تبعية».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

الفَرْضِ والتَّخييلِ، أو على مَعنى الاستعظامِ اللازمِ له، فإنَّه روعةٌ تَعترِي الإنسانَ عندَ استعظامِه الشَّيءَ.

وقيل: إنَّه مُقدَّرٌ بالقولِ؛ أي: قل يا مُحمَّدُ: بَل عَجِبْتُ.

﴿وَإِذَا ذُكِّرُوا لَا يَذْكُرُونَ﴾: وإذا وُعِظُوا بشَيءٍ لا يتَّعِظُونَ به، أو: إذا ذُكِرَ لهم ما يدلُّ على صِحَّةِ الحشرِ لا يَنتَفِعُونَ به لبَلادَتِهِم وقِلَّةِ فِكْرِهِم.

﴿وَإِذَا رَأَوْا ءَايَةً﴾: مُعجِزَةً تدلُّ على صدقِ القائلِ بِهِ ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾: يبالغونَ في السُّخريةِ، ويقولونَ: إنَّه سِحْرٌ، أو يستدعي بعضُهُم مِن بعضٍ أَنْ يسخرَ مِنها.

(١٥ ـ ١٨) ـ ﴿وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾.

﴿وَقَالُوٓا إِنْ هَٰذَآ﴾ يعنونَ ما رَأَوْهُ[١] ﴿إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾: ظاهرٌ سحريَّتُه.

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ﴾ أصلُه: أَنُبعَثُ إذا مِتْنا؟! فبدَّلُوا الفِعليَّةَ بالاسميَّةِ وقدَّمُوا الظَّرفَ وكرَّرُوا الهمزةَ مُبالغَةً في الإنكارِ، وإشعارًا بأنَّ البَعْثَ مُستنكَرٌ في نفسِهِ، وفي هذهِ الحالِ أشدُّ إنكارًا[٢]، فهو أبلَغُ مِن قراءةِ ابنِ عامرٍ بطرحِ الهمزَةِ الأُولى، وقراءةِ نافعٍ والكِسائيِّ ويَعقوبَ بطَرحِ الثَّانيةِ[٣].

﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ عطفٌ على محلِّ (إنَّ) واسمِها، أو على الضَّميرِ في (مَبْعوثونَ)، فإنَّه مَفصولٌ عنه بهمزَةِ الاستفهامِ لزيادَةِ الاستبعادِ لبُعدِ زَمانِهِم،

---

(١) في (خ): «ما يرونه» وفي (ت): «ما يروه» وفي (ض): «ما نراه».

(٢) في (خ) و(ت): «استنكارا».

(٣) انظر: «التيسير» (ص: ١٣٣)، و«النشر» (١/ ٣٧٣).

وسكَّنَ نافِعٌ بروايةِ قالونَ وابنُ عامرٍ الواوَ[١] على مَعنى التَّرديدِ.

﴿قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ﴾: صاغرونَ، وإنما اكتَفَى به في الجَوابِ لسبقِ ما يَدُلُّ على جوازِه، وقيامِ المعجزِ على صدقِ المخبِرِ عن وُقوعِه.

وقُرِئَ: (قالَ)[٢]؛ أي: اللهُ أو الرَّسولُ.

وقرأَ الكِسائيُّ وحدَهُ: ﴿نَعِم﴾ بالكسرِ[٣]، وهو لُغَةٌ فيه.

قوله: «﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ عطفٌ على محلِّ (إنَّ) واسمِها»:

قال أبو حيَّان: مَذهبُ سيبويه[٤] خلافُه؛ لأنَّ قولك: (إنَّ زيدًا قائمٌ وعمرٌو)، (عمرٌو) فيه مَرفوعٌ على الابتداءِ وخبرُه مَحذوفٌ[٥].

قال الحَلَبِيُّ: يجابُ بأنَّه لا يُلتزمُ مذهبُ سيبويه[٦].

قوله: «أَوْ على الضَّميرِ في (مَبعوثونَ)، فإنَّه مَفصولٌ عنه بهمزةِ الاستفهامِ»:

قال أبو حيَّان: لا يجوزُ عَطفُه على الضَّميرِ؛ لأنَّ همزةَ الاستفهامِ لا تَدخُلُ إلَّا عَلى الجُمَلِ لا على المفردِ؛ لأنَّه إذا عُطِفَ على المُفرَدِ كانَ الفعلُ عاملًا في المفرَدِ بواسطَةِ حرفِ العَطفِ، وهمزةُ الاستفهامِ لا يعمَلُ فيما بعدَها ما قبلَها، فقولُه: ﴿أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ﴾ مبتدأٌ خبرُهُ مَحذوفٌ تقديرُه: يُبعثون، ويدلُّ عليهِ ما قبلَه، فإذا

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) انظر: «الكشاف» (٧/ ٣١٣) من غير نسبة.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٢٨١)، و«التيسير» (ص: ١١٠).

(٤) انظر: «الكتاب» (٢/ ١٤٤ ـ ١٤٥).

(٥) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ١٦٢).

(٦) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٢٩٧).

قلتَ: (أقامَ زيدٌ أو عمرٌو؟) فـ(عمرٌو) مُبتدأٌ محذوفُ الخبرِ لِمَا ذكَرْنَا[١].

وقال الحَلَبيُّ: الهمزَةُ مُؤكِّدَةٌ للأُولى، فهيَ داخلَةٌ في الحقيقَةِ على الجُملَةِ، إلَّا أنَّه فصلَ بين الهمزتينِ بـ(إنَّ) واسمِها وخبرِها، ويدلُّ على هذا ما قالَهُ هو في سورَةِ الواقعَةِ، فإنَّه قال: دخلَتْ همزَةُ الاستفهامِ على حَرفِ العَطفِ.

فـإنْ قلـتَ: كيفَ حَسُـنَ العَطْفُ على المُضْمَـرِ في ﴿لَمَبْعُوثُونَ﴾ مِن غَيـرِ تَأكيدٍ بـ(نحن)؟

قلـتُ: حَسُـنَ للفاصلِ الذي هـو الهمزةُ؛ كما حَسُـنَ فـي قولِه: ﴿مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا﴾ [الأنعام: ١٤٨] لفصـلِ (لا) المؤكِّـدة للنَّفـيِ[٢]، فلم يذكُـر هنا غيرَ هذا الوجهِ[٣].

(١٩ ـ ٢١) ـ ﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾ هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾.

﴿فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ جوابُ شرطٍ مُقَدَّرٍ؛ أي: إذا كانَ ذلك فإنَّما البعثةُ زجرةٌ؛ أي: صيحةٌ واحدةٌ هي النَّفخةُ الثَّانيَةُ، مِن زَجَر الرَّاعِي نَعَمه: إذا صاحَ علَيْها، وأمرُها في الإعادةِ كأمرِ (كن) في الإبداءِ، ولذلك رتَّبَ عليها:

﴿فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ﴾ فإذا هُم قِيامٌ مِن مَراقِدِهم أحياءٌ يُبصِرُونَ، أو: يَنتَظِرُونَ ما يُفعَلُ بهم.

﴿وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا يَوْمُ ٱلدِّينِ﴾: اليومُ الذي نُجازَى بأعمالِنا، وقد تمَّ به كلامُهُم، وقوله: ﴿هَٰذَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ٱلَّذِى كُنتُم بِهِۦ تُكَذِّبُونَ﴾ جوابُ الملائكةِ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ١٦٢).

(٢) انظر: «الكشاف» تفسير الآية (٤٧) من سورة الواقعة.

(٣) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٢٩٧).

وقيل: هو أيضًا مِن كلامِ بَعضِهِم لبَعضٍ.

والفصلُ: القَضاءُ، أو الفرقُ بين المحسنِ والمُسيءِ.

قوله: «﴿ فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ ﴾ جوابُ شرطٍ مقدَّرٍ؛ أي: إذا كانَ ذلك»:

قال أبو حيَّان: لا ضرورةَ تَدعُو إلى ذلك، ولا يُحذفُ الشَّرطُ ويبقى جوابُه إلَّا إذا انجزمَ الفعلُ في الذي يطلقُ عليه أنَّه جوابُ الأمرِ والنَّهيِ، وَما ذكر معَهُما على قولِ بَعضِهم، أمَّا ابتداءً فلَا يَجوزُ حَذفُه[١].

قوله: «فإنَّما البعثةُ زجرَةٌ»:

قال الطِّيبِيُّ: أي: لفظةُ ﴿هِيَ﴾ يجوزُ أَن ترجعَ إلى شيءٍ، وهي البعثةُ المَفهومَةُ مِن قولِه: ﴿مبعوثون﴾[٢].

(٢٢ ـ ٢٦) ـ ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ﴿٢٢﴾ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾ وَقِفُوهُمْ ۖ إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ ﴿٢٤﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ ﴿٢٥﴾ بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾.

﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ أمرُ اللهِ للمَلائكَةِ، أو أمرُ بَعضِهِم لبعضٍ، بحشرِ الظَّلَمَةِ مِن مقامِهِم إلى الموقفِ، وقيل: منه إلى الجَحيمِ.

﴿وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾: وأشباهَهُم، عابدَ الصَّنَمِ معَ عَبَدَةِ الصَّنمِ، وعابدَ الكوكَبِ مع عَبَدَتِه، كقولِه: ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴾ [الواقعة: ٧]. أو: ونساءَهُم اللاتي على دينِهِم. أو: قُرناءَهُم مِن الشَّياطينِ.

---

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ١٦٣).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ١٣٤).

﴿وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ ۝٢٢ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ مِن الأَصنامِ وغيرِها؛ زيادةً في تَحسيرِهم(١) وتَخجيلِهم، وهو عامٌّ مَخصوصٌ بقولِه: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُم مِّنَّا ٱلْحُسْنَىٰٓ﴾ الآية [الأنبياء: ١٠١]، وفيه دليلٌ على أنَّ الذينَ ظلَمُوا هم المشركونَ.

﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾: فعرِّفوهُم طريقَها لِيَسْلُكُوها.

﴿وَقِفُوهُمْ﴾: احبِسُوهُم في الموقفِ ﴿إِنَّهُم مَّسْـُٔولُونَ﴾ عن عَقائدِهم وأَعمالِهم، والواوُ لا توجِبُ التَّرتيبَ مَع جوازِ أَنْ يكونَ موقِفُهم [متعدِّداً](٢).

﴿مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَرُونَ﴾: لا ينصرُ بعضُكُم بعضًا بالتَّخليصِ، وهو توبيخٌ وتقريعٌ.

﴿بَلْ هُمُ ٱلْيَوْمَ مُسْتَسْلِمُونَ﴾: مُنقادونَ لعَجزِهم وانسدادِ الحِيَلِ عليهِمْ، وأَصلُ الاستسلامِ: طلبُ السَّلامَةِ، أو: مُتسالِمُونَ، كأَنَّه يُسْلِمُ بعضُهُم بعضًا ويَخذلُهُ.

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ۝٢٧ قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾.

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ يعني: الرُّؤساءَ والأتباعَ، أو الكَفَرَةَ والقُرناءَ(٣).

﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾: يَسأَلُ بَعضُهُم بَعْضًا للتَّوبيخِ، ولذلك فُسِّرَ بـ: يتَخاصَمونَ.

﴿قَالُوٓا۟ إِنَّكُمْ كُنتُمْ تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ عن أقوى الوُجوهِ وأيمَنِها، أو: عن الدِّينِ، أو: عن الخيرِ؛ كأَنَّكُم تَنفعونَنا نفعَ السَّانحِ فتَبِعْناكُم وهَلَكْنا، مُستعارٌ مِن يمينِ الإنسانِ الذي هو أَقْوَى الجانِبَيْنِ وأشرفِه وأنفعِه، ولذلك سُمِّيَ يمينًا، وتيمَّن بالسَّانحِ.

أو: عن القُوَّةِ والقهرِ فتَقْسِرونَنا على الضَّلالِ.

---

(١) في (خ): «تخسيرهم» وفي (ت) و(ض): «تحسرهم».

(٢) ما بين معكوفتين من نسخة ذكرها الشهاب في «الحاشية» (٧/ ٢٦٧) ورجحها، وأشار إلى اختلاف كثير واضطراب في النسخ هنا، وكذا وقع في نسخنا مما لا طائل في بسطه.

(٣) في (خ): «أو القرناء».

أو: عن الحَلِفِ، فإنَّهُم كانوا يحلفونَ لَهُم أَنَّهُم على الحقِّ.

قوله: «**وتيمَّنَ بالسَّانحِ**»: هو ما مرَّ مِن الطَّيرِ والوَحشِ بين يديكَ مِن جهَةِ يَسارِكَ إلى يمينِك، والعَربُ تتيمَّنُ به لأنَّه أمكَنُ للرَّمي والصَّيد، والبارِحُ ضِدُّه.

(٢٩ ـ ٣٢) ـ ﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ ۝٣٠ فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۝٣١ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾.

﴿قَالُواْ بَل لَّمْ تَكُونُواْ مُؤْمِنِينَ ۝٢٩ وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍۭ بَلْ كُنتُمْ قَوْمًا طَٰغِينَ﴾ أجابَهُم الرُّؤساءُ أوَّلًا بمنعِ إضلالِهم فإنَّهُم[1] كانوا ضالِّينَ في أنفُسِهِم، وثانيًا بأنَّهُم ما أجبرُوهُم على الكفرِ إذْ لم يَكُن لهم عليهِم تَسلُّطٌ، وإنَّما جنَحُوا إليه لأنَّهُم كانوا قومًا مُختارينَ الطُّغيانَ.

﴿فَحَقَّ عَلَيْنَا قَوْلُ رَبِّنَآ إِنَّا لَذَآئِقُونَ ۝٣١ فَأَغْوَيْنَٰكُمْ إِنَّا كُنَّا غَٰوِينَ﴾ ثمَّ بيَّنُوا أنَّ ضلالَ الفَريقَيْنِ ووقوعَهُم في العذابِ كان أمرًا مَقْضِيًّا لا محيصَ لهم عنه، وأنَّ غايةَ ما فعَلُوا بهم أنَّهُم دَعَوْهُم إلى الغيِّ لأنَّهُم كانوا على الغيِّ، فأحبُّوا أن يكونوا مِثلَهُم، وفيه إيماءٌ بأنَّ غِوايتَهُم في الحقيقةِ ليسَتْ مِن قِبَلِهم؛ إذ لو كانَ كلُّ غوايةٍ لإغواءِ غاوٍ فمَنْ أغواهُم؟

(٣٣ ـ ٣٥) ـ ﴿فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ۝٣٣ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَفْعَلُ بِٱلْمُجْرِمِينَ ۝٣٤ إِنَّهُمْ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ﴾: فإنَّ الأتباعَ والمتبوعينَ ﴿يَوْمَئِذٍ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ﴾ كما كانوا مُشتركينَ في الغوايةِ.

---

(١) في (ض): «بأنهم».

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ﴾: مثلَ ذلك الفعلِ ﴿نَفْعَلُ بِالْمُجْرِمِينَ﴾ بالمُشركينَ، لقوله: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾؛ أي: عن كلمةِ التَّوحيدِ، أو: على مَن يَدعوهُمْ إليه[1].

(٣٦ ـ ٣٨) ـ ﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ ﴿٣٦﴾ بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ ﴿٣٧﴾ إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾.

﴿وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِشَاعِرٍ مَّجْنُونٍ﴾ يَعنونَ مُحمَّدًا عليهِ السَّلامُ.

﴿بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَّقَ الْمُرْسَلِينَ﴾ رَدٌّ عليهِمْ بأنَّ ما جاءَ به مِن التَّوحيدِ حقٌّ قامَ به البُرهانُ وتطابقَ عليهِ المُرسلونَ.

﴿إِنَّكُمْ لَذَائِقُو الْعَذَابِ الْأَلِيمِ﴾ بالإشراكِ وتكذيبِ الرَّسُولِ، وقُرِئَ بنصبِ العَذابِ[2] على تَقديرِ النُّونِ، كقولِه:

وَلَا ذَاكِرَ اللهَ إِلَّا قَلِيلَا[3]

وهو ضعيفٌ في غيرِ المحلَّى باللامِ. وعلى الأصلِ[4].

(٣٩ ـ ٤٣) ـ ﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٣٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ ﴿٤٠﴾ أُولَٰئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ ﴿٤١﴾ فَوَاكِهُ وَهُم مُّكْرَمُونَ ﴿٤٢﴾ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾.

﴿وَمَا تُجْزَوْنَ إِلَّا مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾: إلا مثلَ ما عَمِلْتُم ﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناءٌ

---

(١) في (ت): «إليها».

(٢) نسبت لأبي السمال، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨).

(٣) عجز بيت لأبي الأسود الدؤلي كما في «ديوانه» (ص: ٥٤)، وصدره:

فألفيتُه غيرَ مستعتِبٍ

(٤) أي: (لذائقون العذاب). انظر: «الكشاف» (٧/ ٣١٩) دون نسبة، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٦٩)، وفيه: (وقرأ أبو السمال: (لذائقٌ) بالتنوين (العذابَ) نصباً).

مُنقطِعٌ، إلَّا أنْ يكونَ الضَّميرُ في ﴿تُجْزَوْنَ﴾ لجميعِ المُكلَّفينَ، فيكونُ استثناؤهُم عنه باعتبارِ المُماثلَةِ فإنَّ ثوابَهُم مضاعفٌ، والمنقطعُ أيضًا بهذا الاعتبارِ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ رِزْقٌ مَّعْلُومٌ﴾ خصائِصُه[1]: مِن الدَّوامِ، وتمحُّضِ اللذَّةِ، ولذلك فسَّرَهُ بقولِه: ﴿فواكه﴾ فإنَّ الفاكهةَ ما يقصدُ للتَّلذُّذِ[2] دونَ التَّغذِّي والقوتَ بالعَكْسِ، وأهلُ الجنَّةِ لَمَّا أُعيدُوا على خِلقةٍ مُحكَمَةٍ محفوظَةٍ عن التَّحلُّلِ كانت أرزاقُهُم فواكهَ خالصةً.

﴿وَهُم مُّكْرَمُونَ﴾ في نَيلِه، يَصِلُ إليهم مِن غيرِ تَعَبٍ وسؤالٍ كمَا عليه رزقُ الدُّنيَا.

﴿فِى جَنَّٰتِ ٱلنَّعِيمِ﴾: في جنَّاتٍ ليسَ فيها إلا النَّعيمُ، وهو ظرفٌ أو حالٌ مِن المستكنِّ في ﴿مُّكْرَمُونَ﴾، أو خبرٌ ثانٍ لـ﴿أُوْلَٰٓئِكَ﴾ وكذلك:

(٤٤ ـ ٤٧) ـ ﴿عَلَىٰ سُرُرٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٤٤﴾ يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿٤٥﴾ بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٤٦﴾ لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾.

﴿عَلَىٰ سُرُرٍ﴾ يحتملُ الحالَ والخبرَ فيكونُ ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ حالًا مِن المستكنِّ فيه، أو في ﴿مُّكْرَمُونَ﴾، وأن يتعلَّقَ بـ﴿مُّتَقَٰبِلِينَ﴾ فيكونُ حالًا مِن ضميرِ ﴿مُّكْرَمُونَ﴾.

﴿يُطَافُ عَلَيْهِم بِكَأْسٍ﴾: بإناءٍ فيه خمرٌ، أو خمرٍ كقولِه:

وكأسٍ شـــربتُ علـــى لـــذَّةٍ

﴿مِّن مَّعِينٍ﴾: مِن شَرابِ مَعِينٍ، أو نهرِ مَعِينٍ؛ أي: ظاهرٍ للعُيونِ أو خارجٍ مِن العيونِ، وهو صِفَةٌ للماءِ[3] مِن عانَ الماءُ: إذا نبَعَ، وُصِفَ به خمرُ الجنَّةِ لأنَّها تجري

---

(١) قوله: «خصائصه» مرفوع بـ﴿مَّعْلُومٌ﴾.

(٢) في (ت): «به التلذذ».

(٣) في (خ) و(ت) و(ض): «الماء».

كالماءِ، أو للإشعارِ بأنَّ ما يكونُ لهم بمنزلةِ الشَّرابِ جامعٌ لِمَا يُطلَبُ مِن أنواعِ الأشربَةِ لكَمالِ اللذةِ، وكذلك قولُه:

﴿بَيْضَآءَ لَذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ﴾ وهُمَا أيضًا صِفتَانِ لـ﴿كَأْسٍ﴾، ووصفُها بـ﴿لَذَّةٍ﴾[1] إمَّا للمُبالغَةِ، أو لأنَّها تأنيثُ لَذٍّ بمعنى لَذيذٍ كطَبٍّ، ووزنُهُ فَعْلٌ قال:

وَلَــذٍّ كَطَعْـمِ الصَّـرْخَـدِيِّ تَـرَكْـتُــهُ   بِأَرْضِ العِـدَا مِـنْ خَشْـيَةِ الحَدَثَـانِ[2]

﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾: غائلَةٌ كما في خمرِ الدُّنيا كالخُمَارِ[3]، مِن غالَهُ يَغولُهُ: إذا أفسدَهُ، ومنه الغُولُ.

﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾: يَسْكَرونَ، مِن: نُزِفَ الشَّارِبُ فهو نزيفٌ ومَنْزوفٌ: إذا ذهبَ عقلُهُ، أفردَهُ بالنَّفيِ وعَطَفَ[4] على ما يَعُمُّهُ؛ لأنَّه مِن عِظَمِ فَسادِه كأنَّه جِنسٌ برأْسِه، وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ بكسرِ الزَّاي، وتابعَهُما عاصِمٌ في الواقعَةِ[5]، مِن أَنْزَفَ

---

(١) في (خ): «باللذة».

(٢) البيت بهذه الرواية دون نسبة في «الحيوان» (١/ ١٧٤)، و«أمالي القالي» (١/ ٢١٠)، و«تهذيب اللغة» (١٤/ ٢٩٤)، و«غريب الحديث» للخطابي (٢/ ٥٨٧). وهو في «ديوان الراعي النميري» (ص: ١٨٦)، و«الصحاح» (مادة: صرخد ولذذ) برواية:

ولذ كطَعمِ الصَرْخَدِيِّ طَرَحْـتُـــهُ   عَشِيَّةَ خِمْسِ القوم والعينُ عاشـــقه

قال الجوهري: الصرخد: موضع نسب إليه الشراب، واللذ: النوم.

وقال الأزهري: أرادَ أنه لمَّا دَخل ديارَ أعدائِه لم يَنم حذاراً لَهُم.

(٣) الخُمار: صداع الخمر. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٢٧٠).

(٤) في (أ) و(ت): «وعطفه».

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

الشَّاربُ: إذا نَفِدَ[١] عَقلُهُ أو شرابُه، وأصلُهُ النَّفاد، يقال: نُزِفَ المطعونُ: إذا خرجَ دمُهُ كلُّهُ، ونَزَحْتُ الرَّكيَّةَ حتَّى نَزَفْتُها.

قوله:

«وكأسٍ شَـرِبْتُ علـى لَـذَّةٍ»

وتمامُه:

وأُخْـرَى تَدَاويـتُ مِنْهَـا بهـا
لِكَـيْ يَعْلَـمَ النَّـاسُ أَنِّـي امْرُؤٌ أَتَيْـتُ المَعِيشَـةَ مِـنْ بَابِهَـا[٢]

قالَ الطِّيبِيُّ: يقولُ: رُبَّ كأسٍ شَرِبْتُ لطلبِ اللذَّةِ وكأسٍ شربْتُ للتَّداوِي مِن خُمارِها[٣].

قوله:

«وَلَـذٍّ كَطَعْـمِ الصَّرْخَـدِيِّ تَـرَكْـتُهُ بِأَرْضِ العِـدَا مِـنْ خَشْـيَةِ الحَدَثَـانِ»

قال الطِّيبِيُّ: الصَّرْخَدِيُّ: الشَّرابُ المَنسوبُ إلى صَرْخَدٍ وهو مَوضِعٌ بالشَّامِ[٤].

(٤٨ ـ ٤٩) ـ ﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ عِينٌ ﴿٤٨﴾ كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾.

﴿وَعِندَهُمْ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ﴾ قَصَـرْنَ أبصارَهُـنَّ علـى أزواجِهـنَّ ﴿عِينٌ﴾: نُجلُ العُيـونِ، جمـعُ عَيْنَاءَ.

---

(١) في (ت): «نزف» وفي الهامش: في نسخة: «نفد».

(٢) البيتان للأعشى. انظر: «ديوانه» (ص: ١٧٣).

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ١٤٤).

(٤) المصدر السابق.

﴿كَأَنَّهُنَّ بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ شبَّهَهُنَّ ببيضِ النَّعَام المصونِ مِن الغبارِ ونحوِهِ في الصَّفاءِ والبياضِ المخلوطِ بأدنى صُفرَةٍ فإنَّه أحسَنُ ألوانِ الأبدانِ.

(٥٠ ـ ٥٣) ـ ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٥٠﴾ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ ﴿٥١﴾ يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ ﴿٥٢﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾.

﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ﴾ معطوفٌ على ﴿يُطَافُ عَلَيْهِم﴾؛ أي: يَشربونَ فيَتحادَثُونَ على الشَّرابِ، قال:

وَمَا بَقِيَتْ مِنَ اللذَّاتِ إِلَّا أَحَادِيثُ الكِرَامِ عَلَى المُدَامِ[1]

والتَّعبيرُ عنه بالماضي للتَّأكيدِ فيه، فإنَّه ألَذُّ تلكَ اللذَّاتِ إلى العقلِ، وتَساؤلهم عن المعارفِ والفَضائلِ وما جَرى لهم وعليهِم في الدُّنيَا.

﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ في مُكالَمَتِهِم: ﴿إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ﴾: جليسٌ في الدُّنيا ﴿يَقُولُ أَءِنَّكَ لَمِنَ الْمُصَدِّقِينَ﴾ يُوبِّخُني على التَّصديقِ بالبَعثِ، وقُرِئَ بتَشديدِ الصَّادِ مِن التَّصدُّقِ[2].

﴿أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَءِنَّا لَمَدِينُونَ﴾: لَمَجْزِيُّونَ، مِن الدَّيْنِ بمَعنى الجَزاءِ.

(٥٤) ـ ﴿قَالَ هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾.

﴿قَالَ﴾؛ أي: ذلك القائلُ: ﴿هَلْ أَنتُم مُّطَّلِعُونَ﴾ إلى أهلِ النَّارِ لأُرِيَكُم ذلك القرينَ،

---

(١) نسب لأبي محمد عبد الله بن عمرو بن محمد الفياض كاتب سيف الدولة ونديمه في «يتيمة الدهر» (١/ ١٣٢) للثعالبي. ولأبي الحسن علي بن حريق في «المغرب في حلى المغرب» لأبي سعيد الأندلسي (٢/ ٣١٩).

(٢) نسبت لابن كيسة في «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٧)، وفي «تفسير القرطبي» (١٨/ ٣٦) لعلي بن كِيسة عن سليم (وهو ابن عيسى بن سليم الحنفي مولاهم الكوفي) عن حمزة، وفي «زاد المسير» (٧/ ٥٩) لبكر بن عبد الرحمن القاضي عن حمزة، والمشهور عن حمزة كقراءة الجماعة.

وقيل: القائلُ هو اللهُ أو بعضُ الملائِكَةِ، يقول لهم: هل تُحِبُّونَ أَنْ تَطَّلِعُوا على أهلِ النَّارِ لأُرِيَكُم ذلك القرينَ[١]، فتعلَمُوا أينَ مَنزِلَتُكُم مِن مَنزِلَتِهِم.

وعن أبي عَمرٍو: (مُطْلِعُونِ... فأُطْلِعَ) بالتَّخفيفِ وكسرِ النُّونِ وضمِّ الألِفِ[٢] على أنَّه جعلَ إطلاعَهُم سببَ إطْلاعِهِ مِن حيثُ إنَّ أدبَ المُجالسةِ يمنَعُ الاستبدادَ به، أو خاطبَ الملائكةَ[٣] على وضعِ المتَّصلِ موضِعَ المنفصل كقولِه:

هُـم الفاعلـونَ الخيـرَ والآمرونـه[٤]

أو شُبِّهَ اسمُ الفاعلِ بالمُضارعِ.

قوله: «على وَضعِ المُتَّصلِ موضِعَ المُنفَصِلِ»:

قال في «الكشاف»: والأصلُ مُطْلِعُونَ إيَّاي[٥].

قال أبو حيَّان: هذا التَّخريجُ لا يَجوزُ؛ لأنَّه ليسَ مِن مَواضعِ الضَّميرِ المُنفَصِلِ، فيكونَ المُتَّصِلُ وُضِعَ مَوضِعَه، لا يَجوزُ: هندٌ زيدٌ ضاربٌ إيَّاها، ولا: زيدٌ ضَارِبٌ إيَّاي، فالأَوْلَى التَّخريجُ الثَّاني[٦].

---

(١) «لأريكم ذلك القرين»: ليس في (ض).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨)، و«المحتسب» (٢/ ٢١٩) عن ابن عباس وابن محيصن وأبي عمرو، وذكرها مجاهد في «السبعة» (ص: ٥٤٨) فقال: كلهم قرأ ﴿مُّطَّلِعُونَ ﴿٥٤﴾ فَٱطَّلَعَ﴾ إلا أن ابن حيّان أخبرنا عن أبي هشام عن حسين الجعفي عن أبي عمرو أنه قرأ (هل أنتم مُطْلِعون فأُطْلِعَ) الألف مضمومة والطاء ساكنة واللام مكسورة والعين مفتوحة.

(٣) قوله: «أو خاطب الملائكة» عطف على «جعل إطلاعهم».

(٤) في (أ) و(خ): «هم الآمرون الخير والفاعلونه»، وهكذا سيذكره السيوطي بهذه الرواية، وكذا وقع الاختلاف نفسه في المصادر، ولا يضر ذلك بمحل الشاهد. والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في «الكشاف» (٧/ ٣٢٦).

(٥) انظر: «الكشاف» (٧/ ٣٢٦).

(٦) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ١٧٧ ـ ١٧٨).

وقـال الحَلَبِـيُّ: إنَّمـا لَـمْ يَجز ما ذَكَـرَ لأنَّه إذا قـدِّرَ على المتَّصلِ لـم يُعدل إلى المنفصِلِ.

قـال: ولقائـلٍ أَنْ يقـول: لا أُسَـلِّمُ أنَّـه يقدَّرُ علـى المتَّصـلِ حالةَ ثبـوتِ النُّونِ والتَّنويـنِ قبـلَ الضَّميـرِ، بل يصيـرُ المَوضِـعُ مَوضِـعَ الضَّميـرِ المُنفَصِـلِ فيَصِحُّ ما قـالَه الزَّمخشَرِيُّ[1].

قوله:

«هُـمُ الآمِـرُونَ الخَـيْرَ والفَاعِلُونَـهُ»

تمامه:

إِذَا مَا خَشُـوا مِنْ مُحْدَثِ الأَمْـرِ مُعْظَمَا[2]

قوله: «أو شُبِّهَ اسمُ الفاعِلِ بالمُضارِعِ»: زادَ في «الكشاف»: لتآخٍ بينَهُما[3].

قال أبو حيَّان: هذا تخريجُ أبي الفَتحِ، وقد جاءَ مِنه:

أَمُسْـلِمُنِي إلـى قَومِـي شَـرَاحِ[4]

---

(١) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٣١٠).

(٢) انظر: «الكتاب» (١/ ١٨٨)، و«معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٦)، و«الكامل» للمبرد (١/ ٩٧)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٤/ ٢٦٩)، قال سيبويه: وذكروا أنه مصنوع.
قال البغدادي: المُعظم: اسم مفعول، وهو الأمر الذي يعظم دَفعه. وقد روى الجوهريّ في هاء السكت المصراع الثَّاني كذا: (إِذا مَا خَشوا من مُعظم الأَمر مُفْظِعا) وهو اسم فاعل من أَفْظَعَ الأمرُ إفظاعاً: إذا جاوز الحدَّ في القبح.

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ٣٢٦).

(٤) ذكره الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٨٦)، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٤٩)، والزجاج في «معاني القرآن» (٤/ ٣٠٥).

وقال الآخر:

فَهَلْ فَتَى مِنْ سَرَاةِ القَوْمِ يَحْمِلُنِي   وَلَيْسَ حَامِلَنِي إِلَّا ابْنُ حَمَّالِ[(١)]

فهذه أبياتٌ ثبتَ النُّونُ فيها مع ياءِ المُتكلِّمِ، فكذلك ثبتَتْ نونُ الجمعِ معَها إجراءً للنُّونِ مجرى التَّنوينِ لاجتماعِهِما في السُّقوطِ للإضافَةِ[(٢)].

(٥٥ ـ ٥٩) ـ ﴿فَاطَّلَعَ فَرَءَاهُ فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ ﴿٥٥﴾ قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ ﴿٥٦﴾ وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ ﴿٥٧﴾ أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ ﴿٥٨﴾ إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾.

﴿فَاطَّلَعَ﴾ عليهم ﴿فَرَءَاهُ﴾؛ أي: قرينَه، ﴿فِي سَوَآءِ الْجَحِيمِ﴾: وسطِه ﴿قَالَ تَاللَّهِ إِن كِدتَّ لَتُرْدِينِ﴾: لتهلكُنِي بالإغواءِ، وقُرِئَ: (لَتُغْوِين)[(٣)]، و﴿إِن﴾ هيَ المخفَّفَةُ واللامُ هي الفارقةُ.

﴿وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي﴾ بالهدايةِ والعصمةِ ﴿لَكُنتُ مِنَ الْمُحْضَرِينَ﴾ معكَ فيها.

﴿أَفَمَا نَحْنُ بِمَيِّتِينَ﴾ عطفٌ على محذوفٍ؛ أي: أنحن مُخلَّدونَ منعمونَ فمَا نَحنُ بمَيِّتينَ؛ أي: بمَنْ شَأنُه الموتُ، وقُرِئَ: (بمَائِتينَ)[(٤)].

﴿إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَىٰ﴾ التي كانَتْ في الدُّنيَا، وهي مُتناولَةٌ لِمَا في القبرِ بعد الإحياءِ للسُّؤالِ، ونصبُها على المصدَرِ مِن اسمِ الفاعلِ، وقيل: على الاستثناءِ المُنقطعِ.

---

(١) البيت لأبي المحلم السعدي في «الكامل» للمبرد (١/ ٢٨٥)، وروايته فيه:

ألا فتى من بني ذبيان يحملني   وليس يحملني إلا ابن حمال

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ١٧٨).

(٣) هي قراءة عبد الله، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٨٥)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ٣١).

(٤) ذكرها في «الكشاف» (٧/ ٣٢٧) من غير نسبة، ونسبها أبو حيان في «البحر» (١٨/ ١٧٩) لزيد بن علي.

﴿وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ﴾ كالكُفَّارِ، وذلك تمامُ كلامِه لقرينِه تقريعًا له، أو معاودةٌ إلى مُكالَمَةِ جلسائِه تَحدُّثًا بنعمةِ اللهِ وتَبجُّحًا بها وتَعجُّبًا منها وتعريضًا[1] للقرينِ بالتَّوبيخ.

(٦٠ ـ ٦١) ـ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٦٠﴾ لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ يحتمِلُ أَنْ يكونَ مِن كَلامِهِم، وأن يكونَ كلامُ اللهِ لتَقريرِ قولِه والإشارةِ إلى ما هُمْ عليه[2] مِن النِّعمَةِ والخُلودِ والأمنِ مِن العَذابِ.

﴿لِمِثْلِ هَٰذَا فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ﴾؛ أي: لنيلِ مثلِ هذا يجبُ أن يعملَ العاملونَ، لا للحُظوظِ الدُّنيَوِيَّةِ المشوبةِ بالآلامِ، السَّريعَةِ الانصرامِ، وهو أيضًا يحتملُ الأمرينِ.

(٦٢ ـ ٦٥) ـ ﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ ﴿٦٢﴾ إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ ﴿٦٣﴾ إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ﴿٦٤﴾ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾.

﴿أَذَٰلِكَ خَيْرٌ نُّزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ﴾ شجرةٌ[3] ثَمرُهَا نُزُلُ أهلِ النَّارِ.

وانتصابُ ﴿نُّزُلًا﴾ على التَّمييزِ أو الحالِ، وفي ذكرِه دلالةٌ على أنَّ ما ذكرَ مِن النَّعيمِ لأهلِ الجنَّةِ بمنزلةِ ما يقامُ للنَّازلِ، ولهم ما وراءَ ذلك ما تَقْصُرُ عنهُ الأفهامُ، وكذلك الزَّقومُ لأهلِ النَّارِ، وهو اسمُ شجرةٍ صغيرةِ الورقِ، دَفِرَةٍ مُرَّةٍ تكونُ بتِهامةَ سُمِّيَت بهِ[4] الشَّجرَةُ الموصوفَةُ.

﴿إِنَّا جَعَلْنَاهَا فِتْنَةً لِّلظَّالِمِينَ﴾: محنةً وعَذابًا لهم في الآخرةِ، أو: ابتلاءً في الدُّنيَا،

---

(١) في (أ) و(ت): «وتقريعاً».

(٢) في (ض): «فيه».

(٣) في (ض): «التي».

(٤) في (ت): «بها».

فإنَّهُم لَمَّا سَمِعُوا أنَّها في النَّارِ قالوا: كيفَ ذلك والنَّارُ تحرقُ الشَّجرَ؟ ولم يعلَمُوا أنَّ مَن قدَرَ على خَلْقِ[1] يعيشُ في النَّارِ ويلتَذُّ بها فهو أقدَرُ على خلقِ الشَّجَرِ في النَّارِ وحِفظِه من الإحراقِ.

﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِىٓ أَصْلِ ٱلْجَحِيمِ﴾: مَنبِتُها في قعرِ جهنَّمَ، وأغصانُها ترتَفِعُ إلى دَرَكاتِها.

﴿طَلْعُهَا﴾: حملُها، مُستعارٌ مِن طلعِ التَّمرِ[2] لِمُشاركَتِهِ إيَّاهُ في الشَّكلِ، أو الطُّلوعِ مِن الشَّجرِ ﴿كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ﴾ في تناهي القُبحِ والهولِ، وهو تشبيهٌ بالمتخيَّلِ كتَشبيهِ الفائقِ في الحسنِ بالمَلَك.

وقيل: الشَّياطينُ حيَّاتٌ هائلةٌ قبيحَةُ المنظرِ لها أعرافٌ، ولعلَّها سُمِّيَتْ بها لذلك.

قوله: «أو الحال»:

قال الطِّيبيُّ: مِن (ما) أو مِن الهاءِ المَحذوفةِ؛ أي: ذا سلامةٍ، أو: مُسلَّمًا[3].

(٦٦ ـ ٦٨) ـ ﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٦٦﴾ ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٦٧﴾ ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ لَإِلَى ٱلْجَحِيمِ﴾.

﴿فَإِنَّهُمْ لَءَاكِلُونَ مِنْهَا﴾: مِن الشَّجرَةِ أو من طَلْعها ﴿فَمَالِـُٔونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ﴾ لغلبةِ الجُوعِ أو الجبرِ على أكلِها.

---

(١) في (ت) زيادة: «حيوان» وفي (ض) زيادة: «ما».

(٢) في (خ) و(ت): «الثمر».

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٧١). وليس هذا الكلام في هذه الآية بل في قوله تعالى: ﴿وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ سَلَٰمٌ﴾ [يس: ٥٧ ـ ٥٨]، على قراءة: (سلاماً) بالنصب، ومع ذلك ففي «مطبوع الطيبي» سقطٌ يُستدرك من «التبيان» للعكبري (٢/ ١٠٨٥).

﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا﴾؛ أي: بعدما شَبِعُوا منها وغلَبَهُم[١] العطشُ وطالَ استِسقاؤُهُم، ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿ثُمَّ﴾ لِمَا في شَرابِهم مِن مَزيدِ الكراهةِ والبَشاعَةِ.

﴿لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾: لشرابًا من غسَّاقٍ أو صديدٍ مَشُوبًا بماءٍ حَمِيمٍ يُقطِّعُ أمعاءَهُم، وقُرِئَ بالضَّمِّ[٢]، وهو اسمُ ما يُشابُ به، والأوَّلُ مَصدَرٌ سُمِّيَ به.

﴿ثُمَّ إِنَّ مَرْجِعَهُمْ﴾: مَصيرَهُم ﴿لَإِلَى الْجَحِيمِ﴾: إلى دَركاتِها، أو إلى نَفسِها، فإنَّ الزَّقُّومَ والحميمَ نزلٌ يقدَّمُ إليهِم قبلَ دُخولِها.

وقيل: الحميمُ خارجٌ عنها؛ لقولِه تعالى: ﴿هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي يُكَذِّبُ بِهَا الْمُجْرِمُونَ (٤٣) يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ﴾ [الرحمن: ٤٣] يُورَدُونَ إليه كما تورَدُ الإبلِ إلى الماءِ، ثمَّ يُرَدُّونَ إلى الجحيمِ، ويؤيِّدُه أنَّه قُرِئَ: (ثمَّ إنَّ مُنقلبَهُم)[٣].

(٦٩ ـ ٧٠) ـ ﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾.

﴿إِنَّهُمْ أَلْفَوْا آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ (٦٩) فَهُمْ عَلَىٰ آثَارِهِمْ يُهْرَعُونَ﴾ تعليلٌ لاستِحقاقِهم تلكَ الشَّدائدَ بتَقليدِ الآباءِ في الضَّلالِ، والإهراعُ: الإسراعُ الشَّديدُ كأنَّهُم يُزعَجونَ على الإسراعِ على آثارِهم[٤]، وفيهِ إشعارٌ بأنَّهُم بادَرُوا إلى ذلك مِن غيرِ توقُّفٍ على نظرٍ وبَحثٍ.

---

(١) في (ت): «وغلب عليهم».

(٢) أي: بضم الشين. انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٢٠) عن شيبان النحوي.

(٣) رواها أبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٣١١) عن ابن جريج، والطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٥٦) عن السدي، كلاهما ذكرها عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) في (ت) و(ض): «إثرهم».

(٧١ ـ ٧٤) ـ ﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ ﴿٧١﴾ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ ﴿٧٢﴾ فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ ﴿٧٣﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَلَّ قَبْلَهُمْ﴾: قبلَ قومِك ﴿أَكْثَرُ الْأَوَّلِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا فِيهِم مُّنذِرِينَ﴾: أنبياءَ أنذَرُوهُم من العواقبِ.

﴿فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُنذَرِينَ﴾ مِن الشِّدَّةِ والفَظاعَةِ.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللهِ الْمُخْلِصِينَ﴾: إلا الذينَ تنبَّهُوا بإنذارِهم فأخلَصُوا دينَهُم للهِ، وقُرِئَ بالفَتحِ[1]؛ أي: الذينَ أخلَصَهُم اللهُ لدينِه.

والخطابُ مع الرَّسُولِ ﷺ والمقصودُ خطابُ قومِه، فإنَّهُم أيضًا سَمِعُوا أخبارَهُم ورَأَوْا آثارَهُم.

(٧٥ ـ ٧٧) ـ ﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ ﴿٧٥﴾ وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ ﴿٧٦﴾ وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾.

﴿وَلَقَدْ نَادَانَا نُوحٌ﴾ شروعٌ في تَفصيلِ القصصِ بعدَ إجمالِها؛ أي: ولقَدْ دَعانا حين أَيِسَ مِن قومِه ﴿فَلَنِعْمَ الْمُجِيبُونَ﴾؛ أي: فأجبناهُ أحسنَ الإجابةِ، فواللهِ لَنِعمَ المُجيبونَ نحن، فحُذِفَ مِنْها ما حُذِفَ لقيامِ ما يَدُلُّ عليه.

﴿وَنَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ﴾: مِن الغرقِ، أو أذى قومِه.

﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُ هُمُ الْبَاقِينَ﴾ إذ هلكَ مَن عَداهُم وبقُوا متناسلينَ إلى يومِ القيامَةِ؛ إذْ رُوِيَ أنَّه ماتَ كلُّ مَن كانَ مَعَه في السَّفينَةِ[2] غير بنيهِ وأزواجِهِم.

---

(١) وهي قراءة حمزة والكسائي وعاصم ونافع بفتح اللام والباقون بكسرها، انظر: «التيسير» (ص: ١٢٨).

(٢) في (ض): «في ألف سنة» وفي الهامش كالمثبت نسخة. والمثبت موافق لما في «الكشاف» (٧/ ٣٣٢).

(٧٨ ـ ٨٢) ـ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (٧٨) سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ (٧٩) إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ (٨٠) إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ (٨١) ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ﴾ مِن الأُمَمِ ﴿سَلَامٌ عَلَى نُوحٍ﴾ هذا الكلامُ جِيءَ بهِ على الحكايةِ، والمعنى: يسلِّمونَ عليهِ تسليمًا، وقيل: هو سَلامٌ مِن اللهِ عليهِ.

ومَفعولُ ﴿تَرَكْنَا﴾ مَحذوفٌ مثل: الثَّناءَ.

﴿فِي الْعَالَمِينَ﴾ مُتعلِّقٌ بالجارِّ والمَجرورِ، ومعناه: الدُّعاءُ بثبوتِ هذه التَّحيَّةِ في الملائكةِ والثَّقلينِ جميعًا.

﴿إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ تعليلٌ لِمَا فُعلَ بنُوحٍ مِن التَّكرمةِ بأنَّه مُجازاةٌ له على إحسانِه.

﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ تعليلٌ لإحسانِه بالإيمانِ إظهارًا لجلالَةِ قَدرِه وأصالةِ أمرِه.

﴿ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ﴾ يعني: كُفَّارَ قومِه.

(٨٣ ـ ٨٧) ـ ﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ لَإِبْرَاهِيمَ (٨٣) إِذْ جَاءَ رَبَّهُ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ (٨٤) إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَاذَا تَعْبُدُونَ (٨٥) أَئِفْكًا آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ (٨٦) فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿وَإِنَّ مِنْ شِيعَتِهِ﴾: ممَّنْ شايعَهُ في[1] الإيمانِ وأصولِ الشَّريعَةِ ﴿لَإِبْرَاهِيمَ﴾ ولا يبعدُ اتِّفاقُ شَرعِهِما في الفُروعِ أو غالبًا، وكانَ بينَهُما ألفانِ وستُّ مئةٍ وأربعونَ سنةً، وبينَهُما نبيَّانِ: هودٌ وصالحٌ.

﴿إِذْ جَاءَ رَبَّهُ﴾ مُتعلِّقٌ بما في الشِّيعةِ مِن مَعنى المشايعةِ، أو بمحذوفٍ هو: اذكُرْ.

---

(١) في (ت): «على».

﴿بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ مِن آفاتِ القُلوبِ، أو مِـن العـلائقِ خالصٍ للهِ أو مُخلِصٍ له، وقيل: حزينٍ، مِن السَّليمِ بمَعْنَى اللَّديغِ، ومَعنى المجيءِ بِهِ ربَّهُ: إخلاصُه له كأنَّهُ جاءَ بِهِ مُتْحِفًا إيَّاهُ.

﴿إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦ مَاذَا تَعْبُدُونَ﴾ بـدلٌ مِـن الأولـى، أو ظـرفٌ لـ﴿جَآءَ﴾ أو ﴿سَلِيمٍ﴾.

﴿أَئِفْكًا ءَالِهَةً دُونَ ٱللَّهِ تُرِيدُونَ﴾؛ أي: أتريدونَ آلهةً دونَ اللهِ إفكًا، فقدَّمَ المفعولَ للعنايةِ ثمَّ المفعولَ[1] له لأنَّ الأهمَّ أن يقرِّرَ أنَّهم على الباطلِ ومَبنَى أمرِهم على الإفكِ.

ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿إِفْكًا﴾ مَفْعولًا به، و﴿ءَالِهَةً﴾ بدلٌ منه على أنَّها إفكٌ في أنفسِها[2] للمُبالغةِ، أو المرادُ بها عبادَتُها بحذفِ المضافِ، أو حالًا بمَعنى: آفكينَ.

﴿فَمَا ظَنُّكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ بمَنْ هو حقيقٌ بالعبادةِ لكَونِه رَبًّا للعالمينَ[3] حتى تركتُم عبادَتَهُ، أو أشرَكْتُم به غيرَهُ، أو أَمِنتُم مِن عَذابِه، والمعنى: إنكارُ ما يوجِبُ ظَنًّا فَضْلًا عن قطعٍ[4] يصدُّ عن عبادَتِه، أو يجوِّزُ الإشراكَ به، أو يَقتَضِي الأمنَ مِن عِقابِه على طريقةِ الإلزامِ، وهو كالحجَّةِ على ما قبلَهُ.

(٨٨ ـ ٩٠) ـ ﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ ﴿٨٨﴾ فَقَالَ إِنِّى سَقِيمٌ ﴿٨٩﴾ فَتَوَلَّوْا۟ عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾.

﴿فَنَظَرَ نَظْرَةً فِى ٱلنُّجُومِ﴾ فرأى مواقِعَها واتِّصالاتِها، أو: في علمِها، أو: في كتابِها، ولا منعَ منهُ مَع أنَّ قَصدَهُ إيهامُهُم، وذلك حينَ سَألُوه أَنْ يُعيِّدَ مَعَهُم.

---

(١) «ثم المفعول»: ليس في (ت).

(٢) في (أ) و(ت): «نفسها».

(٣) في (ت): «رب العالمين».

(٤) في (خ) و(ت) زيادة: «ما».

﴿فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ﴾ أراهُم أَنَّه استدلَّ بها ـ لأَنَّهُم كانوا منجِّمينَ ـ على أَنَّه مُشارِفٌ للسقمِ، لئلَّا يخرجوهُ إلى مُعَيَّدِهِم فإنَّه كانَ أغلبُ أسقامِهِم الطَّاعونَ، وكانوا يخافونَ العَدْوَى.

أو أرادَ: إني سَقِيمُ القلبِ لكُفْرِكُم، أو: خارجُ المزاجِ عن الاعتدالِ خُروجًا قلَّ مَن يَخْلُو منه، أو: بصَدَدِ المَوتِ ومنهُ المَثَلُ: كفَى بالسَّلامَةِ داءً، وقولُ لَبِيد:

فَدَعَـوْتُ رَبِّـي بِالسَّـلَامَةِ جَاهِدًا لِيُصِحَّنِـي فَـإِذَا السَّـلَامَةُ دَاءُ[1]

(٩١ ـ ٩٣) ـ ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ فَقَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٩١﴾ مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ ﴿٩٢﴾ فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًۢا بِٱلْيَمِينِ﴾.

﴿فَتَوَلَّوْا عَنْهُ مُدْبِرِينَ﴾: هاربينَ عنهُ[2] مخافةَ العَدْوَى.

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ ءَالِهَتِهِمْ﴾: فذهبَ إليها في خفيةٍ، مِن روغةِ الثَّعلَبِ، وأصلُه: المَيْلُ بحيلةٍ.

﴿فَقَالَ﴾؛ أي: للأصنامِ استهزاءً: ﴿أَلَا تَأْكُلُونَ﴾ يعني: الطَّعامَ الذي كانَ عِندَهُم ﴿مَا لَكُمْ لَا تَنطِقُونَ﴾ بجوابي.

﴿فَرَاغَ عَلَيْهِمْ﴾: فمالَ عَلَيهم مُستَخْفِيًا، والتَّعدِيَةُ بـ(على) للاستعلاءِ وأنَّ الميلَ لِمَكروهٍ.

---

(١) نسبه للبيد: الثعالبي في «التمثيل والمحاضرة» (ص: ٦١)، ولم أجده في «ديوانه»، ونسبه الثعالبي نفسه في «الإعجاز والإيجاز» (ص: ١٣٦) للجعدي، ونسبه القيرواني في «زهر الآداب» (١/ ٢٦٨) لعمرو بن قميئة، وهو في ذيل «ديوانه» (ص: ٧٥)، ونسبه المبرد في «الفاضل» (ص: ٧٠) للنمر بن تولب.

(٢) «عنه»: ليس في (خ) و(ض).

﴿ضَرْبًا بِٱلْيَمِينِ﴾ مَصدرٌ لـ«راغَ عَلَيهِم» لأنَّه في مَعنى: ضَرَبَهُم، أو لِمُضمَرٍ تَقديرُه: فراغَ عَلَيهِم يضرِبُهُم ضرباً، وتقييدُهُ باليَمينِ للدَّلالَةِ على قُوَّتِه، فإنَّ قُوَّةَ الآلَةِ تَستَدْعِي قُوَّةَ الفعلِ.

وقيل: ﴿بِٱلْيَمِينِ﴾ بسببِ الحَلِفِ، وهو قولُه: ﴿تَاللَّهِ لَأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ﴾ [الأنبياء: ٥٧].

(٩٤ ـ ٩٦) ـ ﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴿٩٤﴾ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴿٩٥﴾ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ﴾.

﴿فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ﴾: إلى إبراهيمَ بعدَما رَجَعُوا فرأَوْا أصنامَهُم مُكسَّرَةً وبحثُوا عن كاسرِها، فظَنُّوا[1] أنَّه هو كما شرحَهُ في قولِه: ﴿قَالُواْ مَن فَعَلَ هَٰذَا بِـَٔالِهَتِنَآ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥٩﴾ قَالُواْ سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُۥٓ إِبْرَٰهِيمُ﴾ [الأنبياء: ٥٩ ـ ٦٠].

﴿يَزِفُّونَ﴾: يُسرِعُونَ، مِن زَفيفِ النَّعامِ، وقرأَ حمزَةُ على بناءِ المَفعولِ مِن أَزَفَّ[2]؛ أي: يُحملونَ على الزَّفيفِ.

وقُرِئَ: ﴿يُزِفُّون﴾[3]؛ أي: يُزِفُّ بَعضُهُم بعضًا.

و: (يَزِفون) مِن وَزَفَ يَزِفُ: إذا أسرعَ[4].

---

(١) في (ض): «وظنوا».

(٢) ليست هذه قراءة حمزة بل التي بعدها، وهذه وردت دون نسبة في «الكشاف» (٧/ ٣٣٧) و«البحر» (١٨/ ١٩٠).

(٣) هذه هي قراءة حمزة. انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩) عن الضحاك وابن أبي عبلة ويحيى بن عبد الرحمن، و«المحتسب» (٢/ ٢٢١) عن عبد الله بن يزيد. وذكرها الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٣٨٩) دون نسبة.

=

و: (يَزْفُون) مِن زَفَاهُ: إذا حَدَاهُ[1]؛ كأنَّ بعضَهُم يَزْفوا بعضًا لتَسارُعِهِم إليهِ.

﴿ قَالَ أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ ﴾: ما تنحتونَهُ مِن الأصنامِ ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴾؛ أي: وما تعملونَه، فإنَّ جوهرَهَا بخَلْقِه، وشَكلَها ـ وإن كانَ بفعلِهِم، ولذلك جُعلَ مِن أعمالِهِم ـ فبإقدارِهِ إيَّاهُم عليهِ وخلقِه ما يَتوقَّفُ عليهِ فِعلُهُم مِن الدَّواعِي والعُدَدِ.

أو: عملَكُم، بمعنى مَعمولِكُم؛ ليُطابِقَ ﴿مَا تَنْحِتُونَ﴾، أو أنه[2] بمعنى الحَدَثِ، فإنَّ فِعلَهُم إذا كان بخلقِ اللهِ فيهم كانَ مَفعولُهُم[3] المتوقِّفُ على فعلِهِم أولى بذلك، وبهذا المعنى تمسَّكَ أصحابُنا على خلقِ الأعمالِ، ولهم أَنْ يُرجِّحُوهُ على الأوَّلَيْنِ لِمَا فيهِمَا مِن حَذفٍ أو مَجَازٍ.

(٩٧ ـ ٩٨) ـ ﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾ فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا فَجَعَلْنَـٰهُمُ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴾.

﴿ قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَـٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴾: في النَّارِ الشَّديدةِ، مِن الجُحمَة وهي شدَّةُ التَّأجُّجِ، واللامُ بدلَ الإضافةِ؛ أي: جحيمِ ذلك البُنْيانِ.

﴿فَأَرَادُوا۟ بِهِۦ كَيْدًا﴾ فإنَّهم لَمَّا قَهرَهُم بالحُجَّة قَصدُوا تَعذيبَهُ بذلك لئلَّا يظهرَ للعامَّةِ عَجزُهُم.

= ولم يثبت الفراء: (وَزَفَ)، ونَقَل عن الكسائي أيضاً أنه لم يثبته، قال ابن جني: إلا أن ظاهر اللفظ مقتضٍ لها على ما مضى، وعلى أن أحمد بن يحيى قد أثبت (وَزَفَ): إذا أسرع، وشاهِدُه عنده هذه القراءة.

(١) بفتح الياء وسكون الزاي وتخفيف الفاء. انظر: «زاد المسير» (٣/ ٥٤٥) عن ابن أبي عبلة وأبي نهيك.

(٢) في (ض): «لأنه» وفي الهامش كالمثبت نسخة.

(٣) في (ت): «مفعوله».

﴿فَجَعَلۡنَٰهُمُ ٱلۡأَسۡفَلِينَ ﴾: الأذلِّيـنَ بإبطـالِ كَيدِهـم وجعلِـه بُرهانًا نيِّـرًا على علوِّ شـأنِه حيثُ جعـلَ النَّـارَ عليه بَرْدًا وسَـلامًا.

(٩٩ ـ ١٠١) ـ ﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠٠﴾ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾.

﴿وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي ﴾ إلى حَيثُ أَمرني رَبِّي وهو الشَّامُ، أو حيثُ أَتجرَّدُ فيه لِعبادَتِه ﴿سَيَهۡدِينِ﴾ إلى ما فيه صَلاحُ دِيني، أو إلى مَقصِدِي، وإنما بتَّ القولَ لسبقِ وعدِه، أو لفَرْطِ تَوكُّلِه، أو للبناءِ على عادَتِه مَعه، ولم يَكُن كذلك حالُ مُوسى عليه السَّلامُ حين قال: ﴿عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [القصص: ٢٢] فلذلك ذُكرَ بصيغةِ التَّوقُّعِ.

﴿ رَبِّ هَبۡ لِي مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾: بعضَ الصَّالحينَ يُعينُني على الدَّعوةِ والطَّاعةِ، ويُؤنِسُني في الغُربَةِ، يعني: الولدَ؛ لأنَّ لفظَ الهِبَةِ غالبٌ فيه، ولقوله:

﴿ فَبَشَّرۡنَٰهُ بِغُلَٰمٍ حَلِيمٖ ﴾ بشَّرَه بالولدِ، وبأنَّهُ ذكرٌ يبلغُ أوانَ الحلمِ، فإنَّ الصَّبيَّ لا يُوصَفُ بالحِلْمِ ويكونُ حليمًا، وأيُّ حِلمٍ مثلُ حِلمِه حينَ عرضَ عليه أبوهُ الذَّبحَ وهو مراهقٌ فقال: ﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾؟

وقيل: ما نَعتَ اللهُ نَبيًّا بالحلمِ لعِزَّةِ وُجودِه غيرَ إبراهيمَ وابنِه عليهِما السَّلامُ، وحالُهما المذكورةُ بَعْدُ تَشهَدُ عليه.

(١٠٢) ـ ﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴾.

﴿ فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ ﴾؛ أي: فلمَّا وُجدَ وبلَغَ أن يَسْعى معهُ في أعمالِه، و﴿مَعَهُ ﴾ مُتعلِّقٌ بمحذوفٍ دلَّ عليه ﴿ٱلسَّعۡيَ ﴾ لا به؛ لأنَّ صِلةَ المصدرِ لا تَتقدَّمُه، ولا بـ﴿بَلَغَ ﴾

فإنَّ بُلوغَهُما لم يَكُن معًا، كأنَّه قال: فلَمَّا بلغَ السَّعْيَ، فقيل: مع مَن؟ فقيل: ﴿مَعَهُ﴾، وتخصيصُه لأنَّ الأبَ أكمَلُ في الرِّفقِ به والاستصلاحِ له فلا يَستَسْعِيهِ قبلَ، ولأنَّه استوهَبَهُ لذلك، وكانَ له يومئذٍ ثلاثَ عشرةَ سنةً.

﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ﴾ قرأ حفصٌ وحدَه بفتحِ الياء(١).

﴿إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ يحتمِلُ أنَّه رأى ذلك، وأنَّه رأى ما هو تَعبيرُهُ.

وقيل: إنَّه رأى ليلةَ التَّرويَةِ أنَّ قائلًا يقولُ له: إنَّ اللهَ يأمُرُكَ بذبحِ ابنِكَ، فلَمَّا أصبحَ روَّى(٢) أنَّهُ مِن اللهِ أو مِن الشَّيطانِ، فلَمَّا أَمْسَى رأى مثلَ ذلك فعرفَ أنَّهُ مِن اللهِ، ثمَّ رأى مثلَهُ في الليلةِ الثَّالثَةِ، فهمَّ بنحرهِ وقال له ذلك، ولهذا سُمِّيَت الأيامُ الثَّلاثَةُ بالتَّرويَةِ وعرفةَ والنَّحرِ.

والأظهَرُ أنَّ المُخاطبَ إسماعيلُ عليهِ السَّلامُ؛ لأنَّه الذي وُهِبَ له إثرَ الهجرةِ، ولأنَّ البشارةَ بإسحاقَ بعدُ مَعطوفةٌ على البشارةِ بهذا الغُلامِ.

ولقولِه عليه السلام: «أنا ابنُ الذَّبيحينِ» فأحدُهما: جدُّهُ إسماعيلُ، والآخرُ أبوهُ عبدُ اللهِ، فإنَّ عبدَ المُطَّلبِ نذرَ أنْ يذبحَ ولدًا إن سهَّلَ اللهُ له حفرَ زَمْزَم أو بلغَ بنوهُ عشْرًا، فلمَّا سهَّلَ الله أَقْرَعَ فخرجَ السَّهمُ على عبدِ اللهِ، ففَداهُ بمئةٍ مِن الإبلِ، ولذلك سُنَّت الدِّيةُ مئةً؛ ولأنَّ ذلك كان بمكَّةَ وكان قرنا الكبشِ مُعلَّقينِ بالكعبةِ حتى احترقا مَعَها في أيَّامِ ابنِ الزُّبيرِ(٣)، ولم يَكُن إسحاقُ ثَمَّةَ، ولأنَّ البشارة

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٢٧).

(٢) «روَّى»؛ أي: فكر. انظر: «حاشية الجاربردي على الكشاف» (ج٢/ و٣٠٨ب).

(٣) رواه الإمام أحمد في «المسند» (١٦٦٣٧)، وأبو داود (٢٠٣٠)، والأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٢٢٣) واللفظ له، من طريق سفيان، عن منصورٍ الحَجَبيِّ، حدثني خالي مسافع بن شيبة، عن =

بإسحاقَ كانَتْ مَقرونةً بولادةِ يعقوبَ مِنْهُ فلا يُناسِبُها الأمرُ بذَبحِه مُراهِقًا.

وما رُوِيَ أَنَّه عليهِ السَّلامُ سُئِلَ: أيُّ النَّسبِ أشرَفُ فقال: «يوسفُ صِدِّيقُ اللهِ ابنُ يعقوبَ إسرائيلِ اللهِ ابنِ إسحاقَ ذَبيحِ اللهِ ابنِ إبراهيمَ خليلِ اللهِ»، فالصَّحيحُ أنَّه قال: «يوسفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بن إبراهيمَ»، والزَّوائدُ مِن الرَّاوي، وما رُوِيَ أنَّ يعقوبَ كتبَ إلى يوسُفَ مثلَ ذلك لم يَثْبُت.

وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافِعٌ وأبو عَمرٍو بفَتحِ الياءِ فيهِمَا[1].

﴿فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ مِن الرَّأيِ، وإنَّما شاورَهُ فيه وهو حتمٌ ليَعْلَمَ ما عندَهُ فيما نزلَ مِن بلاءِ اللهِ، فيُثبِّتَ قدمَهُ إن جزِعَ، ويأمنَ عليه إن سَلَّمَ، وليوطِّنَ نفسَهُ عليه فيَهُونَ ويكتسبَ المثوبةَ[2] بالانقيادِ له قبلَ نُزولِه.

= أُمي صفية بنت شيبة: أن امرأةً من بني سُلَيمٍ وَلَدَت عامَّتهم قالت لعثمانَ بن طلحة: لِمَ دعاكَ النبيُّ ﷺ بَعْد خروجه من البيت؟ قال: قال لي: «إِنِّي رأيتُ قَرْنَي الكبش في البيت، فَنَسِيتُ أَنْ آمُرَكَ أنْ تخمِّرها، فإنه لا ينبغي أنْ يكون في البيت شيءٌ يَشْغَلُ مُصلِّيًا». زاد الأزرقي: قال عثمانُ: وهو الكبشُ الذي فُدِي به إسماعيلُ بن إبراهيم عليهما السلام. وفي رواية أحمد: قال سفيانُ: لمْ تَزَلْ قرنَا الكبش في البيت حتى احترق البيتُ فاحترَقَا. ورجاله ثقات.

وروى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٥) عن الشعبي أنه قال في هذه الآية ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ﴾ قال: هو إسماعيل، قال: وكان قَرْنا الكبش مَنُوطَيْن بالكعبة.

وفي رواية عنه قال: رأيت قرني الكبش في الكعبة.

وروى (١٩/ ٦٠٣) عن ابن عباس خبراً فيه: فوَالَّذي نَفْسُ ابن عباس بيده، لقد كان أَوَّلُ الإسلام وإن رأسَ الكبشِ لَمُعَلَّقٌ بقرنيه عند مِيزاب الكعبة قد حَشَّ، يعني: يَبِسَ.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٣٣٤)، و«التيسير» (ص: ١٢٧).

(٢) في (ت): «الفضيلة».

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿ماذا تُرِي﴾ بضَمِّ التَّاءِ وكسرِ الرَّاءِ خالِصَةً والباقونَ بفَتحِها، وأبو عمرٍو يُميلُ فتحةَ الرَّاءِ، وورشٌ بينَ بينَ، والباقونَ بإخلاصِ فَتحِهِما[1].

﴿قَالَ يَٰٓأَبَتِ﴾ وقرأ ابنُ عامرٍ بفتحِ التَّاءِ[2].

﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾؛ أي: ما تُؤمَرُ به، فحُذِفَا دفعةً أو على التَّرتيبِ كما عرفتَ، أو: أمرَكَ، على إرادةِ المأمورِ بهِ والإضافةِ إلى المأمورِ، ولعلَّهُ فَهِمَ مِن كَلامِه أنَّه رأى أنَّه يَذبَحُه مأمورًا به، أو عَلِمَ أنَّ رُؤيا الأنبياءِ حَقٌّ وأنَّ مِثلَ ذلك لا يُقدِمُونَ عليه إلَّا بأمرٍ، ولعلَّ الأمرَ به في المنامِ دونَ اليَقَظةِ لتكونَ مُبادرَتُهما إلى الامتثالِ أدَلَّ على كمالِ الانقيادِ والإخلاصِ، وإنَّما ذُكِرَ بلَفظِ المُضارعِ لتكرُّرِ الرُّؤيَا.

﴿سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ على الذَّبحِ، أو على قَضاءِ اللهِ. وقرأ نافعٌ بفتحِ الياءِ[3].

قوله: «أنا ابنُ الذَّبيحَيْنِ»:

قال الشَّيخُ وَلِيُّ الدِّينِ: لَمْ أَقِفْ عليه[4].

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٨٦).

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٣٤٤).

(٣) انظر: «التيسير» (ص: ١٧٢ و١٨٧).

(٤) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الإحياء» (٣/ ١٧٧): «غريب»، وروى الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٩٧)، والحاكم في «المستدرك» (٤٠٣٦)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٦٠٦٧)، عن الصنابحي، قال: كنا عند معاوية بن أبي سفيان، فذكروا الذبيح إسماعيل أو إسحاق، فقال: على الخبير سقطتم: كنا عند رسول الله ﷺ فجاءه رجل، فقال: يا رسول الله عد علي مما أفاء الله عليك يا ابن الذبيحين؛ فضحك عليه الصلاة والسلام؛ فقلنا له: يا أمير المؤمنين، وما الذبيحان؟ فقال: «إن عبد المطلب لما أمر بحفر زمزم، نذر لله لئن سهل عليه أمرها ليذبحن أحد ولده، قال: فخرج السهم على عبد الله، فمنعه أخواله، وقالوا: افد ابنك بمائة من الإبل، ففداه بمائة من الإبل، وإسماعيل الثاني». قال ابن =

قولـه: «وَمَـا رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ سُئِلَ: أيُّ النَّسبِ أشرَفُ؟ قال: «يوسُفُ صِدِّيقُ اللهِ بنُ يعقوبَ إسرائيل اللهِ بنِ إسحاقَ ذَبيحِ اللهِ بنِ إبراهيمَ خَليلِ اللهِ»، فالصَّحيحُ أنَّه قال: «يوسُفُ بنُ يعقوبَ بنِ إسحاقَ بنِ إبراهيمَ»، والزَّوائدُ مِن الرَّاوي»:

أخرجَ البُخاريُّ والنَّسائيُّ عن أبي هُريرةَ قال: سُئِلَ رَسولُ اللهِ ﷺ: مَن أكرَمُ النَّاسِ؟ قال: «أتقاهُم لله» قالوا: ليسَ عن هذا نسألُكَ، قال: «فأكرَمُ النَّاسِ يوسُفُ نبيُّ اللهِ بنُ نبيِّ اللهِ بنِ نبيِّ اللهِ بنِ خَليلِ اللهِ»(١).

وأخـرج أبو الشـيخِ بنُ حيَّان في «تفسـيره» عن ابـن عباس أنه قـال: قال رجلٌ للنبيِّ الله ﷺ: يا خيرَ البشـر، فقال: «ذاك يوسـفُ صدِّيقُ الله ابنُ يعقوبَ إسرائيلُ اللهِ ابنُ إسحاقَ ذبيحُ الله ابنُ إبراهيم خليلُ الله»(٢).

قوله: «وما رُوِيَ أنَّ يعقوبَ كتَبَ إلى يُوسُفَ مثلَ ذلك لَم يَثبُت»:

أخرجَـه الحكيـمُ التِّرمِذيُّ في «نـوادر الأصول» وأبو الشَّـيخِ في «تفسـيره» عن وهبِ بـنِ مُنبِّهٍ(٣).

= كثير في «تفسيره» (٧/ ٣٥): «غريب جدًّا»، وضعف إسنادَه المصنفُ في «الدر المنثور» (٧/ ١٠٥).

(١) رواه البخاري (٣٣٥٣)، ومسلم (٢٣٧٨).

(٢) انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٥٨٠).

(٣) ذكره المصنف في «الدر المنثور» (٤/ ٥٧٩) عن الحكيم الترمذي وأبي الشيخ عن وهب بن منبه، وينظر نصه بتمامه ثمة.

وقال ابن كثير في «تفسيره» (٤/ ٤٠٥): «إن الإسرائيليين ينقلون أن يعقوب كتب إلى يوسف لما احتبس أخاه بسبب السرقة يتلطف له في رده، ويذكر له أنهم أهل بيت مصابون بالبلاء، فإبراهيم ابتلي بالنار، وإسحاق بالذبح، ويعقوب بفراق يوسف، في حديث طويل لا يصح».

(١٠٣ ـ ١٠٦) ـ ﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ ۝١٠٣ وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ ۚ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ۝١٠٥ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلْبَلَٰٓؤُا۟ ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿فَلَمَّآ أَسْلَمَا﴾: استَسْلَمَا لأمرِ اللهِ، أو سَلَّمَا[١] الذَّبيحُ نفسَهُ وإبراهيمُ ابنَهُ، وقَدْ قُرِئَ بهما[٢]، وأصلُها: سَلِمَ هذا لفلانٍ: إذا خَلصَ له، فإنه سَلِمَ مِن أَنْ يُنازَعَ فيه.

﴿وَتَلَّهُۥ لِلْجَبِينِ﴾: صرعَهُ على شقِّهِ فوقعَ جبينُهُ على الأرضِ وهو أحدُ جانِبَي الجبهَةِ.

وقيل: كبَّهُ على وجهِهِ بإشارَتِه كيلا يَرى فيه تغيُّرًا يَرِقُّ له فلا يذبحُهُ، وكان ذلك عندَ الصَّخرةِ بمِنًى، أو في الموضعِ المشرِفِ على مَسجدِه، أو المنحرِ الذي يُنحَرُ فيه اليومَ.

﴿وَنَٰدَيْنَٰهُ أَن يَٰٓإِبْرَٰهِيمُ ۝١٠٤ قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ﴾ بالعزمِ والإتيانِ بالمُقدِّماتِ.

وقد رُوِيَ أنَّه أَمَرَّ السكِّينَ بقُوَّتِه على حلقِهِ مِرارًا فلَمْ تقطَعْ[٣].

وجوابُ: (لَمَّا) محذوفٌ تقديرُهُ: كان ما كانَ ممَّا ينطقُ به الحالُ ولا يحيطُ به المقالُ مِن استبشارِهما وشُكرِهما للهِ على ما أنعَمَ عليهِمَا مِن دَفعِ البَلاءِ بعدَ حُلولِه والتَّوفيقِ لِمَا لم يُوفَّقْ غيرُهُما لِمثلِه، وإظهارِ فَضلِهما به على العالَمِينَ مع إحرازِ الثَّوابِ العَظيمِ، إلى غيرِ ذلك.

﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ تعليلٌ لإفراجِ تلك الشِّدَّةِ عنهما بإحسانِهما.

---

(١) في (ت): «أو سلم».

(٢) (سلَّما) هي قراءة علي بن أبي طالب وابن عباس وابن مسعود وغيرهم. كما في «المحتسب» (٢/ ٢٢٢)، وعزى الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣٩٣) القراءة الثانية إلى ابن مسعود.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٩/ ٥٨٠) عن السدي.

واحتجَّ بِهِ مَن جوَّزَ النَّسخَ قبلَ وُقوعِه[١]، فإنَّه عليه السَّلامُ كانَ مأمورًا بالذَّبحِ لقولِه[٢]: ﴿ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ﴾ ولم يَحْصُل.

﴿إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ ٱلۡبَلَٰٓؤُاْ ٱلۡمُبِينُ﴾: الابتلاءُ البيِّنُ الذي يتميَّزُ فيه المخلِصُ مِن[٣] غيرِه، أو: المحنةُ البيِّنَةُ الصُّعوبَةِ فإنَّه لا أصعبَ مِنْها.

(١٠٧ - ١١١) - ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ عَظِيمٖ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكۡنَا عَلَيۡهِ فِي ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَٰلِكَ نَجۡزِي ٱلۡمُحۡسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُۥ مِنۡ عِبَادِنَا ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾.

﴿وَفَدَيۡنَٰهُ بِذِبۡحٍ﴾: بمَا يُذبحُ بدلَهُ فيَتِمُّ بِهِ الفعلُ ﴿عَظِيمٖ﴾: عظيمِ الجُثَّةِ سمينٍ، أو: عظيمِ القَدْرِ لأنه يَفْدِي به اللهُ نَبيًّا ابنَ نبيٍّ، وأيَّ نبيٍّ مِن نَسلِه سيِّدُ المُرسَلِينَ.

قيل: كان كبشًا من الجنَّةِ.

وقيل: وعلًا أهبِطَ عليهِ من ثَبيرٍ.

ورُوِيَ أنَّه هربَ مِنْه عند الجمرةِ، فرمَاهُ بسبعِ حصَيَاتٍ حتَّى أخذَهُ فصارَتْ سُنَّةً.

والفادي به على الحقيقةِ إبراهيمُ عليهِ السَّلامُ[٤]، وإنما قال: ﴿وَفَدَيۡنَٰهُ﴾ لأنَّه المُعطِي له والآمِرُ بهِ على التَّجوُّزِ في الفِداءِ أو الإسنادِ.

واستدلَّ به الحنفيَّةُ على أنَّ مَن نذرَ ذبحَ وَلدِهِ لَزِمَه ذبحُ شاةٍ، وليس فيه ما يَدُلُّ عليه[٥].

---

(١) في (ض): «قبل الفعل».

(٢) في (ت): «بقوله».

(٣) في (خ): «عن».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٧٠٧) مطولًا من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ذكر هذه المسألة القدوري في «التجريد» (١٢/ ٦٥٠٦) قال: نذر نحر ولده، قال أبو حنيفة ومحمد =

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ (١٠٨) سَلَامٌ عَلَى إِبْرَاهِيمَ﴾ سبقَ بيانُهُ في قصَّةِ نوحٍ.

﴿كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ﴾ لعلَّهُ طُرِحَ عنه (إنَّا) اكتفاءً بذكرِه مرَّةً في هذه القصَّةِ ﴿إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

(١١٢ ـ ١١٣) ـ ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ (١١٢) وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِنَفْسِهِ مُبِينٌ﴾.

﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ﴾: مَقضِيًّا نبوَّتُه مُقدَّرًا كونُه مِن الصَّالِحينَ، وبهذا الاعتبارِ وقعَا حالَيْنِ، ولا حاجةَ إلى وُجودِ[1] المُبشَّرِ به وقتَ البشارةِ، فإنَّ وُجودَ ذي الحالِ غيرُ شَرطٍ، بَلِ الشَّرطُ مُقارنَةُ تَعلُّقِ الفعلِ به للاعتبارِ المعنيِّ بالحالِ، فلا حاجةَ إلى تقديرِ مُضافٍ يُجعَلُ[2] عامِلًا فيهمَا مثل: وبشَّرْنَا بوجودِ إسحاقَ؛ أي: بأن يوجَدَ إسحاقُ نبيًّا من الصَّالحينَ، ومع ذلك لا يصيرُ نظيرَ قولِه: ﴿فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ﴾ [الزمر: ٧٣]، فإنَّ الدَّاخلينَ مقدِّرونَ خلودَهُم وقتَ الدُّخولِ، وإسحاقُ لم يَكُن مُقدِّرًا نبوَّةَ نفسِه وصلاحَها حينما يوجدُ.

ومَن فسَّرَ الغُلامَ بإسحاقَ جعلَ المقصودَ مِن البِشارَةِ نُبوَّتَه.

وفي ذكرِ الصَّلاحِ بعدَ النُّبوَّةِ تعظيمٌ لشَأنِه، وإيماءٌ بأنَّه الغايَةُ لها لتَضمُّنِها معنى الكمالِ والتَّكميلِ بالفعلِ على الإطلاقِ.

﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ﴾: على إبراهيمَ في أولادِه ﴿وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ بأَنْ أخرَجْنَا مِن صُلْبِه أنبياءَ بني إسرائيلَ وغيرَهُم كأيُّوبَ وشُعيبٍ، أو: أفَضْنا عليهِما بَركاتِ الدِّينِ والدُّنيَا.

= رحمهما الله: إذا نذر نحر ولده، فعليه شاة، وقال أبو يوسف رحمه الله: لا يلزمه شيء، وبه قال الشافعي رحمه الله.

(١) في (ض): «ولا يقدح فيه عدم» بدل: «ولا حاجة إلى وجود».

(٢) في (ت): «المضاف بجعل».

وقُرِئَ: (وبرَّكْنا)[1].

﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ﴾ في عملِهِ أو على نفسِهِ بالإيمانِ والطَّاعةِ ﴿وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِۦ﴾ بالكُفرِ والمَعاصِي ﴿مُبِينٌ﴾: ظاهرٌ ظلمُهُ، وفي ذلك تنبيهٌ على أنَّ النَّسبَ لا أثرَ لَهُ في الهُدَى والضَّلالِ، وأنَّ الظُّلمَ في أعقابِهما لا يعودُ عليهما بنَقيصَةٍ وعَيبٍ.

(١١٤ ـ ١١٨) ـ ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١١٤﴾ وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ ﴿١١٥﴾ وَنَصَرْنَٰهُمْ فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٦﴾ وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ ﴿١١٧﴾ وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾.

﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ﴾: أنعمْنا عليهِما بالنُّبوَّةِ وغيرِهَا مِن المنافعِ الدِّينيَّةِ والدُّنيويَّةِ ﴿وَنَجَّيْنَٰهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ ٱلْكَرْبِ ٱلْعَظِيمِ﴾: مِن تَغلُّبِ فِرعونَ أو الغرقِ.

﴿وَنَصَرْنَٰهُمْ﴾ الضَّميرُ لَهُما مع القومِ ﴿فَكَانُوا۟ هُمُ ٱلْغَٰلِبِينَ﴾ على فِرعونَ وقَومِه.

﴿وَءَاتَيْنَٰهُمَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلْمُسْتَبِينَ﴾: البليغَ في بيانِهِ وهو التَّوراةُ.

﴿وَهَدَيْنَٰهُمَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ﴾: الطَّريقَ الموصِلَ إلى الحقِّ والصَّوابِ.

(١١٩ ـ ١٢٢) ـ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمَا فِى ٱلْءَاخِرِينَ ﴿١١٩﴾ سَلَٰمٌ عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ﴿١٢٠﴾ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢١﴾ إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ سبقَ مِثلُ ذلك.

---

(١) رواه أبو عمرو الداني في «جامع البيان» (ص: ١٨٠)، والمستغفري في «فضائل القرآن» (ص: ٣٧٣): عن الأصمعي قال: قلت لأبي عمرو: ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ﴾ في موضع (وبركنا عليه) أتعرف هذا؟ فقال: ما نعرف إلا أن نسمع من المشايخ الأولين، قال: وقال أبو عمرو: إنما نحن فيمن مضى كبقل في أصول نخل طوال.

(١٢٣ ـ ١٢٦) ـ ﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٢٣﴾ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٢٤﴾ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ وَرَبَّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾.

﴿ وَإِنَّ إِلْيَاسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ هو إلياسُ بن ياسينَ من سِبْط هارونَ أخي موسى بعثَ بعدَهُ.

وقيل: إدريسُ، لأنَّه قُرِئَ: (إدريس)(١) و(إِدْرَاس)(٢) مكانَهُ.

وفي حرفِ أُبَيٍّ: (وإنَّ إيليسَ)(٣).

وقرأَ ابنُ ذكوانَ مع خلافٍ عنه بحذفِ همزةِ إلياسَ(٤).

﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦٓ أَلَا تَتَّقُونَ﴾ عذابَ اللهِ ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾: أتعبدونَهُ؟ أو: أتطلبونَ الخيرَ مِنه؟

وهو اسمُ صَنمٍ كانَ لأهلِ بَكٍّ مِن الشَّامِ، وهو البلدُ الذي يقالُ له الآنَ: بَعْلَبَكَّ.

وقيل: البَعْلُ: الرَّبُّ بلُغَةِ اليَمنِ، والمعنى: أتدعونَ(٥) بعضَ البعولِ؟

﴿وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴾: وتتركونَ عِبادَتَه، وقد أشارَ فيه إلى المقتضي للإنكارِ المعنيِّ بالهمزةِ، ثمَّ صرَّحَ به بقولِه: ﴿اللهُ ربُّكم وربُّ آبائكُم الأوَّلين﴾.

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٨)، و«المحتسب» (٢/ ١٢٤)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٢٤) عن ابن مسعود أيضاً.

(٣) انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٢٥). وجاء في هامش (أ): «قوله: وإن إيليس بهمزة مكسورة وياء ساكنة منقوطة بنقطتين من تحت بينهما لام مكسورة».

(٤) ذكرها في «السبعة» (ص: ٥٤٨) عن ابن عامر، وفي «التيسير» (ص: ١٨٧) عنه من رواية ابن ذكوان.

(٥) في (خ): «أتعبدون».

وقرأَ حمزَةُ والكِسائيُّ ويَعقوبُ وحَفصٌ بالنَّصبِ على البَدلِ[١].

(١٢٧ ـ ١٢٨) ـ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ۝١٢٧ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿فَكَذَّبُوهُ فَإِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ﴾؛ أي: في العَذابِ، وإنَّما أطلقَهُ اكتفاءً منه[٢] بالقرينةِ، أو لأنَّ الإحضارَ المطلَقَ مخصوصٌ بالشرِّ عُرْفًا.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ مُستثنًى مِن الواوِ، لا مِن المحضرينَ لفسادِ المَعنى.

(١٢٩ ـ ١٣٢) ـ ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝١٢٩ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ ۝١٣٠ إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١٣١ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾.

﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ۝١٢٩ سَلَامٌ عَلَىٰ إِلْ يَاسِينَ﴾ لغةٌ في إلياسَ؛ كسِيناءَ وسِينينَ.

وقيل: جمعٌ له مرادٌ بِهِ هو وأتباعُهُ كالمُهَلَّبينَ، لكنْ فيه: أنَّ العَلَمَ إذا جُمعَ يجِبُ تعريفُه باللامِ، أو للمَنسوبِ إليه[٣] بحذفِ ياءِ النَّسَبِ كالأعجمينَ وهو قليلٌ ملبسٌ.

وقرأَ نافعٌ وابنُ عامرٍ ويعقوبُ على إضافةِ ﴿آلِ﴾ إلى ﴿ياسينَ﴾[٤]؛ لأنَّهُما في المصحفِ مَفصولانِ، فيكونُ ياسينُ أبا إلياسَ.

وقيل: مُحمَّدٌ عليه السَّلامُ، أو القرآنُ، أو غيرُه مِن كتبِ اللهِ، والكلُّ لا يناسِبُ نظمَ سائرِ القصصِ، ولا قولَه: ﴿إِنَّا كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ۝١٣١ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ﴾ إذ الظَّاهِرُ أنَّ الضَّميرَ لإلياسَ.

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ١٨٧)، و«النشر» (٢/ ٣٦٠).

(٢) «منه»: ليس في (خ) و(ت).

(٣) «أو للمنسوب إليه» عطف على «له».

(٤) انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٩)، و«التيسير» (ص: ١٨٧)، و«النشر» (٢/ ٣٦٠).

(١٣٣ ـ ١٣٨) ـ ﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ ﴿١٣٦﴾ وَإِنَّكُمْ لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم مُّصْبِحِينَ ﴿١٣٧﴾ وَبِٱلَّيْلِ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ إِذْ نَجَّيْنَٰهُ وَأَهْلَهُۥٓ أَجْمَعِينَ ﴿١٣٤﴾ إِلَّا عَجُوزًا فِى ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿١٣٥﴾ ثُمَّ دَمَّرْنَا ٱلْـَٔاخَرِينَ﴾ سبقَ بيانُه.

﴿وَإِنَّكُمْ﴾ يا أهلَ مكَّةَ ﴿لَتَمُرُّونَ عَلَيْهِم﴾: على مَنازِلِهم في مَتاجِرِكُم إلى الشَّامِ، فإنَّ سدومَ في طريقِه ﴿مُّصْبِحِينَ﴾: داخلينَ في الصَّباحِ ﴿وَبِٱلَّيْلِ﴾؛ أي: ومساءً، أو: نهارًا وليلًا، ولعلَّها وقَعت قريبَ مَنزِلٍ يمرُّ بها المرتحِلُ عنه[1] صباحًا والقاصدُ لها مساءً.

﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾: أفليسَ فيكُم عقلٌ تَعتبِرونَ به.

(١٣٩ ـ ١٤٤) ـ ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾.

﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ وقُرِئَ بكسرِ النُّونِ[2] ﴿إِذْ أَبَقَ﴾: هربَ، وأصلُه: الهَربُ مِن السيِّدِ، لكنْ لَمَّا كان هربُهُ مِن قَومِه بغيرِ إذنِ ربِّهِ حَسُنَ إطلاقُه عليه.

﴿إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾: المملوءِ ﴿فَسَاهَمَ﴾: فقارعَ أهلَه ﴿فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾: فصارَ مِن المغلوبينَ بالقرعةِ، وأصلُه: المُزْلَقُ عن مقامِ الظَّفرِ.

رُوِيَ أنَّه لَمَّا وعدَ قومَهُ بالعَذابِ خرجَ مِن بينِهم قبلَ أَنْ يَأمُرَه اللهُ به، فركبَ

---

(١) «عنه»: ليس في (ت).

(٢) نسبت للحسن في «إعراب القرآن» للنحاس (١/ ٢٥٠)، وهي رواية ابن جماز عن نافع، انظر: «المحرر الوجيز» (٢/ ١٣٦).

السَّفينةَ فوقفَتْ، فقالوا: هاهنا عبدٌ آبقٌ، فاقترَعُوا فخرجَتِ القُرعَةُ عليه، فقال: أنا الآبقُ، ورمَى(١) بنفسِهِ في الماءِ(٢).

﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ﴾: فابتلعَهُ ـ مِن اللُّقمَةِ ـ ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ داخلٌ في المَلَامةِ، أو: آتٍ بما يُلَامُ عليه، أو مُليمٌ نفسَه، وقُرِئَ بالفَتحِ(٣) مبنيًّا مِن لِيمَ؛ كمَشِيبٍ في مَشُوبٍ(٤).

﴿فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ﴾: الذَّاكرينَ الله كثيرًا بالتَّسبيحِ مُدَّةَ عمرِهِ.

أو: في بطنِ الحوتِ، وهو قولُه: ﴿لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [الأنبياء: ٨٧].

وقيل: مِن المُصلِّينَ.

﴿لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ﴾ حيًّا، وقيل: ميتًا، وفيه حَثٌّ على إكثارِ الذِّكرِ وتَعظيمٌ لشأنِه، وأنَّ مَن أقبلَ عليه في السَّرَّاءِ أخذَ بيدِهِ عندَ الضَّرَّاءِ.

(١٤٥ ـ ١٤٨) ـ ﴿فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾.

﴿فَنَبَذْنَٰهُ﴾ بأَنْ حَملنَا الحُوتَ على لفظِه ﴿بِٱلْعَرَآءِ﴾ بالمكانِ الخالي عمَّا يُغطِّيهِ مِن شَجَرٍ أو نبتٍ.

رُوِيَ أنَّ الحوتَ سارَ مع السَّفينةِ رافعًا رأسَهُ، يتنفَّسُ فيه يونسُ ويُسبِّحُ حتى انتهَوا إلى البرِّ فلَفَظَهُ(٥).

---

(١) في (ض) وهامش (أ): «وزج».

(٢) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٥٥٠) عن قتادة.

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ٣٦٠)، و«البحر» (١٨/ ٢١٠).

(٤) في (ت): «وقرئ بالفتح مليماً من ليم؛ كمشيب في مثوب».

(٥) انظر: «الكشاف» (٧/ ٣٦١).

واختُلِفَ في مدَّةِ لبثِه: فقيل: يوم، وقيل: بعضُ يومٍ، وقيل: ثلاثةُ أيَّامٍ، وقيل: سَبعةٌ، وقيل: عِشرونَ، وقيل: أربعونَ.

﴿وَهُوَ سَقِيمٌ﴾ ممَّا نالَهُ، قيل: صارَ بدنهُ كبدنِ الطِّفلِ حين يولَدُ[1].

﴿وَأَنۢبَتۡنَا عَلَيۡهِ﴾؛ أي: فوقَهُ مُظِلَّةً عليه ﴿شَجَرَةٗ مِّن يَقۡطِينٖ﴾: مِن شجرٍ يَنبَسِطُ على وجهِ الأرضِ ولا يقومُ على ساقِهِ، (يَفْعِيلٌ) مِن قَطَنَ بالمكانِ: إذا أقامَ بِهِ، والأكثرُ على أنَّها كانَتِ الدُّبَّاءَ، غَطَّتْه بأوراقِهَا عن[2] الذُّبابِ فإنَّه لا يقعُ عليه، ويدلُّ عليه أنَّه قيلَ لرَسولِ اللهِ ﷺ: إنَّكَ لتُحِبُّ القَرْعَ، قال: «أَجَل، هي شجرَةُ أخي يُونُسَ».

وقيل: التِّينُ.

وقيل: الموزُ يُغَطَّى بورقِهِ، ويَستظِلُّ بأغصانِه، ويُفطِرُ على ثمارِه.

﴿وَأَرۡسَلۡنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلۡفٍ﴾ هم قومُهُ الذين هربَ عَنْهُم، وهم أهلُ نينَوى، والمرادُ: ما سبقَ مِن إرسالِه، أو إرسالٌ ثانٍ إليهم أو إلى غيرِهِم.

﴿أَوۡ يَزِيدُونَ﴾ في مَرْأَى النَّاظرِ؛ أي: إذا نظرَ إليهم قال: هُم مئةُ ألفٍ أو أكثرُ، والمرادُ: الوَصفُ بالكَثرَةِ، وقُرِئَ بالواوِ[3].

﴿فَـَٔامَنُواْ﴾: فصدَّقُوهُ، أو: فجَدَّدُوا الإيمانَ به بمَحْضَرِه.

﴿فَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾: إلى أجلِهِم المُسمَّى، ولعلَّهُ إنَّما لم يَخْتِم قصَّتَه وقصَّةَ لوطٍ بما ختمَ به سائرَ القصصِ تفرِقَةً بينَهُما وبينَ أربابِ الشَّرائعِ الكُبَرِ وأولي العزمِ

---

(١) في هامش (ت): «في نسخة: لا قوة له»، انظر: «تفسير القرآن العزيز» لابن أبي زمنين (٤/ ٧٣).

(٢) في (ض): «من».

(٣) نسبت لجعفر بن محمد، انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٢٧)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٨٧)، ونسبت في «زاد المسير» (٣/ ٥٥٣) لأبي بن كعب، ومعاذ القارئ، وأبي المتوكل، وأبي عمران الجوني.

مِن الرُّسُلِ، أو اكتفاءً بالتَّسليمِ الشَّامِلِ لكلِّ الرُّسُلِ المذكورينِ في آخرِ السُّورةِ.

قوله: «ويدلُّ عليه أنَّه قيلَ لرَسولِ اللهِ ﷺ: إنَّكَ تُحِبُّ القرعَ؟ قال: «أجَلْ، هي شَجرَةُ أخي يونُسَ»».

قال الشَّيخُ وَليُّ الدِّينِ: لَمْ أَقِفْ عليهِ(١).

(١٤٩ ـ ١٥٢) ـ ﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴿١٥٠﴾ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾.

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴾ معطوفٌ على مثلِه في أوَّلِ السُّورَةِ، أمرَ رَسولَهُ أوَّلًا باستفتاءِ قُريشٍ عن وجهِ إنكارِهم البعثَ، وساقَ الكلامَ في تَقريرِهِ جارًّا لِمَا يُلائِمُه مِن القصصِ مَوصولًا بعضُها ببعضٍ.

ثمَّ أمرَ باستِفتائِهم عن وَجهِ القِسمَةِ حيثُ جعلوا للهِ البناتِ ولأنفُسِهم البنينَ في قولِهم: الملائكةُ بناتُ اللهِ.

وهؤلاءِ زادُوا على الشِّركِ ضَلالاتٍ أُخَرَ: التَّجسيمُ، وتَجْويزُ الفَناءِ على اللهِ تَعالى، فإنَّ الوِلادةَ مَخصوصَةٌ بالأجسامِ الكائنَةِ الفاسدَةِ، وتفضيلُ أنفُسِهم عليه حيث

---

(١) قال الزيلعي في «تخريج أحاديث الكشاف» (٣/ ١٨٠): «غريب»، ثم ذكر رواية من «تفسير ابن مردويه» وفيه: «وأنبت الله عليه شجرة من يقطين، قال عبد الله عن النبي ﷺ: واليقطين القرع».

أما حب النبي ﷺ للدباء فقد ورد في عدة أحاديث، منها ما رواه البخاري (٥٣٧٩)، ومسلم (٢٠٤١) عن أنس رضي الله عنه قال: «ذهبت مع رسول الله ﷺ، فرأيته يتتبع الدباء من حوالي القصعة». وروى النسائي في «السنن الكبرى» (٦٦٣٠) عن أنس رضي الله عنه قال: (كان رسول الله ﷺ يحب الدباء).

وفي رواية (٩٩٩٣) عن أنس قال: «وكان يعجبه القرع».

جَعَلُوا أوضعَ الجِنسينِ له وأرفعَهَمُا لهم، واستهانتُهُم بالملائكةِ حيثُ أنَّثوهُم، ولذلكَ كرَّرَ اللهُ تعالى إنكارَ ذلك وإبطالَهُ في كتابهِ مِرارًا، وجعلَهُ ممَّا تَكادُ السَّماواتُ يَتفطَّرْنَ[١] منه وتنشَقُّ الأرضُ وتخرُّ الجبالُ هَدًّا، والإنكارُ هاهنا مقصورٌ على الأخيرينَ لاختصاصِ هذه الطَّائفةِ بهما، ولأن فسادَهُما مما يُدرِكُه العامَّةُ بمُقتَضى طباعِهِم حيثُ جعلَ المعادلَ للاستفهامِ عن التَّقسيمِ.

﴿ أَمْ خَلَقْنَا ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ إِنَٰثًا وَهُمْ شَٰهِدُونَ ﴾ وإنَّما خصَّ علمَ[٢] المشاهدَةِ؛ لأنَّ أمثالَ ذلك لا يُعلَمُ إلا بهِ، فإنَّ الأنوثةَ ليسَتْ مِن لَوازمِ ذاتهم ليُمْكنَ معرفَتُه بالعقلِ الصرفِ، مع ما فيهِ مِن الاستهزاءِ، والإشعارِ بأنَّهُم لفَرْطِ جَهلِهِم يبتُّونَ بهِ كأنَّهُم قد شاهَدُوا خلقَهُم.

﴿ أَلَآ إِنَّهُم مِّنْ إِفْكِهِمْ لَيَقُولُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾ لعَدمِ ما يقتضيهِ وقيامِ ما يَنفيهِ ﴿وَإِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ﴾ فيما يَتديَّنُونَ به.

وقُرِئَ: (وَلَدُ اللهِ)؛ أي: الملائكةُ ولدُه[٣]، (فَعَلٌ) بمعنى مَفعولٍ يَسْتَوي فيه الواحدُ والجمعُ والمذكَّرُ والمؤنَّثُ.

قوله: «﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ﴾ معطوفٌ على مثلِه في أوَّلِ السُّورَةِ...» إلى آخره:

قال أبو حيَّان: يَبعُدُ ما قالَهُ مِن جهَةِ العَطفِ، فإذا كانوا قد عَدُّوا الفصلَ بجملَةٍ مثل قولِك: (كُلْ لَحْمًا واضرِبْ زَيدًا وخُبْزًا) من أقبحِ التَّركيبِ، فكيفَ بجُمَلٍ كثيرةٍ وقصصٍ مُتبايِنَةٍ، فالقولُ بالعَطفِ لا يَجوزُ[٤].

---

(١) في (ض): «ينفطرن».

(٢) في (ت): «وإنما خص هذه».

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ٣٦٥) دون نسبة.

(٤) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٢١٤).

قلتُ: ليسَ المرادُ العَطفَ النَّحويَّ، بل العَودُ والانعِطافُ والتَّعلُّقُ المَعنوِيُّ؛ لِمَا تَقرَّرَ مِن أنَّ كلَّ سورَةٍ آخِرُها مُناسِبٌ لأوَّلِها، فلـمَّا ذكرَ فـي مطلعِ السُّورَةِ: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ أَهُمۡ أَشَدُّ خَلۡقًا ﴾ [الصافات: ١١] ذكرَ فـي مَقطَعِها أيضًا: ﴿ فَٱسۡتَفۡتِهِمۡ ﴾ ليتناسَبَ المطلَعُ والمقطَعُ، ولي في ذلك تَأليفٌ مُستقِلٌّ[1]، ولَوْ كان عطفَ النَّحوِ لتَعيَّنَت الواوُ أو (ثمّ)، ولم يَكُن للفاءِ مَعنًى.

(١٥٣ ـ ١٥٧) ـ ﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴿١٥٣﴾ مَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ ﴿١٥٤﴾ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٥﴾ أَمۡ لَكُمۡ سُلۡطَٰنٞ مُّبِينٞ ﴿١٥٦﴾ فَأۡتُواْ بِكِتَٰبِكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴾.

﴿ أَصۡطَفَى ٱلۡبَنَاتِ عَلَى ٱلۡبَنِينَ ﴾ استفهامُ إنكارٍ واستبعادٍ: والاصطفاءُ: أخذُ صَفوَةِ الشَّيءِ، وعن نافعٍ كسرُ الهمزةِ[2] على حذفِ حرفِ الاستفهامِ لدَلالةِ (أم) بعدَها عليها، أو على الإثباتِ بإضمارِ القَوْلِ؛ أي: لَكاذبونَ في قولِهم: (اصطَفَى) أو إبداله مِن ﴿ وَلَدَ ٱللَّهُ ﴾.

---

(١) للمصنف جملة من التأليفات في هذا الفن: منها ـ ولعله هو المقصود هنا ـ: «تناسق الدرر في تناسب السور» وهو مطبوع ضمن مجموعة التفسير وعلوم القرآن في مجموع رسائل العلامة السيوطي الذي تصدره دار اللباب، ومنها «مراصد المطالع في تناسب المقاطع والمطالع» وهو مطبوع أيضاً ضمن المجموعة السابقة، ومنها أيضاً كتابه الكبير: «قطف الأزهار في كشف الأسرار» وقف فيه عند الآية (٩١) من سورة التوبة ولم يتمه».

(٢) قرأ أبو جعفر بوصل الهمزة على لفظ الخبر، فيبتدئ بهمزة مكسورة، واختلف عن ورش، فروى الأصبهاني عنه كذلك، وهي رواية إسماعيل بن جعفر عن نافع، وروى عنه الأزرق بقطع الهمزة على لفظ الاستفهام، وكذلك قرأ الباقون، انظر: «السبعة» (ص: ٥٤٩)، و«النشر» (٢/ ٣٦٠).

﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ بما لا يرتضيهِ عَقلٌ ﴿أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ أنَّه مُنزَّهٌ عن ذلك.

﴿أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُّبِينٌ﴾: حجَّةٌ واضحةٌ نزلَتْ عليكُم مِن السَّماءِ بأنَّ الملائكةَ بناتُه(١).

﴿فَأْتُوا بِكِتَابِكُمْ﴾ الذي أُنزلَ عليكُم ﴿إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾ في دَعواكُم.

(١٥٨ ـ ١٦٠) ـ ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا ۚ وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ لَمُحْضَرُونَ ﴿١٥٨﴾ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٥٩﴾ إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾.

﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ يعني: الملائكةَ، ذكرَهُم باسمِ جنسِهِم وضعًا مِنْهُم أَنْ يبلغُوا هذه المرتبةَ.

وقيل: قالوا: إنَّ اللهَ صاهرَ الجنَّ فخَرجتِ الملائكةُ.

وقيل: قالوا: إن اللهَ والشَّيطانَ أخوَانِ.

﴿وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجِنَّةُ إِنَّهُمْ﴾: إنَّ الكفرةَ، أو الإنسَ، أو الجِنَّةَ إن فُسِّرت بغيرِ الملائكةِ ﴿لَمُحْضَرُونَ﴾ في العَذابِ.

﴿سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ مِن الولدِ والنسبِ.

﴿إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ﴾ استثناءٌ مِن المحضَرينَ مُنقطعٌ، أو مُتَّصلٌ إن فُسِّرَ الضَّميرُ بما يعمُّهُم وما بينَهُما اعتراضٌ، أو مِن ﴿يَصِفُونَ﴾.

(١٦١ ـ ١٦٣) ـ ﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ ﴿١٦١﴾ مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ ﴿١٦٢﴾ إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾.

﴿فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ عَودٌ إلى خِطابِهِم ﴿مَا أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾: على اللهِ ﴿بِفَاتِنِينَ﴾: مفسدينَ النَّاسَ بالإغواءِ ﴿إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ﴾ إلا مَن سبقَ في علمِهِ أنَّه مِن أهلِ النَّارِ ويَصلاها(٢) لا محالَةَ.

---

(١) في (خ): «بنات الله».

(٢) في (ت): «يصلاها» بدون واو.

و﴿أَنتُمْ﴾ ضميرٌ لَهُم ولآلهتهم غلِّبَ فيه المخاطَبُ على الغائبِ.

ويجوزُ أن يكونَ ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ لِمَا فيه مِن معنى المقارنةِ سادًّا مسدَّ الخبرِ؛ أي: إنَّكُم وآلهتكُم قُرناءُ لا تزالونَ تعبدونَها، ما أَنْتُم على ما تعبدونَهُ بفَاتنينَ: بباعثِين على طريق الفِتنَةِ إلَّا ضالًّا مُستوجِبًا للنَّارِ مثلَكُم.

وقُرِئَ: (صَالُ) بالضمِّ[١] على أنَّه جمعٌ محمولٌ على مَعنى ﴿مَنْ﴾ ساقطٌ واوُهُ لالتقاءِ السَّاكنينِ، أو تخفيفُ صائلٍ على القلبِ كشاكٍ في شائكٍ، أو المحذوفُ منه كالمنسيِّ كما في قولِهم: (مَا باليْتُ بِهِ بَالَةً) فإنَّ أصلَها[٢]: بَالِيَةً كعَافِيَةٍ.

قوله: «ويَجوزُ أَنْ يكونَ ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ لِمَا فيه مِن مَعنى المُقارنَةِ سادًّا مَسَدَّ الخبرِ»:

قال أبو البقاءِ: المَشهورُ أنَّ الواوَ في ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ للعَطفِ؛ أي: إنَّكُم ومَعبودِيكُم.

وقيل: يَضعُفُ أَنْ يكونَ بمَعنى (مع) إذ لا فِعلَ هُنا[٣].

وقال أبو حيَّان: كَوْنُ الواوِ في ﴿وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ واوَ (مَع) غيرُ متبادِرٍ إلى الذِّهنِ، وقطعُ ﴿فما أَنتُمْ عَلَيْهِ بِفَاتِنِينَ﴾ عن ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ﴾ ليسَ بجيِّدٍ؛ لأنَّ اتِّصالَهُ به هو السَّابقُ إلى الفهمِ مع صِحَّةِ المَعنى، فَلَا يَنبَغِي العُدُولُ عَنْه[٤].

---

(١) وهي قراءة الحسن، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣١٥)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٠٠)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٢٨).

(٢) في (ت): «أصله».

(٣) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (٢/ ١٠٩٤).

(٤) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٢١٨).

(١٦٤ ـ ١٦٦) ـ ﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ ١٦٤ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ ١٦٥ وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ﴾.

﴿وَمَا مِنَّآ إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ حكايةُ اعترافِ الملائِكَةِ بالعُبوديَّةِ للردِّ على عَبدَتِهِم، والمعنى: وما مِنَّا أَحَدٌ إلَّا لَهُ مَقامٌ مَعلومٌ في المعرفَةِ والعبادَةِ والانتهاءِ إلى أمرِ اللهِ تَعالى في تَدبيرِ العالمِ لا نتجاوزُه، فحُذِفَ الموصوفُ وأُقِيمتِ الصفةُ مُقامَه.

ويحتملُ أن يكونَ هذا وما قبلَه مِن قولِه: ﴿سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ﴾ مِن كلامِهِم؛ ليتَّصِلَ بقولِه: ﴿وَلَقَدۡ عَلِمَتِ ٱلۡجِنَّةُ﴾ كأنَّه قال: ولقد عَلِمَ الملائكةُ أنَّ المشركينَ مُعذَّبونَ بذلك، وقالوا: (سُبحانَ اللهِ) تنزيهًا له عنه، ثمَّ استثنَوا المخلِصينَ تبرئَةً[1] لهم منه، ثم خاطَبُوا الكفرةَ بأن الافتتانَ بذلك[2] للشَّقاوَةِ المُقدَّرَةِ، ثمَّ اعترفُوا بالعُبوديَّةِ وتَفاوُتِ مَراتِبِهم فيها لا يَتجاوَزُونَها، فحُذِفَ الموصوفُ وأُقيمَت الصِّفَةُ مُقامَهُ.

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ في أداءِ الطَّاعةِ ومنازلِ الخدمةِ.

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلۡمُسَبِّحُونَ﴾ المنزِّهونَ اللهَ عمَّا لا يليقُ بـه، ولعلَّ الأوَّلَ إشارةٌ إلى دَرَجاتِهم في الطَّاعاتِ وهذا في المعارفِ، وما في (إنَّ) واللامِ وتوسيطِ الفَصلِ مِن التَّأكيدِ والاختصاصِ؛ لأنَّهم المواظِبُونَ على ذلك دائمًا مِن غيرِ فترةٍ، دونَ غيرِهِم.

وقيل: هو كلامُ النبيِّ والمُؤمنينَ، والمعنى: وما مِنَّا إلا لهُ مَقامٌ مَعلومٌ في الجنَّةِ أو بينَ يَدي اللهِ في القيامَةِ.

﴿وَإِنَّا لَنَحۡنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ له في الصَّلاةِ والمنزِّهونَ لهُ عن السُّوءِ.

---

(١) في (ض): «تنزيها».

(٢) في (ض): «بأن ذلك الافتتان».

قوله: «فحُذِفَ المَوْصُوفُ وأُقِيمَت الصِّفَةُ مُقامَه»:

قال أبو حيَّان: ليسَ هذا مِن حَذفِ المَوصوفِ وإقامَةِ الصِّفَةِ مقامَه؛ لأنَّ (أحدٌ) المحذوفَ مبتدَأٌ، و﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ خبرُه، ولأنَّه لا يَنعَقِدُ كلامٌ مِن قولِه: ﴿وَمَا مِنَّآ﴾ أحد فقولُه: ﴿إِلَّا لَهُۥ مَقَامٞ مَّعۡلُومٞ﴾ هو مَحَطُّ الفائدَةِ، وإن تُخُيِّلَ أنَّ (إلا لهُ مُقَامٌ) في موضعِ الصِّفَةِ فقد نَصُّوا على أنَّ (إلا) لا تكونُ صِفَةً إذا حذفوا مَوصُوفَها، وأنَّها فارقَتْ (غيرًا) إذا كانت صِفَةً في ذلك لتَمكُّنِ (غير) في الوَصفِ وقِلَّةِ تَمكُّنِ (إلا) فيه[1].

(١٦٧ ـ ١٧٠) ـ ﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ ١٦٧ لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٦٨ لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ١٦٩ فَكَفَرُواْ بِهِۦۖ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾.

﴿وَإِن كَانُواْ لَيَقُولُونَ﴾؛ أي: مُشركو قُرَيشٍ: ﴿لَوۡ أَنَّ عِندَنَا ذِكۡرٗا مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾: كتابًا مِن الكُتبِ التي نزلَتْ عليهِم ﴿لَكُنَّا عِبَادَ ٱللَّهِ ٱلۡمُخۡلَصِينَ﴾: لأخلَصْنا العبادةَ له ولم نُخالِف مِثلَهُم.

﴿فَكَفَرُواْ بِهِۦ﴾؛ أي: لَمَّا جاءَهُم الذِّكرُ الذي هو أشرَفُ الأذكارِ والمهيمِنُ عليها.

﴿فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ﴾ عاقبةَ كُفرِهم.

(١٧١ ـ ١٧٥) ـ ﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ ١٧١ إِنَّهُمۡ لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ ١٧٣ فَتَوَلَّ عَنۡهُمۡ حَتَّىٰ حِينٖ ١٧٤ وَأَبۡصِرۡهُمۡ فَسَوۡفَ يُبۡصِرُونَ﴾.

﴿وَلَقَدۡ سَبَقَتۡ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا ٱلۡمُرۡسَلِينَ﴾؛ أي: وَعْدُنا لهم بالنَّصرِ والغلبَةِ، وهو قولُه: ﴿لَهُمُ ٱلۡمَنصُورُونَ ١٧٢ وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ ٱلۡغَٰلِبُونَ﴾ وهو باعتبارِ الغالبِ والمقضِيِّ بالذَّاتِ، وإنَّما سَمَّاهُ كلمَةً وهي كلماتٌ، لانتِظامِهَا في مَعنًى واحِدٍ.

(١) انظر: «البحر المحيط» (٨/ ٢٢٠ ـ ٢٢١).

﴿فَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾: فأعرِضْ عنْهُم ﴿حَتَّىٰ حِينٍ﴾ هو الموعِدُ لنَصرِكَ عليهِمْ وهوَ يومُ بَدرٍ، وقيل: يومُ الفَتحِ.

﴿وَأَبْصِرْهُمْ﴾ على ما يَنالُهُم حينئذٍ، والمرادُ بالأمرِ: الدَّلالَةُ على أنَّ ذلك كائِنٌ قَريبٌ كأنَّه قدَّامه.

﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ ما قضَيْنَا لكَ مِن التَّأييدِ والنُّصرَةِ والثَّوابِ في الآخرةِ، و(سوفَ) للوَعيدِ لا للتَّبعيدِ.

(١٧٦ ـ ١٧٩) ـ ﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٧٦﴾ فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ ﴿١٧٧﴾ وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾.

﴿أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ﴾ رُوِيَ أنَّه لَمَّا نزَلَ ﴿فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ قالوا: مَتى هذا؟ فنزَلَ[1].

﴿فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ﴾: فإذا[2] نزلَ العَذابُ بفِنائِهِم، شبَّهَهُ بجيشٍ هجَمَهُم فأناخَ بفِنائِهِم بغتةً، وقيل: الرَّسولُ عليهِ السَّلامُ.

وقرئ: (نُزِل)[3] على إسنادِهِ إلى الجارِّ والمَجرورِ، و: (نُزِّل)[4]؛ أي: العذابُ.

﴿فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ﴾: فبئسَ صباحُ المنذرينَ صباحُهُم، واللامُ للجنسِ،

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٠).

(٢) في (ت): «أي إذا».

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٢٩)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٤) عزاها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٥٦) إلى ابن مسعود، وأبي عمران، والجحدري، وابن يعمر.

والصَّباحُ مُستعَارٌ مِن صباحِ الجيشِ المبيِّتِ لوَقتِ نُزولِ العَذابِ[1]، ولَمَّا كثُرت فيهِم الهجومُ والغارةُ في الصَّباحِ سَمَّوا الغارةَ صباحًا وإن وَقَعت في وقتٍ آخرَ.

﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿١٧٨﴾ وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ﴾ تأكيدٌ إلى تأكيدٍ، وإطلاقٌ بعدَ تَقييدٍ؛ للإشعارِ بأنَّهُ يُبصِرُ وأنَّهُم يبصِرونَ ما لا يحيطُ به الذِّكرُ مِن أَصنافِ المسرَّةِ وأنواعِ المَسَاءَةِ، أو الأوَّلُ لعذابِ الدُّنيا والثَّاني لعذابِ الآخرةِ.

(١٨٠ ـ ١٨٢) ـ ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾.

﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾: عمَّا قالَهُ المُشرِكُونَ فيه على ما حُكِيَ في السُّورَةِ، وإضافَةُ الرَّبِّ إلى العِزَّةِ لاختصاصِهَا به إذْ لا عِزَّةَ إلَّا لهُ أو لِمَن أعزَّهُ، وقد أدرجَ فيه جملةَ صِفاتِهِ السَّلبيَّةِ والثُّبوتيَّةِ مع الإشعارِ بالتَّوحيدِ.

﴿وَسَلَامٌ عَلَى الْمُرْسَلِينَ﴾ تعميمٌ للرُّسُلِ بالتَّسليمِ بعدَ تَخصيصِ بعضِهِم.

﴿وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ على ما أفاضَ عليهم وعلى مَن اتَّبَعَهُم مِن النِّعَمِ وحسنِ العَاقِبَةِ، ولذلك أَخَّرَهُ عن التَّسليمِ، والمرادُ: تَعليمُ المُؤمنينَ كيفَ يَحمدُونَهُ ويسلِّمونَ على رُسلِهِ.

وعَن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عنهُ: مَن أَحبَّ أَنْ يَكتالَ بالمِكْيَالِ الأَوْفَى مِن الأجرِ يومَ القِيامَةِ فليَكُن آخرُ كلامِهِ مِن مَجلِسِه: ﴿سُبْحَانَ رَبِّكَ﴾.. إلى آخرِ السُّورَةِ.

وعن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قَرَأَ: ﴿وَالصَّافَّاتِ﴾ أُعْطِيَ مِن الأجرِ عشرَ حَسناتٍ بعدَدِ كُلِّ جِنِّيٍّ وشَيطانٍ، وتباعَدَتْ عنهُ مَرَدَةُ الجِنِّ والشَّياطين، وبَرِئَ مِن الشِّركِ وشَهِدَ له حافِظَاهُ يومَ القِيامَةِ أنَّه كانَ مُؤمِنًا بالمُرسَلِينَ».

---

(١) قوله: «لوقت...» متعلِّق بـ«مستعار». انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٢٩٢).

قوله: «وعَن عليٍّ: مَن أحَبَّ أن يَكتالَ بالمكيالِ الأَوْفَى مِن الأَجرِ يومَ القِيامَةِ فليَكُن آخرُ كلامِه مِن مَجلسِهِ: ﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ ﴾... إلى آخرِ السُّورةِ»:

أخرجَه مُحيي السُّنَّةِ البَغويُّ في «تفسيره»[1].

قوله: «ومَن قرأ ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾..» إلى آخرِه: مَوضوعٌ[2].

* * *

---

(١) رواه بهذا اللفظ موقوفاً على علي رضي الله عنه: الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٤٥ ـ ٤٤٦)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٦)، ومن طريق الثعلبيِّ: البغويُّ في «تفسيره» (٧/ ٦٦). وفي إسناده الأصبغ بن نباتة رمي بالكذب، ورواياته عن علي لا يتابع عليها كما قال ابن عدي. انظر: «تهذيب الكمال» للمزي (٣/ ٣٠٨).

ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٣٤) عن الشعبي.

(٢) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٣١٦) من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه، وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وقد تقدم الكلام عليه مراراً.

سُورَةُ صٓ

سُورَةُ ص

مَكِّيَّةٌ، وآيُها سِتٌّ أو ثمانٌ وثمانونَ[1].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٢) ـ ﴿صٓۚ وَٱلۡقُرۡءَانِ ذِي ٱلذِّكۡرِ ۝١ بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فِي عِزَّةٖ وَشِقَاقٖ﴾.

﴿صٓ﴾ وقُرِئَ بالكسرِ[2] لالتقاءِ السَّاكِنَيْنِ، وقيل: لأنَّه أمرٌ مِن المُصادَّاةِ بمعنى المعارَضَةِ، ومنه: الصَّدَى فإنَّه يُعارِضُ الصَّوتَ الأوَّلَ؛ أي: عارِضِ القُرآنَ بعَمِلِكَ.

وبالفَتحِ لذلك[3]، أو لحَذفِ حرفِ القَسمِ وإيصالِ فعلِهِ إليه[4]، أو إضمارِه

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢١٤)، وفيه: «خمس وثمانون في البَصْري، وهو عدد عاصم الجحدري، وست في عدد المدنيين والمكي والشامي، وثمان في الكوفي، اختلافُها ثلاث آيات...».

(٢) بكسر الدال: قرأ أبيٌّ بن كعب والحسن وابن أبي إسحاق وأبو السمال وابن أبي عبلة ونصر بن عاصم، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠)، و«البحر» (١٨/ ٢٢٨).

(٣) قرأ بها عيسى الثقفي ومحبوب عن أبي عمرو وفرقة. انظر المصادر السابقة.

(٤) بحذفِ حرف القسَم وإيصَال فِعله كقَولهم: (اللهَ لأفعلنَّ) بالنَّصب. انظر: «الكشاف» (٧/ ٣٨١).

وقوله: «بالكسر» أو «بالفتح» يعني أن الحركة بنائية، وقوله: «بالنصب» يدل على أن الحركة إعرابية مع منع الصرف. انظر: «حاشية الجاربردي على الكشاف» (ج٢/ و٣١١ب).

والفَتْحِ في مَوضِعِ الجرِّ فإنَّها غيرُ مَصروفَةٍ[١] لأنَّها عَلَمُ السُّورَةِ.

وبالجرِّ والتنوينِ[٢] على تأويلِ الكتابِ.

﴿وَٱلْقُرْءَانِ ذِى ٱلذِّكْرِ﴾ الواوُ للقَسَمِ إن جُعِلَ (ص) اسمًا للحرفِ، أو مَذكورًا للتَّحدِّي[٣]، أو الرَّمزِ بكَلامٍ مثل: صَدَقَ مُحمَّدٌ، أو للسُّورةِ خبرًا لِمَحذوفٍ، أو لفظِ الأمرِ[٤]، وللعطفِ إنْ جُعِلَ مُقسَمًا به، والجوابُ مَحذوفٌ دلَّ عليه ما في (ص) مِن الدَّلالةِ على التَّحدِّي، أو الأمرِ بالمعادلَةِ[٥]؛ أي: إنَّه لَمُعجِزٌ، أو لَواجِبُ العملُ به، أو: إنَّ مُحمَّدًا لَصادِقٌ، أو قولُه[٦]: ﴿بَلِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾؛ أي: ما كفرَ بِهِ مَن كفَرَ لخللٍ وجدَهُ فيهِ، بل الذين كفرُوا به ﴿فِى عِزَّةٍ﴾؛ أي: استكبارٍ عن الحقِّ ﴿وَشِقَاقٍ﴾: خلافٍ للهِ ولِرَسولِه، ولذلك كَفَرُوا به.

---

(١) أي: بإضْمارِ حَرْف القَسم كقَولهم: (اللهِ لأفعلنَّ) بالجرِّ، والفتحُ في موضع الجرّ هنا للمنع من الصرف. انظر: «الكشاف» (٧/ ٣٨١ ـ ٣٨٢).

والفرق بين الحذف والإضمار: أن المحذوفَ متروكٌ أصلاً، فلا يكون فيما يقوم مقامه أثرٌ منه، والمضمرُ بخلافه. انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٦٠٤).

(٢) قرأ بها ابن أبي إسحاق في رواية. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٠٢)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩١)، و«البحر» (١٨/ ٢٢٨).

(٣) قوله: (أو مذكوراً للتحدّي) هكذا هو في النسخ، وقال الشهاب في «الحاشية» (٧/ ٢٩٤): في النسخ الصحيحة بدون «أو»، ووقع في نسخة بها فقيل: الأولى طرحها.

(٤) قوله: «خبراً لمحذوف»؛ أي: هذه صاد، «أو لفظ الأمر» بمعنى: عارضه بعملك. المصدر السابق.

(٥) قوله: «أو الأمر بالمعادلة»؛ أي: مقابلة علمه بالقرآن بعمله بما فيه، من قولهم: هو عدله وعديله؛ أي نظيره ومقابِلُه، وهو معطوف على الدلالة. المصدر السابق.

(٦) «أو قوله» عطف على «ما في ﴿صٓ﴾». انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٦٠٤).

وعَلى الأوَّلَينِ الإضرابُ أيضًا مِن الجوابِ المُقدَّرِ، ولكن مِن حَيثُ إشعارُهُ بذلك.

والمرادُ بالذِّكرِ: العِظَةُ، أو الشَّرفُ، أو الشُّهرَةُ[1]، أو ذكرُ ما يُحتَاجُ اليه في الدِّينِ مِن العَقائِدِ والشَّرائعِ والمَواعيدِ، والتَّنكيرُ في ﴿عِزَّةٍ وَشِقَاقٍ﴾ للدَّلالةِ على شِدَّتِهما.

وقرئَ: في (غِرَّةٍ)[2]؛ أي: غفلةٍ عمَّا يجبُ عليهِم النَّظرُ فيه.

(٣) ـ ﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ فَنَادَوا وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾.

﴿كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّن قَرْنٍ﴾ وعيدٌ لَهُم على كُفرِهم به استكبارًا وشِقاقًا.

﴿فَنَادَوا﴾ استغاثةً، أو توبةً واستغفارًا[3].

﴿وَّلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ﴾؛ أي: ليسَ الحينُ حينَ مَناصٍ، و(لا) هي المشبَّهَةُ بـ(ليس) زِيدَتْ عليها تاءُ التَّأنيثِ للتَّأكيدِ كما زِيدَت على (رُبَّ) و(ثُمَّ)، وخُصَّت بلزومِ الأحيانِ وحذفِ أحدِ المعمولَيْنِ.

وقيل: هيَ النَّافيَةُ للجِنسِ؛ أي: ولا حينَ مناصٍ لهم.

وقيل: للفعلِ[4]، والنَّصبُ بإضمارِهِ؛ أي: ولا أَرى حينَ مناصٍ.

وقُرِئَ بالرَّفعِ[5] على أنَّه اسمٌ، أو مبتدأٌ محذوفُ الخبرِ؛ أي: ليسَ حينُ مناصٍ حاصِلًا لهم، أو: لا حينُ مناصٍ كائنٌ لهم.

---

(١) في (ض): «والشهرة».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩ ـ ١٣٠) عن حماد بن الزبرقان.

(٣) في (خ): «استغاثة وتوبة واستغفارًا» وفي (أ): «استغاثة أو توبة أو استغفارًا».

(٤) «وقيل: للفعل» عطف على «للجنس». انظر: «حاشية الأنصاري» (٤/ ٦٠٥).

(٥) أي: برفع ﴿حِينَ﴾ ذكرها الأخفش في «معاني القرآن» (٢/ ٤٩٢) عن بعضهم، ولم يسمهم، وعزاها الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ١٤) إلى بعض نحويي أهل البصرة.

وبالكسر(١) كقولِهِ:

طَلَبُـوا صُلْحَـنَا وَلَاتَ أَوَانٍ فَأَجَبْنَـا أَنْ لَاتَ حِيـنِ بَقَـاءِ

إمَّا لأنَّ (لاتَ) تجرُّ الأحيانَ كما أنَّ (لَوْلَا) تجرُّ الضَّمائرِ في نحوِ قوله:

لَـوْلَاكِ هـذا العَـامَ لَـمْ أَحْجُـجِ(٢)

أو لأنَّ «أوانٍ» شُبِّهَ بـ(إذ) لأنَّه مَقطوعٌ عن الإضافةِ؛ إذ أصلُهُ: أوان صلحٍ، ثمَّ حُمِلَ عليه (مناص) تنزيلًا لِمَا أُضيفَ إليه الظَّرفُ منزلتَهُ لِمَا بينَهُمَا مِن الاتِّحادِ؛ إذ أصلُه: (حينَ مَناصِهِم) ثمَّ بُنِيَ الحينُ لإضافَتِه إلى غيرِ متمكنٍ(٣).

و(لاتِ) بالكسرِ كجَيْرِ(٤).

وتقفُ الكوفيَّةُ عليها بالهاءِ كالأسماءِ، والبصريَّةُ بالتَّاءِ كالأفعالِ.

وقيل: إنَّ التَّاءَ مزيدَةٌ عـلى ﴿حِينَ﴾ لاتِّصالِها به في الإمامِ(٥)، ولا يَرِدُ عليه أنَّ خطَّ المُصحَفِ خارجٌ عن القياسِ، إذ مثلُهُ لم يُعهَد فيه، والأصلُ اعتبارُهُ إلَّا فيمَا خَصَّهُ الدَّليلُ، ولقولِه:

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩٢)، و«البحر» (١٨/ ٢٣١)، عن عيسى بن عمر. وقيدها أبو حيان بكسر التاء من (لات) مع جر النون من (حين). وستأتي القراءة بكسر التاء.

(٢) عجز بيت لابن أبي ربيعة، وهو في «ديوانه» (ص: ٩٢)، و«شرح المفصل» (٢/ ٣٤٠) لابن يعيش، وصدره:

أَوْمَـتْ بعينيهـا مِـن الهـودج

(٣) في (ت) و(ض): «متمكن».

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩٢)، و«البحر» (١٨/ ٢٣١)، عن عيسى بن عمر.

(٥) أي: (ولا تحين)، وفي هامش (ت): «أي في مصحف عثمان».

العَاطِفُـونَ تَحِيـنَ مَـا[١] مِـنْ عَاطِـفٍ وَالمُطْعِمُونَ زَمَـانَ مَـا مِـنْ مُطْعِـمِ[٢]

والمناصُ: المنجا، مِن ناصَهَ يَنُوصُهُ إذا فاتَهُ.

قولُه:

«طَلَبُـوا صُلْحَنَـا وَلَاتَ حِيـنَ أَوَانٍ فَـأَجَبْنَـا أَنْ لَاتَ حِيـنَ بَقَـاءِ»

هو لأَبي زبيدٍ الطَّائي[٣].

---

(١) في (ت) و(ض): «لا».

(٢) البيت لأبي وجزة السعدي، وهو في «العين» للخليل (٨/ ٣٦٩)، و«غريب الحديث» لأبي عبيد (٥/ ٢٧٨)، و«المذكر والمؤنث» لابن الأنباري (١/ ١٨٤)، و«الصحاح» (مادة: حين)، و«تفسير الثعلبي» (٢٢/ ٤٥٨)، «المخصص» لابن سيده (٥/ ٨٢). وفي «اللسان» (مادة: ليت): قال ابن بري: صواب إنشاده:

العاطِفُـونَ تَحِيـنَ مَـا مِـنْ عاطِـفٍ والمُنْعِمُـونَ زَمـانَ أَيْـنَ المُنْعِـمُ

واللَّاحِفُـونَ جِفانَهُـمْ قَمْـعَ الـذُّرَى والمُطْعِمُـونَ زَمـانَ أَيْـنَ المُطْعِـمُ

(٣) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٨)، و«معاني القرآن» للأخفش (٢/ ٤٩٢)، و«تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٨٣)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ١٥)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٢٠)، و«الأصول في النحو» (٢/ ١٤٣)، و«إعراب القرآن» للنحاس (٣/ ٣٠٤)، و«تهذيب اللغة» (١٥/ ٣٠٣)، و«الخصائص» (٢/ ٣٧٩)، و«مجمع الأمثال» (١/ ٤٣٣)، و«الكشاف» (٧/ ٣٨٤)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٤٩٢)، و«البحر» (١٨/ ٢٣١)، و«الخزانة» للبغدادي (٤/ ١٩١)، وفي جميع المصادر عدا «الكشاف» و«البحر»: «أن ليس حين بقاء».

قال الجاربردي في «الحاشية على الكشاف» (ج٢/ و٣١٢أ): أي: ولات أوانَ صلح، والشاهد في البيت كسر «أوانٍ».

وقال السيوطي في «شرح شواهد المغني» (٢/ ٦٤١): قوله: «طلبوا»؛ أي: طلب هؤلاء القوم صلحنا والحال أن الأوان ليس أوان الصلح، فقلنا لهم: ليس الحين بقاء الصلح، فحذف اسم ليس وأبقى الخبر و«أنْ» في البيت تفسيرية.

=

قال الطِّيبيُّ: قولُه: لاتَ حينَ بقاءٍ أي: إبقاءٍ، وَضَعَ البقاءَ موضِعَ الإبقاءِ كالعَطاءِ يوضَعُ موضِعَ الإعطاءِ(١).

قوله:

«لَــوْلَاكِ في ذَا العَــامِ لَمْ أَحْجُــجِ»(٢)

قوله: «أو لأنَّ (أوان) شُبِّه بـ(إذ) لأنَّه مقطوعٌ عن الإضافةِ إذ أَصلُه: أَوان صلحٌ، ثمَّ حُمِلَ عليهِ: مناص..» إلى آخره:

قال أبو حيَّان: هذا تمحُّلٌ.

قال: والذي يَظهَرُ لي في تخريجِ هذه القِراءةِ الشَّاذَّةِ والبيتِ النَّادرِ في جرِّ ما بعدَ (لات): أنَّ الجرَّ على إِضمارِ (مِن) كأنَّه قال: لاتَ مِن حينِ مَناصٍ، ولاتَ مِن أوانِ صلحٍ، كما جَرُّوا بها في قَولِهم: على كم جذعٍ بَنَيتَ بيتَك؟ أي: مِن جذعٍ، في أصحِّ القَولينِ، وكما قالُوا: ألا رَجُلٌ جَزاهُ اللهُ خيرًا، يريدون: ألا مِن رَجُلٍ، ويكونُ مَوضِعُ (حينِ مناص) رفعًا على أنَّه اسمُ (لاتَ) بمَعنى (ليسَ)، كما تقولُ: ليسَ مِن رَجُلٍ قائمًا، والخبرُ محذوفٌ، وهذا على قولِ سيبويه، أو على أنَّه مُبتدَأٌ والخبرُ مَحذوفٌ على قولِ الأَخفشِ(٣).

قوله: «ثمَّ بني الحينُ لإِضافَتِه إلى غيرِ المُتمَكِّنِ»:

= وقال البغدادي: «أنْ» مصدرية، و«حِين» خبر «ليس»؛ أي: ليس الحين حِين بقاء، والْبَقَاء: اسْم من قَوْلهم: أبقيت على فلَان إبْقَاء: إذا رَحمته وتلطَّفت به. والمشهور أنّ الاسم منه: (البقيا) بالضم و(البقوى) بالفتح.

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٢٣١).

(٢) كذا في النسخ بلا تعليق، وتقدم تخريجه قريباً.

(٣) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٢٣٢).

قال الطِّيبيُّ: الضَّميرُ في قولِه: «لإضافتِه» راجعٌ إلى المناصِ لا إلى (حين) ضرورةَ كونِ المناصِ في «مَناصِهِم» مُضافًا إلى الضَّميرِ، وهو غيرُ مُتمكِّنٍ.

ولك أن تَجعلَ الضَّميرَ للحينِ لأنَّ قطعَ المُضافِ إليه كقَطعِ المُضافِ، وإضافته إلى المبنيِّ كإضافتِه.

وقال صاحبُ «التقريب»: فيه نَظرٌ؛ لأنَّ الإضافةَ إلى المُضمرِ لا توجبُ بناءَهُ كـ: غلامُكَ، وأمَّا (إذ) فبناؤُه لإضافتِه إلى الجملَةِ، فيُستبقى بناؤُه بعدَ حذفِها[1].

قوله:

«العاطفونَ تحِينَ ما مِن عاطِفٍ والمُطْعِمُونَ زَمَانَ ما مِنْ مُطْعِمِ»[2]

(٤ ـ ٥) ـ ﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡۖ وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ هَٰذَا سَٰحِرٞ كَذَّابٌ ۝٤ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾.

﴿وَعَجِبُوٓاْ أَن جَآءَهُم مُّنذِرٞ مِّنۡهُمۡ﴾: بشرٌ مِثلُهُم، أو أُمِّيٌّ مِن عِدادِهِم.

﴿وَقَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ وُضِعَ فيه الظَّاهرُ موضِعَ الضَّميرِ غَضبًا عليهِم وذمًّا لَهُم، وإشعارًا بأنَّ كُفْرَهُم جَسَّرَهُم على هذا القولِ: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٞ﴾ فيما يُظهِرُهُ من مُعجزةٍ ﴿كَذَّابٌ﴾ فيما يقولُ على اللهِ.

﴿أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًا﴾ بأَنْ جعلَ الألوهيَّةَ التي كانَتْ لهم لِواحِدٍ ﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ﴾: بليغٌ في العجبِ، فإنَّهُ خلافُ ما أطبقَ عليه آباؤُنا وما نُشاهِدُه مِن أنَّ الواحِدَ لا يَفِي علمُهُ وقُدرتُهُ بالأشياءِ الكثيرةِ.

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٢٣١ ـ ٢٣٢).

(٢) كذا في النسخ بلا تعليق، وتقدم تخريجه قريباً.

وقُرِئَ: مُشدَّدًا[١] وهو أبلَغُ ككُرَامٍ وكُرَّامٍ.

رُوِيَ أنَّهُ لَمَّا أسلمَ عُمَرُ رضيَ اللهُ عنهُ شقَّ ذلك على قُريشٍ، فأتوا أبا طالبٍ وقالوا: أنتَ شيخُنَا وكبيرُنَا، وقد عَلِمْتَ ما فعلَ هؤلاءِ السُّفهاءُ، وإنَّا جئناكَ لتقضيَ بينَنا وبينَ ابنِ أخيكَ، فاستحضرَ رسولَ اللهِ ﷺ وقال: هؤلاءِ قومُكَ يسألُونَكَ السَّواءَ[٢]، فَلا تَمِلْ كُلَّ الميلِ عليهِمْ، فقالَ عليهِ السَّلامُ: «ماذا يَسألونَنِي» قالوا: ارفُضْنَا وارفُضْ ذِكرَ آلِهَتِنَا ونَدَعَكَ وإلهكَ، فقال: «أرأَيْتُم إِنْ أَعْطَيْتُكُم ما سَأَلْتُم أَوَمُعْطِيَّ[٣] أنتُمْ كلمةً واحدةً تَملِكُونَ بها العربَ ويَدينُ لَكُم بها العجمُ» قالوا: نَعَم، وعشرًا! فقال: «قولوا: لا إلهَ إلَّا اللهُ» فقامُوا وقالُوا ذلك.

قوله: «رُوِيَ أنَّه لَمَّا أسلَمَ عُمَرُ شقَّ ذلك على قُريشٍ فأتَوْا أبا طالبٍ..» الحديثَ:

أخرجَه أحمَدُ والتِّرمذيُّ والنَّسائيُّ وابنُ حِبَّان مِن حديثِ ابن عبَّاسٍ قال: مَرِضَ أبو طالبٍ فجاءَتْهُ قُريشٌ وجاءَه النبيُّ ﷺ... فذكرَ الحديثَ بنَحوِه ليسَ فيه أوَّلُه[٤].

(٦ - ٧) - ﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ امْشُوا وَاصْبِرُوا عَلَىٰ آلِهَتِكُمْ ۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيْءٌ يُرَادُ ﴿٦﴾ مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ إِنْ هَٰذَا إِلَّا اخْتِلَاقٌ﴾.

﴿وَانطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ﴾: وانطلقَ أشرافُ قُريشٍ مِن مَجلسِ أبي طالبٍ بعدما بكَّتَهم رَسولُ اللهِ ﷺ ﴿أَنِ امْشُوا﴾ قائلينَ بعضُهم لبعضٍ: ﴿امْشُوا﴾، ﴿وَاصْبِرُوا﴾:

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٨)، و«المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٢٩)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٠)، عن السلمي، وزاد ابن خالويه نسبتها لعلي رضي الله عنه.

(٢) في (خ) و(ت) وهامش (ض): «السؤال».

(٣) في (خ) و(ت) و(ض): «أمعطيَّ».

(٤) رواه الإمام أحمد في «المسند» (٢٠٠٨)، والترمذي (٣٢٣٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨٧١٦)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٦٨٦).

واثبتُوا، ﴿عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾: على عِبادَتِها، فلا يَنفعُكُم مُكالَمَتُه.

و(أنْ) هي المُفسِّرَةُ؛ لأنَّ الانطلاقَ عن مجلسِ التَّقاوُلِ يُشعِرُ بالقَوْلِ.

وقيل: المرادُ بالانطلاقِ: الاندِفَاعُ في القَولِ، و﴿ٱمْشُوا﴾ مِن مَشَتِ المرأةُ: إذا كَثُرَت وِلادَتُها، ومنه: الماشِيَةُ؛ أي: اجتمِعُوا.

وقُرِئَ: بغيرِ (أن)[1]، وقُرِئَ: (يمشونَ أَنِ اصبِرُوا)[2].

﴿إِنَّ هَٰذَا لَشَىْءٌ يُرَادُ﴾: إنَّ هذا الأمرَ لشيءٌ مِن رَيبِ الزَّمانِ[3] يُرادُ بنا فلا مَرَدَّ لَه.

أو: إن هذا الذي يدَّعيهِ مِن التَّوحيدِ، أو يقصدُهُ مِن الرِّئاسَةِ والتَّرفُّعِ على العربِ والعجمِ، لشَيْءٌ يُتَمنَّى ويريدُه كلُّ أحدٍ.

أو: إن دينكُم لشيء يُطلَبُ ليُؤخَذَ مِنْكُم.

﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا﴾: بالذي[4] يقولُه ﴿فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ﴾: في المِلَّةِ التي أدرَكْنا عليها آباءَنا، أو في مِلَّةِ عيسى التي هيَ آخرُ المِلَلِ فإنَّ النَّصارَى يثلِّثونَ.

ويجوزُ أن تكونَ حالًا مِن ﴿هَٰذَآ﴾؛ أي: ما سَمِعْنَا مِن أَهلِ الكتابِ ولا الكُهَّانِ بالتَّوحيدِ كائنًا في المِلَّةِ المترقَّبَةِ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾: كذبٌ اختلقَهُ.

(٨) ـ ﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا ۚ بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى ۖ بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾.

﴿أَءُنزِلَ عَلَيْهِ ٱلذِّكْرُ مِنۢ بَيْنِنَا﴾ إنـكارٌ لاختصاصِهِ بالوَحيِ وهـو مثلُهُم أَوْ أَدْوَنُ مِنْهُم

---

(١) انظر: «الكشاف» (٧/ ٣٨٩).

(٢) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٣٩٩)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ٢١)، و«الكشاف» (٧/ ٣٨٩)، عن ابن مسعود رضي الله عنه.

(٣) كتب تحتها في (ض): «نوائب الدهر».

(٤) في (ت): «الذي».

في الشَّرَفِ والرِّئاسَةِ؛ كقَوْلِهِم: ﴿لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ﴾ [الزخرف: ٣١] وأمثالُ ذلك دليلٌ على أنَّ مبدأَ تكذيبِهِم لم يَكُن إلا الحسدَ، وقُصورَ النَّظرِ على الحُطامِ الدُّنيويِّ.

﴿بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ مِّن ذِكْرِى﴾: مِن القُرآنِ أو الوحيِ؛ لِمَيلِهِم إلى التَّقليدِ وإعراضِهِم عن الدَّليلِ، وليسَ في عَقيدَتِهِم ما يَبتُّونَ بهِ مِن قَولِهِم: ﴿هَٰذَا سَٰحِرٌ كَذَّابٌ﴾ ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾.

﴿بَل لَّمَّا يَذُوقُوا۟ عَذَابِ﴾: بل لَمْ يَذُوقُوا عذابي بعدُ فإذا ذاقُوهُ زالَ شَكُّهُم، والمعنى: أنَّهُم لا يُصدِّقُونَ به حتَّى يَمسَّهُم العَذابُ فيُلجِئَهُم إلى تَصديقِهِ.

(٩) ـ ﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾.

﴿أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ ٱلْعَزِيزِ ٱلْوَهَّابِ﴾: بَلْ أَعِنْدَهُم خزائِنُ رَحمَتِه وفي تَصرُّفِهِم حتى يُصيبُوا بها مَن شَاؤُوا ويصرفُوهَا عَمَّن شَاؤوا فيَتخيَّرُوا للنبوَّةِ بعضَ صَناديدِهِم؟

والمعنى: أنَّ النُّبوَّةَ عَطِيَّةٌ مِن اللهِ يَتفضَّلُ بها على مَن يشاءُ مِن عِبادِهِ لا مانعَ لَهُ فإنَّهُ ﴿ٱلْعَزِيزِ﴾؛ أي: الغالبُ الذي لا يُغلَبُ ﴿ٱلْوَهَّابِ﴾: الذي لهُ أَنْ يهبَ كُلَّ ما يَشاءُ لِمَن يَشاءُ، ثمَّ رَشَّحَ ذلك فقال:

(١٠) ـ ﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ۖ فَلْيَرْتَقُوا۟ فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾.

﴿أَمْ لَهُم مُّلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ كأنَّه لَمَّا أنكرَ عليهم التَّصرُّفَ في نبوَّتِهِ بأنْ ليسَ عِندَهُم خزائنُ رَحمَتِه التي لا نهايةَ لها، أردفَ ذلك بأنَّه ليسَ لَهم مدخلٌ

فـي أمرِ هذا العالمِ الجِسمَانِيِّ الذي هو جزءٌ يَسيرٌ[١] مِن خَزائنِه، فمِنْ أينَ لَهُم أن يَتصرَّفُوا فيها؟

﴿فَلْيَرْتَقُواْ فِى ٱلْأَسْبَـٰبِ﴾ جوابُ شَرطٍ مَحذوفٍ؛ أي: إن كانَ لهم ذلك فليَصْعَدُوا في المَعارِجِ التي يُتوصَّلُ بها إلى العَرْشِ حتَّى يَسْتَوُوا عليه ويُدبِّرُوا أَمْرَ العالمِ، فيُنزِلونَ الوحيَ إلى مَن يَستصوِبُونَ، وهو غايةُ التَّهكُّمِ بهم. والسَّببُ في الأصلِ هو الوصلَةُ.

وقيل: المرادُ بالأسبابِ: السَّماواتُ؛ لأنَّها أَسبابُ الحوادثِ السُّفلِيَّةِ.

قوله: «فليَصعْدوا في المعارِجِ التي يُتوصَّلُ بها إلى العرشِ حتَّى يَستَوُوا عليه»:

هي عبارةُ «الكشاف»[٢].

وقد قالَ صاحبُ «الانتصاف»: إنَّها ليسَتْ بجيِّدَةٍ، وإنَّ الاستواءَ المنسوبَ إلى اللهِ تَعالى ليسَ ممَّا يُتوصَّلُ إليه بالصُّعودِ في المعارِجِ، فليسَ استواؤُهُ استقرارًا، بَلْ لَمَّا خلقَ اللهُ الخلقَ فعلَ فيه فعلًا سماهُ استِواءً[٣].

(١١) ـ ﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾.

﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾؛ أي: هُمْ جُندٌ مّا مِن الكُفَّارِ المُتَحزِّبينَ على الرَّسولِ مهزومٌ مَكسورٌ عمَّا قريبٍ، فمِنْ أينَ لَهُم التَّدابيرُ الإلهيَّةُ والتَّصرُّفُ في الأمورِ الرَّبَّانيَّةِ؟: فلا تكترِثْ بما[٤] يقولونَ، و﴿مَّا﴾ مَزيدَةٌ للتَّقليلِ، كقولك: أكلتُ شيئًا ما.

---

(١) في (ض): «الذي هو خزانة يسيرة».

(٢) انظر: «الكشاف» (٧/ ٣٩١).

(٣) انظر: «الانتصاف» (٤/ ٧٥). وفي عبارته غموض وتكلُّف.

(٤) في (ت) و(ض): «لما».

وقيل: للتَّعظيمِ على الهزءِ، وهو لا يُلائِمُ ما بعدَهُ.

و﴿هُنَالِكَ﴾ إشارةٌ إلى حيثُ وضعُوا فيه أنفُسَهُم من الانتدابِ لِمثلِ هذا القَوْلِ.

(١٢ ـ ١٤) ـ ﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ ﴿١٢﴾ وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ ﴿١٣﴾ إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ فَحَقَّ عِقَابِ﴾.

﴿كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ ذُو الْأَوْتَادِ﴾: ذو المُلْكِ الثَّابتِ بالأوتادِ، كقولِه:

وَلَقَدْ غَنُوا فِيهَا بِأَنْعَمِ عِيشَةٍ ... فِي ظِلِّ مُلْكٍ ثَابِتِ الأَوْتَادِ

مأخوذٌ مِن ثَباتِ البيتِ المطنَّبِ بأوتادِه.

أو: ذو الجموعِ الكثيرةِ، سُمُّوا بذلك لأنَّ بعضَهُم يشدُّ بعضًا كالوتدِ يشدُّ البِناءَ.

وقيل: نصَبَ أربعَ سَوارٍ، وكان يمدُّ يَدَي المعذَّبِ ورِجلَيْهِ إليها ويضربُ عليهَا أوتادًا ويتركُه حتى يموتَ.

﴿وَثَمُودُ وَقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ لْـَٔيْكَةِ﴾: وأصحابَ الغَيْضَةِ، وهم قومُ شُعَيبٍ.

وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وابنُ عامرٍ: ﴿لَيْكَةِ﴾[1].

﴿أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ﴾ يعني: المُتحزِّبينَ على الرُّسلِ، الذين جُعِلَ الجندُ المَهزومُ مِنْهُم.

﴿إِن كُلٌّ إِلَّا كَذَّبَ الرُّسُلَ﴾ بيانٌ لِمَا أُسنِدَ إليهم مِن التَّكذيبِ على الإبهامِ مُشتمِلٌ على أنواعٍ مِن التَّأكيدِ ليكونَ تَسجيلًا على استحقاقِهم للعذابَ، ولذلك

---

(١) انظر: «التيسير» (ص: ١٦٦).

رتَّبَ عليهِ ﴿فَحَقَّ عِقَابِ﴾ وهو إمَّا مُقابلَةُ الجَمعِ بالجَمعِ، أو جعلُ تكذيبِ الواحدِ مِنْهُم تكذيبَ جميعِهِم.

قوله:

«ولقَــدْ غنُــوْا فيهَــا بأَنْعَمِ عِيشَةٍ ... فــي ظِــلِّ مُلْــكٍ ثابِــتِ الأَوْتَادِ»

أولُه:

مَــاذَا أُؤَمِّــلُ بَعْــدَ آلِ مُحَــرِّقٍ[1] ... تــركُــوا مَنَــازِلَهُمْ وَآلِ إِيَــادِ

جَـرَتِ الرِّيَـاحُ عَلَـى مَقَـرِّ دِيَارِهِـمْ ... فَكَـأَنَّـمَــا كَانُــوا عَلَــى مِيعَــادِ

وَلَقَــدْ عَنَــوْا..... البيــت

فَــإِذَا النَّعِيــمُ وَكُلُّ مَــا يُــلْهَى بِــهِ ... يَوْمًا يَصِيــرُ إِلَــى بِلًــى وَبِعَــادِ[2][3]

قال الطِّيبِيُّ: «غنوا»؛ أي: أقامُوا[4].

(١٥ ـ ١٦) ـ ﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ ۝١٥ وَقَالُوا۟ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا قَبْلَ يَوْمِ ٱلْحِسَابِ﴾.

﴿وَمَا يَنظُرُ هَٰٓؤُلَآءِ﴾: وما ينتظرُ قومُكَ أو الأحزابُ، فإنَّهم كالحضورِ لاستحضارِهِم بالذِّكرِ، أو حضورِهِم في علمِ اللهِ.

﴿إِلَّا صَيْحَةً وَٰحِدَةً﴾ هي النَّفخَةُ ﴿مَّا لَهَا مِن فَوَاقٍ﴾ مِن توَقُّفٍ مِقدارَ فَواقٍ، وهو ما بينَ الحَلبتَيْنِ، أو رجوعٍ وتَردادٍ فإنَّه فيه[5] يرجعُ اللبنُ إلى الضَّرعِ.

---

(١) في «المفضليات»: «محرق».

(٢) في «المفضليات»: «ونفاد».

(٣) الأبيات للأسود بن يعفر النهشلي، انظر: «ديوانه» (ص: ٢٧)، و«المفضليات» (ص: ٢١٥ ـ ٢١٧).

(٤) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٢٤٣).

(٥) في (ض): «فإنه ساعة»، وفي (خ): «فإن فيه».

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ بالضَّمِّ، وهما لُغتانِ(١).

﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾: قِسْطَنَا مِن العَذابِ الذي تُوْعِدُنا به، أو الجنةِ التي تُعَدُّ للمُؤمنينَ، وهو مِن قطَّهُ: إذا قطعَهُ، ويقالُ لصحيفةِ الجائزَةِ: (قِطٌّ) لأنَّها قِطعَةٌ مِن القرطاسِ، وقد فُسِّرَ بها؛ أي: عَجِّلْ لنَا صحيفةَ أعمالِنَا ننظُرْ فيها ﴿قَبْلَ يَوْمِ الْحِسَابِ﴾ استعجَلُوا(٢) ذلك استِهزاءً.

(١٧) ـ ﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ ذَا الْأَيْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾.

﴿اصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَاذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُدَ﴾: واذكُرْ لَهُم قِصَّتَه تَعظيمًا للمَعصِيَةِ في أَعيُنِهِم، فإنَّه مع عُلوِّ شأنِه واختصاصِهِ بعَظائمِ النِّعَمِ والمكرُماتِ لَمَّا أتى بصغيرةٍ نزلَ عن منزِلَتِه ووبَّخَهُ الملائكةُ بالتَّمثيلِ والتَّعريضِ، حتَّى تَفطَّنَ فاستغفرَ ربَّهُ وأنابَ، فمَا الظَّنُّ بالكفَرَةِ وأهلِ الطُّغيانِ؟

أو: تذكَّرْ قِصَّتَه وصُنْ نَفسَكَ أن تَزِلَّ فيلقاكَ مَا لَقِيَهُ مِن المعاتبَةِ على إهمالِهِ عنانَ نَفسِهِ أدنى إهمالٍ.

﴿ذَا الْأَيْدِ﴾: ذا القُوَّةِ، يقال: فُلانٌ أَيِّدٌ وذو أَيْدٍ وآدٍ وإيادٍ، بمعنًى.

﴿إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾: رجَّاعٌ إلى مرضاةِ(٣) اللهِ، وهو تعليلٌ لـ﴿الْأَيْدِ﴾ دليلٌ على أنَّ المرادَ بهِ القُوَّةُ في الدِّينِ، وكانَ يَصومُ يومًا ويُفطِرُ يومًا ويقومُ نِصفَ الليلِ.

(١٨) ـ ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِشْرَاقِ﴾.

﴿إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ﴾ قد مرَّ تَفسيرُهُ، و﴿يُسَبِّحْنَ﴾ حالٌ وُضِعَ مَوضِعَ:

---

(١) وقراءة الباقين بفتح الفاء، انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٧).

(٢) في (ض): «استعملوا».

(٣) في (ت): «إلى رحمة».

مُسبِّحَاتٍ؛ لاستحضارِ الحالِ الماضيَةِ، والدلالةِ على تَجدُّدِ التَّسبيحِ حالًا بعدَ حالٍ.

﴿بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِشْرَاقِ﴾: ووقتَ الإشراقِ، وهو حينَ تُشرِقُ الشَّمسُ؛ أي: تُضيءُ ويَصْفُو شُعاعُها، وهو وَقتُ الضُّحَى، وأمَّا شُروقُها فطُلُوعُها، يقال: شَرَقَتِ الشَّمسُ ولَمَّا تُشْرِقْ.

وعَن أمِّ هانئٍ: أنَّه عليهِ السَّلامُ صلَّى صلاةَ الضُّحَى وقال: «هذهِ صَلاةُ الإشراقِ»[1].

وعن ابنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنهُما: ما عَرَفْتُ صَلاةَ الضُّحَى إلَّا بهذهِ الآيةِ.

قولُه: «وعَن ابنِ عبَّاسٍ: ما عَرَفتُ صَلاةَ الضحى إلا بهذه الآيةِ»:

أخرجَه سعيدُ بنُ مَنصورٍ[2].

---

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٧٦ ـ ٤٧٧)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٤٤)، والبغوي في «تفسيره» (٧/ ٧٦)، والطبراني في «الكبير» (٢٤/ ٤٠٦)، كلهم من رواية حجاج بن نصير، عن أبي بكر الهذلي، عن عطاء، عن ابن عباس: حدثتني أم هانئ. وإسناده ضعيف جدًّا، أبو بكر الهذلي متروك، وحجاج بن نصير ضعيف.

ورواه الحاكم في «المستدرك» (٦٨٧٣) من وجه آخر عن عبد الله بن الحارث عن ابن عباس: (كان لا يصلي الضحى حتى أدخلناه على أم هانئ فقلت لها: أخبري ابن عباس، قالت: دخل رسول الله ﷺ في بيتي فصلى صلاة الضحى ثمان ركعات. قال: فخرج ابن عباس وهو يقول: هذه صلاة الإشراق. قال ابن حجر في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٢): هذا موقوف وهو أصح. قلت: ورواه بنحو رواية الحاكم الحميدي في «مسنده» (٣٣٣)، وإسحاق بن راهويه في «مسنده» (٢١١٦).

قال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٣/ ٢٣٦): ولهم في صلاة الضحى كلام طويل والحق سنيتها، وقد ورد فيها كما قال الشيخ ولي الدين ابن العراقي أحاديث كثيرة صحيحة مشهورة حتى قال محمد بن جرير الطبري: إنها بلغت مبلغ التواتر، ومن ذلك حديث أم هانىء الذي في الصحيحين. قلت: رواه البخاري (١١٠٣)، ومسلم (٣٣٦) عقب الحديث (٧١٩).

(٢) رواه سعيد بن منصور في «سننه ـ التفسير» (١٨٣٢) (٧/ ١٧٣).

(١٩) ـ ﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾.

﴿وَالطَّيْرَ مَحْشُورَةً﴾ إليهِ مِن كلِّ جانبٍ، وإنَّما لم يُراعِ المُطابقةَ بينَ الحالَيْنِ لأنَّ الحشرَ جُملَةً أدلُّ على القُدرَةِ مِنه مُدرَّجًا.

وقُرِئَ: (والطَّيْرُ مَحشورَةٌ) بالابتداءِ والخبرِ(١).

﴿كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾: كلُّ واحدٍ مِن الجبالِ والطَّيرِ لأَجلِ تَسبيحِهِ رَجَّاعٌ إلى التَّسبيحِ، والفرقُ بينَهُ وبينَ ما قبلَه: أنَّه يَدلُّ على الموافقةِ في التَّسبيحِ، وهذا على المداومةِ عليها، أو كلٌّ مِنهُما ومِن داودَ مُرَجِّعٌ للهِ التَّسبيحَ.

(٢٠) ـ ﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾.

﴿وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ﴾: وقوَّيْناهُ بالهيبةِ، وبالنُّصرَةِ وكثرةِ الجُنودِ. وقُرِئَ بالتَّشديدِ للمُبالغَةِ(٢).

وقيل: إنَّ رَجُلًا ادَّعى بقرةً على آخرَ، وعَجزَ عن البيَانِ، فأُوْحي إليه: أنِ اقتُلِ المُدَّعَى عليه، فأعلمَهُ فقال: صدقتَ، إنِّي قتلتُ أَباهُ غيلةً وأخذتُ البقرةَ، فعَظُمَتْ بذلكَ هيبَتُه(٣).

﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ﴾: النبوَّةَ، أو: كمالَ العلمِ وإتقانَ العَمَلِ.

﴿وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ﴾: وفصلَ الخِصامِ بتَمييزِ الحقِّ عن الباطلِ، أو الكلامَ الملخَّصَ الذي ينبِّهُ المخاطَبَ على المقصودِ مِن غيرِ التباسٍ، فيُراعي فيه مظانَّ الفَصْلِ والوَصْلِ، والعطفِ والاستئنافِ، والإضمارِ والإظهارِ، والحَذفِ والتكرارِ، ونَحوِها، وإنَّما سُمِّيَ

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠) عن إبراهيم بن أبي عبلة.

(٢) أي: (شدَّدنا)، انظر: «المختصر في شواذ القرءات» (ص: ١٣٠) عن إبراهيم بن أبي عبلة.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٤٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما بأتم من هذا.

بِهِ (أمَّا بعدُ) لأنَّه يَفصِلُ المقصودَ عمَّا سبقَ مُقدِّمَةً له مِن الحمدِ والصَّلاةِ.

وقيل: هو الخطابُ القصدُ الذي ليسَ فيه اختصارٌ مُخِلٌّ ولا إشباعٌ مُمِلٌّ، كما جاءَ في وَصفِ كلامِ الرَّسُولِ عليهِ السَّلامُ: «فصلٌ لا نَزْرٌ ولا هَذْرٌ».

قوله: «كما جاءَ في وَصفِ كَلامِ الرَّسُولِ ﷺ: فَصْلٌ لا نزرٌ ولا هَذْرٌ»:

هو في حَديثِ أمِّ مَعبَد(١).

(٢١ ـ ٢٣) ـ ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ۝٢١ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ۝٢٢ إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ﴾.

﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ استفهامٌ مَعناه التَّعجيبُ والتَّشويقُ إلى استماعِهِ، والخصمُ في الأصلِ مصدرٌ ولذلك أُطلِقَ للجَمعِ.

﴿إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ﴾: إذ تصعَّدوا سورَ الغرفَةِ، (تفعَّلَ) مِن السُّورِ كتَسنَّمَ مِن السَّنامِ.

و﴿إِذْ﴾ مُتعلِّقٌ بمَحذوفٍ؛ أي: نبأُ تحاكُمِ الخصمِ إذ تَسوَّرُوا، أو بالنبأ على أنَّ المرادَ به: الواقعُ في عهدِ داودَ، وأن إسنادَ (أتى) إليه على حَذفِ مُضافٍ؛ أي: قصَّةَ نبأِ الخَصمِ.

---

(١) قطعة من خبر أم معبد في وصف النبي ﷺ، رواه ابن سعد في «الطبقات» (١/ ٢٣٠)، والطبري في «المنتخب من ذيل المذيل» (ص: ٧٥ ـ ٧٦)، من حديث أبي معبد الخزاعي زوج أم معبد.
ورواه ابن طيفور في «بلاغات النساء» (ص: ٤٨)، والطبري في «المنتخب من ذيل المذيل» (ص: ٧٣ ـ ٧٤)، وأبو بكر الشافعي في «الغيلانيات» (١١٤٠)، والآجري في «الشريعة» (١٠٢٠)، والطبراني في «الكبير» (٣٦٠٥)، والحاكم في «المستدرك» (٤٢٧٤)، وأبو نعيم في «معرفة الصحابة» (٢٢٦٦)، والبيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٢٧٨)، وغيرهم، من حديث حبيش بن خالد رضي الله عنه وهو أخو أم معبد.

أو بـ﴿ٱلْخَصْمِ﴾ لِمَا فيه مِن مَعنى الفعلِ لا بـ(أتى) لأنَّ إتيانَهُ الرَّسولَ لم يَكُن حينئذٍ.

و﴿إِذْ﴾ الثَّانيةُ في: ﴿إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ﴾ بدلٌ مِن الأولى، أو ظرفٌ لـ﴿تَسَوَّرُوا۟﴾.

﴿فَفَزِعَ مِنْهُمْ﴾ لأنَّهُم نزلُوا عليه مِن فوقٍ في يومِ الاحتجابِ والحرسُ على البابِ لا يتركونَ مَن يدخلُ عليهِ، فإنَّهُ كانَ عليه السَّلامُ جزَّأَ زمانَهُ يومًا للعبادةِ ويَوْمًا للقَضاءِ ويَوْمًا للوَعظِ ويَوْمًا للاشتِغَالِ بخاصَّتِهِ، فتسوَّرَ عليه ملائكَةٌ على صورِ إنسانٍ في يومِ الخَلوَةِ.

﴿قَالُوا۟ لَا تَخَفْ خَصْمَانِ﴾: نحنُ فَوْجانِ مُتخاصِمَانِ، على تسميَةِ مُصاحبِ الخصمِ خَصْمًا ﴿بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ﴾ وهو[1] على الفَرْضِ وقصدِ التَّعريضِ إن كانوا مَلائِكَةً وهو المَشهورُ.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ﴾: ولا تَجُرْ في الحُكومَةِ.

وقُرِئَ: (ولا تَشْطُط)[2]؛ أي: ولا تَبعُدْ عن الحقِّ، و: (ولا تُشطِّطْ)[3]، و: (ولا تُشَاطِطْ)[4]، والكلُّ مِن مَعنى الشَّطَطِ، وهو مجاوزَةُ الحدِّ.

﴿وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ﴾؛ أي: إلى وسطه وهو العَدلُ.

﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى﴾ بالدِّينِ أو الصُّحبَةِ ﴿لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ﴾ هي الأُنثى

---

(١) «وهو»: ليس في (ض).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣١)، عن أبي رجاء وأبي حيوة وقتادة.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠) عن قتادة.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠) عن زر بن حبيش.

مِن الضَّأنِ، وقد يُكْنَى بها عن المرأةِ، والكنايةُ والتَّمثيلُ فيما يُساقُ للتَّعريضِ أبلَغُ في المقصودِ.

وقُرِئَ: (تَسعٌ وتَسعونَ) بفتحِ التَّاءِ[1]، و: (نِعجَةٌ) بكسرِ النُّونِ[2].

وقرأ حَفصٌ بفَتحِ ياءِ ﴿لِيَ نَعۡجَةٌ﴾[3].

﴿فَقَالَ أَكۡفِلۡنِيهَا﴾: مَلِّكْنيهَا، وحقيقَتُه: اجعَلْني أكفُلُها كما أكفُلُ ما تحتَ يدي.

وقيل: اجعَلْها كِفْلِي: نَصيبِي.

﴿وَعَزَّنِي فِي ٱلۡخِطَابِ﴾: وغلبَنِي في مُخاطبَتِه إيَّايَ محاجَّةً بأَنْ جاءَ بحِجَاجٍ لم أقدِرْ ردَّهُ، أو في مُغالبَتِه إيَّايَ في الخِطبَةِ، يقال: خطبتُ المرأةَ وخَطَبَها هو، فخاطَبَني خِطَابًا حيثُ زَوَّجَها دُوني.

وقُرِئَ: (وعازَّني)[4]؛ أي: غالبَني، و: (وعَزَني)[5] على تخفيفٍ غريبٍ.

(٢٤) - ﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦۖ وَإِنَّ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلۡخُلَطَآءِ لَيَبۡغِي بَعۡضُهُمۡ عَلَىٰ بَعۡضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٞ مَّا هُمۡۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسۡتَغۡفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّۤ رَاكِعٗاۤ وَأَنَابَ﴾.

﴿قَالَ لَقَدۡ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعۡجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾ جوابُ قسمٍ مَحذوفٍ قُصِدَ به المبالغةُ

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣١)، عن الحسن بخلاف وابن مسعود.

(٢) انظر: «المحتسب» (٢/ ٢٣١) عن الحسن والأعرج.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٣).

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠) عن مسروق وأبي وائل شقيق بن سلمة والضحاك والحسن.

(٥) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣١)، عن طلحة وأبي حيوة.

في إنكارِ فعلِ خَليطِهِ وتهجينِ طمَعِه، ولعلَّهُ قال ذلك بعدَ اعترافِه، أو على تَقديرِ صِدْقِ المُدَّعِي، والسُّؤالُ مصدرٌ مُضافٌ إلى مَفعولِهِ، وتَعدِيَتُه إلى مَفعولٍ آخرَ بـ(إلى) لتَضمُّنِه مَعنى الإضافَةِ.

﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ﴾: الشُّركاءِ الذين خَلَطُوا أموالَهُم، جمعُ خَلِيطٍ.

﴿لَيَبْغِي﴾: ليَتعدَّى. وقُرِئَ بفتحِ الياءِ[1] على تقديرِ النُّونِ الخَفيفَةِ وحذفِها كقوله:

اضْـرِبَ عَنْـكَ الهُمُـومَ طَارِقَهَـا[2]

وبحذفِ اليَاءِ اكتفاءً بالكَسْرِ[3].

﴿بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾؛ أي: وهُـمْ قَليلٌ، و﴿ما﴾ مَزيدةٌ للإبهامِ والتَّعجُّبِ مِن قِلَّتِهِم.

---

(١) أي التي في آخره. انظر: «الكشاف» (٧/ ٤١٤)، و«البحر» (١٨/ ٢٥٥) دون نسبة.

(٢) صدر بيت نسب لطرفة في «الصحاح» (مادة: قنس).
وفي «النوادر» لأبي زيد (ص: ١٦٥) عن أبي حاتم: أنشدني الأخفش بيتًا مصنوعًا لطرفة، فذكره.
قلت: وليس في «ديوان طرفة»، وهو دون نسبة في «الجمل» للخليل (ص: ٢٥٧)، و«جمهرة اللغة» (٢/ ٨٥٢)، و«العقد» لابن عبد ربه (٦/ ٢٠٣)، و«البارع» للقالي (ص: ٤٧٦)، و«الصحاح» (مادة: نون)، و«أساس البلاغة» (مادة: قنس)، وذكره ابن جني في «سر صناعة الإعراب» (١/ ٩٧) وقال: مدفوع مصنوع عند عامة أصحابنا، ولا رواية تثبت به. وعجزه:

ضَرْبَـكَ بالسَّـيفِ قَوْنَـسَ الفَـرسِ

قال الطيبي: أي: اضربَنْ، فحذفت النون الخفيفة، و«طارقها»: بدل من «الهمومَ» بدل البعض، و«قونس» موضع ناصية الفرس؛ أي: ادفع طوارق الهموم عن نفسك عند غشيانها كما يضرب قونس الفرس عند الإقبال.

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ٤١٤)، و«البحر» (١٨/ ٢٥٥) دون نسبة.

﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ﴾: أيْقـنَ وعَلِـمَ ﴿أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: ابتلَيْنـاهُ بالذَّنـبِ، أو: امتحنَّـاهُ بتلك الحُكومَـةِ: هـل[1] يتنبَّـهُ بها؟

﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾ لذَنبِه ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا﴾: ساجِدًا، عـلى تَسمِيَةِ السُّجودِ رُكوعًا لأنَّه مبدؤهُ، أو خرَّ للسُّجودِ راكِعًا؛ أي: مُصلِّيًا كأنَّه أحرمَ برَكعَتَي الاستِغفارِ.

﴿وَأَنَابَ﴾: ورجـعَ إلى اللهِ بالتَّوبَةِ، وأقصَى ما في هذه الآية: الإشعارُ بأنَّه عليهِ السَّلامُ ودَّ أَنْ يكونَ له ما لغيرِهِ، وكانَ له أمثالُه، فنبَّهَهُ اللهُ تَعالى بهذه القَضِيَّةِ فاستغفرَ وأنابَ عنه.

وما رُوِيَ أنَّ بصرَهُ وقعَ على امرأةِ رجلٍ يقال له: أُورِيَا، فعَشِقَها، وسَعى حتى تَزوَّجَها وولَدَتْ مِنهُ سُليمانَ عليهِ السَّلامُ، إنْ صَـحَّ[2]، فلعلَّهُ خطبَ مَخطوبَتَهُ أو استَنْزَلَهُ عن زَوْجَتِهِ، وكان ذلك مُعتادًا فيما بينَهُم، وقد واسَى الأنصارُ المُهاجِرينَ بهذا المعنى.

وما قيلَ: إنَّـهُ أرسلَ أُورِيَا إلى الجِهادِ مِرارًا وأمرَ أَنْ يقدَّمَ حتَّى قُتِلَ فتزوَّجَها، هُراءٌ وافتِرَاءٌ[3].

---

(١) في (ض): «كي».

(٢) ولم يصح، فإنه من أكاذيب أهل الكتاب الذين دأبوا على الطعن في أنبيائهم، فلا حاجة إلى ما سيأتي من تأويل. وانظر التعليق الآتي.

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٦٤ ـ ٦٧) عن ابن عباس بإسناد ضعيف جدًّا، وعن السدي، وليس في هذا ما يصح، قال ابن كثير في «تفسيره» عند هذه الآية: قد ذكر المفسرون هاهنا قصة أكثرها مأخوذ من الإسرائيليات، ولم يثبت فيها عن المعصوم حديث يجب اتباعه. ثم قال: فالأولى أن يقتصر على مجرد تلاوة هذه القصة، وأن يردَّ علمها إلى الله عز وجل، فإن القرآن حق، وما تضمن فهو حق أيضاً.

=

ولذلك قالَ عَلِيٌّ رضي اللهُ عنه: مَن حَدَّثَ بحديثِ داودَ على ما يرويهِ القُصَّاصُ جَلَدْتُه مئةً وستِّينَ.

وقيل: إنَّ قومًا قَصدُوا أن يقتلوهُ فتَسوَّرُوا المحرابَ ودَخلُوا عليه، فوَجدُوا عندَهُ أَقْوامًا فتَصنَّعوا بهذا التَّحاكُمِ فعَلِمَ غرضَهُم، وقصدَ أَنْ يَنتَقِمَ مِنهم، فظنَّ أَنَّ ذلك ابتلاءٌ مِن اللهِ لهُ فاستَغْفَر ربَّهُ ممَّا هَمَّ به وأَنابَ.

قوله: «ولذلك قالَ عليهِ السَّلامُ[1]: مَن حَدَّثَ بحديثِ داودَ على ما يرويه القُصَّاصُ جلَدْتُه مائةً وستِّينَ»:

لا أدري هذا كلامُ مَن[2]؟

(٢٥) ـ ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: ما استغفرَ عنهُ ﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾: لقُربَةً بعدَ المغفرةِ ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مرجعٍ في الجنَّةِ.

(٢٦) ـ ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾.

= وقال القاضي عياض في «الشفا» (٢/ ١٦٣): وأما قصة داود عليه السلام فلا يجب أن يلتفت إلى ما سطره فيه الأخباريون عن أهل الكتاب الذين بدلوا وغيروا ونقله بعض المفسرين، ولم ينص الله على شيء من ذلك، ولا ورد في حديث صحيح، والذي نصَّ اللهُ تعالى عليه قولُه: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ (٢٤) فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٤ ـ ٢٥]، وقولُه فيه: ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ [ص: ١٧].

(١) كذا في جميع النسخ، والمصنف البيضاوي ذكر أنه من قول علي رضي الله عنه.

(٢) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٤٩٨) عن علي رضي الله عنه من طريق الحارث الأعور، وذكره ابن العربي في «أحكام القرآن» (٤/ ٥٧)، وقال: وهذا مما لا يصح عنه.

﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ﴾: استَخْلَفناكَ على المُلْكِ فيها، أو: جعلناكَ خَليفَةً ممَّن قبلكَ مِن الأنبياءِ القائمينَ بالحقِّ.

﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ﴾: بحُكمِ اللهِ ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾: ما تَهوَى النَّفسُ، وهو يؤيِّدُ ما قيلَ: إنَّ ذنبَهُ المبادرةُ إلى تصديقِ المُدَّعِي وتظليمِ الآخرِ قبلَ مَسألتِهِ[1].

(١) وقد ذهب إلى هذا بعض كبار الأئمة، منهم ابن حزم في «الفصل في الملل والنحل» (٤/ ١٤) فذكر أن ما جاء في الآية لا يدل على شيء مما قاله المستهزئون الكاذبون المتعلقون بخرافات ولَّدها اليهود، ثم قال: (وإنما كان ذلك الخصم قوماً من بني آدم بلا شك، مختصمين في نعاج من الغنم على الحقيقة بينهم، بغى أحدهما على الآخر على نص الآية، ومن قال: إنهم كانوا ملائكة معرِّضين بأمر النساء، فقد كذب على الله عز وجل وقوَّله ما لم يقل، وزاد في القرآن ما ليس فيه، وكذَّب الله عز وجل، وَأقر على نَفسه الخبيثة أَنه كذَّب الملائكة؛ لأن الله تعالى يقول ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ﴾ فقال هو: لم يكونوا قطّ خصمين، ولا بغى بعضهم على بعض، ولا كان قطّ لأحدهما تسع وتسْعُونَ نعجة، ولا كان للآخر نعجةٌ واحِدَةٌ، ولا قال له: ﴿أَكْفِلْنِيهَا﴾... ثم كل ذلك بلا دليل، بل الدعوى المجردةُ، وتالله إن كل امرئ منا ليصون نفسه وجاره المستورَ عن أن يتعشق امرأة جاره ثم يعرِّضَ زوجها للقتل عمداً ليتزوجها، وعن أن يترك صلاته لطائر يراه، هذه أفعال السفهاء المتهوكين الفساق المتمردين لا أفعال أهل البر والتقوى، فكيف برسول الله داود الذي أوحى إليه كتابه وأجرى على لسانه كلامه، لقد نزهه الله عز وجل عن أن يمر مثل هذا الفحش بباله فكيف أن يستضيف إلى أفعاله...) إلى آخر ما قال.

وممن ذهب إلى ذلك أيضاً إمام المفسرين محمد بن جرير الطبري كما نقل عنه أبو حفص النسفي في «التيسير في التفسير» عند هذه الآية أنه قال: القصةُ على ظاهرها، والخصمان كانا مِن الإنس، وقعَتْ لهما هذه الخصومة على الحقيقةِ، فاستعجلا في الوصول إلى نبي الله بالتَّسَوُّر في المحراب، ولم ينتظِرا خروجه ولا إذْنَ الحُجَّاب، وكان هذا مِن سوء الأدب، فاستنكرَه داود عليه السلام وتسخَّطَ عليهما، ثم مالَ قلبُه إلى المدَّعي لترقيقه في الكلام، فعجَّلَ في الحُكْم قبلَ مسألة الخَصْم، فقال: ﴿لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ﴾، فكان ذلك زلَّةً منه؛ إذ كان الواجب عليه الاحتمالَ منهما، وأنْ لا يُعَجِّلَ في القضاء، وقولُه تعالى: ﴿وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ﴾: أي: وقعَ له في غالب الظَّنِّ أنّه أخطأ =

﴿فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾: دلائلِه التي نَصبَها على الحقِّ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ﴾: بسببِ نِسيانِهم، وهو ضَلالُهُم عن السَّبيلِ، فإنَّ تذكُّرَهُ يقتَضي مُلازمةَ الحقِّ ومُخالفةَ الهوى.

(٢٧) ـ ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا ۚ ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَآءَ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَٰطِلًا﴾: خَلْقًا باطلًا لا حكمةَ فيه.

أو: ذَوِي باطلٍ، بمعنى: مُبطِلِينَ عابِثينَ؛ كقولِه: ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَٰعِبِينَ﴾ [الدخان: ٣٨].

أو: للباطلِ الذي هو مُتابعةُ الهوى، بل للحقِّ الذي هو مُقتضى الدَّليلِ مِن التَّوحيدِ والتَّدرُّعِ بالشَّرعِ كقولِه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] على وَضعِهِ مَوضِعَ المصدَرِ مثلَ هنيئًا.

﴿ذَٰلِكَ ظَنُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ الإشارةُ إلى خَلقِها باطلًا، والظَّنُّ بمَعنى المَظنونِ ﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ بسببِ هذا الظَّنِّ.

(٢٨) ـ ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾.

﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ كَٱلْمُفْسِدِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ ﴿أَمْ﴾ مُنقطِعةٌ

= فيما فعلَ، وأنما قد فتنَّاه بذلك ﴿فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ﴾، وقولُه: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ﴾ دليلٌ أيضاً على ما قلناه، فإنَّ قوله: ﴿ذَٰلِكَ﴾ إشارةٌ إلى المذكور قبله ـ وهو ما ذُكِر في الآية ـ دون شيء آخر، وكذلك ما بعده: ﴿فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ﴾ يؤيِّدُ هذا، وإذا كان ما ذكَرْناه جائزاً ولم يَرِدْ خبرٌ عمَّنْ يجب تقليده بخلافه، كان لزوم الظاهر أولى مِن غيره، ولم يثبُتْ خبرٌ بأنَّ الخصمين كانا ملَكَين، ولا أنه كان من داود عليه السلام ما ذكَرَه أهل الروايات مِن قصة تلك المرأة.

والاستفهامُ فيها لإنكارِ التَّسوِيَةِ بينَ الحِزْبَيْنِ التي هي مِن لَوازمِ خَلقِهَا باطلًا؛ ليدلَّ على نفيِهِ، وكـذا التي فـي قـولِه: ﴿أَمْ نَجْعَلُ ٱلْمُتَّقِينَ كَٱلْفُجَّارِ﴾ كأنَّه أنكرَ التَّسوِيَةَ أوَّلًا بين المُؤمنينَ والكافرينَ، ثمَّ بينَ المُتَّقينَ مِن المؤمنينَ والمجرمينَ مِنْهُم.

ويجوزُ أَنْ يكونَ تكريرًا للإنكارِ الأوَّلِ باعتبارِ وَصْفَينِ آخَرينَ يمنعانِ التَّسوِيَةَ مِن الحَكيمِ الرَّحيمِ.

والآيةُ تدلُّ على صِحَّةِ القَوْلِ بالحشرِ، فإنَّ التَّفاضُلَ بينَهُما إمَّا أَنْ يكونَ في الدُّنيَا والغالبُ فيها عكسُ ما تَقتَضِي الحِكمَةُ فيه، أو في غيرِهَا وذلك يَستَدعِي أن يكونَ لهم حَالٌ أُخرى يُجازَوْنَ فيها.

(٢٩) ـ ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ﴾: نفَّاعٌ، وقُرِئَ بالنَّصبِ على الحالِ[1].

﴿لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ﴾: ليتفكَّـرُوا فيهـا فيعرفُـوا مـا يَدْبُـرُ ظاهِرَهـا مِـن التَّأويـلاتِ الصَّحيحَةِ والمعاني المُستنبطَةِ، وقُرِئَ: (ليَتَدَبَّرُوا)[2] على الأصلِ، و: ﴿لِتَدَبَّرُوا﴾[3]؛ أي: أنتَ وعُلَماءُ أُمَّتِكَ.

﴿وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾: ولِيَتَّعِظَ به ذَوُو العُقولِ السَّليمَةِ، أو ليَستَحْضِرُوا ما هوَ كالمَرْكُوزِ في عُقُولِهِم مِن فَرْطِ تَمكُّنِهِم مِن مَعرِفَتِه بما نصبَ عليهِ من الدَّلائلِ، فإنَّ

---

(١) أي: (مباركاً). انظر: «الكشاف» (٧/ ٤٢٠)، و«البحر» (١٨/ ٢٦٠) دون نسبة.

(٢) انظر: «الكشاف» (٧/ ٤٢٠) دون نسبة، و«البحر» (١٨/ ٢٦٠) عن علي، ووقعت في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٠) عن علي لكن برسم القراءة الآتية.

(٣) وهـي قراءة أبي جعفر كما في «النشر» (٢/ ٣٦١)، ورويت عن عاصم في غير المشهور عنه، انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٢).

الكُتبَ الإلهيَّةَ بيانٌ لِمَا لا يُعرَفُ إلَّا مِن الشَّرعِ، وإرشادٌ إلى ما لا يستقلُّ به العَقلُ، ولعلَّ التَّدبُّرَ للمَعلومِ[1] الأوَّلِ والتَّذكُّرَ للثَّاني.

(٣٠ ـ ٣٣) ـ ﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ۝٣٠ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِٱلْعَشِىِّ ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ٱلْجِيَادُ ۝٣١ فَقَالَ إِنِّىٓ أَحْبَبْتُ حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِٱلْحِجَابِ ۝٣٢ رُدُّوهَا عَلَىَّ فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ ﴾.

﴿ وَوَهَبْنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيْمَـٰنَ نِعْمَ ٱلْعَبْدُ ﴾؛ أي: نِعْمَ العَبدُ سُلَيمانُ، إذ ما بعدَهُ تَعليلٌ للمَدحِ، وهو مَن حالُه ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ﴾ رَجَّاعٌ إلى اللهِ بالتَّوبةِ، أو إلى التَّسبيحِ مرجِّعٌ له.

﴿ إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ ﴾ ظرفٌ لـ﴿أَوَّابٌ﴾، أو لـ﴿نِعْمَ ﴾، والضَّميرُ لـ﴿سُلَيْمَـٰنَ﴾ عند الجُمهورِ.

﴿بِٱلْعَشِىِّ﴾: بعدَ الظُّهرِ ﴿ٱلصَّـٰفِنَـٰتُ ﴾ الصافِنُ مِن الخَيلِ: الذي يقومُ على طَرفِ سُنْبُكِ يدٍ أو رِجْلٍ، وهو من الصِّفاتِ المَحمودةِ في الخيلِ لا يكادُ يكونُ إلا في العِرَابِ الخُلَّصِ.

﴿ٱلْجِيَادُ﴾: جمعُ جَوادٍ أو جَوْدٍ، وهو الذي يُسرِعُ في جَرْيِه، وقيل: الذي يجودُ في الرَّكضِ[2].

وقيل: جمعُ جيِّدٍ.

رُوِيَ أنَّه عليهِ السَّلامُ غَزا دِمشق ونَصِيبِينَ وأصابَ ألفَ فَرسٍ[3].

وقيل: أصابَها أبوهُ مِن العمالِقَةِ فورِثَها منه، فاستَعْرَضَها فلم تَزلْ تُعرَضُ عليهِ

---

(١) في (ض): «للقسم».

(٢) في (ض): «يجود بالركض».

(٣) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٢٦) عن الكلبي.

حتَّى غَرَبتِ الشَّمسُ وغَفَلَ عن العَصْرِ، أو عن وِرْدٍ كان له، فاغتَمَّ لَمَّا فاتَهُ فاستردَّها فعقَرَها تقرُّبًا للهِ[(١)].

﴿فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي﴾ أصلُ ﴿أَحۡبَبۡتُ﴾ أَنْ يُعدَّى بـ(على) لأنَّه بمَعنى: آثرتُ، لكِنْ لَمَّا أُنيبَ منابَ: أَنَبْتُ، عُدِّيَ تعدِيَتَه.

وقيل: هو بمَعنى: تَقاعَدْتُ، مِن قولِه:

مثـــلَ بعيـــرِ السُّـــوءِ إِذْ أَحَبَّـــا[(٢)]

أي: برك.

و﴿حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ﴾ مفعولٌ لـه، والخيرُ: المالُ الكَثيرُ، والمُرادُ به: الخيلُ التي شَغَلَتْه، ويحتمِلُ أنَّه سَمَّاهَا خيرًا لتَعلُّقِ الخيرِ بها، قال عليهِ السَّلامُ: «الخَيْلُ مَعقودٌ بنَواصيهَا الخيرُ إلى يومِ القِيامَةِ».

وقرأَ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو بفتحِ اليَاءِ[(٣)].

﴿حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ﴾؛ أي: غَربتِ الشَّمسُ، شَبَّه غُروبَها بتَواري المُخبَّأَةِ بحِجابِها، وإضمارُها من غيرِ ذكرٍ لدَلالَةِ (العَشِيِّ) عليهَا.

﴿رُدُّوهَا عَلَيَّ﴾ الضَّميرُ لـ﴿ٱلصَّٰفِنَٰتُ﴾، ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا﴾: فأخذَ يمسحُ السَّيفَ

---

(١) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٤٤). وفي القول بالعقر نظر سيأتي.

(٢) الرجز دون نسبة في «الأصمعيات» (ص: ١٦٣)، و«المنجد في اللغة» لكراع النمل (ص: ١١٧)، و«جمهرة اللغة» (١/ ٦٥)، و«المحتسب» (١/ ١٦٤)، و«الصحاح» (مادة: حبب وقفل)، وقبله:

قُمـــت إليـــهِ بالقَفِيـــلِ ضَربَـــا

قال الجوهري: القفيل: السوط. والإحبابُ: البُروكُ، والإِحْبابُ في الإبل كالحِرانِ في الخيل.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٧).

مَسْحًا ﴿بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾؛ أي: بسُوقِهَا وأَعناقِها يقطعُها، مِن قولِهم: مَسحَ عِلاوَتَهُ: إذا ضرَبَ عُنقَهُ.

وقيل: جعلَ يمسَحُ بيدِهِ أعناقَها وسُوقَها حُبًّا لها[1].

وعن ابنِ كَثيرٍ: ﴿بالسُّؤْقِ﴾ على همزِ الواوِ لضَمَّةِ ما قبلَها كمُؤقنٍ، وعَن أبي عَمرٍو: ﴿بالسُّؤُوقِ﴾[2]، وقُرِئَ: (بالسَّاقِ)[3] اكتفاءً بالواحدِ عن الجمعِ لِأَمْنِ الإلباسِ.

قوله: «الخيلُ مَعقودٌ بنَواصيهَا الخَيرُ إلى يومِ القِيامَةِ»:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حَديثِ ابنِ عُمَرَ[4].

(٣٤) - ﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾.

﴿وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ وَأَلْقَيْنَا عَلَىٰ كُرْسِيِّهِۦ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ﴾ أظهرُ ما قيلَ فيه: ما رُوِيَ مَرفوعًا أنَّه قال: «لأطوفَنَّ على سبعينَ امرأةً تأتي كلُّ واحدةٍ بفارسٍ يُجاهِدُ في سَبيلِ اللهِ، ولم يَقُل: (إنْ شاءَ اللهُ)، فطافَ عليهِنَّ فلَمْ تَحمِلْ إلا امرأةٌ جاءَتْ بشِقِّ رَجُلٍ، فوالذي نفسُ مُحمَّدٍ بيدِهِ لو قالَ: (إنْ شاءَ اللهُ) لجاهَدُوا فُرسانًا».

---

(١) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٨٧) عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حبًّا لها. ورجحه الطبري فقال: وهذا القول الذي ذكرنا عن ابن عباس أشبه بتأويل الآية؛ لأن نبي الله لم يكن ـ إن شاء الله ـ لِيُعذبَ حيواناً بالعرقبة، ويُهلك مالاً من ماله بغير سبب سوى أنه اشتغل عن صلاته بالنظر إليها، ولا ذنب لها في اشتغاله بالنظر إليها.

(٢) كلا الوجهين مروي عن ابن كثير من غير طريق البزي. انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٣)، و«النشر» (٢/ ٣٣٨). ولم يذكر في «التيسير» (ص: ١٦٨) سوى الأولى عن قنبل.

(٣) انظر: «البحر» (١٨/ ٢٦٤) عن زيد بن علي.

(٤) رواه البخاري (٢٨٤٩)، ومسلم (١٨٧١).

وقيل: ولدَ لهُ ابنٌ فاجتمعتِ الشَّياطينُ على قتلِهِ، فعَلِمَ ذلك، فكانَ يغدوهُ في السَّحابِ فما شعرَ به إلَّا أَنْ أُلقِيَ على كُرسِيِّهِ مَيِّتًا، فتَنبَّهَ على خطئِهِ بأَنْ لَمْ يَتوكَّلْ على اللهِ(١).

قيل: إنَّه غَزَا صيدونَ مِن الجزائرِ فقتلَ مَلِكَها وأصابَ ابنتَهُ جرادةَ فأحبَّهَا، وكان لا يرقَأُ دمعُها جَزَعًا على أبيها، فأمرَ الشَّياطينَ فمَثَّلُوا لها صُورَتَهُ فكانت تغدو إليها وتروحُ مَع وَلائِدِها يسجُدْنَ لها كعَادَتِهنَّ في ملكِهِ، فأخبرهُ آصفُ فكسرَ الصورَةَ وضربَ المرأَةَ وخرجَ إلى الفلاةِ باكِيًا(٢) مُتضرِّعًا، وكانَتْ لهُ أمُّ ولدٍ اسمُها أمينةُ إذا دخلَ للطَّهارةِ أعطاها خاتمَهُ، وكان ملكهُ فيه، فأعطاهَا يومًا فتمثَّلَ لها بصُورَتِه شيطانٌ اسمُهُ صَخْرٌ وأخذَ الخاتمَ فتَختَّمَ بهِ وجلسَ على كُرسِيِّه، فاجتمعَ عليه الخلقُ ونفذَ حكمُهُ في كلِّ شيءٍ إلَّا في نِسائِه، وغيَّرَ سليمانَ عن هيئتِه، فأتاها لطلبِ الخاتمِ فطَرَدَتْه، فعرفَ أنَّ الخطيئةَ قد أدركَتْهُ، وكانَ يدورُ على البيوتِ يَتكفَّفُ حتى مَضى أربعونَ يومًا عددَ ما عُبِدَتِ الصَّورَةُ في بيتِهِ، فطارَ الشَّيطانُ وقذفَ الخاتمَ في البَحرِ، فابتلَعَهُ سمكةٌ فوقعَتْ في يدِهِ فبقرَ بطنَهَا فوجدَ الخاتمَ فتَختَّمَ به وخرَّ ساجدًا، وعادَ إليه الملكُ، فعَلى هذا الجسدُ صَخْرٌ سُمِّيَ به وهو جسمٌ لا رُوحَ فيه؛ لأنَّه كان مُتمَثِّلًا

---

(١) ذكره الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٤٣)، والماوردي في «النكت والعيون» (٥/ ٩٦)، عن الشعبي.
وذكره الطبرسي من الإمامية في «مجمع البيان» (٢٣/ ١١٤) عن أبي عبد الله، وهو جعفر الصادق.
وقال الآلوسي في «روح المعاني» (٢٣/ ٢٨٧): ورواه بعضهم عن أبي هريرة على وجه لا يَشُك في وضعه إلا مَن يَشُك في عصمة الأنبياء عليهم السلام.
وقال ابن حزم في «الفصل في الملل» (٤/ ١٥): وهذه كلها خرافات مَوْضُوعَة مكذوبة لم يَصح إسنادها قطّ.

(٢) في (ض): «تائباً».

بما لم يَكُن كذلك، والخطيئةُ تغافُلُه عن حالِ أهلِهِ؛ لأنَّ اتِّخاذَ التَّماثيلِ كانَ جائزًا حينئذٍ، وسُجودُ الصُّورةِ بغيرِ عِلمِهِ لا يَضرُّهُ(١).

قوله: «رُوِيَ مَرفوعًا أنَّه قال: «لأطوفنَّ على سبعين امرأةً..» الحديث:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حديثِ أبي هُريرةَ نحوَه(٢).

---

(١) ذكره مطولًا الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٣٢ ـ ٥٤٧) عن وهب بن منبه، ورواه بنحوه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٩١) عن السدي، وهو من خرافات بني إسرائيل كما نبَّهنا سابقاً في (سورة سبأ).
قال ابن حزم في «الفصل في الملل» (٤/ ١٥): معنى قَوْله تَعَالَى: ﴿فَتَنَّا سُلَيْمَٰنَ﴾؛ أَي: آتيناه من الملك ما اختبرنا به طاعته... فهذه فتنة الله تعالى لسليمان إنما هي اختباره حتَّى ظهر فضله فقط، وما عدا هذا فخرافات ولدها زنادقة اليهود وأشباههم، وأما الجسد الملقى على كرسيه فقد أصاب الله تعالى به ما أراد نؤمن بهذا كما هو، ونقول: صدق الله عز وَجل كلٌّ مِن عند الله رَبِّنا، ولو جاء نصٌّ صحيح في القرآن أَو عن رسول الله ﷺ بتفسير هذا الجسد ما هو لقلنا به، فإذا لم يَأْتِ بتفسيره ما هو نصٌّ ولا خبر صحيح فلا يحل لأحد القول بالظَّنِّ الذي هو أكذب الحديث في ذلك، فيكون كاذبًا على الله عز وَجل، إِلَّا أننا لا نشك الْبَتَّة في بطلان قول من قال: إنه كانَ جنيًّا تَصَوَّر بصورته، بل نقطع على أَنه كذب، واللهُ تعالى لا يهتك ستر رسوله ﷺ هذا الهتك، وكذلك نبعد قَول من قال: إنه كانَ ولداً له أرْسله إِلى السَّحاب ليربيَه، فسليمان عَلَيْهِ السَّلَام كانَ أعلمَ من أَن يُربي ابْنه بغيرِ ما طبع الله عز وَجل بِنْيَةَ البشر عليه من اللَّبن والطَّعَام، وهذه كلها خرافات موضوعة مكذوبة لم يَصح إسنادها قطّ.

(٢) رواه البخاري (٢٨١٩)، مسلم (١٦٥٤)، ولفظ البخاري: «مئة امرأة، أو تسع وتسعين»، وفي رواية (٣٤٢٤) بلفظ: «سبعين» وفيه: «قال شعيب وابن أبي الزناد: «تسعين» وهو أصح».
وعدم قوله: إن شاء الله؛ قال ابن حجر في «فتح الباري» (٦/ ٤٦١): أي: بلسانه، لا أنه أبى أن يفوض إلى الله، بل كان ذلك ثابتاً في قلبه، لكنه اكتفى بذلك أولاً ونسي أن يجريه على لسانه.
قلت: وليس في الحديث ذكر الآية، لكن المفسرين حملوا هذه الآية عليه، فقالوا: إن هذا هو الجسد الذي أخبر الله سبحانه وتعالى عنه. وهو أظهر ما قيل في تفسير فتنته عليه السلام كما قال المصنف وغيره.

(٣٥) - ﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾.

﴿قَالَ رَبِّ ٱغۡفِرۡ لِي وَهَبۡ لِي مُلۡكٗا لَّا يَنۢبَغِي لِأَحَدٖ مِّنۢ بَعۡدِيٓ﴾: لا يَتسهَّلُ له ولا يكونُ؛ ليكونَ مُعجِزَةً لي مناسِبةً لحالي، أو لا يَنبَغِي لأحدٍ أن يسلبَهُ منِّي بعدَ هذه السلبةِ، أو لا يَصِحُّ لأحدٍ مِن بَعدي لعَظَمتِه؛ كقولِكُ: لِفُلانٍ ما ليسَ لأحدٍ مِن الفَضلِ والمالِ، على إرادةِ وَصفِ المُلْكِ بالعَظمَةِ[1]، لا أن لا يُعطَى أحدٌ مثلَهُ فيكون منافسةً.

وتقديمُ الاستغفارِ على الاستيهابِ لِمَزيدِ اهتمامِهِ بأَمرِ الدِّينِ، ووُجوبِ تَقديمِ ما يَجعلُ الدُّعاءَ بصدَدِ الإجابةِ.

وقرأَ نافِعٌ وأبو عَمرٍو بفتحِ الياءِ[2].

﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡوَهَّابُ﴾: المُعطي ما تشاءُ لِمَن تَشاءُ

(٣٦-٣٨) - ﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً حَيۡثُ أَصَابَ ٣٦ وَٱلشَّيَٰطِينَ كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ ٣٧ وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلۡأَصۡفَادِ﴾.

﴿فَسَخَّرۡنَا لَهُ ٱلرِّيحَ﴾: فذلَّلْناهَا لِطاعَتِه إجابةً لدَعْوَتِه. وقُرِئَ: ﴿الرِّياح﴾[3].

﴿تَجۡرِي بِأَمۡرِهِۦ رُخَآءً﴾: لينةً، مِن الرَّخاوةِ لا تُزَعْزِعُ، أو: لا تخالفُ إرادتَهُ كالمَأمورِ المُنقادِ.

﴿حَيۡثُ أَصَابَ﴾: أرادَ، مِن قَولِهم: (أصابَ الصَّوابَ فأخطأَ الجوابَ).

﴿وَٱلشَّيَٰطِينَ﴾ عطفٌ على ﴿ٱلرِّيحَ﴾، ﴿كُلَّ بَنَّآءٖ وَغَوَّاصٖ﴾ بدلٌ منه.

---

(١) في (ض): «بالعظم».

(٢) أي: في ﴿بَعۡدِيٓ﴾. انظر: «السبعة» (٥٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٣) هي قراءة أبي جعفر، انظر: «النشر» (٢/ ٢٢٣).

﴿وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِي ٱلْأَصْفَادِ﴾ عطفٌ على ﴿كُلَّ﴾ كأنَّه فصلَ الشَّياطينَ إلى: عمَلَةٍ استعملَهُم في الأعمالِ الشَّاقَّةِ كالبِنَاءِ والغَوْصِ، ومَرَدةٍ قرنَ بعضَهُم مع بعضٍ في السَّلاسلِ لِيَكفُّوا عن الشرِّ، ولعلَّ أجسامَهُم شَفَّافةٌ صلبةٌ، فلا تُرى ويمكنُ تَقييدُها.

هذا والأقربُ: أنَّ المرادَ تمثيلُ كفِّهم عن الشُّرورِ بالإقرانِ في الصَّفَدِ وهو القيدُ، وسُمِّيَ به العطاءُ؛ لأنَّه يرتَبِطُ بالمُنعَمِ عليه، وفرَّقُوا بين فِعْلَيهِمَا، فقالوا صَفَدَهُ: قيَّدَهُ، وأَصْفَدَهُ: أعطاهُ، عكس: وَعَدَ وأَوْعَدَ، وفي ذلك نكتةٌ.

(٣٩ ـ ٤٠) ـ ﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٩﴾ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾.

﴿هَٰذَا عَطَآؤُنَا﴾؛ أي: هذا الذي أعطيناكَ مِن الملكِ والبسطَةِ والتَّسلُّطِ على ما لم نُسلِّطْ به غيرَكَ عَطاؤُنا ﴿فَٱمْنُنْ أَوْ أَمْسِكْ﴾: فأعطِ[1] مَن شِئتَ وامنَعْ مَن شِئتَ.

﴿بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ حالٌ مِن المُستكِنِّ في الأمرِ؛ أي: غيرَ مُحاسَبٍ على مَنِّه وإمساكِهِ؛ لتَفويضِ التَّصرُّفِ فيه إليكَ، أو من العَطاءِ، أو صلةٌ له وما بينَهُما اعتراضٌ، والمعنى: إنَّه عطاءٌ جَمٌّ لا يكادُ يُمكِنُ حَصرُهُ.

وقيل: الإشارةُ إلى تَسخيرِ الشَّياطين، والمرادُ بالمنِّ والإمساكِ: إطلاقُهُم وإبقاؤهُم في القيدِ.

﴿وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ﴾ في الآخرةِ مع ما له مِن المُلكِ العَظيمِ في الدُّنيا ﴿وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ هو الجنَّةُ.

(١) في (خ): «فأعطه».

(٤١ ـ ٤٤) ـ ﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّي مَسَّنِيَ ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ وَعَذَابٍ ﴿٤١﴾ ٱرۡكُضۡ بِرِجۡلِكَۖ هَٰذَا مُغۡتَسَلُۢ بَارِدٞ وَشَرَابٞ ﴿٤٢﴾ وَوَهَبۡنَا لَهُۥٓ أَهۡلَهُۥ وَمِثۡلَهُم مَّعَهُمۡ رَحۡمَةٗ مِّنَّا وَذِكۡرَىٰ لِأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ﴿٤٣﴾ وَخُذۡ بِيَدِكَ ضِغۡثٗا فَٱضۡرِب بِّهِۦ وَلَا تَحۡنَثۡۗ إِنَّا وَجَدۡنَٰهُ صَابِرٗاۚ نِّعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ ﴾.

﴿ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَآ أَيُّوبَ ﴾ هو ابنُ عيصَ بنِ إسحاقَ، وامرأته ليَّا بنتُ يعقوبَ.

﴿إِذۡ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ ﴾ بدلٌ مِن ﴿عَبۡدَنَآ ﴾، و﴿أَيُّوبَ ﴾ عطفُ بيانٍ له: ﴿أَنِّي مَسَّنِيَ ﴾: بأنّي مَسَّني. وقرأَ حمزَةُ بإسكانِ الياءِ وإسقاطِها مِن الوَصلِ[1].

﴿ٱلشَّيۡطَٰنُ بِنُصۡبٍ ﴾: بتعَبٍ، ﴿وَعَذَابٍ ﴾: ألَمٍ، وهو حكايَةٌ لكَلامِهِ الذي ناداه له، ولو لا هي لقالَ: إنَّه مَسَّهُ، والإسنادُ إلى الشَّيطانِ:

إمَّا: لأنَّ اللهَ مَسَّه بذلك لِمَا فعلَ بوسوستِهِ كما قيلَ: إنَّه أعجبَ بكثرَةِ مالِهِ.

أو: استغاثَهُ مَظلومٌ فلم يُغِثه.

أو: كانَتْ مواشيهِ في ناحيَةِ ملكٍ كافرٍ فداهَنَهُ ولم يغزُه[2].

أو: لسُؤالِهِ امتحانًا لصَبرِهِ فيكونُ اعترافًا بالذَّنبِ.

أو: مراعاةً للأدبِ.

أو: لأنَّهُ وسوسَ إلى أتباعِهِ حتَّى رَفضوهُ وأخرَجُوهُ مِن دِيارِهِم.

أو: لأنَّ المرادَ مِن النُّصْبِ والعذابِ ما كان يُوَسوِسُ إليه في مرضِهِ مِن عِظَمِ البلاءِ والقنوطِ من الرَّحمةِ ويغريهِ على الجزعِ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٤٣٢).

(٢) ذكر الأقوال الثلاثة الثعلبي في «تفسيره» (٢٢/ ٥٥٩)، الأول بدون نسبة، وعزى الثاني إلى وهب، والثالث إلى الكلبي.

وقرأ يَعقوبُ بفتحِ النُّونِ على المصدرِ[١].

وقُرِئَ بفَتحتينِ ـ وهو لغَةٌ كالرُّشدِ والرَّشَدِ ـ وبضَمَّتينِ للتَّثقيلِ[٢].

﴿ٱرْكُضْ بِرِجْلِكَ﴾ حكايةٌ لِمَا أُجيبَ به؛ أي: اضرِبْ برجلِكَ الأرضَ ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌۢ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾؛ أي: فضَرَبَها فنبَعَتْ عينٌ فقيل: ﴿هَٰذَا مُغْتَسَلٌ﴾؛ أي: ماءٌ تغتسلُ بهِ وتَشرَبُ منه فيبرأ باطنُكَ وظاهِرُكَ.

وقيل: نبعَتْ عينانِ حارَّةٌ وباردَةٌ فاغتسلَ مِن الحارَّةِ وشربَ مِن الأُخرى.

﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ أَهْلَهُۥ﴾ بأَنْ جَمعناهُم عليه بعدَ تَفرُّقِهِم، أو أحيَيْنَاهُم بعدَ مَوتِهِم.

وقيل: وَهَبْنا له مثلَهُم.

﴿وَمِثْلَهُم مَّعَهُمْ﴾ حتَّى كان له ضعفُ ما كانَ.

﴿رَحْمَةً مِّنَّا﴾: لرَحْمَتنا عليه ﴿وَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ وتذكيرًا لهم ليَنتظِرُوا الفرجَ بالصَّبرِ واللّجأ إلى اللهِ فيما يحيقُ بهم.

﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ عطفٌ على ﴿ٱرْكُضْ﴾. والضِّغثُ: الحزمَةُ الصَّغيرةُ من الحَشيشِ ونحوه.

﴿فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ رُوِيَ أنَّ زوجتَهُ ليَّا بنتَ يعقوبَ ـ وقيل: رحمةَ بنتَ أفرائيمَ بنِ يوسُفَ ـ ذهبَتْ لحاجَةٍ فأبطأَتْ، فحلفَ إن بَرِئَ ضَرَبها مئةَ ضربَةٍ، فحلَّلَ اللهُ يمينَهُ بذلك، وهي رخصَةٌ باقيَةٌ في الحدودِ.

﴿إِنَّا وَجَدْنَٰهُ صَابِرًا﴾ فيما أصابَهُ في النَّفسِ والأهلِ والمالِ، ولا يُخلُّ به شكواهُ

---

(١) بفتح النون وإسكان الباء قرأ بها أبو حيوة وهبيرة. انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٨).

(٢) بفتحهما يعقوب، وبضمهما أبو جعفر، والباقون بضم فسكون، انظر: «النشر» (٢/ ٣٦١).

إلى اللهِ مِن الشَّيطانِ، فإنَّه لا يُسمَّى جَزَعًا كتَمنِّي العافيَةِ وطلبِ الشِّفاءِ، مع أنه قالَ ذلك خِيفَةَ أَنْ يَفتِنَهُ أو قومَهُ في الدِّينِ[١].

﴿نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ﴾ أيُّوبُ ﴿إِنَّهُۥٓ أَوَّابٞ﴾ يُقبِلُ بشراشرِهِ على اللهِ.

(٤٥ ـ ٤٧) ـ ﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٤٥﴾ إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ ذِكۡرَى ٱلدَّارِ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّهُمۡ عِندَنَا لَمِنَ ٱلۡمُصۡطَفَيۡنَ ٱلۡأَخۡيَارِ﴾.

﴿وَٱذۡكُرۡ عِبَٰدَنَآ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ: ﴿عَبْدَنا﴾[٢] على وضعِ الجنسِ مَوضِعَ الجمعِ، أو على أنَّ ﴿إِبۡرَٰهِيمَ﴾ وحدَهُ ـ لِمَزيدِ شَرفِهِ ـ عطفُ بيانٍ له، و﴿إسحاقَ ويَعقوبَ﴾ عطفٌ عليه.

﴿أُوْلِي ٱلۡأَيۡدِي وَٱلۡأَبۡصَٰرِ﴾: أولي القوَّةِ في الطَّاعةِ والبَصيرةِ في الدِّينِ.

أو: أولي الأعمالِ الجليلَةِ والعُلومِ الشَّريفَةِ، فعبَّرَ بالأيدي عن الأعمالِ لأنَّ أكثرَهَا بمُباشرَتِها، وبالأبصارِ عن المعارفِ لأنَّها أَقْوى مَبادئِها، وفيه تعريضٌ بالبَطلَةِ الجُهَّالِ أنَّهُم كالزَّمْنَى والعُماةِ[٣].

﴿إِنَّآ أَخۡلَصۡنَٰهُم بِخَالِصَةٖ﴾: جَعَلناهُم خالصينَ لنا بخَصلَةٍ خالِصَةٍ لا شَوْبَ فيها هي ﴿ذِكۡرَى ٱلدَّارِ﴾: تُذَكِّرُهم الآخرةَ دائمًا، فإنَّ خُلوصَهُم في الطَّاعةِ[٤] بسببِها، وذلك لأنَّ مطمحَ نظَرِهم فيما يأتونَ ويَذَرونَ جوارُ اللهِ والفوزُ بلقائِه، وذلك في الآخرةِ، وإطلاقُ ﴿ٱلدَّارِ﴾ للإشعارِ بأنَّها الدَّارُ الحقيقيَّةُ والدُّنيا مَعبَرٌ.

---

(١) وفيها خلاف: هل هي باقية أم لا؟ انظر: «المغني» لابن قدامة (١٠/ ٦١).

(٢) وقراءة الباقين بالجمع، انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٤)، و«التيسير» (ص: ١١٨).

(٣) في (ض): «العماة».

(٤) في (ت): «للطاعة».

وأضاف نافعٌ وهِشامٌ ﴿بخالصةِ﴾ إلى ﴿ذِكْرَى﴾(١) للبيانِ، أو لأنَّه مَصدَرٌ بمَعنى الخلوصِ فأُضِيفَ إلى فاعلِه.

﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾: لَمِنَ المُختارينَ من أمثالِهم المُصْطَفينَ(٢) عليهِم في الخيرِ، جمعُ خَيْرٍ كشَرٍّ وأشرارٍ.

وقيل: جمعُ خَيِّرٍ أو خَيْرٍ على تخفيفِه؛ كأمواتٍ في جمع مَيِّتٍ أو مَيْتٍ.

(٤٨) ـ ﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَذَا ٱلْكِفْلِ ۖ وَكُلٌّ مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾.

﴿وَٱذْكُرْ إِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ﴾ هو ابنُ أخطوبَ، استخلَفَهُ إلياسُ(٣) على بني إسرائيلَ ثم استُنبِئَ، واللامُ فيه كما في قولِه:

رَأَيْتُ الوَلِيدَ بنَ اليَزِيدِ مُبَارَكًا(٤)

وقرأ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿واللَّيسَعَ﴾(٥) تشبيهًا بالمنقولِ من (ليسع) مِن اللَّسْعِ.

﴿وَذَا ٱلْكِفْلِ﴾ ابنُ عمِّ يسَعَ، أو بشرُ بنُ أيوبَ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٤) عن نافع وحده، و«التيسير» (ص: ١٨٨) عن نافع وهشام، وهو موافق للنشر (٢/ ٣٦١).

(٢) في (ض): «لمن المختارين من أبناء جنسهم المفضلين».

(٣) في (ض): «الناس» وفي الهامش كالمثبت نسخة.

(٤) البيت لابن ميادة، وهو في «ديوانه» (ص: ٨١)، وذكره عنه البلاذري في «أنساب الأشراف» (١٣/ ١٢٤)، وابن جني في «سر صناعة الإعراب» (٢/ ١٢٠). ونسب للأخطل كما في «الفائق» للزمخشري (٣/ ٢٨٨)، ولجرير كما في «اللسان» (مادة: وسع). وعجزه:

شديدًا بأعباء الخلافة كاهلُه

(٥) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٠٤).

واختُلِفَ في نبوَّتِه ولقبِه، فقيل: فرَّ إليه مئةُ نبيٍّ مِن بني إسرائيلَ مِن القتلِ فآواهُم وكفلَهُم[1].

وقيل: كفلَ بعملِ رَجُلٍ صالحٍ كان يُصلِّي كلَّ يومٍ مئةَ صلاةٍ[2].

﴿وَكُلٌّ﴾؛ أي: وكُلُّهم ﴿مِّنَ ٱلْأَخْيَارِ﴾.

(٤٩ ـ ٥١) ـ ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٤٩﴾ جَنَّٰتِ عَدْنٍ مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ ﴿٥٠﴾ مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾.

﴿هَٰذَا﴾ إشارةٌ إلى ما تَقدَّمَ مِن أُمورِهم ﴿ذِكْرٌ﴾: شرفٌ لهم، أو: نوعٌ مِن الذِّكرِ وهو القرآنُ، ثمَّ شرعَ في بيانِ ما أَعَدَّ لهم ولأمثالِهم فقال:

﴿وَإِنَّ لِلْمُتَّقِينَ لَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾: مرجعٍ ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ عطفُ بيانٍ لِـ(حسنَ مآبٍ)، وهو من الأعلامِ الغالبةِ؛ كقوله[3]: ﴿جَنَّٰتِ عَدْنٍ ٱلَّتِى وَعَدَ ٱلرَّحْمَٰنُ عِبَادَهُۥ بِٱلْغَيْبِ﴾ [مريم: ٦١] وانتصبَ عنها ﴿مُّفَتَّحَةً لَّهُمُ ٱلْأَبْوَٰبُ﴾ على الحالِ، والعامِلُ فيها ما في ﴿لِلْمُتَّقِينَ﴾ مِن مَعنى الفعلِ.

وقُرِئَتا مَرفُوعتينِ[4] على الابتداءِ والخبرِ، أو أَنَّهما خبرانِ لِمَحذوفٍ.

﴿مُتَّكِـِٔينَ فِيهَا يَدْعُونَ فِيهَا بِفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَابٍ﴾ حالانِ مُتعاقبانِ أو مُتداخلانِ[5] من الضَّميرِ في ﴿لَّهُمُ﴾ لا مِن (المتَّقِينَ) للفصلِ، والأظهَرُ أنَّ ﴿يَدْعُونَ﴾ استئنافٌ

---

(١) انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤٠٨).

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (١٦/ ٣٧٢) عن أبي موسى الأشعري.

(٣) في (ض): «لقوله».

(٤) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٩) عن أبي حيوة.

(٥) في (ض): «متعاقبتان أو متداخلتان».

لِبيانِ حالِهم فيها، و﴿ مُتَّكِـِٔينَ ﴾ حالٌ مِن ضَميرِه، والاقتصارُ على الفاكهَةِ للإشعارِ بأنَّ مَطاعِمَهُم لِمَحضِ التَّلذُّذِ، فإنَّ التَّغذِّيَ للتَّحلُّلِ ولا تَحلُّلَ ثَمَّةَ[١].

قوله: «﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ﴾ عطفُ بيانٍ لـ﴿حسن مَـَٔابٍ ﴾ وهو مِن الأَعلامِ الغالِبَةِ»:

قال أبو حيَّان: لم يَذهَبْ إلى جوازِ تَخالُفِ عطفِ البَيانِ ومَتبوعِه في التَّعريفِ والتَّنكيرِ إلَّا الزَّمخشريُّ، وقد وقعَ له ذلك في عِدَّةِ مَواضِعَ، ورَددناه عليه[٢].

وقال ابنُ هِشامٍ: لَو صحَّ ما ذكرَهُ الزَّمخشريُّ مِن أنَّ ﴿ جَنَّٰتِ عَدۡنٍ ﴾ معرفةٌ لتَعيَّنَت البَدَليَّةُ بالاتِّفاقِ؛ إذ لا تُبيَّنُ النَّكرةُ بالمَعرفةِ[٣].

(٥٢ ـ ٥٤) ـ ﴿ وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ أَتۡرَابٌ ۝٥٢ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ۝٥٣ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾.

﴿وَعِندَهُمۡ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرۡفِ ﴾ لا يَنظرونَ إلى غيرِ أَزواجِهنَّ ﴿أَتۡرَابٌ ﴾: لِدَاتٌ لهم؛ فإنَّ التَّحابَّ بين الأقرانِ أثبتُ، أو بعضُهنَّ لِبَعضٍ لا عجوزَ فيهنَّ ولا صَبِيَّةَ، واشتقاقُهُ مِن التُّرابِ فإنَّه يمسُّهُم في وقتٍ واحدٍ.

﴿ هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِيَوۡمِ ٱلۡحِسَابِ ﴾: لأجلِهِ؛ فإنَّ الحساب عِلَّةُ الوُصولِ[٤] إلى الجزاءِ.

وقرأ ابنُ كَثيرٍ وأبو عمرٍو بالياءِ لِيُوافِقَ ما قبلَه[٥].

﴿ إِنَّ هَٰذَا لَرِزۡقُنَا مَا لَهُۥ مِن نَّفَادٍ ﴾: انقطاعٍ.

---

(١) في (ت) و(ض): «ثم».

(٢) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٢٨١).

(٣) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٦٥٩)، وفيه: «إذ لا تبين المعرفة النكرة» والمعنى واحد.

(٤) في (ت): «للوصول».

(٥) والباقون بالتاء، انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٥٥ ـ ٥٨) ـ ﴿هَٰذَاۚ وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَا فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ ٥٦ هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ حَمِيمٞ وَغَسَّاقٞ ٥٧ وَءَاخَرُ مِن شَكۡلِهِۦٓ أَزۡوَٰجٌ﴾.

﴿هَٰذَا﴾؛ أي: الأمرُ هذا، أو: هذا كما ذُكِرَ، أو: خُذْ هذا.

﴿وَإِنَّ لِلطَّٰغِينَ لَشَرَّ مَـَٔابٖ ٥٥ جَهَنَّمَ﴾ إعرابُه ما سبق، ﴿يَصۡلَوۡنَهَا﴾ حالٌ مِن ﴿جَهَنَّمَ﴾.

﴿فَبِئۡسَ ٱلۡمِهَادُ﴾: المهدُ، أو المُفترَشُ، مُستَعارٌ مِن فراشِ النَّائمِ، والمخصوصُ بالذَّمِّ مَحذوفٌ وهو: جهنمُ، لقولِه[1]: ﴿لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٞ﴾ [الأعراف: ٤١].

﴿هَٰذَا فَلۡيَذُوقُوهُ﴾؛ أي: ليَذُوقُوا هذا فلْيَذُوقوه، أو: العذابُ هذا فليَذوقُوه، ويجوزُ أَنْ يكونَ مُبتدأً خبرُه: ﴿حميمٌ وغَسَاقٌ﴾ وهو على الأوَّلَيْنِ خبرُ مَحذوفٍ؛ أي: هو حميمٌ، والغَسَاقُ: ما يَغْسِقُ مِن صديدِ أهلِ النَّارِ، مِن غَسَقَتِ العَيْنُ: إذا سالَ دَمْعُها.

وقرأَ حَفْصٌ وحمزةُ والكسائيُّ: ﴿وَغَسَّاقٞ﴾ بتشديدِ السِّينِ[2].

﴿وَءَاخَرُ﴾؛ أي: مَذوقٌ، أو عذابٌ آخرُ.

وقرأَ البَصرِيَّانِ: ﴿وَأُخَرُ﴾[3]؛ أي: ومذوقاتٌ ـ أو: أنواعُ عذابٍ ـ أُخَرُ.

﴿مِن شَكۡلِهِۦٓ﴾: من مثلِ هذا المذوقِ أو العذابِ في الشدَّةِ، وتوحيدُ الضَّميرِ على أنَّه لِمَا ذُكِرَ، أو للشَّرابِ الشَّاملِ للحَميمِ والغَسَّاقِ، أو للغَساقِ.

وقُرِئَ بالكسرِ وهي لُغَةٌ[4].

---

(١) في (ض): «كقوله».

(٢) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٥)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٣) انظر: «النشر» (٢/ ٣٦١).

(٤) انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٩) عن مجاهد.

﴿أَزْوَاجٌ﴾: أجناسٌ، خبرٌ لـ(آخَرُ)، أو صفةٌ له، أو للثَّلاثَةِ، أو مرتفعٌ بالجارِّ والخبرُ مَحذوفٌ مثل: لهم.

(٥٩ ـ ٦١) ـ ﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ لَا مَرْحَبًا بِهِمْ إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ ﴿٥٩﴾ قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ ﴿٦٠﴾ قَالُوا رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾.

﴿هَٰذَا فَوْجٌ مُّقْتَحِمٌ مَّعَكُمْ﴾ حكايةُ ما يُقالُ لِرُؤَساءِ الطَّاغِينَ إذا دخلوا النَّارَ واقتحمَها مَعَهُم فوجٌ تَبِعَهُم في الضَّلالِ، والاقتحامُ: رُكوبُ الشدَّةِ والدُّخولُ فيها.

﴿لَا مَرْحَبًا بِهِمْ﴾ دعاءٌ مِن المتبوعينَ على أتباعِهِم، أو صِفَةٌ لـ﴿فَوْجٌ﴾، أو حالٌ؛ أي: مقولًا فيهم لا مَرْحَبًا؛ أي: ما أتوا رُحبًا وسَعَةً.

﴿إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارِ﴾: داخلونَ النَّارَ بأعمالهم مثلنا.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: الأتباعُ للرُّؤساءِ: ﴿بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ﴾: بل أَنْتُمْ أَحَقُّ بما قُلْتُم أو قيلَ لنا؛ لضَلالِكُم وإضلالِكُم كما قالوا: ﴿أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا﴾: قَدَّمْتُم العذابَ أو الصُّليَّ لنا بإغوائِنَا وإغرائِنا على ما قَدَّمْتُم مِن العَقائدِ الزَّائغَةِ والأعمالِ القَبيحَةِ.

﴿فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾: فبِئسَ المَقرُّ جهنَّمُ.

﴿قَالُوا﴾؛ أي: الأتباعُ أيضًا: ﴿رَبَّنَا مَن قَدَّمَ لَنَا هَٰذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا فِي النَّارِ﴾: مُضاعفًا؛ أي: ذا ضعفٍ، وذلك أنْ يزيدَ على عذابِه مثلَهُ فيصيرَ ضِعفَيْنِ كقولِه: ﴿رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ﴾ [الأحزاب: ٦٨].

(٦٢ ـ ٦٤) ـ ﴿وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ الْأَشْرَارِ ﴿٦٢﴾ أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ ﴿٦٣﴾ إِنَّ ذَٰلِكَ لَحَقٌّ تَخَاصُمُ أَهْلِ النَّارِ﴾.

﴿وَقَالُواْ﴾ أي: الطَّاغونَ: ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُم مِّنَ ٱلْأَشْرَارِ﴾ يعنونَ فُقراءَ المُسلمينَ الذين يَستَرذِلُونَهُم ويَسخَرُونَ بهم.

﴿اتَّخَذْنَاهُم سِخْرِيًّا﴾ صِفَةٌ أُخرى لـ﴿رِجَالًا﴾، وقرأَ الحجازِيَّانِ وابنُ عامرٍ وعاصمٌ بهمزةِ الاستفهامِ[1] على أنَّه إنكارٌ على أنفُسِهم وتأنيبٌ لها في الاستسخارِ مِنْهُم.

وقرأَ نافعٌ وحمزةُ والكِسائيُّ: ﴿سُخرِيًّا﴾ بالضَّمِّ[2]، وقد سبقَ مثلُه في (المؤمنينَ).

﴿أَمْ زَاغَتْ﴾: مالَتْ ﴿عَنْهُمُ ٱلْأَبْصَٰرُ﴾ فلا نَراهُم، و﴿أَمْ﴾ مُعادِلَةٌ لـ﴿مَا لَنَا لَا نَرَىٰ﴾ على أنَّ المرادَ نَفْيُ رُؤيَتِهِم لغَيبَتِهِم؛ كأَنَّهُم قالوا: ليسوُا هاهنا أم زاغَتْ عَنْهُم أبصارُنا.

أو لـ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ﴾ على القِراءةِ الثَّانيةِ بمعنى: أيَّ الأمرينِ فعلنا بهم الاستسخارَ مِنْهُم أم تحقيرَهُم؛ فإنَّ زيغَ الأبصارِ كنايةٌ عنه على مَعنى إنكارِهما على أنفُسِهم.

أو منقطعةٌ، والمرادُ: الدلالةُ على أنَّ استرذالَهُم والاستسخارَ منهم كانَ لزَيْغِ أَبصارِهم وقصورِ أنظارِهم على رثاثَةِ حَالِهم.

﴿إِنَّ ذَٰلِكَ﴾؛ أي: الذي حَكَينا عَنْهُم ﴿لَحَقٌّ﴾ لا بُدَّ أن يتكَلَّمُوا به، ثم بيَّن ما هو فقال: ﴿تَخَاصُمُ أَهْلِ ٱلنَّارِ﴾ وهو بدلٌ مِن (حق) أو خبرُ مَحذوفٍ.

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٦)، و«التيسير» (ص: ١٨٨)، و«النشر» (٢/ ٣٦١ـ ٣٦٢).

(٢) وقراءة الباقين الكسر، انظر: «السبعة» (ص: ٤٤٨)، و«التيسير» (ص: ١٦٠).

وقُرِئَ بالنَّصبِ[1] على البدلِ مِن ﴿ذَٰلِكَ﴾.

قوله: «وقرئَ بالنَّصبِ على البدلِ مِن ﴿ذَٰلِكَ﴾»:

هو الصَّوابُ، خِلافَ قولِ «الكشاف»: على أنَّه صفةٌ لـ﴿ذَٰلِكَ﴾[2]؛ لأنَّ اسمَ الإشارةِ لا يُوصَفُ إلَّا بما فيهِ (أل)، نبَّهَ عليهِ صاحبُ «التقريب»[3].

وقال ابنُ هشامٍ كغيرِه: وَهِمَ الزَّمخشريُّ في ذلك، قال: ولا يكونُ أيضًا عطفَ بَيانٍ لأنَّ البَيانَ شَبهُ الصِّفة، فكمَا لا تُوصَفُ الإشارةُ إلَّا بما فيه (أل) كذلك ما يُعطَفُ عليها[4].

وقال الحَلَبيُّ: الصَّحيحُ أنَّ الواقعَ بعدَ اسمِ الإشارةِ المقارنَ لـ(أل) إن كانَ مُشتَقًّا كانَ صفةً وإلَّا كانَ بَدلًا، و(تخاصمَ) ليسَ مُشتقًّا[5].

قال الطِّيبيُّ: وهُنا شَيءٌ آخرُ، وهو الفصلُ بين اسمِ الإشارةِ وصِفَتِه بالخبرِ، وهو غَيرُ جائزٍ.

قال صاحبُ «المقتبس»: ومن المسائلِ في هذا النَّحوِ: لا يجوزُ أَنْ يقال: مررتُ بهذا يومَ الجمعةِ الرَّجلِ، ويجوزُ: مررتُ بزيدٍ يومَ الجُمعةِ العاقلِ، والفرقُ: أنَّ اتِّصالَ الصِّفةِ بالمُبهمِ أشدُّ مِن اتصالها بسائرِ المَوصوفاتِ؛ لأنَّ اسمَ الإشارةِ واسمَ الجنسِ

---

(١) أي: (تخاصَمَ). انظر: «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٩)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٥١٢)، و«البحر» (١٨/ ٢٩٠)، عن ابن أبي عبلة.

(٢) انظر: «الكشاف» (٧/ ٤٤٨). وزاد: لأن أسماء الإشارة توصف بأسماء الأجناس.

(٣) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٣١٢).

(٤) انظر: «مغني اللبيب» (ص: ٧٤٩).

(٥) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٣٩٥).

كالشَّيءِ الواحدِ مِن جهَةٍ أنَّ المقصودَ بهما جميعًا ما يقصدُ مِن الأَسماءِ، وصِفَةُ غيرِ المُبهمِ ليسَتْ في الامتزاجِ كالمُبهَمِ[1].

(٦٥ ـ ٦٦) ـ ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٦٥﴾ رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾.

﴿قُلْ﴾ يا محمَّدُ للمُشركينَ: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ أُنذِرُكُم عذابَ اللهِ ﴿وَمَا مِنْ إِلَٰهٍ إِلَّا ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ﴾ الذي لا يقبلُ الشَّرِكَةَ والكثرةَ في ذاتِه ﴿ٱلْقَهَّارُ﴾ لكلِّ شيءٍ.

﴿رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ منه خَلقُها وإليهِ أمرُها ﴿ٱلْعَزِيزُ﴾ الذي لا يُغلَبُ إذا عاقبَ ﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ الذي يَغفِرُ ما يَشاءُ مِن الذُّنوبِ لِمَن يَشاءُ.

وفي هذه الأوصافِ تَقريرٌ للتَّوحيدِ ووَعدٌ ووَعيدٌ للمُوَحِّدينَ والمُشركينَ، وتثنيةُ ما يشعِرُ بالوعيدِ وتقديمُه لأنَّ المدَّعى هو الإنذارُ.

(٦٧ ـ ٧٠) ـ ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴿٦٨﴾ مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ ﴿٦٩﴾ إِن يُوحَىٰٓ إِلَىَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾.

﴿قُلْ هُوَ﴾؛ أي: ما أنبأْتُكم به من أنِّي نَذيرٌ مِن عُقوبَةِ مَن هذه صِفَتُه، وأنَّه واحِدٌ في ألوهيَّتِه، وقيل: ما بعدَهُ مِن نبأِ آدمَ.

﴿نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ﴿٦٧﴾ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ﴾ لتَمادي غَفْلَتِكُم فإنَّ العاقلَ لا يُعرِضُ عن مثلِه كيفَ وقَدْ قامَتْ عليه الحُجَجُ الواضحَةُ، أمَّا على التوحيدِ فما مرَّ، وأمَّا على النبوَّةِ فقوله:

﴿مَا كَانَ لِىَ مِنْ عِلْمٍۭ بِٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰٓ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ فإنَّ إخبارَهُ عن تقاوُلِ الملائكةِ وما جَرى

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٣١٣).

بينَهُم على ما وَرَدتْ في الكتبِ المُتقدِّمَةِ مِن غيرِ سَماعٍ ومُطالعَةِ كتابٍ لا يُتصوَّرُ إلا بالوَحْيِ، وإذ مُتعلِّقٌ بـ﴿عِلْمٍ﴾ أو محذوفٍ إذ التَّقديرُ: مِن علمٍ بكَلامِ الملأِ الأعلى.

﴿إِن يُوحَىٰٓ إِلَيَّ إِلَّآ أَنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾؛ أي: لأنَّما، كأنَّه لَمَّا جوَّزَ أنَّ الوحيَ يأتيه بيَّنَ بذلك ما هو المقصودُ به تحقيقًا لقوله: ﴿إِنَّمَآ أَنَا۠ مُنذِرٌ﴾ ويجوزُ أنْ يرتفِعَ بإسنادِ ﴿يُوحَىٰٓ﴾ إليه.

وقُرِئَ: ﴿إنَّما﴾ بالكسرِ[1] على الحكايَةِ.

(٧١ ـ ٧٤) ـ ﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ ﴿٧١﴾ فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي فَقَعُوا۟ لَهُۥ سَٰجِدِينَ ﴿٧٢﴾ فَسَجَدَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ ﴿٧٣﴾ إِلَّآ إِبْلِيسَ ٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّي خَٰلِقٌۢ بَشَرًا مِّن طِينٍ﴾ بدلٌ مِن ﴿إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ مُبيِّنٌ له؛ فإنَّ القصَّةَ التي دخلَتْ (إذ) عليها مُشتَمِلَةٌ على تقاوُلِ الملائكةِ وإبليسَ في خلقِ آدمَ واستحقاقِهِ للخِلافَةِ والسُّجودِ على ما مرَّ في (البقرةِ)، غيرَ أنَّها اختُصِرَت اكتفاءً بذلك واقتصارًا على ما هو المقصودُ منها[2]، وهو إنذارُ المشركينَ على استكبارِهِم على النَّبيِّ عليهِ السَّلامُ بمثلِ ما حاقَ بإبليس على استكبارِهِ على آدمَ.

هذا ومِن الجائزِ أنْ تكونَ مُقاوَلَةُ اللهِ إيَّاهُم بواسطةِ مَلَكٍ، وأنْ يُفسَّرَ الملأُ الأعلى بما يعمُّ اللهَ والملائكةَ.

﴿فَإِذَا سَوَّيْتُهُۥ﴾ عدَّلْتُ خِلْقتَهُ[3] ﴿وَنَفَخْتُ فِيهِ مِن رُّوحِي﴾: وأحيَيتُهُ بنفخِ الرُّوحِ فيه، وإضافتُه إلى نفسِهِ لشَرَفِهِ وطَهارَتِه.

---

(١) وهي قراءة أبي جعفر، انظر: «النشر» (٢/ ٣٦٢).

(٢) في (ض): «المقصود هاهنا».

(٣) في (خ): «خلقه».

﴿فَقَعُواْ لَهُۥ﴾: فخِرُّوا له ﴿سَٰجِدِينَ﴾ تكرمَةً وتَبجيلًا له، وقد مرَّ الكلامُ فيه في (البقرةِ).

﴿فَسَجَدَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ كُلُّهُمۡ أَجۡمَعُونَ ٧٣ إِلَّآ إِبۡلِيسَ ٱسۡتَكۡبَرَ﴾: تعظَّمَ، ﴿وَكَانَ﴾ وصارَ ﴿مِنَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ باستكبارِه عن أمرِ اللهِ واستكبارِه عن المُطاوعَةِ، أو كانَ مِنْهُم في علمِ اللهِ.

(٧٥ ـ ٧٦) ـ ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ ٧٥ قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾.

﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّ﴾: خلَقْتُه بنفسي مِن غيرِ توسُّطٍ كأبٍ وأُمٍّ، والتَّثنيَةُ لِمَا في خلقِه مِن مَزيدِ القُدرَةِ واختلافِ الفعلِ. وقُرِئَ على التَّوحيدِ[1].

وترتيبُ الإنكارِ عليه للإشعارِ بأنَّهُ المستدعي للتَّعظيمِ، أو بأنَّه الذي تشبَّثَ به في تركِه، وهو لا يصلحُ مَانعاً؛ إذ للسَّيدِ أن يستخدمَ بعضَ عَبيدِهِ لبَعْضٍ سِيَّمَا وله مزيدُ اختِصاصٍ.

﴿أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾: تكبَّرْتَ مِن غيرِ استِحقاقٍ، أو كنتَ ممَّنْ عَلا واستحقَّ التَّفوُّقَ.

وقيل: أستكبرتَ الآنَ أم لم تزَلْ كنتَ مِن المستكبرينَ.

وقرئ: (اسْتكْبَرْتَ) بحذفِ الهمزةِ[2] لدَلالةِ ﴿أَمۡ﴾ عليها، أو بمَعنى الإخبارِ.

﴿قَالَ أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ إبداءٌ للمَانعِ، وقوله: ﴿خَلَقۡتَنِي مِن نَّارٖ وَخَلَقۡتَهُۥ مِن طِينٖ﴾ دليلٌ عليه، وقَد سبقَ الكَلامُ فيه.

---

(١) أي: (بيَدِي). انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١) عن الجحدري.

(٢) هي رواية عن ابن كثير، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١).

(٧٧ ـ ٨١) ـ ﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ۝٧٧ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴾.

﴿ قَالَ فَٱخۡرُجۡ مِنۡهَا ﴾: مِن الجنَّةِ، أو السَّماءِ، أو مِن الصُّورةِ المَلَكيَّةِ ﴿فَإِنَّكَ رَجِيمٞ ﴾ مطرودٌ مِن الرَّحمَةِ ومحلِّ الكرامَةِ.

﴿ وَإِنَّ عَلَيۡكَ لَعۡنَتِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلدِّينِ ۝٧٨ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرۡنِيٓ إِلَىٰ يَوۡمِ يُبۡعَثُونَ ۝٧٩ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ ٱلۡمُنظَرِينَ ۝٨٠ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡوَقۡتِ ٱلۡمَعۡلُومِ ﴾ مرَّ بيانُه في (الحِجْر).

(٨٢ ـ ٨٥) ـ ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ۝٨٣ قَالَ فَٱلۡحَقُّ وَٱلۡحَقَّ أَقُولُ ۝٨٤ لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾.

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ ﴾: فبِسُلْطانِكَ وقَهرِكَ ﴿لَأُغۡوِيَنَّهُمۡ أَجۡمَعِينَ ۝٨٢ إِلَّا عِبَادَكَ مِنۡهُمُ ٱلۡمُخۡلَصِينَ ﴾: الذين أخلصَهم اللهُ لِطاعَتِه وعَصَمهُم مِن الضَّلالةِ، أو: أخلَصُوا قلوبَهُم للهِ على اختلافِ القِراءَتين.

﴿قال فالْحَقَّ والْحَقَّ أَقولُ﴾؛ أي: فأُحِقُّ الحقَّ وأقولُه.

وقيل: الحقُّ الأوَّلُ اسمُ اللهِ تَعالى ونصبُه بحذفِ حَرفِ القسمِ كقولِه:

إنَّ عَلَيْكَ اللهَ أَنْ تُبايِعَا

وجوابُه: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنكَ وَمِمَّن تَبِعَكَ مِنۡهُمۡ أَجۡمَعِينَ ﴾ وما بينَهُمَا اعتِراضٌ، وهو على الأوَّلِ جَوابُ مَحذوفٍ، والجملةُ تَفسيرٌ لـ﴿الحقَّ﴾ المقولِ.

وقرأَ عاصِمٌ وحمزَةُ برفعِ الأوَّلِ على الابتداءِ[1]؛ أي: الحقُّ يميني أو قسمِي، أو الخبرِ؛ أي: أنا الحقُّ.

وقُرِئا مَرفُوعَيْنِ[2] على حذفِ الضَّميرِ مِن ﴿أَقولُ﴾ كقولِه:

---

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٥٥٧)، و«التيسير» (ص: ١٨٨).

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١) عن الأعمش وابن عباس.

كُــلُّــهُ لَــمْ أَصْنَـــعِ

ومَجرورَيْنِ[١] على إضمارِ حَرفِ القَسَمِ في الأوَّلِ، وحكايةِ لَفظِ المُقسَمِ به في الثَّاني للتَّوكيدِ، وهو سائغٌ فيه إذا شاركَ الأوَّلَ[٢].

وبرفعِ الأوَّلِ وجَرِّهِ ونصبِ الثَّاني[٣]، وتخريجُه على ما ذكَرْنا.

والضَّميرُ في ﴿مِنۡهُمۡ﴾ للنَّاسِ إذ الكلامُ فيهم، والمرادُ بـ﴿مِنكَ﴾: من جنسِكَ؛ ليَتناولَ الشَّياطينَ، وقيل: للثَّقلينِ[٤]، و﴿أَجۡمَعِينَ﴾ تأكيدٌ له أو للضَّميرَيْنِ[٥].

قوله:

«إنَّ عــلـيـــكَ الله أَنْ تُـبـــايِعَا»[٦]

تمامُه:

تُؤخَــذُ كَرْهًــا أَوْ تَجِــيءُ طَائِعَــا

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١) عن عيسى بن عمر.

(٢) أي: إذا كان مثلَه لفظاً ومعنًى ساغت الحكايةُ فيه كما هنا، وهو حسن؛ لأنه تأكيد على تأكيد؛ إذ القسم في نفسه مؤكد. انظر: «حاشية الشهاب» (٧/ ٣٢٢).

(٣) برفع الأول مع نصب الثاني قراءة سبعية تقدم تخريجها قريباً، وبجر الأول مع نصب الثاني نسبها ابن الجوزي في «زاد المسير» (٣/ ٥٨٣) لابن عباس، ومجاهد، وعكرمة، وأبو رجاء، ومعاذ القارئ، والأعمش.

(٤) قوله: «وقيل: للثقلين» عطفٌ على «للناس».

(٥) «أو للضميرين»؛ أي: ضمير ﴿مِنكَ﴾ وضمير ﴿مِنۡهُمۡ﴾.

(٦) صدر بيت ورد دون نسبة في «الكتاب» (١/ ١٥٦)، و«المقتضب» (٢/ ٦٣)، و«الأصول في النحو» لابن السراج (٢/ ٤٨)، و«الحجة» للفارسي (٥/ ٣٥٠)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (٥/ ٢٠٣) وعندهم جميعاً: «إن عليَّ الله». المبايعة: البيعة والطاعة للسلطان، و«تُؤْخَذ» بدل من «تبَايع»، قاله البغدادي، قال: وهذا البيت قلما خلا عنه كتاب نحوي ومع شهرته لا يعلم قائله، وهو من أبيات سيبويه الخمسين التي لا يعرف قائلها.

قوله:

«كُلُّــهُ لَــمْ أَصْنَــعِ»

هو لأَبِي النَّجْمِ، وأَوَّلُه:

قَـدْ أَصْبَحَـتْ أُمُّ الخِيَـارِ تَدَّعِي   عَلَـيَّ ذَنْبَـا.................[1]

(٨٦ ـ ٨٨) ـ ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ ﴿٨٦﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٧﴾ وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ بَعْدَ حِينٍۭ﴾.

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾؛ أي: على القُرآنِ، أو تبليغِ الوَحْيِ ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾: المُتصنِّعينَ بما لستُ مِن أَهلِهِ على ما عَرَفْتُم مِن حالي فأنتحلَ النبوَّةَ وأتقوَّلَ القُرآنَ.

﴿إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ﴾: عِظَةٌ ﴿لِّلْعَٰلَمِينَ﴾: للثَّقَلينِ.

﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُۥ﴾ وهو ما فيهِ مِن الوَعدِ والوعيدِ، أو: صدقَهُ بإتيان[2] ذلك.

﴿بَعْدَ حِينٍۭ﴾: بعدَ الموتِ، أو يومَ القيامةِ، أو عندَ ظُهورِ الإسلامِ، وفيهِ تَهديدٌ.

عن النبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سُورةَ «ص» كانَ له بوزنِ كُلِّ جبلٍ سَخَّرَه اللهُ لداودَ عشرَ حَسَناتٍ، وعصمَهُ أن يُصِرَّ على ذنبٍ صَغيرٍ أو كبيرٍ».

قوله: «مَن قرأَ سُورةَ ص..» إلى آخره: موضوع[3].

* * *

---

(١) انظر: في «ديوان أبي النجم» (ص: ١٣٢)، و«الكتاب» (١/ ٨٥ و١٣٧)، و«معاني القرآن» للفراء (١/ ١٤٠ و٢٤٢) (٢/ ٩٥)، و«مجاز القرآن» (٢/ ٨٤)، و«معاني القرآن» للأخفش (١/ ٢٧٥)، و«خزانة الأدب» للبغدادي (١/ ٣٥٩).

(٢) في (ض): «بإثبات».

(٣) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٨/ ١٧٥)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٣٧)، وهو قطعة من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه الموضوع، وقد تقدم الكلام عليه مراراً.

سُورَةُ الزُّمَرِ

سُورَةُ الزُّمَرِ

مَكِّيَّةٌ، إلَّا قولَه: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ﴾ الآيةَ[1]. وآيُها خمسٌ وسَبعونَ أو ثنتانِ وسبعونَ[2].

بسمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ

(١ ـ ٣) ـ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ۝٢ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ۚ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ فِى مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾.

﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خبرُ مَحذوفٍ مثل: هذا، أو مبتدأٌ خبرُه: ﴿مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ﴾، وهو على الأوَّلِ صِلَةُ التَّنزيلِ، أو خبرٌ ثانٍ، أو حالٌ عملَ فيها معنى الإشارةِ أو التنزيلِ، والظَّاهرُ أنَّ (الكتاب) على الأوَّلِ: السُّورةُ، وعلى الثَّاني: القُرآنُ.

---

(١) انظر: «البيان في عد آي القرآن» (ص: ٢١٦)، وفيه: «مَكِّيَّة، قال ابن عبَّاس وعطاء: إلاَّ ثلاث آيات منها فإنها نزلت بالمدينة في وحشي قاتل حمزة، وهن قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾».

(٢) في (أ): «أو اثنتان وسبعون»، وانظر المصدر السابق، وفيه: «وهي سبعون وخمس آيات في الكوفي، وثلاث في الشَّامي، واثنتان في عدد الباقين، اختلافها سبع آيات...». وتنظر ثمة.

وقُرِئَ: (تنزيلَ) بالنَّصبِ(١) على إضمارِ فعلٍ نحو: اقرأْ أو الزَمْ.

﴿ إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ بِٱلْحَقِّ ﴾ مُلتبِسًا بالحقِّ، أو بسببِ إثباتِ الحقِّ وإظهارِه وتَفصيلِه.

﴿فَٱعْبُدِ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴾ مُمَحِّضًا له الدِّينَ مِن الشِّركِ والرِّياءِ.

وقُرِئَ برفعِ (الدِّينُ)(٢) على الاستئنافِ لتَعليلِ الأمـرِ، وتقديمُ الخبرِ لتأكيدِ الاختصاصِ المستفادِ مِن اللامِ كما صَرَّحَ بهِ مُؤكَّدًا، وأجراه مُجرى المعلومِ المقرَّرِ لِكَثرةِ حُجَجِهِ وظهورِ بَراهينِه فقال:

﴿ أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ ﴾ أي: ألا هو الذي وجبَ اختصاصُهُ بأن تُخلَصَ له الطَّاعةُ، فإنَّه المتفرِّدُ بصفاتِ الألوهيَّةِ والاطِّلاعِ على الأسرارِ والضَّمائرِ.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ﴾ يحتملُ المُتَّخِذِينَ مِن الكفرةِ والمُتَّخَذينَ مِن الملائكةِ وعيسى والأصنام على حذفِ الرَّاجعِ، وإضمارُ المُشركينَ مِن غيرِ ذكرٍ لدلالةِ المساقِ عليهم، وهو مُبتدأٌ خبرُه على الأوَّلِ: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلْفَىٰٓ ﴾ بإضمارِ القَولِ، أو ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ﴾ وهو مُتعيِّنٌ على الثَّاني، وعلى هذا

---

(١) هي قراءة عيسى بن عمر، وإبراهيم بن أبي عبلة كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١).

(٢) هي قراءة ابن أبي عبلة كما في «الكامل» للهذلي (ص: ٦٢٩)، و«البحر» (١٨/ ٣٠٦). ونفى الزجاج أن تكون قراءة، وذلك في معرض رده على الفراء الذي أجاز الرفع دون التصريح بكونه قراءة، على أن تكون الجملة قد انتهت عند ﴿مُخْلِصًا﴾، ويكون ﴿لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ ابتداء؛ كأنك قلت: اعبد الله مُطيعًا، فَلَه الدين. فقال الزجاج: وهذا لا يجوز من جهتين: إحداهما: أنه لم يقرأ به، والأخرى: أنه يفسده ﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾، فيكون ﴿له الدينُ﴾ مكرراً في الكلام لا يحتاج إليه، قال: وإنما الفائدة في ﴿أَلَا للهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ تحسن بقوله: ﴿مُخلِصاً لَهُ الدِّينَ﴾. انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٤)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٤٣ ـ ٣٤٤).

يكونُ القولُ المُضمَرُ بما في حَيِّزِه حَالًا أو بدلًا مِن الصِّلَةِ، و﴿زُلْفَىٰٓ﴾ مصدرٌ أو حالٌ.

وقُرِئَ: (قالوا ما نعبدُهُم)[1]، و(ما نعبدُكُم إلا لتُقرِّبُونَا)[2] حكايةً لِمَا خاطَبُوا به آلهتَهُم، و(نُعْبُدهم) بضمِّ النُّونِ[3] إتبَاعًا.

﴿فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ مِن الدِّينِ بإدخالِ المحقِّ الجنَّةَ والمبطلِ النَّارَ، والضَّميرُ للكَفَرةِ ومُقابليهِم.

وقيل: لَهُم ولِمَعبوديهِم، فإنَّهُم يرجُونَ شَفاعتَهُم وهم يَلعنونَهُم.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي﴾ لا يُوفِّقُ للاهتداءِ إلى الحقِّ ﴿مَنْ هُوَ كَٰذِبٌ كَفَّارٌ﴾ فإنَّهُما عادِمَا[4] البصيرةِ.

قوله: «أو حالٌ عَمِلَ فيها مَعنى الإشارة».

قال الطِّيبيُّ: هذا ممَّا منعَهُ بَعضُهُم، واختارَهُ الزَّجَّاجُ[5].

وقال أبو حيَّان: هذا لا يَجوزُ؛ لأنَّ معانيَ الأَفعالِ لا تعمَلُ إذا كان ما هي فيه محذوفًا، ولذلك رَدُّوا على أبي العَباسِ قولَه في بيتِ الفرزدقِ:

...وَإِذْ مَــا مِثْلَهُــمْ بَشَــرُ[6]

---

(١) هي قراءة عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٤)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ١٥٦)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ١٥٠)، و«تفسير البغوي» (٧/ ١٠٤).

(٢) وهي قراءة أبي رضي الله عنه، انظر: «معاني القرآن» للفراء (٢/ ٤١٤)، و«تفسير الطبري» (٢٠/ ١٥٦)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٢٤٤)، و«معاني القرآن» للنحاس (٦/ ١٥١).

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ٤٦٦) و«البحر» (١٨/ ٣٠٨).

(٤) في (ت): «فاقدا»، وفي (ض): «فإنهما في علم الله كذلك لعدم».

(٥) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٣٣٣)، و«معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٤٣).

(٦) تمام البيت: =

أنَّ (مِثْلَهم) مَنصوبٌ بالخبرِ المحذوفِ، وهو مُقدَّرٌ: وإذ ما في الوُجودِ في حالِ مُماثَلَتِهم بَشرٌ[1].

قوله: «والظَّاهرُ أنَّ (الكتابَ) على الأوَّلِ السُّورةُ، وعلى الثَّاني القُرآنُ».

قال الطِّيبيُّ: الوَجهُ الأوَّلُ هو أن يكونَ ﴿تَنزِيلُ﴾ خبرَ مُبتدأٍ مَحذوفٍ؛ أي: هذه السُّورةُ قولٌ من عندِ اللهِ، أو هذا تنزيلُ السُّورةِ كائنًا من عندِ اللهِ، يدلُّ عليه ما جاء في فواتحِ السُّوَرِ التي حُلِّيَتْ بأسماءِ الإشارةِ نحو: ﴿ذَٰلِكَ ٱلْكِتَٰبُ﴾؛ فإن الكتابَ مُفسَّرٌ باسم السورةِ غالبًا كما استقرينا مِن كلامِه.

قال: والوجهُ الثَّاني هو أن يكونَ ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ خبرَ مبتدأٍ أُخبِرَ عنه بالظرفِ؛ لأنَّ المعنى: تنزيلُ القرآنِ مِن عندِ اللهِ العزيزِ الحكيم.

قال: وأمَّا القراءةُ بالنَّصبِ على تقديرِ: اقرأْ أو الزَمْ، فالظَّاهرُ أنَّه القرآنُ، انتهى[2].

وقال ابنُ عَطِيَّة: الكتابُ في قوله: ﴿تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ قال المفسِّرون: هو القرآنُ، ويظهرُ لي أنَّه اسمُ عامٌّ لجميعِ ما نزلَ مِن عندِ اللهِ مِن الكُتبِ، فكأنه أخبرَ إخبارًا مجرَّدًا أنَّ الكتبَ الهاديةَ الشَّارعةَ إنَّما تَنزيلُها من اللهِ، وجعل ذلك توطئةً لقوله: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ﴾، والكتابُ الثَّاني هو القرآنُ لا يَحتمِلُ غيرَ ذلك[3].

= فأصبَحُوا قد أعادَ اللهُ نِعْمَتَهُمْ ... إذ هُمْ قُرَيْشٌ وإذ ما مِثلَهُمْ بَشَرُ

انظر: «ديوان الفرزدق» (١/ ١٨٥).

(١) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٣٠٥). وينظر كلام أبي العباس المبرد في «المقتضب» (٤/ ١٩١) وما جاء بهامشه. وانظر: «الانتصار لسيبويه على المبرد» (ص١٦٨ ـ ١٦٩).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٣٣٣).

(٣) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥١٧).

(٤ ـ ٥) ـ ﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ ﴿٤﴾ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ ۖ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى ۗ أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفَّٰرُ﴾.

﴿لَّوْ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدًا﴾ كما زعموا ﴿لَّٱصْطَفَىٰ مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ﴾ إذ لا موجودَ سِواهُ إلَّا وهو مخلوقُه لقيامِ الدَّلالةِ على امتناعِ وجودِ واجِبَيْنِ ووجوبِ استنادِ ما عدا الواجبَ إليه، ومِن البيِّنِ أنَّ المخلوقَ لا يُماثِلُ الخالقَ فيقومُ مقامَ الولدِ له، ثمَّ قرَّر[1] ذلك بقولِه:

﴿سُبْحَٰنَهُۥ ۖ هُوَ ٱللَّهُ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّارُ﴾ فإنَّ الألوهيَّةَ الحقيقيَّةَ تتبعُ الوُجوبَ المُستلزِمَ للوحدةِ الذَّاتيَّةِ وهي تُنافي المماثلةَ فضلًا عن التَّوالُدِ؛ لأنَّ كلَّ واحدٍ مِن المثلينِ مُركَّبٌ مِن الحقيقةِ المُشتركَةِ والتَّعيُّنِ المخصوصِ، والقَهَّاريَّةُ المُطلقَةُ تنافي قبولَ الزَّوالِ المُحْوِجِ إلى الولدِ، ثمَّ استدلَّ على ذلك بقولِه:

﴿خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ ۖ يُكَوِّرُ ٱلَّيْلَ عَلَى ٱلنَّهَارِ وَيُكَوِّرُ ٱلنَّهَارَ عَلَى ٱلَّيْلِ﴾ يُغْشِي كلُّ واحدٍ مِنْهُما الآخرَ، كأنَّه يَلُفُّ عليه لَفَّ اللباسِ باللابسِ، أو يُغيبُهُ[2] به كما يُغيَّبُ الملفوفُ باللِّفافةِ، أو يجعلُه كارًّا عليهِ كرورًا مُتَتابعًا تتابُعَ أكوارِ العِمامَةِ.

﴿وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ كُلٌّ يَجْرِى لِأَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو مُنتهى دورِه، أو مُنقَطَعُ حَركتِهِ.

﴿أَلَا هُوَ ٱلْعَزِيزُ﴾ القادرُ على كلِّ ممكنٍ، الغالبُ على كلِّ شيءٍ.

﴿ٱلْغَفَّٰرُ﴾ حيثُ لم يُعاجِلْ بالعُقوبَةِ وسَلْبِ ما في هذه الصَّنائعِ مِن الرَّحمةِ وعُمومِ المنفعةِ.

---

(١) في (ض): «وقرر».

(٢) في (ت): «ويغيبه».

(٦) ـ ﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾.

﴿خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا﴾ استدلالٌ آخرُ بما أوجدَهُ في العالمِ السُّفليِّ مبدوءًا بهِ مِن خلقِ الإنسانِ لأنَّه أقربُ وأكثرُ دلالةً وأعجَبُ، وفيه على ما ذكرَه[1] ثلاثُ دلالاتٍ:

خلقُ آدمَ أوَّلًا مِن غيرِ أبٍ وأُمٍّ.

ثمَّ خلقُ حوَّاءَ مِن قُصَيْراهُ[2].

ثمَّ تَشعيبُ الخلقِ الفائتِ للحَصرِ مِنْهُما.

و(ثمَّ) للعَطفِ على مَحذوفٍ هو[3] صِفَةُ ﴿نَّفْسٍ﴾، مثل: خَلقَها، أو على مَعنى ﴿وَٰحِدَةٍ﴾، أي: مِن نَفسٍ وُحِّدَت ثمَّ جعلَ منها زوجَها فشفعَها بها، أو على ﴿خَلَقَكُم﴾ لتَفاوُتِ ما بين الآيتينِ؛ فإنَّ[4] الأولى عادةٌ مُستمرَّةٌ دونَ الثَّانيةِ.

وقيل: أخرجَ مِن ظهرِهِ ذُرِّيَّتَه كالذَّرِّ، ثمَّ خلقَ منها[5] حوَّاءَ.

---

(١) في (أ): «ذكر».

(٢) قال الجوهريُّ: (القُصْرى والقُصَيرى): الضِّلعُ التي تلي الشَّاكلةَ، وهي الواهنةُ في أسفلِ الأضلاعِ، انظر: «الصحاح»: (مادة: قصر).

(٣) في (ت): «وهو».

(٤) في (خ) زيادة: «الآية».

(٥) في (ت) و(ض): «منه». قال الخفاجي في «حاشيته»: (٧/ ٣٢٨): قوله: «ثم خلق منها» أي: من قصيراهُ، وفي نسخة: منه، أي من آدم عليه الصلاة والسلام، ومن أرجع ضمير منها للذرية فقد سها.

﴿وَأَنزَلَ لَكُم﴾ وقضى أو قسمَ لَكُم؛ فإنَّ قَضاياهُ وقَسْمَهُ[1] توصَفُ بالنُّزولِ مِن السَّماءِ حيثُ كَتَبَ في اللوحِ، أو أحدثَ لَكُم بأسبابٍ نازلةٍ كأشعَّةِ الكواكبِ والأمطارِ. ﴿مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ﴾ ذكرًا وأُنثى مِن الإبلِ والبقرِ والضَّأنِ والمعزِ.

﴿يَخْلُقُكُمْ فِى بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمْ﴾ بيانٌ لكيفيَّةِ خلقِ ما ذكرَ مِن الأناسيِّ والأنعامِ إظهارًا لِمَا فيها مِن عَجائبِ القُدرَةِ، غيرَ أنَّه غلَّبَ أولي العقلِ أو خصَّهُم بالخطابِ لأنَّهُم المَقصودونَ.

﴿خَلْقًا مِّنۢ بَعْدِ خَلْقٍ﴾ حَيوانًا سَوِيًّا مِن بعدِ عظامٍ مَكسوَّةٍ لحمًا مِن بعدِ عظامٍ عاريةٍ مِن بعدِ مُضَغٍ مِن بعدِ عَلَقٍ مِن بعدِ نُطَفٍ ﴿فِى ظُلُمَٰتٍ ثَلَٰثٍ﴾ ظلمةُ البَطنِ والرَّحمِ والمشيمةِ، أو الصُّلبِ والرَّحِمِ والبطنِ.

﴿ذَٰلِكُمُ﴾ الذي هذه أفعالُه ﴿ٱللَّهُ رَبُّكُمْ﴾ هو المستحقُّ لعِبادَتِكُم والمالكُ ﴿لَهُ ٱلْمُلْكُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ إذ لا يُشارِكُه في الخلقِ غيرُه.

﴿فَأَنَّىٰ تُصْرَفُونَ﴾ يُعْدَلُ[2] بكم عن عِبادَتِه[3] إلى الإشراكِ.

(٧) ـ ﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ ۖ وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ ۖ وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ ۗ وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ۗ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾.

﴿إِن تَكْفُرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِىٌّ عَنكُمْ﴾ عَن إيمانِكُم ﴿وَلَا يَرْضَىٰ لِعِبَادِهِ ٱلْكُفْرَ﴾ لاستضرارِهِم به رحمةً عليهِم.

﴿وَإِن تَشْكُرُوا۟ يَرْضَهُ لَكُمْ﴾ لأنَّه سَببُ فَلاحِكُم. وقرأ ابنُ كثيرٍ ونافعٌ في روايةٍ وأبو

(١) و«قسمه» من (ت) و(ض).

(٢) في (خ) زيادة: «كيف يعدل».

(٣) في (ض): «العبادة».

عمرٍو والكِسائيُّ بإشباعِ ضَمَّةِ الهاءِ لأنَّها صارَتْ بحَذفِ الألفِ موصولةً بمُتحرِّكٍ، وعن أبي عمرٍو ويعقوبَ إسكانُها وهو لُغَةٌ فيها[1].

﴿وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُم مَّرْجِعُكُمْ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ بالمُحاسبةِ والمُجازاةِ.

﴿إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ فلا تَخفى عليه خافيةٌ من أعمالِكُم.

(٨) ـ ﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ نِعْمَةً مِّنْهُ نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ مِن قَبْلُ وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا ۖ إِنَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ﴾.

﴿وَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَا رَبَّهُۥ مُنِيبًا إِلَيْهِ﴾ لزوالِ ما ينازِعُ العقلَ في الدلالةِ على أنَّ مبدأَ الكلِّ منه.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُۥ﴾ أعطاهُ، مِن الخَوَلِ وهو التَّعهُّدُ، أو الخَوْلِ وهو الافتخارُ.

﴿نِعْمَةً مِّنْهُ﴾ مِن اللهِ.

﴿نَسِىَ مَا كَانَ يَدْعُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ أي نسيَ[2] الضرَّ الذي كانَ يدعو اللهَ إلى كشفِهِ، أو ربَّهُ الذي كان يَتضرَّعُ إليه، و(ما) مثلُ[3] الذي في قولِه: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾.

---

(١) قرأ نافع وعاصم ويعقوب وحمزة بضم الهاء من غير صلة، وابن كثير وابن ذكوان والكسائي وابن وردان وخلف في اختياره بالضم مع الصلة، والسوسي وابن جماز بإسكانها، وللدوريّ عن أبي عمرو وجهان: الإسكان والضم مع الصلة، ولهشام وجهان أيضاً: الإسكان والضم من غير صلة، هذا ما يؤخذ له من «الشاطبية»، ولكن صاحب «النشر» ذكر أن الإسكان له ليس من طرق «التيسير» و«الشاطبية» وإن كان صحيحاً عنه، وعلى هذا ينبغي الاقتصار له على وجه الضم مع عدم الصلة. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٠ ـ ٥٦١)، و«التيسير» (ص: ١٨٩)، و«النشر» (١/ ٣٠٥)، و«البدور الزاهرة» (ص: ٢٧٤).

(٢) «نسي» من (خ).

(٣) في النسخ عدا (أ): «مثله».

﴿مِن قَبْلُ﴾ مِن قبلِ النعمةِ.

﴿وَجَعَلَ لِلَّهِ أَندَادًا لِّيُضِلَّ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ وقرأ ابنُ كثيرٍ وأبو عمرٍو ورُوَيسٌ بفتحِ الياءِ[١]، والضَّلالُ والإضلالُ لَمَّا كانا نتيجةَ جَعلِه؛ صحَّ تعليلُهُ بهما وإن لم يكونَا غَرَضينِ[٢].

﴿قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا﴾ أمرُ تَهديدٍ فيه إشعارٌ بأنَّ الكُفرَ نوعُ تَشهٍّ لا سندَ له، وإقناطٌ للكافرِ مِن التَّمتُّعِ في الآخرةِ، ولذلك علَّله بقولِه: ﴿إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ﴾ على سبيلِ الاستئنافِ للمُبالغةِ.

(٩) - ﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ ءَانَاءَ الَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ الْآخِرَةَ وَيَرْجُوا رَحْمَةَ رَبِّهِۦ قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُولُوا الْأَلْبَابِ﴾.

﴿أَمَّنْ هُوَ قَانِتٌ﴾ قائم بوظائفِ الطَّاعاتِ.

﴿ءَانَاءَ الَّيْلِ﴾ ساعاتِه، و(أم) مُتَّصلَةٌ بمحذوفٍ تَقديرُه: الكافرُ خيرٌ أم مَن هوَ قانِتٌ، أو مُنقطعَةٌ والمعنى: بل أَمَن هو قانِتٌ كمَنْ هو بضِدِّه. وقرأ الحِجازيَّانِ وحمزةُ بتَخفيفِ الميمِ[٣] بمعنى: أَمَن هو قانتٌ للهِ كمَن جعلَ له[٤] أندادًا.

(١) انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٧)، و«التيسير» (ص: ١٣٤)، و«النشر» (١/ ٣٠٧)، وهي بخلاف عن رويس كما ذكر ابن الجزري، وقراءة الباقين بالضم.

(٢) قال الخفاجي في «حاشيته» (٨/ ١٨٥): قوله: «والضلال والإضلال... إلخ» يعني: أن اللام هنا لام العاقبة والمآل لترتب ما ذكر على هذا الجعل، وهي مستعارة من لام التعليل الداخلة على الغرض استعيرت لما ذكر كما مر تحقيقه، لكن فيه أن الضلال ليس نتيجة جعل الأنداد بل سبب مقدم عليه كما لا يخفى، والإضلال لا يمتنع فيه أن يكون غرضاً إلا أن يقال: المترتب عليه الضلال الكامل أو ضلال مخصوص أو استمراره، والإضلال وإن قصد من فعلهم لكنهم لا يعتقدون أو لا يظهرون أنه إضلال بل إرشاد، والمراد بالنتيجة ما يؤدي إليه الفعل، والغرض ما يقصد ترتبه على الفعل.

(٣) انظر: «السبعة» (ص: ٥٦١)، و«التيسير» (ص: ١٨٩)، وقرأ الباقون بالتشديد.

(٤) في (خ): «لله».

﴿سَاجِدًا وَقَآئِمًا﴾ حالانِ مِن ضميرِ ﴿قَٰنِتٌ﴾، وقُرِئَا[1] بالرَّفعِ[2] على الخبرِ بعدَ الخبرِ، والواوُ للجمعِ بينَ الصِّفتينِ. ﴿يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُوا۟ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ في مَوقعِ الحالِ أو الاستئنافِ للتَّعليلِ.

﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِى ٱلَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ نفيٌ لاستواءِ الفَريقَيْنِ باعتبارِ القُوَّةِ العِلميَّةِ بعدَ نَفيِهَا باعتبارِ القُوَّةِ العَمَليَّةِ على وجهٍ أبلغَ لِمَزيدِ فضلِ العلمِ.

وقيل: تقريرٌ للأوَّلِ على سبيلِ التَّشبيهِ؛ أي: كمَا لا يَستوِي العالِمُونَ والجاهلونَ لا يَستوِي القانِتونَ والعاصونَ[3].

﴿إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ بأمثالِ هذه البياناتِ. وقُرِئَ: (يذَّكَّرُ) بالإدغامِ[4].

(١٠) - ﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ ۚ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ ۗ وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ ۗ إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ﴾ بلزومِ طاعتِه.

﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةٌ﴾ أي للذينَ أحسَنُوا بالطَّاعاتِ في الدُّنيا مثوبةٌ حَسنةٌ في الآخرةِ. وقيل معناهُ: للذينَ أحسَنُوا حسنةٌ في الدُّنيا هي الصِّحَّةُ والعافيةُ، وفي ﴿هَٰذِهِ﴾ بيانٌ لِمَكانِ ﴿حَسَنَةٌ﴾.

---

(١) في (خ): «وقُرِئَ».

(٢) انظر: «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٢٣)، و«البحر» (١٨/ ٣١٧)، عن الضحاك.

(٣) في هامش (أ): وأراد بالذين يعلمون العاملين من علماء الديانة كأنه جعل من لا يعمل غير عالم، وفيه ازدراء عظيم بالذين يقتنون العلوم ثم لا يقنتون، ويفتنُّون فيها ثم يُفتنون بالدنيا، فهم عند الله جهلة حيث جعل القانتين هم العلماء. انظر: «الكشاف» (٧/ ٤٧٦).

(٤) انظر: «الكشاف» (٧/ ٤٧٧)، و«البحر» (١٨/ ٣١٨).

﴿وَأَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٌ﴾ فمَن تعسَّرَ عليه التوفُّرُ على الإحسانِ في وَطنِه فليُهاجِر إلى حيثُ يتمكَّنُ[1] منه[2].

﴿إِنَّمَا يُوَفَّى ٱلصَّٰبِرُونَ﴾ على مَشاقِّ الطَّاعاتِ[3] مِن احتمالِ البلاءِ ومُهاجرةِ الأوطانِ لها ﴿أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ أجرًا لا يَهتدي إليه حسابُ الحُسَّابِ.

وفي الحديثِ: أنَّه «يُنصَبُ الموازينُ يومَ القيامةِ لأهلِ الصَّلاةِ والصَّدقَةِ والحجِّ فيوفونَ بها أجورَهُم، ولا يُنصبُ لأهلِ البَلاءِ بل يُصَبُّ عليهم الأجرُ صَبًّا حتَّى يَتمنَّى أهلُ العافِيَةِ في الدُّنيا أنَّ أجسادَهُم تُقرضُ بالمَقاريضِ ممَّا يذهَبُ به أهلُ البلاءِ مِن الفَضلِ».

قوله: «وفي الحديث: أنَّه تنصبُ المَوازينُ يومَ القِيامَةِ...» إلى آخره:

أخرجَه ابنُ مَردويه والثَّعلبيُّ مِن حديثِ أنسٍ بسندٍ ضَعيفٍ[4].

---

(١) في (ض): «تمكن».

(٢) في (خ): «فيه».

(٣) في (خ) و(ت): «الطاعة».

(٤) رواه ابن مردويه كما في «الكافي الشاف» (ص: ١٤٣)، والثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٢٢)، من حديث أنس رضي الله عنه. قال الحافظ: وإسناده ضعيف جدًّا.

ورواه بنحوه الطَّبراني في «الكبير» (١٢٨٢٩) عن ابن عبَّاس مرفوعاً بلفظ: «يُؤتَى بالشَّهيد يوم القيامة فينصبُ للحساب، ويُؤتَى بالمتصدق فينصبُ للحساب، ثم يُؤتَى بأهل البلاء فلا يُنصبُ لهم ميزان ولا ينشر لهم ديوان، فيُصبُّ عليهم الأجر حتى إن أهل العافية لَيَتَمَنَّوْن في الموقف أن أجسادهم قرضت بالمقاريض من حسن ثواب الله لهم».

قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٣٠٥): فيه مجاعة بن الزبير، وثقه أحمد وضعفه الدارقطني.

ولقوله في آخره: «حتى يتمنَّى أَهْلُ العَافية...» شاهد من حديث جابر رضي الله عنه، رواه الترمذي (٢٤٠٢) وقال: هذا حديثٌ غريبٌ لا نعرِفُه بهذا الإسناد إلا من هذا الوجه، وقد رَوَى بعضُهم هذا الحديثَ عن الأعمش، عن طلحةَ بن مُصَرِّفٍ، عن مسروقٍ قولَه شيئًا من هذا.

(١١ ـ ١٣) ـ ﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ ﴿١١﴾ وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٢﴾ قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ ٱللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ ٱلدِّينَ﴾ مُوَحِّدًا له.

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ ٱلْمُسْلِمِينَ﴾ وأُمِرتُ بذلك لأجلِ أَنْ أكونَ مُقدَّمَهُم في الدُّنيا والآخرةِ لأنَّ قصبَ السَّبقِ في الدِّينِ بالإخلاصِ، أو لأنَّهُ أوَّلُ مَن أسلمَ وجهَهُ للهِ مِن قُرَيشٍ ومَن دانَ بدينِهِم، والعَطفُ لِمُغايرَةِ الثَّاني الأوَّلَ بتَقيُّدِهِ بالعِلَّةِ والإشعارِ بأنَّ العِبادةَ المقرونةَ بالإخلاصِ وإن اقتضَتْ لذاتِها أن يُؤمرَ بها؛ فهيَ أيضًا تقتضيهِ لِمَا يلزمُهُ مِن السبقَةِ في الدِّينِ.

ويجوزُ أن تجعلَ اللامُ مَزيدَةً كما في: أَردْتُ لِأَنْ أفعلَ، فيكونُ أمرًا بالتقدُّمِ في الإخلاصِ والبدءِ بنَفسِهِ في الدُّعاءِ إليه بعدَ الأمرِ به.

﴿قُلْ إِنِّيٓ أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي﴾ بتركِ الإخلاصِ والميلِ إلى ما أَنتُم عليه مِن الشِّركِ والرِّياءِ.

﴿عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ﴾ لعظمةِ ما فيه.

(١٤ ـ ١٦) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي ﴿١٤﴾ فَٱعْبُدُوا۟ مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ ۗ قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٥﴾ لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ ۚ ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ ۚ يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُۥ دِينِي﴾ أمرٌ بالإخبارِ عن إخلاصِه[١]، وأن[٢] يكونَ مُخلِصًا له دينَهُ بعدَ الأمرِ بالإخبارِ[٣] عن كونِه مأمورًا بالعبادةِ والإخلاصِ خائفًا عن المُخالفَةِ

(١) في (ت): «أمرٌ بإخلاصه».

(٢) في (ت): «وعن أن».

(٣) في (خ): «بعد الإخبار».

مِـن العقابِ قَطْعًا لأطماعِهِم، ولذلك رتَّـبَ عليهِ قولَه: ﴿فَاعْبُدُوا مَا شِئْتُم مِّن دُونِهِۦ﴾ تهديدًا وخذلانًا لهم.

﴿قُلْ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ الكاملينَ في الخُسـرانِ ﴿ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ﴾ بالضَّـلالِ، ﴿وَأَهْلِيهِمْ﴾ بالإضـلالِ ﴿يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ حيـن يَدخلـونَ النَّارَ بـدلَ الجنَّـةِ لأنَّهُم جمعوا وُجوهَ الخُسـرانِ.

وقيل: فخَسِرُوا أهلِيهِم لأنَّهُم إنْ كانوا مِن أَهلِ النَّارِ فقد خَسِرُوهم كما خَسِرُوا أنفُسَهُم، وإن كانوا مِن أهلِ الجنَّةِ فقَدْ ذهبُوا عنهم ذَهابًا لا رُجوعَ بعدَهُ.

﴿أَلَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾ مُبالغةٌ في خُسرانِهم لِمَا فيهِ من الاستئنافِ والتَّصديرِ بـ(ألا) وتوسيطِ الفصلِ وتَعريفِ ﴿ٱلْخُسْرَانُ﴾ ووصفِه بـ﴿ٱلْمُبِينُ﴾.

﴿لَهُم مِّن فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ مِّنَ ٱلنَّارِ﴾ شرحٌ لخُسرانِهم ﴿وَمِن تَحْتِهِمْ ظُلَلٌ﴾ أطباقٌ مِن النَّارِ هي ظُلَلُ الآخرينَ.

﴿ذَٰلِكَ يُخَوِّفُ ٱللَّهُ بِهِۦ عِبَادَهُۥ﴾ ذلـك العَـذابُ هـو الـذي يُخَوِّفُهـم بـه ليَجتَنِبُـوا مـا يُوقِعُهم فـيه.

﴿يَٰعِبَادِ فَٱتَّقُونِ﴾ ولا تتعرَّضُوا لِمَا يوجِبُ سَخَطِي.

(١٧ ـ ١٨) ـ ﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ لَهُمُ ٱلْبُشْرَىٰ ۚ فَبَشِّرْ عِبَادِ ﴿١٧﴾ ٱلَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمْ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ ٱجْتَنَبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ﴾ البالغَ غايةَ الطُّغيانِ، (فَعَلُوتٌ)[1] مِنه بتَقديمِ اللامِ على العينِ، بُنِيَ للمُبالغَةِ في المصدرِ كالرَّحَموتِ، ثمَّ وُصِفَ به للمُبالغَةِ في النَّعتِ،

---

(١) في هامش (أ): «فعلوت قبل القلب، وبعده: فلعوت».

ولذلك اختصَّ بالشَّيطانِ ﴿أَن يَعۡبُدُوهَا﴾ بدلُ اشتمالٍ منه ﴿وَأَنَابُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ وأقبَلُوا إليه بشَراشِرِهِم عمَّا سِواهُ ﴿لَهُمُ ٱلۡبُشۡرَىٰ﴾ بالثَّوابِ على ألسِنَةِ الرُّسُلِ، أو الملائكةِ عندَ حُضورِ المَوتِ.

﴿فَبَشِّرۡ عِبَادِ ١٧ ٱلَّذِينَ يَسۡتَمِعُونَ ٱلۡقَوۡلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحۡسَنَهُۥٓ﴾ وُضِعَ فيه الظَّاهِرُ مَوضِعَ ضميرِ (الذين اجتنَبُوا) للدَّلالةِ على مبدأِ اجتِنابِهم وأنَّهم نُقَّادٌ في الدِّينِ يَميزُونَ بينَ الحقِّ والباطلِ، ويُؤثرونَ الأفضلَ فالأفضلَ.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَىٰهُمُ ٱللَّهُ﴾ لدينِه ﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمۡ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾ العقولِ السَّليمَةِ عن مُنازعَةِ الوَهمِ والعادةِ، وفي ذلك دلالةٌ على أنَّ الهِدايةَ تَحصُلُ بفعلِ اللهِ وقَبولِ النَّفسِ لها.

(١٩ ـ ٢٠) ـ ﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ ١٩ لَٰكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ رَبَّهُمۡ لَهُمۡ غُرَفٞ مِّن فَوۡقِهَا غُرَفٞ مَّبۡنِيَّةٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ وَعۡدَ ٱللَّهِۖ لَا يُخۡلِفُ ٱللَّهُ ٱلۡمِيعَادَ﴾.

﴿أَفَمَنۡ حَقَّ عَلَيۡهِ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ أَفَأَنتَ تُنقِذُ مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ جملةٌ شَرطيَّةٌ مَعطوفَةٌ[1] على محذوفٍ دلَّ عليه الكَلامُ، تقديرُهُ: أأنتَ مالِكُ أمرِهِم فمَنْ حَقَّ عليه العَذابُ فأنتَ تُنقِذُهُ؟! فكُرِّرَت الهمزةُ في الجزاءِ لتأكيدِ الإنكارِ والاستبعادِ، ووُضِعَ ﴿مَن فِي ٱلنَّارِ﴾ موضِعَ الضَّميرِ لذلك، وللدَّلالةِ على أنَّ مَن حُكِمَ عليه بالعذابِ كالواقِعِ فيه؛ لامتناعِ الخُلْفِ فيه، وأنَّ اجتهادَ الرَّسولِ عليهِ السَّلامُ في دُعائِهم إلى الإيمانِ سَعيٌ في

(١) قال الخفاجي في «حاشيته» (٧/ ٣٣٤): قوله: «جملة شرطية معطوفة... إلخ» هو أحد قولين للنحاة فيه؛ فمنهم من يجعله عطفًا على المقدَّر الذي دخلت عليه الهمزة كما ذكره المصنف، ومنهم من يجعل الهمزة متقدمةً من تأخير لأصالتها في الصَّدارة، وهو الذي رجحه في «المغني». وانظر: «مغني اللبيب»: (ص: ٤٣).

إنقاذِهم مِن النَّارِ، ويجوزُ أَنْ يكونَ ﴿أَفَأَنتَ تُنقِذُ﴾ جُملَةً مُستأنَفَةً للدَّلالةِ على ذلك والإشعارِ بالجزاءِ المَحذوفِ.

﴿لَكِنِ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ﴾ عَلاليَ بعضُها فوقَ بَعضٍ ﴿مَّبْنِيَّةٌ﴾ بُنِيتَ بناءَ المنازلِ على الأرضِ ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ﴾ أي مِن تحتِ تلك الغُرَفِ.

﴿وَعْدَ ٱللَّهِ﴾ مَصدرٌ مؤكِّدٌ لأنَّ قولَه: لهم غُرَفٌ في مَعنى الوَعدِ.

﴿لَا يُخْلِفُ ٱللَّهُ ٱلْمِيعَادَ﴾ لأنَّ الخُلْفَ نقصٌ، وهو على اللهِ مُحالٌ.

(٢١) - ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَسَلَكَهُۥ يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾.

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً﴾ هو المطرُ ﴿فَسَلَكَهُۥ﴾ فأدخلَهُ ﴿يَنَٰبِيعَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ هي عيونٌ ومجارٍ[١] كائنةٌ فيها، أو مياهٌ نابعاتٌ فيها، إذ الينبوعُ جاءَ للمَنبعِ وللنَّابعِ[٢]، فنصبُها على المصدرِ أو الحالِ[٣].

---

(١) في (ض): «في عيون ومجاري».

(٢) في (أ): «للنبع وللنابع» وفي (ت): «للمنبع والينابيع» وفي (ض): «للمنبع والنابع».

(٣) قال الخفاجي في «حاشيته»: (٧/ ٣٣٤ - ٣٣٥): قوله: «فنصبها» أي: الينابيع، فيه أنه سواءٌ جعل اسماً للمجرى، أو لما جرى فيه اسم عين، فلا ينتصبُ على المصدريَّة ولا الحاليَّة، بل الظَّاهرُ أنه على الأوَّل منصوبٌ على الظَّرفية، أو بنزع الخافضِ، وأصلُه: في ينابيع، ويؤيِّده أنه في بعض النُّسَخِ: «على الظرف» بدل قوله: «على المصدر»، ووُجِّهَت الأولى بأنَّ الأصل: سُلوكًا في ينابيع، فلما حُذِفَ المصدرُ وأقيمت صفته مقامَه جعلها منصوبةً على المصدريَّةِ تسمُّحًا، أو أصله: سلوكُ ينابيعَ فحذفَ المضافُ وأُقيمَ المضافُ إليه مقامَه، وعلى الثَّاني يصحُّ نصبهُ على الحاليَّة بتأويلِه بـ: نابعًا، لكنَّه لا يخلو =

﴿ثُمَّ يُخْرِجُ بِهِۦ زَرْعًا مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهُۥ﴾ أصنافُه مِن بُرٍّ وشَعيرٍ وغيرِهما، أو كيفيَّاتُه مِن خُضرةٍ وحُمرةٍ وغيرِهما.

﴿ثُمَّ يَهِيجُ﴾ ثم يَتِمُّ جَفافُه، لأنَّه إذا تمَّ جَفافهُ حانَ له أن يثورَ عن منبتِه.

﴿فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا﴾ مِن يُبْسِهِ ﴿ثُمَّ يَجْعَلُهُۥ حُطَٰمًا﴾ فُتاتًا.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ﴾ لَتذكيرًا بأنَّهُ لا بُدَّ مِن صانعٍ حكيمٍ دبَّره وسَوَّاهُ، وبأنَّه مَثَلُ الحياةِ[1] الدُّنيا فلا يُغترُّ[2] بها.

﴿لِأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ إذ لا يَتذكَّرُ[3] به غيرُهُم.

(٢٢) - ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ۚ فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ حتَّى تمكَّنَ فيه بيُسرٍ، عبَّر به عمَّن خلقَ نفسَهُ شديدةَ الاستعدادِ لقبولِهِ غيرَ مُتأبِّيَةٍ عنه مِن حيثُ إنَّ الصَّدرَ محلُّ القَلبِ المَنبعِ للرُّوحِ المُتعلِّقِ للنَّفسِ القابلِ للإسلامِ.

﴿فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ﴾ يعني المعرفةَ والاهتداءَ إلى الحقِّ، وعنه عليه الصَّلاةُ

= من الكدرِ لأنَّه لو قصدَ هذا كان حقُّه أن يقال مِن الأرضِ وفي الأرضِ على الوجهينِ صفة ينابيعَ، وقيل (ينابيعُ) مفعول: سلك على الحذفِ والإيصالِ.

(١) في (ت): «للحياة».

(٢) في (أ) و(ت): «تغتر».

(٣) في (ض): «متذكر».

والسَّلامُ: «إذا دخلَ النُّورُ[(١)] القلبَ انشرحَ وانفَسَحَ» فقيل: فما علامةُ ذلك؟ قال: «الإنابةُ إلى دارِ الخُلودِ، والتَّجافي عن دارِ الغُرورِ، والتأهُّبُ للمَوتِ قبلَ نُزولِه».

وخبرُ (مَـن) مَحذوفٌ[(٢)] دلَّ عليه: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْقَٰسِيَةِ قُلُوبُهُم مِّن ذِكْرِ ٱللَّهِ﴾ مِـن أجلِ ذكرِه، وهو أبلَغُ مِن أَنْ يكونَ (عن) مكانَ (مِن)؛ لأنَّ القاسيَ مِن أجلِ الشَّيءِ أشدُّ تأبِّيًا مِن قبولِه مِن القاسي عنهُ لسَببٍ آخرَ، وللمُبالغَةِ في وصفِ أولئكَ بالقَبولِ وهؤلاءِ بالامتناعِ = ذَكَرَ شَرحَ الصَّدرِ وأسندَهُ إلى اللهِ، وقابَلَهُ بقَساوةِ القلبِ وأسندَهُ إليه.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يظهرُ للنَّاظرِ بأدنى نظرٍ.

والآيةُ نزلَتْ في حمزةَ وعَلِيٍّ وأبي لهبٍ وولدِهِ[(٣)].

قوله: «إذا دخلَ النُّورُ القلبَ انشرَحَ...» الحديث:

أخرجَه الحاكمُ والبيهقيُّ في «شعب الإيمان» من حديثِ ابن مَسعودٍ[(٤)].

---

(١) في (ت) زيادة: «في».

(٢) قوله: «وخبر مَن محذوف» تقديره: كمن قسا قلبه عن الإسلام. انظر: «حاشية الأنصاري» (٥/ ١٥).

(٣) ذكره مكي بن أبي طالب في «الهداية» (١٠/ ٦٣٢٥)، والواحدي في «أسباب النزول» (ص: ٣٦٩)، والكرماني في «لباب التفاسير» (٨/ ٢٦).

(٤) رواه الحاكم في «المستدرك» (٧٨٦٣)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (١٠٠٦٨) و«الزهد» (٩٧٤)، وابن أبي شيبة في «المصنف» (٣٤٣١٥) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه مرفوعًا.

ورواه عبد الرزاق في «التفسير» (٨٥٢)، وسعيد بن منصور في «سننه» (٩١٨ ـ تفسير)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (٣٢٦) عن عبد الله بن المسور عن النبي ﷺ مرسلاً.

وذكر له الدارقطني في «العلل» (٥/ ١٨٩) طرقاً ثم قال: وكلها وهم، والصواب عن عمرو بن مرة، عن أبي جعفر عبد الله بن المسور مرسلاً عن النبي ﷺ، وعبد الله بن المسور هذا متروك.

والآية التي ذكرها الحاكم في «المستدرك» والبيهقي في «الشعب»: ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهْدِيَهُۥ يَشْرَحْ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ﴾ [الأنعام: ١٢٥]، ورواه البيهقي في «الزهد» (٩٧٤) بذكر آية الزمر.

(٢٣) ـ ﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضْلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ﴾.

﴿اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ﴾ يعني القرآنَ، رُوِيَ أنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ مَلُّوا مَلَّةً فقالوا له: حَدِّثْنا، فنزلَتْ.

وفي الابتداءِ باسمِ اللهِ وبناءِ ﴿نَزَّلَ﴾ عليه تأكيدٌ للإسنادِ إليه وتَفخيمٌ للمُنزَّلِ واستشهادٌ على حُسنِه.

﴿كِتَابًا مُتَشَابِهًا﴾ بدلٌ مِن ﴿أَحْسَنَ﴾ أو حالٌ منه، وتَشابُهه تشابهُ أبعاضِه في الإعجازِ وتجاوُبِ النَّظمِ وصِحَّةِ المعنى والدَّلالةِ على المنافعِ العامَّةِ.

﴿مَثَانِيَ﴾ جمعُ مُثَنًّى أو مَثْنًى أو مَثْنِيٍّ؛ على ما مرَّ في (الحِجْر)(١)، وصفَ به ﴿كِتَابًا﴾ باعتبارِ تفاصيلِه كقولك: القرآنُ سُوَرٌ وآياتٌ، والإنسانُ عُروقٌ وعِظامٌ وأعصابٌ، أو جُعِلَ تَمييزًا مِن ﴿مُتَشَابِهًا﴾ كقولك: رأيتُ رَجُلًا حسنًا شمائلَ.

﴿تَقْشَعِرُّ مِنْهُ جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ﴾ تشمئزُّ خَوْفًا ممَّا فيهِ مِن الوَعيدِ، وهو مَثَلٌ في شِدَّةِ الخوفِ، واقشعرارُ الجلدِ: تقبُّضُه، وتركيبُهُ مِن حُروفِ القَشْعِ وهو الأديمُ اليابسُ بزيادةِ الرَّاءِ ليصيرَ رُباعِيًّا، كتركيبِ (اقمطرَّ) مِن القَمْطِ وهو الشَّدُّ.

﴿ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ﴾ بالرَّحمةِ وعمومِ المَغفِرَةِ، والإطلاقُ للإشعارِ بأنَّ أصلَ أمرِهِ الرَّحمَةُ وأنَّ رحمتَهُ سَبقَتْ غضبَهُ، والتَّعدِيَةُ بـ﴿إِلَى﴾ لتَضمينِ مَعنى السُّكونِ والاطمئنانِ، وذكرُ القُلوبِ لتَقدُّمِ الخشيَةِ التي هيَ مِن عَوارِضِهَا.

(١) كذا في النسخ، والثالثة لم ترد في نسخ «تفسير البيضاوي» المطبوعة مع «حاشية الأنصاري» و«حاشية الخفاجي» ولم يشيرا إليها، وقوله: «مَثْنِي» أي: مثنيٌّ عليه، انظر: (٨/ ١٦٢).

﴿ذَٰلِكَ﴾ أي: الكتابُ، أو الكائنُ مِن الخشيةِ والرَّجاءِ[١]، ﴿هُدَى ٱللَّهِ يَهۡدِي بِهِۦ مَن يَشَآءُ﴾ هِدايتَه، ﴿وَمَن يُضۡلِلِ ٱللَّهُ﴾ ومَن يخذُلْه ﴿فَمَا لَهُۥ مِنۡ هَادٍ﴾ يُخرِجُه[٢] من الضَّلالِ.

قوله: «رُوِيَ أنَّ أصحابَ رسولِ اللهِ ﷺ مَلوا مَلَّةً فقالوا له: حَدِّثنا فنزَلَتْ»:

أخرجَه ابنُ جريرٍ عن عونِ بنِ عبدِ اللهِ[٣].

قوله: «﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ بدلٌ مِن ﴿أَحۡسَنَ﴾ أو حالٌ مِنه»:

قال أبو حيَّان: كأنَّه بناهُ[٤] على أنَّ ﴿أَحۡسَنَ ٱلۡحَدِيثِ﴾ معرفةٌ لإضافتِه إلى معرفةٍ، وأفعَلُ التَّفضيلِ إذا أضيفَ إلى معرفةٍ فيه خلافٌ، قيل: إضافَتُه محضةٌ، وقيل: غيرُ مَحضَةٍ[٥].

قال الحَلَبيُّ والسَّفاقُسيُّ: الصَّحيحُ أنَّها محضةٌ، وعلى تقديرِ كَونِه نكرةً يحسُنُ

---

(١) «أو الكائن من الخشية والرجاء» من (ت) و(ض).

(٢) في النسخ عدا (ت): «يخرجهم».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (١٣/ ٨) وأبو عبيد في «فضائل القرآن» (ص: ٥٣)، وأبو نعيم في «الحلية» (٤/ ٢٤٨)، من طريق المسعودي عن عون بن عبد الله (هو ابن عتبة بن مسعود) مرسلاً.
ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٧/ ٢١٠٠) من طريق المسعودي عن القاسم (هو ابن عبد الرحمن بن عبد الله بن مسعود) مرسلاً أيضاً.
أما حديث ابن مسعود فرواه ابن مردويه من طريق عون بن عبد الله عن ابن مسعود رَضِي الله عنه قال: قالوا: يا رسول الله لو قصصت علينا، فنزلت ﴿نَحۡنُ نَقُصُّ عَلَيۡكَ أَحۡسَنَ ٱلۡقَصَصِ﴾. انظر: «الدر المنثور» (٤/ ٤٩٦). ولحديث ابن مسعود بهذا اللفظ شاهد من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه رواه البخاري في «التاريخ الكبير» (٦/ ٣٧٤)، والبزار في «مسنده» (١١٥٢)، وابن حبان في «صحيحه» (٦٢٠٩)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٤٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٣١٩)، والضياء في «المختارة» (١٠٦٩).

(٤) أي: الزمخشري، وفي «البحر» و«الدر المصون»: كأنه بناءً.

(٥) انظر: «البحر» (١٨/ ٣٢٧).

أن يكونَ حَالًا؛ لأنَّ النَّكرةَ مَتى أُضيفَتْ ساغَ مَجيءُ الحالِ مِنْها بلا خِلافٍ[١].

قوله: «وهو مثلٌ في شدَّةِ الخوفِ».

قال الطِّيبيُّ: أي: استعملَ القُشعريرةَ في تغيُّرٍ يحصلُ في جلدِ الإنسانِ عندَ الوَجَلِ، فينتصِبُ شَعرُهُ، وَكثُرَ فيهِ حتَّى صارَ مَثَلًا لِمُجرَّدِ شدَّة الخوفِ[٢].

(٢٤ ـ ٢٦) ـ ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ﴿٢٤﴾ كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٢٥﴾ فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ أَكْبَرُ ۚ لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾.

﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ﴾ يجعلُهُ دَرَقةً يَقِي به[٣] نفسَهُ لأنَّه يكون مغلولةً يداهُ إلى عنقِهِ فلا يقدرُ أنْ يتَّقِيَ إلَّا بوَجهِهِ ﴿سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ كمَنْ هو آمِنٌ منه، فحُذِفَ الخبرُ كما حُذِفَ في نظائرِه.

﴿وَقِيلَ لِلظَّٰلِمِينَ﴾ أي: لهم، فوُضِعَ الظَّاهرُ مَوضِعَهُ تسجيلًا عليهم بالظُّلمِ وإشعارًا بالموجبِ لِمَا يقالُ لهم، وهو: ﴿ذُوقُوا۟ مَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ أي: وَبالَهُ، والواوُ للحالِ و(قد) مُقدرةٌ.

﴿كَذَّبَ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَأَتَىٰهُمُ ٱلْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ﴾ مِن الجهَةِ التي لا يخطرُ ببالِهم أنَّ الشرَّ يأتيهم مِنها.

﴿فَأَذَاقَهُمُ ٱللَّهُ ٱلْخِزْىَ﴾ الذُّلَّ ﴿فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا﴾ كالمَسْخِ والخَسْفِ والقَتْلِ والسَّبيِ والإجلاءِ، ﴿وَلَعَذَابُ ٱلْءَاخِرَةِ﴾ المُعَدُّ لهم ﴿أَكْبَرُ﴾ لشِدَّتِه ودَوامِه ﴿لَوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ﴾ لو كانوا مِن أهلِ العلمِ والنَّظرِ لعَلِمُوا ذلك واعتبروا به.

---

(١) انظر: «الدر المصون» (٩/ ٤٢٢).

(٢) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٣٧٢).

(٣) في (خ): «بها».

قوله: «يجعلُه دَرَقةً».

قال الطِّيبيُّ: أي: تُرْسًا[١].

(٢٧ ـ ٢٨) ـ ﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٢٧﴾ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾.

﴿وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ مِن كُلِّ مَثَلٍ﴾ يحتاجُ إليه النَّاظرُ في أمرِ دينِه.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ يتَّعِظونَ به.

﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حالٌ مِن ﴿هَٰذَا﴾، والاعتمادُ فيها على الصِّفَةِ؛ كقولِك[٢]: جاءَني زَيدٌ رَجُلًا صالحًا، أو مدحٌ له.

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ لا اختلالَ[٣] فيه بوجهٍ ما، وهو أبلغُ مِن المستقيمِ وأَخَصُّ[٤] بالمعاني، وقيل: بالشَّكِّ، استشهادًا بقولِهِ:

وَقَـدْ أَتَـاكَ يَقِيـنٌ غَيْـرُ ذِي عِـوَجٍ ... مِن الإلَـهِ وقَـوْلٌ غَيْـرُ مَكْـذُوبِ[٥]

وهو[٦] تخصيصٌ له ببعضِ مَدلولِهِ.

﴿لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ علةٌ أُخرى مُرتَّبةٌ على الأُولى.

قوله: «﴿قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾ حالٌ مِن ﴿هَٰذَا﴾، والاعتمادُ فيها على الصِّفَةِ».

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٣٧٤).

(٢) في (ت): «نحو».

(٣) في (أ): «لا اختلاف».

(٤) في (ت) ونسخة في هامش (خ): «واختص»، وأشار إليها الخفاجي في «حاشيته».

(٥) ذكره في «الكشاف» (٧/ ٤٩٥)، ولم أقف عليه قبله.

(٦) «وهو» من (ت).

مأخوذٌ مِن أبي البقاءِ حيثُ قال: ﴿قُرْءَانًا﴾ حالٌ مِن القرآنِ مُوطِّئةٌ، والحالُ في المعنى قولُه: ﴿عَرَبِيًّا﴾(١).

وقال صاحبُ «الفرائد»: يمكنُ أَنْ يقال: ﴿قُرْءَانًا﴾ حالٌ، و﴿عَرَبِيًّا﴾ صفةٌ؛ لأنَّ القُرآنَ مَصدرٌ فيمكنُ أن يقعَ حالًا، أي: مقروءًا عربيًّا(٢).

(٢٩) ـ ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًاۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾.

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا﴾ للمُشركِ والمُوحِّدِ ﴿فيه شركاءُ مُتشاكِسُونَ ورجلًا سالِمًا لرجلٍ﴾ مثَّل المُشركَ على ما يقتضيهِ مَذهبُهُ مِن أن يدَّعِيَ كلُّ واحدٍ(٣) مِن مَعبوديهِ عُبودِيَّتَه، ويَتنازعونَ فيه بعبدٍ يَتشارَكُ فيه جمعٌ يَتجاذبونَهُ ويَتعاورُونَهُ في مهامِّهم المُختلفَةِ في تَحيُّرِه وتوزُّعِ قلبِهِ، والموحِّدَ بمَنْ خَلَصَ لواحدٍ ليسَ لغيرِه عليهِ سَبيلٌ. و﴿رَّجُلًا﴾ بدلٌ مِن ﴿مَثَلًا﴾، و﴿فِيهِ﴾ صِلَةُ ﴿شُرَكَآءُ﴾، والتَّشاكسُ والتَّشاخسُ: الاختلافُ.

وقرأَ نافِعٌ وابنُ عامرٍ والكوفيُّونَ: ﴿سَلَمًا﴾ بفتحتينِ(٤)، وقُرِئَ بفَتحِ السِّينِ

---

(١) انظر: «التبيان في إعراب القرآن» للعكبري (٢/ ١١١١).

(٢) نقله عنه الطيبي، انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٣٧٥). وقال الخفاجي في «حاشيته»: (٧/ ٣٣٧): قوله: «حال من هذا... إلخ»: إنما ذكر الاعتمادَ على الصِّفةِ لأنَّ ﴿قُرْءَانًا﴾ جامدٌ لا يصلحُ للحاليَّةِ، وهو أيضاً عينُ ذي الحال فلا يظهرُ حاله، أمَّا إذا جُعِلَ تمهيداً لِمَا بعدَهُ فالحال مُوطِّئةٌ للمشتقِّ بعدها، وهو الحال في الحقيقةِ فلا محذورَ فيه، أو هو ليس حالاً بل منصوبٌ بمقدَّرٍ تقديرُه: أعني أو أخص أو أمدح ونحوه، ويجوزُ كونه مفعولَ ﴿يَتَذَكَّرُونَ﴾ أيضًا.

(٣) «واحد»: ليس في (خ).

(٤) قرأ ابن كثيرٍ وأبو عمرٍو: ﴿سالِمًا﴾، والباقون: ﴿سلمًا﴾. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٩).

وكسرِها مع سُكونِ العينِ[١]، وثلاثتُها مَصادِرُ (سَلِمَ) نُعِتَ بها، أو حُذِفَ مِنها ذا، و: (رجلٌ سالمٌ)[٢]؛ أي: وهناكَ رَجلٌ سالِمٌ، وتَخصيصُ الرَّجُلِ لأنَّه أفطَنُ للضرِّ والنَّفعِ.

﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا﴾ صِفةً وحالًا، ونَصبهُ على التَّمييزِ، ولذلك وحَّدَه.

وقُرِئَ: (مَثَلَينِ)[٣] للإشعارِ باختلافِ النَّوعِ، أو لأنَّ المرادَ: هل يستويانِ في الوصفينِ؟ على أنَّ الضَّميرَ للمِثلينِ؛ فإنَّ التَّقديرَ: مثلُ رجلٍ ومثلُ رجلٍ.

﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كلُّ الحمدِ له لا يُشارِكُه فيه على الحقيقةِ سِواهُ؛ لأنَّهُ المنعمُ بالذَّاتِ والمالكُ على الإطلاقِ.

﴿بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ فيشركونَ بهِ غيرَهُ مِن فَرْطِ جَهلِهِم.

قوله: «و: رجلٌ سالِمٌ؛ أي: وهناكَ رَجُلٌ سالمٌ».

قال أبو حيَّان: جعلَ[٤] الخبرَ (هناك)، ويجوزُ أن يكونَ: ﴿ورجل﴾ مبتدأً لأنَّه موضعُ تَفصيلٍ، إذ تقدَّمَ ما يدلُّ عليه، فيكونُ كقولِ امرئِ القيسِ:

إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْحَرَفَتْ لَهُ … بِشِقٍّ وَشِقٌّ عِنْدَنَا لَمْ يُحَوَّلِ[٥]

---

(١) الأولى: (سَلْماً) لعل في كلام الزجاج إشارة لها، انظر: «معاني القرآن» للزجاج (٤/ ٣٥٢)، و«الكشاف» (٧/ ٤٩٦)، و«زاد المسير» (٤/ ١٧)، والثانية: (سِلْماً) هي قراءة سعيد بن جبير كما في «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٥٣)، و«المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣٠)، و«البحر» (١٨/ ٣٣٢).

(٢) وهي رواية عن عبد الوارث عن أبي عمرو، كما في «زاد المسير» (٤/ ١٧).

(٣) انظر: «الكشاف» (٧/ ٤٩٧)، و«البحر» (١٨/ ٣٣٣).

(٤) أي: الزمخشري.

(٥) انظر: «البحر المحيط» (١٨/ ٣٣٣)، والبيت لامرئ القيس من معلقته. انظر: «ديوانه» (ص: ٣١).

(٣٠ـ٣٢) ـ ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴿٣٠﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ ﴿٣١﴾ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ إِذْ جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾.

﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ فإنَّ الكُلَّ بصَدَدِ الموتِ وفي عدادِ الموتى، وقُرِئَ: (مائِتٌ و... مائتونَ)(١)؛ لأنَّه مما سَيحدثُ.

﴿ثُمَّ إِنَّكُمْ﴾ على تغليبِ المُخاطبِ على الغُيَّبِ ﴿يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾ فتحتجُّ عليهم بأنَّكَ كنتَ على الحقِّ في التَّوحيدِ وكانوا على الباطلِ في التَّشريكِ واجتهدتَ في الإرشادِ والتَّبليغِ ولَجُّوا في التَّكذيبِ والعِنادِ، ويَعتذرونَ بالأباطيلِ مثل: ﴿أَطَعْنَا سَادَتَنَا﴾ [الأحزاب: ٦٧]، ﴿وَجَدْنَا آبَاءَنَا﴾ [الأنبياء: ٥٣]. وقيل: المرادُ به الاختصامُ العامُّ؛ يخاصِمُ النَّاسُ بعضُهم بعضًا فيما دارَ بينَهُم في الدُّنيا.

﴿فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَبَ عَلَى اللَّهِ﴾ بإضافةِ الولدِ والشَّريكِ إليه ﴿وَكَذَّبَ بِالصِّدْقِ﴾ وهو ما جاءَ بِهِ مُحمَّدٌ عليه السَّلامُ ﴿إِذْ جَاءَهُ﴾ مِن غيرِ توقُّفٍ وتفكُّرٍ في أمرِه.

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ﴾ وذلك يكفيهِم مُجازاةً لأعمالِهم، واللامُ تَحتَمِلُ العهدَ والجنسَ، واستُدِلَّ به على تكفيرِ المُبتدعَةِ فإنَّهم مكذِّبونَ(٢) بما عُلِمَ صِدقُهُ، وهو ضعيفٌ؛ لأنَّه مَخصوصٌ بمَن فاجأَ ما عَلِمَ مجيءَ الرَّسولِ به بالتَّكذيبِ

---

(١) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣١) عن ابن الزبير وابن محيصن وعيسى وابن أبي إسحاق.

(٢) في (أ) و(ت): «يكذبون».

(٣٣ ـ ٣٥) ـ ﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ (٣٣) لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ (٣٤) لِيُكَفِّرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾.

﴿ وَالَّذِي جَاءَ بِالصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِ ﴾ للجنسِ، ليتناولَ الرُّسُلَ[١] والمُؤمنينَ؛ لقولهِ: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ ﴾ [الزمر: ٣٣].

وقيل: هو النبيُّ عليه السَّلامُ، والمرادُ هو ومَن تَبِعَهُ، كما في قولِه: ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴾ [المؤمنون: ٤٩].

وقيل: الجائي هو الرَّسولُ عليهِ السَّلامُ، والمصدِّقُ هو[٢] أبو بكرٍ رَضِيَ اللهُ عنه، وذلك يقتضي إضمارَ (الذي)، وهو غيرُ جائزٍ[٣].

وقُرِئَ: (وصَدَقَ بهِ) بالتَّخفيفِ[٤] أي: صَدَقَ بِهِ الناسَ فأدَّاهُ إليهم كما نزلَ، أو صارَ صادِقًا بسببِهِ لأنَّه مُعجزٌ يدلُّ على صدقِه، و: (صُدِّقَ به) على البناءِ للمَفعولِ[٥].

﴿لَهُم مَّا يَشَاءُونَ عِندَ رَبِّهِمْ ﴾ في الجنَّةِ ﴿ذَٰلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ ﴾ على إحسانِهم.

---

(١) في (ض): «المتناول للرسل».

(٢) «هو» من (ت).

(٣) قال الخفاجي في «حاشيته» (٨/ ٢٠٣): قوله: «وذلك يقتضي إضمار (الذي) وهو غير جائز» على الأصح عند النحاة من أنه لا يجوز حذف الموصول، وإبقاء صلته وإن جوزه بعضهم مطلقاً، وشرط بعضهم لجوازه عطفه على موصول آخر، ويضعفه أيضاً الإخبار عنه بالجمع فإنه يأباه كما يأباه المعنى أيضًا، وأمَّا إنه يراد بالذي النبيُّ ﷺ والصِّدِّيق معًا على أن الصلة للتوزيع لِيندفعَ المحذور فهو تكلفٌ.

(٤) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٢)، و«المحتسب» (٢/ ٢٣٧)، عن أبي صالح الكوفي ومحمد بن جحادة وعكرمة بن سليمان.

(٥) انظر: «الكشاف» (٧/ ٥٠١)، و«البحر» (١٨/ ٣٤١).

﴿لِيُكَفِّرَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى عَمِلُوا۟﴾ خصَّ الأسوأَ للمُبالغَةِ؛ فإنَّه إذا كفرَ كان غيرُه أولى بذلك، أو للإشعارِ بأنَّهم لاستعظامِهم الذُّنوبَ يحسَبُونَ أنَّهم مُقصِّرُونَ مُذنِبُونَ وأنَّ ما يَفرُطُ مِنهم مِن الصَّغائرِ أسوأُ ذُنوبِهم، ويجوزُ أن يكونَ بمَعنى السَّيِّئِ كقولِهم: النَّاقصُ والأَشَجُّ أعدَلَا بني مروانَ[1].

وقُرِئَ: (أسواءَ) جمعُ سوءٍ[2].

﴿وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُم﴾ ويُعطيهِم ثوابَهُم. ﴿بِأَحْسَنِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ فيعدُّ لهم محاسِنَ أعمالِهم بأحسَنِها[3] في زيادةِ الأَجرِ وعِظَمِه لفرطِ إخلاصِهم فيها.

(٣٦ ـ ٣٧) ـ ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ ۖ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ۚ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ ﴿٣٦﴾ وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ ۗ أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ ذِى ٱنتِقَامٍ﴾.

---

(١) قال الخفاجي: قوله: «ويجوز أن يكون بمعنى السيئ... إلخ»، يعني (أفعل) ليس على حقيقته وظاهره، وليس مضافًا إلى المفضل عليه فهو بمعنى السيء صغيرًا كان أو كبيرًا كما في المثال المذكور، فإن المراد أنهما العادلان من بني مروان لا أنهم أعدل من بقيتهم، قال: وما ذكره في المثال من كون أعدل بمعنى عادل وجهٌ فيه، والآخرُ أن (أفعل) للتفضيل والزيادة مطلقًا لا على المضاف إليه فقط وإنما أضيف للبيان له، سواء كان بعضًا من المضافِ إليه كما في: أعدل بني مروان، أو لا كـ: يوسف أحسن إخوته، كما بينه النحاة في معاني (أفعل) التفضيل.
والناقصُ: يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، لُقِّبَ بالناقصِ لأنه نقص ما كانوا يأخذونه من بيت المال وردَّ المظالم على أهلها، والأشجُّ: عمر بن عبد العزيز رضي الله عنه، لقب به لشجة كانت في رأسه، وأمرها مفصل في السير، وعدله وزهده معروف، انظر: «حاشية الشهاب على البيضاوي» (٧/ ٣٤٠) بتصرف. و«سير أعلام النبلاء» (٥/ ١١٦، ٣٧٤).

(٢) رويت عن أبي عمرو من طريق البزي، وهي خلاف المشهور عنه، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٣).

(٣) في (ض): «بأحاسنها».

﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُۥ﴾ استفهامُ إنكـارٍ للنَّفيِ مُبالغَةً فـي الإثباتِ، والعَبدُ: رَسولُ اللهِ ﷺ، ويحتملُ الجنسَ، ويؤيِّدُه قراءةُ حـمزَةَ والكِسائيِّ: ﴿عباده﴾[1]، وفُسِّرَ بالأنبياءِ.

﴿وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ﴾ يَعني قُرَيشًا فإنَّهُم قالوا له[2]: إنَّا نخافُ أن تُخبِّلَكَ آلهتُنا لعيبِكَ إيَّاها[3].

وقيل: إنَّه بعثَ خالدًا ليكسرَ العُزَّى فقال له سادِنُها: أحَذِّرُكَها فإنَّ لها شِدَّةً، فعَمِدَ إليها خالدٌ فهشمَ أنفَها، فنُزِّلَ تخويفُ خالدٍ مَنزِلَةَ تخويفِه لأنَّه الآمرُ له بما خُوِّفَ عليه[4].

﴿وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ﴾ حتى غَفَلَ عن كفايةِ اللهِ له وخـوفهِ بما لا ينفعُ ولا يضرُّ ﴿فَمَا لَهُۥ مِنْ هَادٍ﴾ يهديهِمْ إلى[5] الرَّشادِ.

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّضِلٍّ﴾ إذ لا رادَّ لِفعلِه كما قال: ﴿أَلَيْسَ ٱللَّهُ بِعَزِيزٍ﴾ غالبٍ مَنيعٍ، ﴿ذِى ٱنتِقَامٍ﴾ ينتقمُ مِن أعدائه.

(٣٨) - ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلْ أَفَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَٰشِفَٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾.

---

(١) وقرأ الباقون بالإفراد، انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٩).

(٢) «له» من (خ) و(ت).

(٣) انظر: «تفسير مقاتل» (٣/ ٦٧٨).

(٤) رواه عبد الرزاق في «تفسيره» (٢٦٣٣)، والطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢١٠)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٨٣٩٤) عن قتادة.

(٥) في (خ) زيادة: «سبيل».

﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ لوُضوحِ البُرهانِ على تَفرُّدِه بالخالقيَّةِ.

﴿قُلْ أَفَرَأَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّهِ﴾ أي: أرأيتُم بعدما تحقَّقْتُم أنَّ خالقَ العالمِ هو اللهُ أنَّ آلهتَكُم إن أرادَ اللهُ أن يصيبَنِي ضرًّا هل يَكْشِفْنَهُ؟

﴿أَوْ أَرَادَنِي بِرَحْمَةٍ﴾ بنفعٍ ﴿هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِهِ﴾ فيُمسِكْنَها عنِّي.

وقرأ أبو عمرٍو ﴿كاشِفاتٌ ضرَّهُ﴾ و﴿ممسكاتٌ رحمتَهُ﴾ بالتَّنوينِ فيهما ونصبِ ﴿ضرَّه﴾ و﴿رحمتَه﴾[1].

﴿قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ﴾ كافيًا في إصابةِ الخيرِ ودفعِ الضرِّ، إذ تقرَّرَ بهذا التَّقريرِ أنَّه القادرُ الذي لا مانعَ لِمَا يُريدُه من خيرٍ أو شرٍّ.

رُوِيَ أنَّ النبيَّ ﷺ سألَهُم فسكَتُوا، فنزلَ ذلك[2].

وإنَّما قال: ﴿كَاشِفَاتُ﴾ و﴿مُمْسِكَاتُ﴾ على ما يَصفونَها به مِن الأنوثةِ؛ تَنبيهًا على كمالِ ضَعفِها.

﴿عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾ لعِلْمِهم بأنَّ الكُلَّ منه.

(٣٩ ـ ٤١) ـ ﴿قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ إِنِّي عَامِلٌ فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٤٠﴾ إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِ وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾.

---

(١) وقرأ الباقون بغير تنوين وخفضِ ﴿ضره﴾ و﴿رحمته﴾، انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٨٩).

(٢) انظر: «تفسير الثعلبي» (٢٣/ ٦٦) عن مقاتل.

﴿قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ﴾ على حالِكُم، اسمٌ للمَكانِ استُعِيرَ للحالِ كما استُعيرَ (هنا) و(حيث) مِن المكانِ للزَّمانِ.

وقُرِئَ: ﴿مكاناتِكُم﴾[(١)].

﴿إِنِّى عَٰمِلٌ﴾ أي: على مَكانَتِي، فحُذِفَ للاختصارِ والمُبالغَةِ في الوعيدِ، والإشعارِ بأنَّ حالَهُ لا يَقِفُ؛ فإنَّه تعالى يزيدُهُ على مرِّ الأيَّامِ قُوَّةً ونُصرَةً، ولذلك توعَّدَهُم بكونِه[(٢)] مَنصُورًا عَلَيهم في الدَّارينِ فقال:

﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ﴾ فإنَّ خِزيَ أعدائِهِ دليلُ غلبَتِهِ، وقَدْ أخزَاهُم اللهُ يومَ بدرٍ، ﴿وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ دائمٌ وهو عذابُ النَّارِ.

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ لِلنَّاسِ﴾ لأَجلِهِم؛ فإنَّه مَناطُ مَصالِحِهم في مَعاشِهِم ومَعادِهِم، ﴿بِٱلْحَقِّ﴾ مُلتبِسًا به.

﴿فَمَنِ ٱهْتَدَىٰ فَلِنَفْسِهِۦ﴾ إذ[(٣)] نفعَ بهِ نفسَهُ.

﴿وَمَن ضَلَّ فَإِنَّمَا يَضِلُّ عَلَيْهَا﴾ فإنَّ وبالَهُ لا يَتخطَّاهَا.

﴿وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ﴾ وما وُكِّلْتَ عليهِمْ لتُجبِرَهُم على الهُدى، وإنَّما أُمرتَ بالبَلاغِ، وقَدْ بلَّغْتَ.

(٤٢)- ﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِى لَمْ تَمُتْ فِى مَنَامِهَا ۖ فَيُمْسِكُ ٱلَّتِى قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

---

(١) في (ت): «وقرأ أبو بكر: ﴿على مكاناتكم﴾». وهي رواية أبي بكر عن عاصم، والباقون بالإفراد، انظر: «السبعة» (ص: ٢٦٩)، و«التيسير» (ص: ١٠٧).

(٢) في (خ) و(ت): «لكونه».

(٣) في (خ) و(ت): «أي».

﴿ٱللَّهُ يَتَوَفَّى ٱلْأَنفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَٱلَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا﴾ أي: يَقبِضُها عن الأبدانِ بأَنْ يقطعَ تعلُّقَها عنها وتصرُّفَها فيها إمَّا[1] ظاهرًا وباطنًا وذلك عندَ الموتِ، أو ظاهرًا لا باطنًا وهو في النَّومِ.

﴿فَيُمْسِكُ ٱلَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا ٱلْمَوْتَ﴾ ولا يَرُدُّها إلى البدنِ، وقرأَ حمزةُ والكِسائيُّ: ﴿قُضِي﴾ بضمِّ القافِ وكسرِ الضَّادِ و﴿الموتُ﴾ بالرَّفعِ[2].

﴿وَيُرْسِلُ ٱلْأُخْرَىٰٓ﴾ أي النَّائمةَ إلى بَدنِها عندَ اليقظةِ ﴿إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾ هو الوقتُ المَضروبُ لِمَوتِهِ، وهو غايةُ جنسِ[3] الإرسالِ.

وما رُوِيَ عن ابنِ عبَّاسٍ رضيَ اللهُ عَنهُما: أنَّ في ابنِ آدمَ نفسًا وروحًا بينَهُما مثلُ شُعاعِ الشَّمسِ، فالنَّفسُ التي بها العَقلُ والتَّمييزُ، والرُّوحُ التي بها النَّفسُ والحياةُ، فيُتَوَفَّيانِ عندَ الموتِ، وتُتوفَّى النَّفسُ وَحدَها عندَ النَّومِ[4] = قريبٌ ممَّا ذَكرناهُ.

﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ﴾ مِن[5] التَّوفِّي والإمساكِ والإرسالِ ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ على كمالِ قُدرَتِه وحِكمَتِه وشمولِ رَحمَتِه[6] ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ في كيفيَّةِ تَعلُّقِها بالأبدانِ، وتَوفِّيها عنها بالكُلِّيَّةِ حينَ الموتِ، وإمساكِها باقيةً لا تفنى بفَنائِها، وما يعتريها مِن السَّعادةِ

---

(١) «إما» من (خ) و(ض).

(٢) وقرأ الباقون بالمبني للمعلوم، انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٢)، و«التيسير» (ص: ١٩٠).

(٣) في (خ): «حين». وأشار إليها الخفاجي في «حاشيته».

(٤) رواه ابن أبي حاتم وابن المنذر كما في «الدر المنثور» (٧/ ٢٣٠)، وذكره ابن طاهر المقدسي في «البدء والتاريخ» (٢/ ١١٠) من طريق ابن جريج عن ابن عباس.

(٥) في (ت): «في».

(٦) في (ت): «وشمولها».

والشَّقاوةِ والحكمةِ في توفِّيها عن ظواهرِها[١] وإرسالِها حينًا بعد حينٍ إلى توفِّي آجالِها.

(٤٣ ـ ٤٤) ـ ﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَۚ قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ ٤٣ قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴾.

﴿ أَمِ ٱتَّخَذُواْ ﴾ بل اتَّخذَ قريشٌ ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ شُفَعَآءَ﴾ تشفعُ لهم عندَ اللهِ.

﴿قُلۡ أَوَلَوۡ كَانُواْ لَا يَمۡلِكُونَ شَيۡـٔٗا وَلَا يَعۡقِلُونَ﴾ أيشفعونَ ولو كانوا على هذهِ الصفةِ كما تُشاهِدُونَهُم جماداتٍ لا تقدرُ ولا تعلمُ[٢].

﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗا﴾ لعلَّهُ ردٌّ لِمَا عسى يُجيبونَ به، وهو أنَّ الشُّفعاءَ أشخاصٌ مُقرَّبونَ هي تماثيلُهُم، والمعنى أنَّه مالكُ الشَّفاعةِ كلِّها لا يستطيعُ أحدٌ شفاعةً إلَّا بإذنِه[٣]، ولا يستقلُّ بها، ثمَّ قرَّرَ ذلك فقال:

﴿لَّهُۥ مُلۡكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ فإنَّه مالكُ الملكِ كلِّه لا يملكُ أحدٌ أن يتكلَّمَ في أمرِهِ دونَ إذنِه ورضاهُ ﴿ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ يومَ القيامةِ، فيكونُ الملكُ له أيضًا حينئذٍ.

(٤٥) ـ ﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ ﴾.

﴿ وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحۡدَهُ ﴾ دونَ آلهتِهم ﴿ٱشۡمَأَزَّتۡ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ انقبضَتْ ونَفرتْ ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ﴾ يعني الأوثانَ ﴿إِذَا هُمۡ يَسۡتَبۡشِرُونَ﴾ لفرطِ افتِتانِهم بها ونسيانِهم حقَّ اللهِ، ولقد بالغَ في الأمرينِ حتَّى بلغَ الغايةَ[٤] فيهما؛

---

(١) في (ت): «ظاهرها».

(٢) في (ض): «لا يقدرون ولا يعلمون».

(٣) في (خ): «إلا بإذن ربهم».

(٤) في (ت): «حين ذكر الغاية»، وفي (ض): «حتى ذكر الغاية».

فإنَّ الاستبشارَ أَنْ يمتلئَ قلبُه سرورًا حتَّى تَنبسِطَ له بشرةُ وَجهِه، والاشمئزازُ أَنْ يَمتلِئَ غَمًّا[1] حتَّى ينقبضَ أديمُ وَجهِهِ، والعاملُ في (إذا) المُفاجأةُ.

(٤٦) ـ ﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾.

﴿قُلِ ٱللَّهُمَّ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ عَٰلِمَ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ﴾ ألتَجِئُ إلى اللهِ تَعالى بالدُّعاءِ لَمَّا تحيَّرْتُ في أمرِهم وعَجزْتُ في عِنادِهم وشِدَّةِ شَكيمَتِهم، فإنَّه القادرُ على الأشياءِ والعالمُ بالأحوالِ كُلِّها.

﴿أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ فأنتَ وحدكَ تقدرُ أَنْ تحكُمَ بيني وبينَهُم.

(٤٧ـ٤٨) ـ ﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ ﴿٤٧﴾ وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾.

﴿وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُۥ مَعَهُۥ لَٱفْتَدَوْا۟ بِهِۦ مِن سُوٓءِ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ وعيدٌ شديدٌ وإقناطٌ كُلِّيٌّ لهم مِن الخَلاصِ.

﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا۟ يَحْتَسِبُونَ﴾ زيادةُ مبالغةٍ فيه، وهو نظيرُ قولِه: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم﴾ [السجدة: ١٧] في الوعدِ.

﴿وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ سيئاتُ أَعمالِهم أو كسبِهم حينَ تُعرَضُ صحائفُهم ﴿وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ﴾ وأحاطَ بهم جزاؤهُ.

---

(١) في (خ) زيادة: «وغيظا».

(٤٩ ـ ٥٠) ـ ﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍۭ بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٩﴾ قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾.

﴿فَإِذَا مَسَّ ٱلْإِنسَٰنَ ضُرٌّ دَعَانَا﴾ إخبارٌ عن الجنسِ بما يَغلِبُ فيه، والعطفُ على قولِه: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ﴾ بالفاءِ لبيانِ مُناقضَتِهم وتعكيسِهم في التَّسبُّبِ[1] بمَعنى أنَّهم يَشمَئِزُّونَ عن ذكرِ اللهِ وحدَهُ، ويستبشرونَ بذكرِ الآلهةِ، فإذا مَسَّهُم ضرٌّ دَعَوا مَن اشمأزُّوا مِن ذكرِهِ دونَ مَن استَبْشَرُوا بذكرِهِ، وما بينَهُما اعتراضٌ مؤكِّدٌ لإنكارِ ذلك عليهِم.

﴿ثُمَّ إِذَا خَوَّلْنَٰهُ نِعْمَةً مِّنَّا﴾ أعطيناهُ إيَّاها تفضُّلًا؛ فإنَّ التَّخويلَ مُختَصٌّ به.

﴿قَالَ إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ﴾ على علمٍ مني بوُجوهِ كَسبِهِ، أو بأنِّي سأُعطاهُ لِمَا لي مِن استحقاقِهِ أو مِن اللهِ بي واستيجابي، والهاءُ لِـ(ما) إن جُعِلَت موصولةً، وإلا فللنِّعمَةِ، والتَّذكيرُ لأنَّ المرادَ: شَيءٌ منها.

﴿بَلْ هِىَ فِتْنَةٌ﴾ امتحانٌ له أيشكرُ أَمْ يَكفرُ، وهو رَدٌّ لما قالَهُ، وتأنيثُ الضَّميرِ باعتبارِ الخبرِ، أو لفظِ النِّعمَةِ، وقُرِئَ بالتَّذكيرِ[2].

﴿وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك، وهو دليلٌ على أنَّ ﴿ٱلْإِنسَٰنَ﴾ للجنسِ.

﴿قَدْ قَالَهَا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ الهاءُ لقولِه: ﴿إِنَّمَآ أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلْمٍ عِندِىٓ﴾ لأنَّها كَلِمَةٌ أو جملةٌ، وقُرِئَ بالتَّذكيرِ[3]، و﴿ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾: قارونُ وقومُه؛ فإنَّه قالَهُ ورَضِيَ به قومُه.

---

(١) في (ت): «السبب»، وفي (ض): «التسبيب».

(٢) ذكرها في «الكشاف» (٧/ ٥١٢)، وأجازها الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٤٢٠) من حيث المعنى لكن لم يصرح بكونها قراءة.

(٣) أي: (قد قاله)، ذكرها الزمخشري في «الكشاف» (٧/ ٥١٥)، وأبو حيان في «البحر» (١٨/ ٣٥٢)، وأجازها الفراء في «معاني القرآن» (٢/ ٤٢١) من حيث المعنى لكن لم يصرح بكونها قراءة.

﴿فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ مِن مَتاعِ الدُّنيا.

(٥١ ـ ٥٢) ـ ﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ ۚ وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟ وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥١﴾ أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾.

﴿فَأَصَابَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ جزاءُ سَيِّئاتِ أعمالِهم، أو جزاءُ أعمالِهم، وسمَّاهُ سَيِّئَةً لأنَّه في مُقابلَةِ أعمالِهم السيئةِ رَمْزًا إلى أنَّ جميعَ أعمالِهم كذلك.

﴿وَٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ بالعتوِّ، ﴿مِنْ هَٰٓؤُلَآءِ﴾ المشركينَ، و(مِن) للبيانِ أو التَّبعيضِ ﴿سَيُصِيبُهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا كَسَبُوا۟﴾ كما أصابَ أولئكَ، وقد أصابَهُم فإنَّهُم قُحِطُوا سبعَ سنينَ، وقُتِلَ ببدرٍ صَنادِيدُهُم، ﴿وَمَا هُم بِمُعْجِزِينَ﴾ بفائتينَ.

﴿أَوَلَمْ يَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ﴾ حيثُ حبسَ عَنْهُم الرِّزقَ سَبْعًا، ثمَّ بسطَ لهم سَبْعًا.

﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ بأنَّ الحَوادِثَ كُلَّها مِن اللهِ بوسَطٍ أو غيرِه.

(٥٣ ـ ٥٤) ـ ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا۟ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾.

﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أفرَطُوا في الجنايةِ عليها بالإسرافِ في المعاصي، وإضافةُ العبادِ تخصِّصُه[1] بالمؤمنينَ على ما هو عُرْفُ القرآنِ.

﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ لا تيأَسُوا مِن مَغفِرَتِه أوَّلًا وتفضُّلِه ثانيًا.

﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ عفوًا ولو بَعدَ بُعدٍ[2]، وتقييدُه بالتَّوبَةِ خلافُ الظَّاهِرِ،

---

(١) في (ض): «تخصصهم»، وفي (ت): «تخصيص».

(٢) في (ض): «تعذيب».

ويدلُّ على إطلاقِه فيما عدا الشِّركَ قولُه تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ...﴾ الآية [النساء: ٤٨]، والتَّعليلُ بقوله: ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ على المبالغةِ وإفادةِ الحصرِ والوعدِ بالرَّحمةِ بعدَ المغفرةِ، وتقديمُ ما يَستدعِي عمومَ المغفرةِ ممَّا في ﴿عبادي﴾ مِن الدَّلالةِ على الذِّلَّةِ والاختصاصِ المُقتَضِيَيْنِ للتَّرحُّمِ وتخصيصِ ضررِ الإسرافِ بأنفُسِهِم، والنَّهيُ عن القُنوطِ مُطلَقًا عن الرَّحمةِ فَضْلًا عن المغفرةِ وإطلاقِها، وتعليلُهُ بأنَّ اللهَ يغفرُ الذنوبَ، ووضعُ اسمِ اللهِ مَوضِعَ[1] الضَّميرِ = لدَلالتِهِ على أنَّه المستغني والمنعمُ على الإطلاقِ والتَّأكيدِ بالجَميعِ.

وما رُوِيَ أنه عليه السَّلامُ قال «ما أُحِبُّ أنَّ[2] ليَ الدُّنيا وما فيها بها» فقال رجلٌ: يا رسولَ اللهِ! ومَن أشركَ؟ فسكتَ ساعةً ثمَّ قال: «أَلَا ومَنْ أَشركَ» ثلاثَ مرَّاتٍ.

وما رُوِيَ أنَّ أهلَ مَكَّةَ قالوا: يزعمُ مُحمَّدٌ أنَّ مَن عبدَ الوثنَ وقتلَ النَّفسَ بغيرِ حَقٍّ لم يُغْفَرْ لهُ، فكيفَ ولم نهاجِرْ وقد عبَدْنَا الأوثانَ وقَتَلْنَا النَّفسَ؟! فنزَلَتْ[3].

وقيل: في عيَّاشٍ والوليدِ بنِ الوليدِ في جماعةٍ فُتِنُوا فافتتنُوا[4]، أو في الوحشيِّ[5] = لا ينفي عمومَها.

وكـذا قـولُه: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُواْ لَهُۥ مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ﴾، فإنَّهـا[6] لا تـدلُّ على حصـولِ المَغفِرَةِ لـكلِّ أحدٍ مِن غيرِ توبَةٍ وسبقِ

(١) قوله: «والنهيُ.. وتعليلُهُ.. ووضعُ» عطف على فاعل «يدل». انظر: «حاشية الأنصاري» (٥/ ٢٦).

(٢) بعدها في (ض) و(أ): «تكون».

(٣) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٤) عن ابن عباس رضي الله عنهما. وإسناده ضعيف.

(٤) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٧) عن ابن عمر رضي الله عنهما.

(٥) رواه النحاس في «الناسخ والمنسوخ» (ص: ٦٤٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ورواه ابن أبي حاتم في «تفسيره» (٨/ ٢٧٣١) عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه. ورواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٥) عن عطاء بن يسار.

(٦) قوله: «فإنها» أي: الآية: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ﴾، انظر: «حاشية الأنصاري» (٥/ ٢٦).

تعذيبٍ، لتُغنِيَ عن التَّوبةِ والإخلاصِ في العملِ، وتُنافيَ الوعيدَ بالعذابِ[1].

قوله: «ما أحبُّ أن تكونَ الدُّنيا لي وما فيها بها..» الحديث:

أخرجَه ابنُ جَريرٍ والطَّبرانيُّ في «الأوسط» والبَيهقيُّ في «شعب الإيمان» مِن حَديثِ ثَوْبَان[2].

(٥٥ ـ ٥٦) ـ ﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ٥٥ أَن تَقُولَ نَفۡسٞ يَٰحَسۡرَتَىٰ عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ فِي جَنۢبِ ٱللَّهِ وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾.

﴿وَٱتَّبِعُوٓاْ أَحۡسَنَ مَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُم﴾ القرآنَ، أو المأمورَ به دونَ المَنهيِّ عنه، أو العزائمَ دونَ الرُّخصِ، أو النَّاسِخَ دونَ المنسوخِ، ولعلَّهُ ما هو أَنْجى وأَسْلمُ؛ كالإنابةِ والمواظبةِ على الطَّاعةِ.

﴿مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَكُمُ ٱلۡعَذَابُ بَغۡتَةٗ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ بمجيئِه فتتداركونَ.

﴿أَن تَقُولَ نَفۡسٞ﴾ كراهةَ أَنْ تقولَ، وتنكيرُ ﴿نَفۡسٞ﴾ لأنَّ القائلَ بَعضُ الأنفسِ، أو للتَّكثيرِ كقولِ الأعشى:

وَرُبَّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتُ بِجَوِّهِ ... أَتَانِي كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرَّأْسَ مُغْضَبَا

﴿يَٰحَسۡرَتَىٰ﴾ وقُرِئَ بالياءِ على الأصلِ[3].

---

(١) في (ت) و(ض): «بالتعذيب».

(٢) رواه الطبري في «تفسيره» (٢٠/ ٢٢٨)، والطبراني في «المعجم الأوسط» (١٧٤)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٦٧٣٥)، ورواه أيضاً الإمام أحمد في «المسند» (٢٢٣٦٢) عن ثوبان رضي الله عنه، قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٧/ ١٠٠): «رواه الطبراني في الأوسط وأحمد بنحوه وقال: «إلا من أشرك» ثلاث مرات، وفيه ابن لهيعة وفيه ضعف وحديثه حسن».

(٣) قرأ بها الحسن وأبو العالية وأبو عمران وأبو الجوزاء كما في «زاد المسير» (٤/ ٢٤)، ورويت عن =

﴿عَلَىٰ مَا فَرَّطتُ﴾ ما قصَّرْتُ، ﴿فِى جَنۢبِ ٱللَّهِ﴾ في جانبِهِ؛ أي: في حَقِّهِ وهو طاعتهُ، قالَ سابِقٌ البَرْبَرِيُّ:

أَمَا تَتَّقِينَ اللهَ فِي جَنْبِ وَامِقٍ ... لَهُ كَبِدٌ حَرَّى عَلَيْكِ تَقَطَّعُ

وهو كِنايةٌ فيها[1] مبالغةٌ كقولِه:

إِنَّ السَّمَاحَةَ وَالمُرُوءَةَ وَالنَّدَى ... فِي قُبَّةٍ ضُرِبَتْ عَلَى ابْنِ الحَشْرَجِ

وقيل: في ذاتِه، على تقديرِ مُضافٍ كالطَّاعةِ.

وقيل: في قُربِه؛ مِن قولِه: ﴿وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ﴾.

وقُرِئَ: (في ذكرِ اللهِ)[2].

﴿وَإِن كُنتُ لَمِنَ ٱلسَّٰخِرِينَ﴾ المستهزئينَ بأهلِه، ومحلُّ ﴿إِن كُنتُ﴾ نصبٌ على الحالِ كأَنَّهُ قال: فرَّطْتُ وأنا ساخِرٌ.

قوله:

«وَرُبَّ بَقِيعٍ لَوْ هَتَفْتَ بِجَوِّهِ ... أَتَانِي كَرِيمٌ يَنْفُضُ الرَّأْسَ مُغْضَبا»[3]

قبله:

دَعَا قَوْمَهُ حَوْلِي فَجَاؤُوا لِنَصْرِهِ ... وَنَادَيْتُ قومًا بالمسنَّاة غُيَّبَا

= أبي جعفر كما في «المحرر الوجيز» (٤/ ٥٣٨).

(١) في (ت): «وفيها».

(٢) نسبها الزمخشري في «الكشاف»: (٧/ ٥٢١) إلى عبد الله وحفصة، وذُكرَ هذا اللفظ عن الضحاك تفسيرًا لا قراءةً. انظر: «إعراب القرآن» للنحاس (٤/ ١٤).

(٣) انظر: «ديوان الأعشى» (ص: ١٥٥)، و«عيون الأخبار» لابن قتيبة (٣/ ١٠٤)، و«مقاييس اللغة» (١/ ٢٨٢).

قـال الطِّيبيُّ: البَقيعُ مَوضِعٌ فيه أروم الشَّـجرِ مِن ضُروبٍ شَـتَّى، كريـمٌ: أي كرامٌ كثيـرون، والتَّنكيرُ للتَّكثيـرِ، ينفضُ الرَّأسَ؛ أي: يحرِّكُه غضبًا، يشـكُو مِـن قَومِهِ حينَ قَعَدُوا عـن نصرِه(١).

قوله:

«أَمَـا تَتَّقِيـنَ اللهَ فِـي جَنْـبِ وَامِقٍ ... لَـهُ كَبِـدٌ حَـرَّى عَلِيـكِ تَقَطَّـعُ»(٢)

قوله:

«إنَّ السَّـمَاحَةَ وَالـمُـرُوءَةَ وَالـنَّـدَى ... فِي قُبَّـةٍ ضُرِبَـتْ عَلَـى ابْـنِ الحَشْـرَجِ»

هو لزيادَ الأَعجمِ(٣).

---

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٤١٣).

(٢) كذا في النسخ بلا تعليق، ونسبه الزمخشري في «الكشاف»: (٧/ ٥١٩) لسابقٍ البربريِّ، ولم أجد هذه النسبة عند من تقدمه.

ونُسِبَ لكثيِّر في «غريب القرآن» لابن عُزَيز (ص: ٣٦٥)، و«الغريبين» (مادة: جنب)، و«الإبانة» للعوتبي (٣/ ٦٤٤)، و«مجمع الأمثال» للميداني (١/ ١٤١)، و«الحماسة البصرية» (٢/ ١٢٢)، وهو في «ديوان كثير» (ص: ١٧٧) برواية: «حب» بدل: «جنب»، و«تصدع» بدل: «تقطع»، ومثله رواية «الحماسة البصرية»، وجاء في جميع المصادر: «عاشق» بدل: «وامق».

ونسب لجميل بثينة، كما في «ديوانه» (ص: ٢٩) من قصيدة مطلعها:

أهاجــك أم لا بالمداخــل مربــع

(٣) البيت في مدح عبد الله بن الحشرج وكان سيداً من سادات قيس وأميراً من أمرائها، وَلِيَ أكثر أعمال خراسان، وكان جوادًا ممدَّحاً، وفد عليه زياد الأعجم وهو بسابور أميراً عليها، فأمر بإنزاله وألطفه وبعث إليه ما يحتاج إليه، ثم غدا عليه زياد فأنشده أبياتاً منها هذا البيت. انظر: «الأغاني» (١٢/ ٢٨ و٤٠). ونسبه لزياد أيضاً الجرجاني في «دلائل الإعجاز» (ص: ٣٠٦)، والزمخشري في «ربيع الأبرار» (٤/ ٣٨٦).

=

قال الطِّيبيُّ: جعلَ السَّماحةَ والمروءةَ والنَّدى المعرَّفَةَ بتَعريفِ الجنسِ في مكانِ ابنِ الحشْرَجِ، فأفادَ اختِصاصَها به بأبلَغِ وَجهٍ، يعني: إذا رُمْتَها لم تجِد حصَّةً مِنْها خارجةً مِن هذا المكانِ[1].

(٥٧ ـ ٥٩) ـ ﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٥٧﴾ أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ﴿٥٨﴾ بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾.

﴿أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ بالإرشادِ إلى الحقِّ ﴿لَكُنتُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ﴾[2] الشِّرْكَ والمعاصِيَ.

﴿أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَى ٱلْعَذَابَ لَوْ أَنَّ لِى كَرَّةً فَأَكُونَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ في العقيدةِ والعملِ، و(أو) للدَّلالةِ على أنَّه لا يخلو مِن هذهِ الأقوالِ تَحيُّرًا وتعلُّلًا بما لا طائلَ تحتَه.

﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى فَكَذَّبْتَ بِهَا وَٱسْتَكْبَرْتَ وَكُنتَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ ردٌّ مِن اللهِ عليه لِمَا تضمَّنَه قولُه: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ مِن مَعنى النَّفيِ، وفَصْلُه عنه[3]؛ لأنَّ تَقديمَهُ

= قال الجرجاني: أرادَ ـ كما لا يخفى ـ أنْ يُثْبِتَ هذه المعانيَ والأوصافَ خلالاً للممدوح وضرائبَ فيه، فتركَ أنْ يُصرِّحَ فيقولَ: «إنَّ السماحةَ والمروءةَ والندى لمجموعةٌ في ابنِ الحَشْرج»، أو: «مقصورةٌ عليه»، أو: «مختصَّة به»، وما شاكَلَ ذلك مما هو صريحٌ في إثباتِ الأوصافِ للمذكورين بها، وعدَلَ إلى ما تَرى مَن الكناية والتَّلويح، فجعل كونَها في القُبَّة المضروبةِ عليه عبارةً عن كونها فيه، وإشارةً إليه، فخرَجَ كلامُه بذلك إلى ما خَرَجَ إليه من الجَزالةِ، وظهرَ فيه ما أنت تَرى من الفخامة، ولو أنه أَسْقَط هذه الواسطة من البَيْن لَمَا كان إلاّ كلاماً غُفْلاً وحديثاً ساذَجاً.

(١) انظر: «فتوح الغيب» (١٣/ ٤١٥).

(٢) بعدها في (أ): «من».

(٣) أي: فَصْلُ قولِه: ﴿بَلَىٰ قَدْ جَآءَتْكَ ءَايَٰتِى﴾ عن قوله: ﴿لَوْ أَنَّ ٱللَّهَ هَدَىٰنِى﴾ بآية.

يُفرِّقُ القرائنَ، وتأخيرُ المردودِ يُخِلُّ بالنَّظمِ المطابقِ للوُجودِ؛ لأنه يتحسَّرُ بالتَّفريطِ، ثمَّ يتعلَّلُ بفَقدِ الهدايةِ، ثمَّ يَتمنَّى الرَّجعَةَ، وهو لا يمنعُ تأثيرَ قُدرةِ اللهِ في فعلِ العَبدِ ولا ما فيهِ مِن إسنادِ الفعلِ إليه كما عرفت.

وتذكيرُ الخطابِ على المعنى، وقُرِئَ بالتَّأنيثِ للنَّفسِ(١).

(٦٠ ـ ٦١) ـ ﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ۚ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴿٦٠﴾ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾.

﴿ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَى الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ ﴾ بأَنْ وَصَفوهُ بما لا يجوزُ كاتِّخاذِ الوَلدِ.

﴿وُجُوهُهُم مُّسْوَدَّةٌ ﴾ بما(٢) ينالُهُم مِن الشدَّةِ، أو بما يتخيلُ عليها مِن ظُلمَةِ الجَهلِ، والجملةُ حالٌ؛ إذ الظَّاهرُ أن (ترى) مِن رؤيَةِ البَصرِ، واكتُفِيَ فيها بالضَّميرِ عن الواوِ.

﴿أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى ﴾ مقامٌ ﴿لِّلْمُتَكَبِّرِينَ ﴾ عن الإيمانِ والطَّاعةِ، وهو تَقريرٌ لأنَّهُم يرونَ كذلك.

﴿ وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ وقُرِئَ ﴿وَيُنْجِي﴾(٣).

﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بفَلاحِهِم، مَفْعَلَةٌ مِن الفوزِ، وتَفسيرُهَا بالنَّجاةِ تَخصيصُها بأهمِّ أَقسامِه، وبالسَّعادةِ والعملِ الصَّالحِ إطلاقٌ لها على السَّببِ، وقرأَ الكوفِيُّونَ غيرَ حَفصٍ بالجمعِ(٤) تطبيقًا له بالمُضافِ إليه، والباءُ فيها للسَّببيَّةِ صِلَةً لـ﴿ينجي﴾، أو لقولِه: ﴿لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴾، وهو حالٌ أو استئنافٌ لبيَانِ المَفَازةِ.

---

(١) أي: (بلى قد جاءتكِ آياتي فكذبتِ بها واستكبرتِ وكنتِ) قرأ بها أبو بكر رضي الله عنه كما في «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٢).

(٢) في (ت): «مما».

(٣) قرأ بها روح عن يعقوب، انظر: «النشر» (٢/ ٣٦٣).

(٤) أي: ﴿بمفازاتهم﴾، والباقون ﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ بالإفراد، انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٩٠).

(٦٢ ـ ٦٣) ـ ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ ٦٢ لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾.

﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٖ﴾ مِن خيرٍ وشَرٍّ وإيمانٍ وكُفرٍ.

﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٖ وَكِيلٞ﴾ يتولَّى التَّصرُّفَ فيه.

﴿لَّهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ لا يملِكُ أمرَها ولا يتمكَّنُ مِن التَّصرُّفِ فيها غيرُه، وهو كنايةٌ عن قدرتِه وحفظِه لها، وفيها مزيدُ دلالةٍ على الاختصاصِ؛ لأنَّ الخزائنَ لا يَدخلُها ولا يتصرَّفُ فيها إلا مَن بيدِه مَفاتيحُها، وهو جمعُ (مِقْلِيدٍ) أو (مِقْلَادٍ) مِن قلَّدْتُه: إذا ألزَمْتَه، وقيل: جمعُ (إقليدٍ) مُعرَّبِ إِكْليد على الشُّذوذِ، كمَذاكيرَ[1].

وعن عثمانَ رَضِيَ اللهُ عنه: أنَّه سألَ النَّبيَّ ﷺ عن المقاليدِ فقال: «تفسيرُها: لا إلهَ إلَّا اللهُ، واللهُ أكبرُ، وسُبحانَ اللهِ وبحمدِه، وأستغفرُ اللهَ، ولا حولَ ولا قوَّةَ إلا باللهِ، هو الأوَّلُ والآخرُ والظَّاهرُ والباطِنُ بيدِهِ الخيرُ يُحيي ويُميتُ وهو على كلِّ شَيءٍ قَديرٌ»، والمعنى على هذا: إنَّ للهِ هذه الكلماتِ يُوحَّدُ بها ويُمَجَّدُ وهي مفاتيحُ خيرِ السَّماواتِ والأرضِ مَن تكلَّمَ بها[2] أصابَه.

﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ﴾ مُتَّصِلٌ بقولِه: ﴿وَيُنَجِّي ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ﴾ وما بينَهُما اعتراضٌ للدَّلالةِ على أنَّه مُهيمِنٌ على العبادِ مُطَّلِعٌ على أفعالِهم مُجازٍ عليها، وتَغييرُ النَّظْمِ للإشعارِ بأنَّ العُمدةَ في فلاحِ المؤمنينَ فَضلُ اللهِ، وفي هلاكِ الكافرينَ بأنْ[3] خَسِرُوا أنفُسَهُم، وللتَّصريحِ بالوَعدِ والتَّعريضِ بالوعيدِ

(١) ذكره ابن قتيبة في «غريب القرآن» (ص: ٣٨٤)، وذكره الكرماني في «غرائب التفسير» (٢/ ١٠١٩)، واستغربه، وانظر: «لباب التفاسير» له (٨/ ٥٥).

(٢) في هامش (خ) زيادة: «من المتقين» وعليها (خ)، وهي كذلك في «الكشاف».

(٣) في (ض): «أن».

قضيَّةً للكرمِ، أو بما يليهِ[1]، والمرادُ (بآياتِ اللهِ): دلائلُ قُدرَتِه واستبدادُهُ بأمرِ السَّماواتِ والأرضِ، أو كلماتُ تَوحيدِهِ وتَمجيدِهِ، وتَخصيصُ الخسَارِ بهم لأنَّ غيرَهُم له[2] حَظٌّ مِن الرَّحمةِ والثَّوابِ.

قوله: «وعَن عُثمانَ: أنَّه سألَ النبيَّ ﷺ عن مَقاليد..» الحديث.

أخرجه أبو يَعلى في «مسنده» وابنُ أبي حاتمٍ في «تفسيره» والعقيليُّ في «الضُّعفاء» والطَّبرانيُّ في «الدعاء» والبَيهقيُّ في «الأسماء والصفات» مِن حَديثِ ابنِ عمرَ، وذكره ابنُ الجوزيِّ في «الموضوعاتِ»[3].

(٦٤ ـ ٦٥) ـ ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ ﴿٦٤﴾ وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾.

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ أي: أفغيرَ اللهِ أعبدُ بعدَ هذه الدَّلائلِ والمواعيدِ، و﴿تَأْمُرُونِّي﴾ اعتراضٌ للدَّلالةِ على أنَّهم أمروهُ بهِ عَقِيبَ ذلك وقالوا: استَلِمْ بعضَ آلِهَتِنا ونؤمِنُ بإلهكَ؛ لفرطِ غَباوَتِهم، ويجوزُ أن ينتصبَ (غير) بما دلَّ عليهِ ﴿تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ﴾ لأنَّه بمعنى: تُعَبِّدُونَني على أنَّ أصله: تأمرونَني أَنْ أعبُدَ، فحُذِفَ (أن) ورُفِعَ كقولِه:

---

(١) (قضيةً للكرم): بالنصبِ تعليلٌ للتصريح والتعريض، بما ذكره، [أو بما يليه] عطفٌ على «بقوله»: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ﴾ أو متصلاً بما يلي قوله: ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ﴾، وهو ﴿اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ﴾. انظر: «حاشية الأنصاري» (٥/ ٣٠)

(٢) في (ت): «ذو».

(٣) رواه أبو يعلى كما في «المطالب العالية» (٣٧٠١)، وابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٣٢٥٤)، والعقيلي في «الضعفاء» (١/ ١١٧) و(٤/ ٢٣١)، والطبراني في «الدعاء» (١٧٠٠)، والبيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٤٦)، وذكره ابن الجوزي في «الموضوعات» (١/ ١٤٥) وقال: لا يصح، وقال الذهبي في «ميزان الاعتدال» (٤/ ٨٥): هذا موضوع فيما أرى.

أَحْـضُــــرُ الـوَغَـى[1]

ويُؤيِّدُه قراءةُ (أعبُدَ) بالنَّصبِ[2]، وقرأَ ابنُ عامرٍ ﴿تَأْمُرُونَنِي﴾ بإظهارِ النُّونَينِ على الأصلِ، ونافعٌ بحذفِ الثَّانيةِ فإنَّها تُحذَفُ كثيرًا[3].

﴿وَلَقَدْ أُوحِىَ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ﴾ أي: مِن الرُّسُلِ ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ كلامٌ على سبيلِ الفَرضِ، والمرادُ به تهييجُ الرُّسُلِ وإقناطُ الكفرةِ والإشعارُ على حكمِ الأمَّةِ، وإفرادُ الخطابِ باعتبارِ كلِّ واحدٍ، واللامُ الأولى مُوطِّئَةٌ للقسمِ، والأُخْريانِ[4] للجَوابِ، وإطلاقُ الإحباطِ يحتملُ أَنْ يكونَ مِن خَصائِصِهم لأنَّ شِرْكَهُم أقبحُ، وأَنْ يكونَ على التَّقييدِ بالموتِ كما صرحَ بِهِ في قولِه: ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَٰٓئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ﴾. وعطفُ الخُسرانِ عليه مِن عطفِ المُسبَّبِ على السَّببِ.

---

(١) قطعة من صدر بيت لطرفة بن العبد، وهو في «ديوانه» (ص: ٣٢)، و«الكتاب» (٣/ ٩٩)، وقد تقدمَ مرارًا، وتمام البيت:

ألا أيهـذا الزاجـري أحـضر الوغـى وأن أشـهدَ اللذاتِ هـل أنت مُخلِدي

و«أحضر» وروي بالرفع والنصب كما ذكر السمين الحلبي في «الدر المصون».

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٢) عن بعضهم.

(٣) قرأ ابن عامر بنونين الأولى مفتوحة، ونافع بواحدة مخفَّفةٍ، والباقونَ بواحدةٍ مشدَّدة. انظر: «السبعة» (ص: ٥٦٣)، و«التيسير» (ص: ١٩٠).

(٤) في (ض) و(ت): «والأخيرتان». قال الخفاجي فـي «حاشيته» (٧/ ٣٥٠): قوله: «واللام الأولى موطئة... إلخ» الأولى لام ﴿لَئِنْ﴾، والأخريان ـ وفي نسخة: الأخيرتان ـ هما ما بعدها، وأما اللام الداخلة على (لقد) فقسمية من غير شبهة، ولما كانت المعطوفة كذلك سأل الزمخشري عن اللامين، وقيل إنه لم يقل: «والثانية» كما في «الكشاف» لئلا يتوهم أن المرادَ بالأولى لام (لقد)، ولعمري إن من يتوهمُ مثله لا يفهم «الكشاف» ولا يليق به مطالعته.

(٦٦ ـ ٦٧) ـ ﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ۝٦٦ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ﴾.

﴿ بَلِ ٱللَّهَ فَٱعۡبُدۡ ﴾ رَدٌّ لما أَمروهُ بِهِ، ولولا دلالةُ التَّقديمِ على الاختصاصِ لَمْ يَكُن كذلك.

﴿وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ إنعامَهُ عليه، وفيه إشارةٌ إلى موجبِ الاختصاصِ.

﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ﴾ ما قدرُوا عظمتَهُ في أنفُسِهم حقَّ تعظيمِه حيثُ جَعلوا له شريكًا ووصفوهُ بما لا يليقُ به، وقُرِئَ بالتَّشديدِ(١).

﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ﴾ تنبيهٌ على عَظمَتِه وحَقارةِ الأفعالِ العِظَامِ التي تتحيَّرُ فيها الأوهامُ بالإضافةِ إلى قُدرَتِه، ودلالةٌ على أنَّ تخريبَ العالَمِ أهوَنُ شَيءٍ عليه على طريقَةِ التَّمثيلِ والتَّخييلِ مِن غيرِ اعتبارِ القبضَةِ واليَمينِ حقيقةً ولا مَجازًا، كقولِهم: شَابَتْ لِمَّةُ الليلِ.

والقَبضَةُ: المرَّةُ من القَبْضِ، أُطلِقَت بمعنى (القُبْضَةِ) وهي المقدارُ المَقبوضُ بالكَفِّ تَسمِيَةً بالمصدرِ، أو بتقديرِ: ذات قبضةٍ، وقُرِئَ بالنَّصبِ(٢) على الظَّرفِ تَشبيهًا للمؤقتِ بالمُبهَمِ، وتأكيدُ الأَرضِ بالجميعِ؛ لأنَّ المُرادَ بها الأَرَضُونَ السَّبعُ، أو جميعُ أَبعاضِهَا البادِيَةِ والغائِرَةِ.

وقُرِئَ: (مَطْوِيَّاتٍ)(٣) على أَنَّها حالٌ، و﴿السماوات﴾ معطوفةٌ على ﴿الأرض﴾ مَنظومةٌ في حكمِها.

---

(١) أي: (قدَّروا)، انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٢) عن الأعمش وأبي حيوة.

(٢) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٢) عن الحسن.

(٣) انظر: «المختصر في شواذ القراءات» (ص: ١٣٢) عن عيسى بن عمر.

﴿سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ ما أبعدَ وأعْـلى مَـن هذه قُدرَتُه وعظمَتُه عن إشراكِهم، أو مَا يُضافُ[1] إليهِ مِن الشُّركاءِ.

(٦٨) ـ ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُۖ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ يَنظُرُونَ﴾.

﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ﴾ يعني: المرَّةَ الأولى، ﴿فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ خرُّوا مِيتًا أو مَغشيًّا عليهِ ﴿إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ قيل: جبريلُ ومِيكائيلُ وإسرافيلُ فإنَّهُم يموتونَ بَعدُ، وقيل: حملَةُ العَرشِ.

﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخۡرَىٰ﴾ نفخةً أُخرى، وهي تدلُّ على أنَّ المُرادَ بالأوَّلِ: ونُفِخ في الصُّورِ نفخةٌ واحدةٌ كما صرحَ به في مواضِعَ، و﴿أُخۡرَىٰ﴾ تحتملُ النَّصبَ والرَّفعَ، ﴿فَإِذَا هُمۡ قِيَامٞ﴾ قائمونَ مِن قُبورِهم أو مُتوقِّفُونَ، وقُرِئَ بالنَّصبِ[2] على أنَّ الخبرَ: ﴿يَنظُرُونَ﴾ وهـو حـالٌ مِـن ضَميرِه، والمعنى: يُقلِّبونَ أبصارَهُم في الجوانبِ كالمَبهوتينَ، أو ينتظرونَ ما يُفعَلُ بهم.

(٦٩ ـ ٧٢) ـ ﴿وَأَشۡرَقَتِ ٱلۡأَرۡضُ بِنُورِ رَبِّهَا وَوُضِعَ ٱلۡكِتَٰبُ وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَقُضِيَ بَيۡنَهُم بِٱلۡحَقِّ وَهُمۡ لَا يُظۡلَمُونَ ٦٩ وَوُفِّيَتۡ كُلُّ نَفۡسٖ مَّا عَمِلَتۡ وَهُوَ أَعۡلَمُ بِمَا يَفۡعَلُونَ ٧٠ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَاۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ ٧١ قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَاۖ فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾.

---

(١) في (خ) و(ت): «يضيفون».

(٢) انظر: «البحر» (١٨/ ٣٧٣) عن زيد بن علي، وهو في «الكشاف» (٧/ ٥٣٥) من غير نسبة.

﴿وَأَشْرَقَتِ ٱلْأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا﴾ بما أقامَ فيها مِن العَدْلِ، سَمَّاهُ نورًا لأنَّه يزيِّنُ البقاعَ ويُظهِرُ الحُقوقَ كما سَمَّى الظُّلمَ ظلمةً، وفي الحديثِ: «الظلمُ ظُلُماتٌ يومَ القِيامَةِ»، ولذلك أضافَ اسمَهُ إلى الأرضِ، أو بنورٍ خُلِقَ فيها بلا توسُّطِ أجسامٍ مُضيئَةٍ، ولذلك أضافَها إلى نفسِه.

﴿وَوُضِعَ ٱلْكِتَٰبُ﴾ الحسابُ والجزاءُ، مِن وَضعِ المُحاسِبِ كتابَ المحاسبةِ بين يديهِ، أو صحائفَ الأعمالِ في أيدي العُمَّالِ، واكتُفِيَ باسمِ[1] الجنسِ عن الجمعِ.

وقيل: اللَّوحُ المحفوظُ يُقابَلُ به الصَّحائفَ[2].

﴿وَجِاْيٓءَ بِٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلشُّهَدَآءِ﴾ الذين يَشهدون[3] للأُمَمِ وعليهِمْ مِن الملائكةِ والمؤمنينَ، وقيل: المُستشهَدُونَ ﴿وَقُضِيَ بَيْنَهُم﴾ بينَ العبادِ ﴿بِٱلْحَقِّ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ بنقصِ ثوابٍ أو زيادةِ عِقابٍ على ما جرى به الوعدُ.

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ﴾ جزاءَهُ، ﴿وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ فلا يفوتُهُ شَيءٌ مِن أَفعالِهم، ثمَّ فصَّلَ التَّوفيةَ وقال:

﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ أفواجًا مُتفرِّقَةً بعضُها في إثرِ بَعضٍ، على تَفاوُتِ أَقدامِهِم في الضَّلالةِ والشَّرارةِ، وهي الجمعُ القليلُ جمعُ زُمْرَةٍ، واشتقاقُها مِن الزَّمْرِ: وهو الصَّوتُ، إذ الجماعةُ لا تخلو عنه[4]، أو مِن قَولِهم: شاةٌ زَمِرَةٌ: قليلةُ الشَّعرِ، ورجلٌ زَمِرٌ: قليلُ المروءةِ.

---

(١) في (ت): «بذكر اسم».

(٢) انظر: «لباب التفاسير» للكرماني (٨/ ٦٢).

(٣) «الذين يشهدون» من (ض).

(٤) في (خ) زيادة: «غالباً».

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا فُتِّحَتۡ أَبۡوَٰبُهَا﴾ ليَدخلوهَا، و(حتَّى) هي التي تُحكَى بعدَها الجملةُ، وقرأَ الكوفيونَ ﴿فُتِحَتۡ﴾ بتخفيفِ التَّاءِ[1].

﴿وَقَالَ لَهُمۡ خَزَنَتُهَآ﴾ تقريعًا وتوبيخًا ﴿أَلَمۡ يَأۡتِكُمۡ رُسُلٞ مِّنكُمۡ﴾ مِن جنسِكُم ﴿يَتۡلُونَ عَلَيۡكُمۡ ءَايَٰتِ رَبِّكُمۡ وَيُنذِرُونَكُمۡ لِقَآءَ يَوۡمِكُمۡ هَٰذَا﴾ وقتِكُم هذا، وهو وقتُ دُخولِهِم النَّارَ، وفيه دليلٌ على أنَّه لا تكليفَ قبلَ الشَّرعِ مِن حيثُ إنَّهُم علَّلوا تَوبيخَهُم بإتيانِ الرُّسُلِ وتَبليغِ الكتبِ.

﴿قَالُواْ بَلَىٰ وَلَٰكِنۡ حَقَّتۡ كَلِمَةُ ٱلۡعَذَابِ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ كلمةُ اللهِ بالعَذابِ علينا، وهو الحكمُ عليهم بالشَّقاوةِ وأنَّهُم مِن أهلِ النَّارِ، ووُضِعَ الظَّاهرُ فيه مَوضِعَ الضَّميرِ للدَّلالةِ على اختصاصِ ذلك بالكَفَرَةِ، وقيل: هو قولُه: ﴿لَأَمۡلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ ٱلۡجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ أَجۡمَعِينَ﴾ [هود: ١١٩].

﴿قِيلَ ٱدۡخُلُوٓاْ أَبۡوَٰبَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ أبهَمَ القائلَ لتَهويلِ ما يقالُ لهم، ﴿فَبِئۡسَ مَثۡوَى ٱلۡمُتَكَبِّرِينَ﴾ اللامُ فيه للجنسِ، والمخصوصُ بالذَّمِّ سبقَ ذكرُهُ، ولا يُنافِي إِشعارُهُ بأنَّ مَثواهُم في النَّارِ لتكبُّرِهِم عن الحقِّ أن يكونَ دُخولُهُم فيها؛ لأنَّ كلمةَ العَذابِ حقَّتْ عليهِم، فإنَّ تكبُّرَهُم وسائرَ مَقابِحِهِم مُسبَّبَةٌ عنه، كما قالَ عليهِ السَّلامُ: «إنَّ اللهَ إذا خلقَ العبدَ للجنَّةِ استعْمَلَهُ بعملِ أهلِ الجنَّةِ حتَّى يَمُوتَ على عملٍ مِن أعمالِ أهلِ الجنَّةِ فيدخلُ بهِ الجنَّةِ، وإذا خلقَ العبدَ للنَّارِ استعملَهُ بعملِ أهلِ النَّارِ حتَّى يَمُوتَ على عَمَلٍ مِن أعمالِ أهلِ النَّارِ فيدخلُ به النَّارَ».

قوله: «الظُّلْمُ ظُلُماتٌ يومَ القِيامَةِ»:

أخرجَه الشَّيخانِ مِن حَديثِ ابنِ عُمرَ[2].

---

(١) وقرأ الباقون بالتشديد، انظر: «النشر» (٢/ ٣٦٤).

(٢) رواه البخاري (٢٤٤٧)، ومسلم (٢٥٧٩).

قوله: «إنَّ اللهَ إذا خلقَ العبدَ للجنَّةِ استعملَهُ بعَملِ أهلِ الجنَّةِ...» الحديث: أخرجَه [........][1].

(٧٣ ـ ٧٤) ـ ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَٰبُهَا وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴿٧٣﴾ وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُۖ فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ ﴾.

﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْاْ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ ﴾ إسراعًا بهِمْ إلى دارِ الكرامَةِ، وقيل: سيق مراكبُهُم؛ إذ لا يُذهَبُ بهم إلا راكبينَ ﴿زُمَرًا﴾ على تفاوُتِ مَراتِبِهم في الشَّرَفِ وعلوِّ الطَّبقةِ.

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءُوهَا وفُتِّحَتْ أَبْوَٰبُهَا ﴾ حُذِفَ جوابُ ﴿إِذَا﴾ وجعلَ ﴿فتحت﴾ حالًا بإضمارِ (قد)[2] للدَّلالةِ على أنَّ لهم حينَئذٍ مِن الكرامَةِ والتَّعظيمِ ما لا يُحيطُ به الوَصفُ، وأنَّ أبوابَ الجنَّةِ تُفتَحُ لهم قبلَ مَجيئِها[3] مُنتَظِرينَ، وقرأَ الكوفِيُّونَ ﴿فُتِحَت﴾ بالتَّخفيفِ[4].

﴿وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَٰمٌ عَلَيْكُمْ﴾ لا يَعتَرِيكُم بعدُ مَكروهٌ ﴿ طِبْتُمْ ﴾ طَهرْتُم من دنسِ المعاصي ﴿فَٱدْخُلُوهَا خَٰلِدِينَ ﴾ مُقدِّرينَ الخلودَ، والفاءُ للدَّلالةِ على أنَّ طيبَهُم سببٌ لدُخولِهم وخُلودِهِم، وهو لا يمنَعُ دخولَ العاصي بعفوِهِ لأنَّه يُطهِّرُه.

---

(١) في النسخ هنا بياض، والحديث رواه الإمام أحمد في «مسنده» (٣١١)، وأبو داود (٤٧٠٣)، والترمذي (٣٠٧٥)، من حديث عمر رضي الله عنه، وقال الترمذي: «هذا حديث حسن، ومسلم بن يسار لم يسمع من عمر، وقد ذكر بعضهم في هذا الإسناد بين مسلم بن يسار وبين عمر رجلاً».

(٢) «وجعل (فتحت) حالاً بإضمار قد» من (ض).

(٣) في (ت): «مجيئهم».

(٤) قوله: «وقرأ الكوفيون ﴿فتحت﴾ بالتخفيف» من (أ) و(خ).

﴿وَقَالُواْ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى صَدَقَنَا وَعْدَهُۥ﴾ بالبعثِ والثَّوابِ ﴿وَأَوْرَثَنَا ٱلْأَرْضَ﴾ يريدونَ المكانَ الذي استقرُّوا فيه على الاستعارةِ، وإيراثُها: تَمليكُها مُخَلَّفَةً عليهِمْ مِن أعمالِهِم، أو تمكينُهُم مِن التَّصرُّفِ فيها تمكينَ الوارثِ فيما يَرِثُه.

﴿نَتَبَوَّأُ مِنَ ٱلْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَآءُ﴾ أي: يتبوَّأُ كلٌّ مِنَّا في أيِّ مَقامٍ أرادهُ مِن جنَّتِه الواسعَةِ، مع أنَّ في الجنَّةِ مَقاماتٍ مَعنويَّةً لا يتمانَعُ وارِدُوها ﴿فَنِعْمَ أَجْرُ ٱلْعَٰمِلِينَ﴾ الجنَّةُ.

(٧٥) - ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾.

﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ﴾ مُحْدِقينَ، ﴿مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ﴾ أي حولَهُ، و﴿مِنْ﴾ مزيدَةٌ، أو لابتداءِ الحُفوفِ ﴿يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ﴾ مُلتَبِسينَ بحَمْدِه، والجُملَةُ حالٌ ثانيةٌ، أو مُقيِّدَةٌ للأُولى، والمعنى: ذاكِرينَ له بوَصْفَيْ جلالِهِ وإكرامِه تَلذُّذًا به، وفيه إشعارٌ بأنَّ مُنتَهى درجاتِ العِلِّيِّينَ وأعلى لذائذِهِم هو الاستغراقُ في صِفَاتِ الحقِّ.

﴿وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ﴾ أي بينَ الخلقِ، بإدخالِ بَعضِهِم النَّارَ وبعضِهِم الجنَّةَ، أو بين الملائكَةِ بإقامَتِهِم في منازِلِهم على حَسَبِ تَفاضُلِهِم.

﴿وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ أي: على ما قَضى بينَنا بالحقِّ، والقائلونَ هُم المؤمنونَ مِن المقضيِّ بينَهُم، أو الملائكَةُ، وطَيُّ ذِكرِهِم لتَعيُّنِهم وتَعظيمِهِم.

عن النَّبيِّ ﷺ: «مَن قرأَ سُورةَ الزُّمَرِ لم يقطعِ اللهُ رجاءَهُ يومَ القيامَةِ، وأعطاهُ اللهُ ثوابَ الخائفينَ».

وعنه عليهِ السَّلامُ: أنَّه كان يقرأُ كلَّ ليلَةٍ بني إسرائيلَ والزُّمَرَ.

قوله: «مَن قرَأَ سُورَةَ الزُّمرِ...» إلى آخره:

موضوعٌ[(١)].

قوله: «وعنهُ عليهِ الصَّلاةُ والسَّلامُ: أنَّه كان يقرأُ كلَّ ليلةٍ بني إسرائيلَ والزُّمَرَ»:

أخرجَهُ التِّرمذيُّ والنَّسائيُّ والحاكمُ مِن حَديثِ عائشةَ[(٢)].

***

(١) رواه الثعلبي في «تفسيره» (٢٣/ ٨٠)، والواحدي في «الوسيط» (٣/ ٥٦٩)، من حديث أبي بن كعب رضي الله عنه. وهو قطعة من الحديث الموضوع في فضائل السور، وتقدم الكلام عليه مراراً.

(٢) رواه الترمذي (٢٩٢٠) وقال: حسن غريب، والنسائي في «السنن الكبرى» (١٠٤٨٠)، والحاكم في «المستدرك» (٣٦٢٥). ورواه أحمد في «المسند» (٢٤٣٨٨). وقال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (٢/ ٢٧٢): رواه أحمد ورجاله ثقات.